منادمة الأطلال

و

مسامرة الخيال

تأليف

العلامة المتفنن الشيخ عبد القادر بدران

طبع على نفقة حضرة صاحب السمو

الشيخ علي بن الشيخ عبد الله

بن قاسم آل ثاني حاكم قطر حفظه الله

منادمة الأطلال

و

مسامرة الخيال

تأليف

العلامة المتفنن الشيخ عبد القادر بدران
المتوفى بدمشق – ١٣٤٦ هجرية

طبع على نفقة صاحب السمو

الشيخ علي بن عبد الله بن قاسم آل ثاني

حاكم قطر

منشورات
المكتب الإسلامي للطباعة والنشر
دمشق – الحلبوني – ص ب ٨٠٠ – هاتف : ١١٦٣٧

تنبيه :

الصفحات التي تلي الصفحة ٤٢٦ رقمت بـ ٤٦١ سهواً
وصحتها ٤٢٧ وهكذا الى آخر الكتاب .

هـذه النسخة

وقف لله تعالى

من صاحب السمو

الشيخ على بن الشيخ عبدالله

ابن قاسم الثاني حاكم قطر حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ، ومن سيئات اعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

وبعد فهذا كتاب « منادمة الاطلال ومسامرة الخيال » للعلامة الشيخ عبد القادر بدران نقدمه الى القراء بعد أن بذلنا الجهد في طبعه واخراجه على الشكل الأنيق الذي نراه .

قيمة الكتاب وموضوعه :

وموضوع الكتاب يستاهل العناية والجهد ، فهو فصل من فصول امجادنا ، وتاريخ لجانب من جوانب حضارتنا نفخر به ونعتز بآثاره .

يتحدث الكتاب عن دمشق فسطاط المسلمين ، وخير منازلهم[1] وعما كان بها من دور القرآن والحديث ، ومدارس الفقه والطب ، وما كان فيها من المساجد والزوايا والتكايا ، وما كان من الآثار والترب والمتنزهات . ينقل المؤلف فيه عن الماضين ما سطروا ، ويلخص ما كتبوا ، ويتم ما نقصوا[2] . ويدور بنفسه على الاماكن التي ذكروها ، والمعاهد التي نعتوها فيصفها بدقة ـ كما رآها ـ ويقارن حاضرها الراهن بغابرها الماضي . ويبين أمكنة ما درس منها . هادفاً من وراء ذلك الى حفز الهمم ليلحق الأحفاد بالاجداد فيبنوا كما بنوا ويفعلوا مثلما فعلوا .

مخطوطات الكتاب :

كان في متناول يدنا ونحن نطبع الكتاب ، ثلاث نسخ مخطوطة :

الأولى : نسخة العالم النسابة الجليل صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني حفظه الله تعالى وقد بذلها لنا لنقوم بطبع الكتاب عنها كما هو شانه فيما تشتمل عليه مكتبته العامرة من نفائس يحرص على نشرها وافادة الناس بها .

---

(١) انظر الحديث الخامس عشر من « تخريج احاديث الشام » الملحق بهذا الكتاب .

(٢) قال في مقدمة « مختصرة » : ... لخصت ذلك من كتابي المسمى بـ « منادمة الأطلال ، ومسامرة الخيال » الحائز خلاصة مايزيد على الاربعين مجلداً من كتب التاريخ .

وهذه النسخة ـ وعليها كان اعتمادنا ـ بخط المؤلف وهي كثيرة الحواشي والتعليقات والتصحيحات التي كتب بعضها ـ على ما يبدو ـ في مرضه الأخير (الفالج) وكان يكتب بيده اليسرى . فيكون خطه متعثراً مضطرباً يفتقر الى الوضوح في كثير من الاحيان .

وتتخلل النسخة أوراق بيض اشرنا الى مواضع بعضها .

الثانية : مصورة لنسخة بخط أحمد الداوي كان اهداها العالم المحقق المرحوم أحمد تيمور باشا الى مديرية اوقاف دمشق وهي موجودة الآن في مكتبة المجمع العلمي العربي ..

وهذه المصورة تنقص عن نسخة صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني التي تقدم وصفها كثيراً من التعليقات والاستدراكات، وقد راجعناها اثناء الطبع ..

الثالثة : مختصر للكتاب موجود في «الظاهرية» برقم ٤١٠٢ وقد كتب سنة ١٢٦٥هـ ولم نفد منه شيئاً .

محاولات طبعه :

ولقد حاول المؤلف ان يطبع كتابه هذا فاخرجت مطبعة « روضة الشام » منه ملزمة واحدة سنة ١٢٣١هـ ثم توقف الطبع .

وحاول مرة أخرى قبيل وفاته مراجعته وطباعته فلم يتجاوز في المراجعة العنوان فجعله « الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية » ولم يتحقق له من الطباعة ما احب .

سفر من ثلاثة :

يذكر المؤلف أن كتابه هذا المختص بالتاريخ العمراني « قسم من الأسفار الثلاثة لتاريخ دمشق » وهو يحيل فيه احياناً الى السفرين الآخرين اللذين خص احدهما بالتاريخ الاجتماعي وثانيهما بالتاريخ السياسي ، ولم يصل الينا هذان السفران ولم نعرف من خبرهما غير ما تقدم . ولا نعلم هل الفا وفقدا ؟ أم كانا مجرد فكرة لم تتحول الى عمل ؟..

ملاحظة :

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب « ثم انني سلكت فيه مسلكاً وهو انني اذا ذكرت مدرسة أو اثراً ما أحافظ على ترجمة منشئه ولا أتعرض لتراجم المدرسين في المدارس » ولكن الملاحظ في الكتاب أن المؤلف لم يلتزم ما خطه لنفسه .

واود ان اذكر اخيراً بان الجهد الأكبر في اخراج هذا الكتاب ـ وقد تطلب جهداً كثيراً ـ قد بذله الأخوان الفاضلان الاستاذان نزار الخاني ، ومحمد سعيد المولوي . كما اود أن اسجل لاستاذنا العلامة الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار كريم اهتمامه ومساعدته فقد كان يمدنا كثيراً بصائب رأيه وحسن توجيهه .

واننا لنرجو الله تعالى أن يجزل ثواب المؤلف ، وان يمد في حياة سمو الأمير المصلح

الشيخ علي آل ثاني

الذي تتمثل فيه مناقب السلف الصالح من سعة العلم ووفرة الفضل والسعي فيما يرضي الله عز وجل . وان يجزي كل من ساعد على اخراج الكتاب خيراً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دمشق ٢٥ رجب ١٣٧٩

ابو بكر
زهير الشاويش

التعريف بالكتاب وترجمة المؤلف

بقلم : استاذنا الجليل العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل الكتاب : هدى وذكرى لأولي الألباب ، والصلاة والسلام على من ارسل رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى سائر اخوانه الأنبياء والمرسلين ، ومن تبعهم باحسان .

اتى على الأمة العربية حين من الدهر كانت بلادها فيه جنة علم ذات افنان ، تجلى في مغانيها عرائس العرفان ، فتهوى اليها افئدة عشاق العلم والآداب في كل مكان ، لم يكد يسطع نجم القرن الثاني في سماء الاسلام ، حتى تألق نوره وامتدت اشعته فبلغت حدود الصين شرقا ، وأقاصي بلاد الاندلس ومراكش غربا ، ونهر اللوار شمالا ، وسواحل المحيط الهندي جنوبا ، في ذلك الدور الزاهر اتسعت دوحات العلم ، وامتدت ظلال الآداب ، وراجت سوق الخطابة ، والكتابة ، وبزغ هلال الحضارة العربية ، الذي لم يلبث أن صار بدرا كاملا .

وفي العصر العباسي قد فجر علماء الاسلام ، القرآن عيونا ، واستنبطوا من كنوز نصوصه علوما وفنونا، واندفعوا بما هداهم اليه ذلك الوحي السماوي كالسيل الآتي ، يقيمون معالم الحضارة والعمران ، ويترجمون العلوم والفنون الرياضية والطبيعية والعقلية عن حكماء الهند والفرس والروم واليونان ، ولم ينقلوا هذه الفنون عن أصلها من غير اعمال فكر ولا روية ، بل اجالوا فيها نظر الناقد البصير ، فأوضحوا غامضها ، وأصلحوا خللها ، ووضعوا من الكتب في هذه العلوم اضعاف ما عربوا .

خالط المسلمون اهل فارس وسورية وسواد العراق وادخلوهم في أعمالهم ، ولم يمنعهم الدين من استعمالهم ، حتى كانت دفاترهم بالرومية في سورية ، ولم تغيرها بالعربية الا بعد عشرات السنين ، فاحتكت الافكار بالأفكار ، وافضت سماحة الدين الى ان أخذ المسلمون في دراسة العلوم والفنون والصنائع ، وليس في الاوربيين من درس التاريخ وحكم العقل ، ثم ينكر ان الفضل في اخراج اوربا من ظلمة الجهل الى ضياء العلم وفي تعليمها كيف تنظر ، وكيف تتفكر وفي معرفتها ان التجربة والمشاهدة هما الاصلان اللذان يبنى عليهما العلم انما هو للمسلمين وآدابهم ، ومعارفهم التي حملوها اليهم ،

كانت مدينة دمشق في العصور الذهبية مدينة علم اسلامي ، ومدنية عربية ، وكان في دمشق وحدها مئات من المدارس الدينية والعلمية وقد وصفها كتاب الدارس في المدارس ، الذي اتم طبعه المجمع العلمي العربي في جزوين كبيرين سنة ١٣٧٠ هـ و ١٩٥١م. ليس من غرضنا الآن ان نصف مدنيات العرب الدوارس ، ولا ان نحصي

ما شيدوا في حواضر ملكهم من جوامع ومياتم ومستشفيات ومدارس . فان تلك الذكرى تستدر كوامن الجفون ، وتستنزف قطرات القلوب ، على ان مئات الالوف من مصنفات اسلافنا الكرام التي ملأ بها الغربيون خزائنهم ، ونفائس الاواني والتحف التي استخرجوها من كنوز أرضنا وزينوا بها متاحفهم هي اعدل شاهد ، على ما كان لنا من مجد تالد :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

وما زال أهل الصدق والانصاف من علماء الغرب يعترفون بفضل تلك المدنية الزاهرة ، وبعظمة آثارها الساحرة :

وما زال اهل الغرب يدرون قدرنا مدى الدهر مابدوا من الفضل معجما
متى يذكر الافضالَ فيهم خطيبهم على منبر صلى علينا وسلما

ومن عجيب صنع الله في هذه الأمة وبديع حكمته ، ان دينها ومدنيتها لايفترقان ، وان علماء الدين ورجال المدنية يستقون من عين واحدة ، فكلما زادوا في دينهم فهما ورسوخا ، زادوا في المدنية الصحيحة تبسطا ونفوذا ، واستحكمت بين افرادهم روابط المحبة ، واشتدت اواصر الاتحاد والألفة ، وتقلص ظل الجمود ، وانحلت عرى العصبيات ، وقد اجمع الباحثون في سنن العمران ، ورقي الانسان ، على ان التربية القويمة ، والتعليم الصحيح ، هما الوسيلة العظمى لارتقاء الأمة في معارج الحضارة ، وبلوغها ما تطمح اليه من الآمال الكبار . لذلك كان من اهم واجبات الأمة التي تجعل هذا الهدف الأسمى ، والسعادة العظمى نصب عينيها ان تكل أمر ابنائها وتعليمهم الى من يطبعون في فطرة الناشيء اصول الفضائل ، وآداب الشريعة ، ويهذبون عواطفه ويرقون شعوره ، أما اذا وسد أمر التعليم الى غير ناصح ولا امين ، الهبَّ بمزاج الأمة مايضعفه ، وينمي جراثيم الداء فيه فتزداد الأمة مرضا حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين .

التربية الدينية عماد الفضائل ، والمعلمون خلفاء الرسل عليهم الصلاة والسلام في تعليمهم واخلاقهم (كاد المعلم ان يكون رسولا) فمن شأنهم ان يكونوا من افضل البشر واكملهم ، اذ هم القدوة الصالحة التي ينشدها الطلاب والمدارس ، والمثل العليا تستملى من صفاتهم واعمالهم ، لا من الكتب التي يدرسونها فحسب ، اذ بهم يقتدى ، وبهديهم يهتدى .

امامنا الآن كتاب ((منادمة الاطلال ، ومسامرة الخيال)) تاليف العلامة الكبير الشيخ عبد القادر بدران الدومي الدمشقي الذي نحا فيه نحو كتاب (الدارس في تاريخ المدارس) لسميه الشيخ عبد القادر النعيمي الدمشقي المتوفى سنة ٩٢٧هـ . وجرى فيه الاستاذ بدران على الترتيب النعيمي فبدأ بوصف دور القرآن . فدور الحديث . فدورهما معا ، فمدارس الشافعية فالحنفية فالمالكية فالحنابلة ، فمدارس الطب والحكمة . والخاتمة في ذكر ما انشيء في دمشق من المعاهد العلمية ، وذكر ما هو

موجود منها الآن مما تقدم ذكره . ثم خوانق الصوفية ، والربط في دمشق والزوايا ، والترب ، وما اشتهر من الجوامع ، وخاتمة بمتنزهات وانهار دمشق .

وكان الاستاذ بدران رحمه الله يزور هذه الدور واحدة واحدة ، ويصفها عن خبرة ومشاهدة ، ومنها ما انمحى رسمه فلم يقع له على عين ولا اثر ومنهـا ما هـو باق الى اليوم ، ولله الحمد .

ونذكر على سبيل المثال دار الحديث الاشرفية الاولى وقـد عرف النعيمي وغـيره محلها من دمشق . بانه جوار باب القلعة الشرقي ، غربي المدرسة العصـرونية ، وهي الآن مشهورة معروفة ، وكان سكن الاستاذ بدران في غرفة علوية منها اثناء طلبه العلم . وقد اوقف عليها السلطان الملك الأشرف ابو الفتح موسى بن الملك العـادل رحمه الله اوقافا كثيرة . كتبت على بلاطة طويلة ، موضوعة فوق نافذة الحجرة الثانية الشرقية ، قال ابن كثير في تاريخه : كانت هذه المدرسة لصارم الدين قايمـاز بن عبد الله النجمي ، وله بها حمام ، فاشترى ذلك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل ، وبناها دارحديث ، وخرّب الحمام ، وبناه مسكنا للشيخ المدرس ، واتم بناءها في سنتين ، وجعل شيخها الشيخ تقي الدين بن الصلاح ، ووقف عليها الاوقاف ، واشترط في الشيخ ان تجتمع به الرواية والدراية ، فكان بناءها ٦٢٨هـ . وفتحت سنة ثلاثين وستمائة ، ليلة نصف شعبان ، واملى بها الشيخ تقي الدين بن الصلاح الحديث ، فالدار دار حديث ، واما جميع المقـار فموقوف على مصالح هـذه الدار وعلى اهلهـا . وللشيخ الناظر ان يستنسخ للوقف ، او يشتري ما تدعو الحاجة اليه ، من الكتب والاجزاء ، ثم يقف ذلك ، اسوة بما في الدار من كتبها ، وتفصيل ذلك كله في (منادمـة الاطلال) منقولا عن النعيمي وغـيره .

وقال الاستاذ بدران في سبب تاليفه : ليرى قارىء كتابنا ما كان عليه القوم من الاعتناء بالعلوم ، واقبالهـم على ترقيتهـا ، وعلى حب الحضارة والعمران ، ومـن الاقبال على نصرة المدنية : ومحو آثار الهمجية اللذين لايتمان الا بالعلوم ونشرها ، وحبـذا لو كانت المطابع موجودة في ذلك العصر ، اذ لو وجدت فيـه وفي العصور التي قبله لأهـدت الينا كتبا وعلوما واخبارا ، ليس لدينا اليوم منها سوى شيء يسير وفي تاريخ النعيمي وبدران اسماء من درّس بها ، واللفظ للثاني قال :

والذي علمنـاه ممن درّس بها من الكبار : تقي الدين ابو عمرو بن الصـلاح ، ثم عماد الدين عبد الكريم بن الحرستاني ، ثم الشيخ عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي المعروف بابي شامة ، ثم الشيخ محي الدين ابو زكريا النووي ، ثم زين الدين الفارقي ، فصدر الدين محمد بن عمر العثماني المعروف بابن الوكيل ، فكمال الدين محمد بن علي المعروف بابن خطيب زملكا (وهي قرية في غوطة دمشق) ، فاحمد بن محمد البكري المشهور بالشريشي ، فالحافظ الكبير جمال الدين يوسف القضاعي الحلبي الدمشقي المعروف بالمزي ، فالقاضي علي السبكي ، فجماعات لم يصح الترتيب فيهم منهم : الحافظ الكبير ، عماد الدين الحافظ ابن كثير ، والقاضي تاج الدين ، والقاضي بهـاء الدين السبكيان ،

فولي الدين عبد الله السبكي ، وزين الدين عمر بن مسلم القرشي الملحي الدمشقي ، وشمس الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله المعروف بالحافظ ابن ناصر ...

وعلي بن عثمان الصيرفي ، شارح «منهاج النووي » والحافظ الكبير شيخ الاسلام احمد بن حجر العسقلاني ، ولما ولي تدريسها ، استناب قطب الدين الخضيري المتقدمة ترجمته في مدرسته ، قاله السخاوي ، وقال : لكونه امثل اهل الفن بدمشق حينئذ . قال : ورأيت فوق بابها بالحائط حجراً مكتوباً فيه :

هذه دار حديث المصطفى	من عليه الله صلى كل حين
جد في تجديدها قاضي القضاة	مخلصا لله رب العالمين
ولسان السعد نادى اهلها	ادخلوها بسلام آمنين
شكر الله له السعي بها	وحباه النصر والفتح المبين

ولتاريخ هذه المدرسة كغيرها تتمة مهمة في هذا الكتاب من ايام النعيمي الى عهد خاتمة مدرسيها المحدث الاكبر شيخنا الشيخ بدر الدين الحسني المتوفى سنة ١٣٥٤ . رحم الله الجميع ورضي عنهم ، ويسر لهذه الدور القرآنية والحديثية، والمدارس الفقهية والعربية ، من يعيد عهدها ويجدد مجدها بفضله واحسانه .

وقد اشرف على طبع هذا الكتاب بدقة وعناية ، ووضع له الفهارس المفصلة المنوعة، الاستاذ العامل المجد ، محمد زهير شاويش ، زاده الله تعالى احساناً وتوفيقا .

في ٢ رجب ١٣٧٩هـ و ٤ كانون٢ ١٩٦٠م

محمد بهجة البيطار
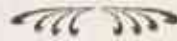
ترجمة الشيخ عبد القادر بدران رحمه الله تعالى
(المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ)

كنا أيام الطلب والتحصيل على علامة الشام الشيخ محمد جمال الدين القاسمي نقرا العلوم العربية والدينية والعقلية في فصل الخريف والشتاء في داره او في السدة القريبة من جامع السنانية ، وفي فصلي الربيع والصيف في غرفة عالية من مدرسة عبد الله باشا العظم . وكنا نرى العلامة الجليل الشيخ عبد القادر بدران وعنده بعض الطلبة يقرءون عليه ، اذ كان مقامه طعاما ومناما وتدريسا في غرفة كبيرة من المدرسة المذكورة ، وكان يقرا درسا عاما في جامع بني امية ، يميل فيه الى التجديد والفلسفة، وكانت صلته بالسيد القاسمي حسنة ، وكان له ولشيخنا القاسمي امل كبير ، وسعي عظيم في تجديد النهضة الدينية العلمية في هذه الديار ، فقد اشبها رحمهما الله تعالى ائمة السلف تعليما للخواص ، وارشادا للعوام ، وتاليفا للكتب النافعة ، وزهدا في حطام الدنيا الزائلة ، وقد ترك القاسمي اكثر من مائة مصنف ، كثير منها جدير بان يكون لنا منار هدى في سبيل اصلاحنا الديني ، ورائد رشاد في سيرنا الاجتماعي .

ولما تم اصلاح المدرسة السميساطية ، في عهد الحكومة العربية ـ (وهي خلف الجامع الأموي) وطلبوا لها مناهج الكليات الاسلامية ، ونظم دروسها كنظام الأزهر ، ومدرسة القضاء الشرعي في مصر ، وشعبة الالهيات في كلية دار الفنون في الاستانة . سُرَّ الشيخان القاسمي وبدران ، عليهما الرحمة والرضوان ، آملين ان تقتفي اثر هذه الكليات في التربية والتعليم ، وان تعنى بتخريج رجال يستطيعون ان ينشروا الدعوة الاسلامية بعقل وعلم ، ويدافعوا عنها بالتي هي احسن . وتكون حينئذ قد سدت فراغا في بناء الاصلاح الاسلامي ، وحفظت شيئا من مقام دمشق الديني والاجتماعي ، ولكن الذين عهد اليهم بها ، قد تنازعوا امرهم بينهم ، فمنهم من كان يرى وجوب السعي في جعلها مدرسة نظامية جامعة بين الدروس الدينية والعلوم الكونية على وجه يزيد الطالب في دينه بصيرة ونورا ، ويجعله اهلا للدعوة اليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتكون تلك الكلية روضة علوم وفنون زاهرة ، تخرج لنا من تلاميذها زهرات ناضرة ، تزدان بها معاهد الافتاء والقضاء ، والوعظ والخطابة والتدريس ، وتستعيد بهم سيرتها الاولى . ومنهم من كان يرى الاكتفاء ببعض الدروس العربية والشرعية ولايقيم للعلوم الكونية وزنا ، ولا يرفع بها راسا ، وهذا خطا لايحتمل الصواب ، لان الذي ابرز الصحيفتين الدينية والكونية ، واقام كلا منهما مشيرا اليه ، ودالا عليه هو الله جلت حكمته ، جعل الاولى منهما وحيا معجزا ، والثانية خلقا معجزا . وعلى هذه الطريقة الاولى السلفية الجامعة نشا الاستاذ بدران وهاكم البيان :

درس على جدّه الشيخ مصطفى وعلى مشاهير علماء الشام كالشيخ سليم العطار ، والشيخ الطنطاوي ، والشيخ علاء الدين عابدين ، واتصل بالأمير الكبير عبد القادر الجزائري ، وعين مصححا ومحرّراً بمطبعة الولاية وجريدتها ، ثم صار مدرسا ، وكتب في صحف دمشق . وقد افصح في طليعة كتابه (المدخل الى مذهب الامام أحمد ابن حنبل) عن عقيدته السلفية فقال :

وجعلت عقيدتي كتاب الله ، اكلّ علم صفاته اليه ، بلا تجسيم ولا تاويل، ولاتشبيه ولا تعطيل .

وجعل شغله كتاب الله تدريسا وتفسيراً ، وسنة نبيه المختار قراءة ايضا وشرحا وتحريراً (قال) : ثم اني زججت نفسي في بحار الاصول والفروع والبحث عن الأدلة حتى لا اكون منقاداً لكل قائد ــ فوجدت كلا منهم قدّس الله اسرارهم ، وجعل فيعليين منازلهم ــ قد اجتهد في طلب الحق .

فهذا يدل على انصافه واخلاصه رحمه الله ، وعلّل دخوله في المذهب الحنبلي من بعد ان كان شافعيا بان هذا الامام الأخير اوسعهم معرفة بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يعلم ذلك من اطلع على مسنده المشهور (حتى كانه ظهر في القرن الأول لشدة اتباعه للقرآن والسنة) ثم وصف الامام احمد ومذهبه ، وورعه وتقواه ، ومسائله وفتاواه ، بما هو جدير به ، ونعى على اسراء الوهم والخيالات الفاسدة ، الذين يطعنون في اهل الاتباع ، لا الابتداع ، وينفرون الناس منهم ، وهم يرددون بالسنتهم :

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

اللهم اياك نعبد واياك نستعين ، فالهمنا رشدنا ، واجمع كلمتنا على الحق ، والف بين قلوبنا ، وايدنا بروح من عندك واهدنا الى سواء السبيل . وانك لتجد في مقدمة ((المدخل)) ــ الذي اشتمل على اصول الفقه واصول الدين وفن الجدل ، وطبع في مصر ــ وتجد في خاتمته ايضا نبذة من ترجمة المؤلف وطرفاً من اخباره وآثاره ، وذكر طائفة من مؤلفاته . (قال) فيما ترجم به نفسه تحدثا بالنعمة :

ثم منّ الله علي فحبّب اليّ الاطلاع على كتب التفسير والحديث وشروحها ، وامهات كتب المذاهب الاربعة وعلى مصنفات شيخ الاسلام (ابن تيمية) وتلميذه الحافظ ابن القيم وعلى كتب الحنابلة ، فما هو الا ان فتح الله بصيرتي وهداني للبحث عن الحق من غير تحزب لمذهب دون مذهب ، فرايت ان مذهب الحنابلة اشد تمسكاً بمنطوق الكتاب العزيز والسنة المطهّرة ومفهومهما ، فكنت حنبلياً من ذلك الوقت .

قلت : وكان لي شرف ضيافة الاستاذ المترجم ليلة مع صديقه الرّحالة الجليل الاستاذ الشيخ خليل الخالدي المقدسي ، فاخذ الاستاذ بدران يسأله عما رأى مننفائس الكتب الاسلامية الخطية في ديار المغرب لاسيما الأندلس ، والاستاذ الخالدي يجيبه من حفظه بلا تلعثم ولا تريث كانما كان يملي من كتاب ، وقد كنت معجباً بالسؤال

والجواب غاية الاعجاب ، واسفت اسفا شديدا اني لم أسجل عندي تلك الذخائر والمفاخر الخالدة للعرب والمسلمين .

وهذه هي اسماء مؤلفات الفقيد المترجم التي نقلناها من آخر كتاب المدخل المطبوع : الف المؤلفات النافعة التي تشهد له بالفضل وسعة الاطلاع ، غير ان بعضها لم يكمل ؛ ووجهه فيما يظهر ما اصيب به من داء الفالج في آخر عمره حتى خدرت يمناه عن الكتابة واستعان عليها باليسرى ، فمنها كتاب جواهر الأفكار ومعادن الأسرار في التفسير لم يكمل ، وكتاب شرح سنن النسائي لم يكمل ، وشرح العمدة سماه مورد الافهام من سلسبيل عمدة الاحكام جزءان ، وشرح ثلاثيات مسند الامام احمد ، وشرح الأربعين حديثا المتفرقة في جزء ، وشرح الشهاب القضاعي في الحديث في جزء ، وشرح النونية لابن القيّم في التوحيد ، وشرح روضة الأصول[1] لشيخ المذهب موفق الدين في مجلدين ، وله كتاب المدخل الى مذهب الامام احمد بن حنبل في الأصلين والجدل وبعض اسماء الكتب المشهورة لمشاهير الاصحاب ، وحاشية على شرح المنتهى جزءان بلغ فيها الى باب السَّلم وحاشية على شرح الزاد ، وحاشية على اخصر المختصرات[2] وتعليق على مختصر الافادات ، وكلا الكتابين للشيخ بدر الدين البلباني ، ودرة الغواص في حكم الزكاة بالرَّصاص ، وحاشية على رسالة الشيخ الموفق في ذم الموسوسين ، وشرحان على منظومتي الفرائض ، وله كتاب طبقات الحنابلة لم يكمل ، وكتاب سبيل الرشاد الى حقيقة الوعظ والارشاد جزءان ، وتهذيب[3] تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر في ثلاثة عشر مجلدا اعتنى فيه بتخريج احاديثه ، وكتاب الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية في جزء[4] ، وايضاح المعالم من شرح الألفية لابن الناظم جزءان ، ولخص الفرائد السنية في الفوائد النحوية للشيخ أحمد المنيني الدمشقي في رسالة سماها آداب المطالعة ، وله شرح الكافي في العروض والقوافي جزء لطيف[5] ، والعقود الدرية في الفتوى الكونية في مجلد ، والعقود المرجانية في جيد الأسئلة القازانية كبرى وصغرى في مجلد ، وتلخيص كتاب (الدارس في المدارس) للنعيمي ، ورسالتان في أعمال الربعين المجيَّب والمقنطر ، وديوان خطب منبرية ، وديوان شعر اسمه تسلية الكئيب عن ذكرى الحبيب[6] . يسَّر الله تعالى اتمام مالم يتم منها ، وطبع مالم يطبع ليعمَّ نفعها ، بمنه وكرمه .

---

(١) طبع في المنار باسم « روضة الناظر وجنة المناظر » . (٢) طبع في دمشق في حياة المؤلف .
(٣) طبع بعض أجزائه في دمشق ، وأشرف على بعضها الاستاذ الفاضل احمد عبيد .
(٤) قال الشيخ محمد دهمان : هذا الكتاب هو منادمة الاطلال سماه بذلك قبل وفاته .
(٥) قرظه جدي لوالدي وشقيق جدي لوالدي العلامة الشيخ عبد الرزاق البيطار بعبارات جيدة ، اثنى فيها على المؤلف الثناء العاطر .
(٦) وقد اطلعني ولدي الروحي محمد زهير الشاويش ، على رسائل لم تذكر منها :
١ — الصحيح من حديث المعراج .
٢ — تشنيف الاسماع في بيان تحرير المد والصاع .
٣ — الكشف عن حال قصة هاروت وماروت .
٤ — شرح حديث أم هانىء في صلاة الضحى .
٥ — رسالة في علم البديع لم تكمل .
٦ — اوراق على شرح ديوان الحماسة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده ملكوت كل شيء، واليه يرجع الأمر كله، وهو العليم الحكيم. كلما جال الفكر في تيار هذا الوجود، انقلب العقل راجعاً الى الإقرار بوجوده ووحدانيته قهراً، فلا ينكره الا جاهل لم ير لمحة من أسرار الكون، ولم يذق قطرة من كوثر حكمته. يظهر الأشياء ثم يطويها، ويخفي ساعتها ثم يجليها، ويفيض على قلوب من يشاء تبيانها، واليه الحكم وكتمانها وتبيانها. يعطي كل عصر ما يليق بقابليته، وما يلائم مدنيته الحاضرة. فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. والمعرضون عن آثار حكمته الباهرة صم بكم عمي فهم لا يعقلون بشاديهم من آيات الحكمة. فبأي آلاء ربكما تكذبان، وهم لا يسمعون. فلله الحمد على ما أولانا من المكاشفة على أسرار ما أودعه من الحكم، واياه نسأل المزيد من افاضة انوار لا تنقضي عجائبها ولا تنتهي غرائبها. والصلوة والسلام على نبيه حكيم الحكماء وسيد الانبياء محمد المبعوث لجميع الأمم، وعلى آله وصحبه البدور الكاملين. ما نسخت آية من آيات سر الوجود أو نسيت، أو أتى الله بخير منها أو مثلها؟ فانت الصحف على تذكار ذلك المنسي، تحمل أخبار الماضين للآتين، ليتذكر أولوا الألباب، وليكون لهم جدولاً يسيرون على كل فرد منه الفصول والأبواب، ويذكرهم الاطلال والدمن مما كان لأسلافهم من الآثار، ويناديهم الخيال فيهبوا للبحث والتذكار. وبعد

فيقول السائل من واجب الوجود أن يطلعه على أسرار الحكمة، ويجعله مظهر الثقة النعمة عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد الشهير كأسلافه بابن بدران السعدي الدمشقي: لج بي السهر ليلة من الليالي منفرداً أنادم الأطلال والخيال، فتجلت لي دمشق غادة حسناء، مسفرة عن جمال وجهها، تقول: الا لفتة لأحاديث آثاري؟ وهلا ساعة في تذكار أخباري؟ فقلت: أنا كما تعلمين غريب حل كما قال أبو سليمان الخطابي:

مأوى الغرباء، من قوم تلاعبت بهم الأقطار، فحلوا جيرانا بغوطتك الفيحاء. فنادى أبنائك يا ليلى الغرام، وحيي أحبابك المدعين بك الهيام. فقالت: ألم نربك فينا وليداً، ولبثت فينا من عمرك سنينا؟ ألم تتقلب في مدارسي وتلتقط ثمار الحكمة من مغارسي؟ أما ضممتك إلي، ورمقتك بنظري، وسقت اليك خيري؟ حتى

وما غربة الانسان في شقة النوى
ولكنها والله في عدم الشكل
واني غريب بين بست وأهلها
وان كان فيها اسرتي وبها اهلي

راموز الصفحة الاولى من مخطوطة صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني التي اعتمدناها في الطبع وهي بخط المؤلف .

منادمة الاطلال ومسامرة الخيال

تأليف العلامة المحدث الفاضل الشيخ عبد القادر افندى
ابن احمد الشهير بابن بدران
عفى الله عنه

اليكم يا بنى وطنى كتابا بذكركم بآثار الجدود
فكونوا مثلهم ادباً وعلما ولا ترضوا منادمة الجمود

طبع على نفقة مطبعة « روضة الشام » لصاحبها
خالد فارصلى

طبع في دمشق بمطبعة « روضة الشام »
سنة ١٣٣٩

رامور الصفحة الاولى من الملزمة التي طبعها المؤلف من الكتاب .

﴿ منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ﴾

انبأ التاريخ وعلم كل ذي علم ان دمشق الشام هي اقدم بلد على الاطلاق وهي البلد التي تقلب عليها العمران اطوارا ومرت عليها القرون وهي ثابتة في مكانها الذي هو كالجبة على وجه الارض لم تبرح عنه وقد كانت من القدم منبع المدنية والحكمة والعلم وقد ازدادت ازدهاراً بالمدنية الاسلامية وطلوع شمسها عليها فنبغ بها من العلماء والمحدثين والادباء والشعراء والاطباء والحكماء ما لا يحصى كثرة وبنى بها من المدارس لاولئك الافاضل ما لم يكد يوجد في غيرها من المدن العظيمة ولما كان حقاً على اهلها ان لا يدعوا افاضلها مهملين باشرنا بطبع تاريخها للحافظ ابن عساكر منقحاً مهذباً وسنجعل له ان شاء الله تعالى ذيلا على نسقه الى يومنا هذا ولما لم يكن ذلك التاريخ حاوياً لآثارهم لا جرم باشرنا بطبع كتاب ﴿ منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ﴾ الحاوي تراجم ما كان بها من دور القرآن والحديث والفقه والطب وما كان بها من الزوايا والخوانق (التكايا) والترب وتراجم من بناها والحاوي ايضا من الفوائد العلمية والادبية والتاريخية ما لا يكاد يجتمع في كتاب على حدته وهو في ازيد من ٤٠٠ صحيفة ويقدم الى المشتركين حسب رغبتهم اما كراريس واما الكتاب بتمامه والدفع سلفاً في كل منهما ولما كان اكثر هذه المعاهد مندرساً سميناه بهذا الاسم فنرجو من احباب دمشق واهل الادب ان يتفضلوا بقبوله ولهم الفضل

راموز الاعلان عن الكتاب الذي جعله المؤلف على غلاف الملزمة التي طبعها تعريفا بالكتاب .

راموز عنوان الكتاب الذي وضعه المؤلف عندما عزم على مراجعته وطبعه انظر الصفحة (و) من هذه المقدمة .

منادمة الأطلال
و
مسامرة الخيال

تأليف

الشيخ عبد القادر بدران

الطبعة الاولى

باشراف

محمد زهير الشاويش

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده ملكوت كل شيء ، واليه يرجع الامر كله ، وهو العليم الحكيم ، كلما جال الفكر في تيار هذا الوجود ، انقلب العقل راجعا الى الاقرار بوجوده ووحدانيته تعالى قهرا . فلا ينكره الا جاهل لم ير لمحة من اسرار الكون ، ولم يذق قطرة من كوثر حكمته. يظهر الاشياء ثم يطويها ، ويخفي ساعتها ثم يجليها ، ويفيض على قلوب من يشاء بيانها ، واليه الحكم في كتمانها وتبيانها ، ويعطي كل عصر ما يليق بقابليته ، وما يلائم مدنيته الحاضرة . فهو الاول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم . والمعرضون عن آثار حكمته الباهرة صم بكم عمي فهم لايعقلون ، يناديهم من يؤتي الحكمة : « فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » وهم لايسمعون، فله الحمد على ما اولانا من المكاشفة على اسرار ما اودعه من الحكم . واياه نسأل المزيد من افاضة انوار لاتنقضي عجائبها ، ولا تنتهي غرائبها . والصلاة والسلام على نبيه حكيم الحكماء ، وسيد الانبياء محمد المبعوث الى جميع الامم ، وعلى آله وصحبه البدور الكاملين ما نسخت آية من آيات سر الوجود فانسيت ، او اتى الله بخير منها او مثلها ، فاتت الصحف على تذكار ذلك المنسي تحمل اخبار الماضين للآتين ، ليتذكر اولو الالباب ، وليكون لهم جدولا يبنون على كل فرد منه الفصول والابواب . وتذكرهم الاطلال والدمن ما كان لأسلافهم من الآثار ، ويناديهم الخيال فيهبوا للجد والتذكار .

عبد القادر ابن بدران

وبعد ، فيقول السائل من واجب الوجود ان يطلعه على اسرار الحكمة ، ويجعله مظهرا لتلك النعمة **عبد القادر بن احمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد ، الشهير كاسلافه بابن بدران السعدي الدمشقي :**

لج بي السهر ليلة من الليالي متفرداً انادم الاطلال والخيال ؛ فتجلت لي دمشق غادة حسناء مسفرة عن جمال وجهها ، تقول : الا لفتة لأحاديث آثاري ؟ وهلا ساعة في تذكار اخباري ؟ فقلت : انا كما تعلمين غريب حل مأوى الغرباء ؛ كما قال ابو سليمان الخطابي :

وما غمة الانسان في شقة النوى ... ولكنها والله في عدم الشكل
واني غريب بين بست وأهلها ... وان كان فيها اسرتي وبها اهلي

من قوم تلاعبت بهم الأقطار ، فحلوا جيراناً بغوطتك الفيحاء . فنادمي ابناءك يا ليلى الغرام ، وحيي أحبائك المدعين بك الهيام ، فقالت : الم نربك فينا وليداً ، ولبثت فينا من عمرك سنين ؟ الم تتقلب في مدارسي ، وتلتقط ثمار الحكمة من مغارسي ؟ اما ضممتك الي ، ورمقتك بنظري ، وسقت اليك خيري حتى تبنيتك وما تركتك ، وكلما تباعدت عني طلبتك ؟ اما هجرتني الى الفرنجة متجولا ، وابت الى سواحل افريقية متحولا ، فاضرمت في قلبك نار غرامي ، وجذبتك الي بمغناطيس هيامي ؟ ثم لججت في الهجر قافلا الى دوماك[1] جرثومة الهمجية العريقة ببغض الحكماء والعلماء ؟ فذقت بها الم التعدي والحسد ، واضنى جمرها المستنفرة منك العقل والجسد ، وتألب اولئك المتوحشون عليك يريدون ان يطفئوا نور الحكمة الذي اطلعه الله في فؤادك ببغيهم وحسدهم . ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره هؤلاء الجاهلون . قلبوا لك ظهر المجن ، ورموك بالافك ليسوقوا لك المحن ، ويخلوا من فضلك ربع الوطن ، فمددت لاسعافك ساعداً اقوى من الحديد ، واخرجتك من بينهم رغماً عن أنف كل جبار عنيد ، ورميت حسادك بسهم من سهم القهار ، وصلت عليهم بسيف قد سُلّ من سطوة الجبار . فذاق فريق منهم عذاب الهون ، وأرصدت للآخرين : وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون . ثم اصطنعتك لنفسي ، فما اثمرت من ثمر الا وهو من غرسي ، فبنعمة ربك حدث . فخلبَ لبي لطيف كلامها ، واتقدت فيه جذوة غرامها ، وقلت :

ما بعد جلقٍ للغرام مَرامٌ ... وغيرها وطن علي حرام
لكن هي الأقدار تفعل ما تشا ... صبراً جميلا والكلام كلام

لبيك يا ليلى الجمال ، ويا سلمى المحاسن ! انا الخاضع لما تأمرين ما دمت عبد القادر

---

(1) هي بلدة دوما شرقي دمشق تبعد عنها سبعة عشر كيلا

ودعيت بابن بدران . أنا الهائم في اظهار صغائك ، المقيم على محبتك ماكر الجديدان فقالت : انك لتعلم هذا العصر الزاهر ، وما تجلى فيه من العلوم ؛ وترى مسلك ابنائي وكيف يتهافتون على القشر ، ويتركون اللباب ، نبذوا العلم ظهريا فضمه الغربيون اليهم، واذا انتبهوا من رقدتهم وجدوا انفسهم عالة عليهم . فذكرهم بأيامي الماضية علهم يتذكرون ، وخاطبهم بما كان بي من الآثار ، وما انفق في رباضي على العلم من الدرهم والدينار ، واعلمهم بما كان بي من المدارس ، وانبئهم بتلك المعاهد الدّوارس ، وذكرهم فان الذكرى تنفع اولي الألباب . فلعلهم يجدون ويجتهدون ، ويتركون التفاخر بالماضي، وقل لشيخهم : خلِ كان(١) ، ولناشئتهم اترك انا ابن فلان ؛ فان المرء ابن تحصيله، وشرفه علمه وحكمته .

فمثلك مـن يدعى لكلّ عظيمةٍ   ومثلي من يفدى بكلّ مسوّدِ (٢)

فطوينا ، بعد الوعد باجابة الطلب ، الاحـاديث ، وقلت ان لم يفِ المحب لمحبوبه بما امر استحق الهجر في شرع المحبين . وطفقت اقلب الطرف في اسفار المؤرخين ، واتطلب ماكان مـن احاديث الماضين ، واطوف لرؤية المعاهد والآثـار التي بقيت في تلك الدار مما نبا عنه سيف القدَم ، وصبر على طلوع الشمس والقمر ، فارسم ما اهتدى اليـه على صفحات هذا السِّفر الذي هو قسم من الاسفار الثلاثة لتاريخ دمشق . وخصصته باسم « **منادمة الاطلال ومسامرة الخيال** » ليطابق اسمه معناه . ثم انني سلكت فيـه مسلكاً وهو انني اذا ذكرت مدرسة او اثرا ما احافظ على ترجمة منشئه ، ولا اتعرض لتراجم المدرسين في المدارس ، كما فعله العلامة عبدالقادر النعيمي في كتابه « تحفـة الطالب والدارس » . لان المدرس ان كان من المشاهير فمحل ترجمته السفر الثالث من هذا التاريخ ، وان كان من غيرهم فليس مـن شرط كتابي ان اذكره . وايضـا انني جعلت هذا السفر اقساما :

اولهـا : لمدارس القرآن الكريم .

وثانيها : للمدارس المختصة بالحديث ، والمشتركة بينه وبين تعليم القرآن العظيم .

وثالثها : للمدارس التي اسست للعلوم الفقهية والادبية . وهذا القسم اربعة ابواب :

اولهـا : لمدارس الحنفية .

وثانيها : لمدارس المالكية .

---

(١) يقصد المؤلف : خل ما كان في الماضي وانظر الى الحاضر .

(٢) البيت لأبي فراس من قصيدة يعاتب بها سيف الدولة .

وثالثها : لمدارس الشافعية .

ورابعها : لمدارس الحنابلة .

وليس القصد من هذا الترتيب على حسب التقدم في الزمن والوجود . ولو اشتهرت مدارس للظاهرية او للزيدية او لغيرهم : لم تجدني متقاعساً عن اعطائهم حقهم في الترجمة .

٥

ورابعها : لمدارس الطب والحكمة .

وخامسها : لزوايا العبادة وخوانق الصوفية .

وسادسها : الآثار التي ظهرت في هذا العصر .

وكل هذه الاقسام مرتبة على حروف المعجم ليسهل الكشف عنها .

١٠

وسابعها : للمساجد . فما كان مشهوراً منها اعطيته من حقه ما اتصل بي من ترجمته ، وما كان منها صغيراً او مندرساً اكتفيت باسمه .

وختمت الكتاب بخاتمة لبيان ما كان في دمشق من المنتزهات الشهيرة ، وهذا اول المقصود . وبالله تعالى استعين وعليه اتوكل .

القسم الأول في دور القرآن الكريم
دار القرآن (الخيضرية)

هذه الدار لم تزل الى الآن على رونقها وبهائها . ومحلها ، كما في « تنبيه الطالب وارشاد الدارس » للفاضل عبدالقادر النعيمي ، شمالي دار الحديث السكرية بالقصاعين . اه
وقد صحف الناس اليوم اسمها فقالوا لها : الخضيرية ، نقلوا الياء المثناة من بين الخاء ٥
والضاد المعجمتين الى ما بعد الضاد . ومحلتها الآن تعرف بالخضيرية ، وهي معروفة مشهورة في زمننا تقام فيها الصلوات الخمس ، ويتعاهدها في بعض الليالي ، وبعد صلاة الفجر ، جماعة من المتصوفة الشاذلية الفاسية فيقيمون بها الاذكار ، ويقرؤون الأوراد .
وفي رمضان يقرأ « صحيح البخاري » ، وبعضا من الكتب ، استاذهم في زمننا العالم
الاديب الكاتب الشاعر ، الشيخ محمد بن الشيخ المبارك . ١٠

واما نعتها : فانها واقعة في الجانب الشرقي من الزقاق المسمى بالخضيرية بالتصغير ، ويصعد اليها بمرقاتين ، وجدارها القبلي مبني بالحجر الأبلق ، وتحته سقاية ، وفيه الباب ، وقنطرته من الحجر الابلق ايضا وهو متين ، وفي وسطه صحيفة من النحاس مستديرة ، وقد رسم عليها ما صورته :

رسم باب المدرسة التي امر بانشاء بابها الأمير العالي المولوي القاضوي القطبي ابن ١٥
الخيضري قاضي القضاة ، اسبغ الله عليه ظلاله مما عمل .

وتحت هذه الصحيفة شبكة من النحاس قائمة على هيئة مثلث ، زاويتها العليا تسامت قطب دائرة الصحيفة ، وهذا الوضع على هندسة لطيفة جدا . فاذا دخلها الداخل وخلص من دهليز لها قصير ، رأى بركة ماء للوضوء في وسطها ، وفي الجدار
القبلي محراب ، وفي الجهة الغربية شباكان(١) مطلان على الطريق ، وبجانبهما حجرة ٢٠
واسعة . وبالجانب الشرقي حجرتان ، تحت احداهما خلوة ، وبجانبهما خلوة ايضا .

---

(١) نافذتان

وبالجانب الشمالي ايوان ، وفي صدره حجرة ، وقد كتب على الجدار فوق الباب منها ما صورته :

بحمد الله تعالى اللطيف ، انشا هذه المدرسة المباركة على الفقراء المتعلمين للقرآن العظيم ، الفقير قاضي القضاة قطب الدين الخيضري خادم السنة النبوية ارضاه الله تعالى سنة ثمان وسبعين وثمانمائة .

وبزاوية ملتقى الجدارين الشمالي والشرقي باب يدخل منه الى مكان متسع ، وفيه ثلاثة بيوت خلاء ، وفي دهليزها باب يصعد منه الى غرفة لطيفة . وقال في « تنبيه الطالب » : رتب فيها واقفها الجوامك (١) والخبز للفقراء . اه يعني الذين كانوا يتعلمون بها القرآن الكريم . ولم نر لهذا اثرا في زمننا !!

ترجمة الخيضري

محمد الخيضري ٨٢١–٨٩٤

محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر بن سليمان بن داود بن فلاح بن ضميدة بضم الضاد المعجمة مصغرا الزبيدي بضم الزاي البلقاوي الاصل الترملي الدمشقي الشافعي ، ويعرف بالخيضري نسبة لجد ابيه . هكذا نسبه الحافظ السخاوي في كتابه « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » ، وترجمه بترجمة مطولة كلها ثلب وطعن فيه وفي مؤلفاته ، كما هي عادته في اقرانه . ولكن نادى على نفسه بالتهمة في آخر الترجمة فقال : وانه فعل معي ما ارجو ان يجازى بمقصده عليه . اه وهذا دليل عى انه تحامل عليه فيما كتب عنه . ولنلتقط من كلامه ما صفي واليك هو ؛ قال : ولد ليلة الاثنين منتصف رمضان سنة احدى وعشرين وثمانمائة بقرية بيت لهيا القريبة من دمشق ، ونشأ يتيما في كفالة امه ، ثم فارق سلفه الذين هم عرب البلقاء ، وانحاز الى طائفة الفقهاء ، فحفظ « التنبيه » و « الفيتي الحديث والنحو » ، و « ملحة الاعراب » ، و « مختصر ابن الحاجب » الاصولي . ثم اشتغل على علماء عصره بالفقه والاصول والحديث والنحو ، وهذه العلوم التي كان لها رواج في زمنه . ثم ارتحل الى بعلبك سنة ثلاث واربعين ، ودخل القاهرة مرارا ، ومكة والمدينة ، وبيت القدس ، ودمياط ، فاخذ عن علمائها . وبعد ان ذكر السخاوي ما رايت خلاصته قال : ومع ذلك فلم يتميز

---

(١) المرتبات للمنقطعين الى تعلم القرآن الكريم .

في الطلب ، يعني في الحديث ، فضلا عمن هو اعلى منه في الرتب : من حفظ ، وضبط ، وغريب ، ومعرفة باصطلاح ، وما يذاكر به بين العلماء . غير ان له يقظة في الجملة ، وكتابة تروج عند من لايحسن او يحسن ، ولكنه يداري او يرجو . والرجل حين كان موجودا في القاهرة لم يكن يتحاشى الكلام في شيء ولايتوقف لاجل تحرير او تحقيق .

وقول شيخنا الحافظ ابن حجر في « الانباء » : انه الفاضل البارع ، سمع الكثير، وكتب الكثير من الأجزاء ، وجد وقد حصل في مدة لطيفة شيئا كثيرا ، وخطه مليح ، وفهمه جيد ، ومحاضراته تدل على كثرة استحضاراته ، يحتاج الى تأويل في بعض الكلمات ! وكذا وصفه له بالحفظ بعد ذلك ليس على اطلاقه !

كذا قال السخاوي ، واقول : ما عهدنا الحافظ ابن حجر الا منصفا فيما يقوله في تراجم العلماء . وما وجدنا السخاوي الا متحاملا على كل من يفوقه ، ومن رأى كتب الرجلين يعلم ذلك يقينا .

ثم قال السخاوي : وقد استعار من شيخنا ابن حجر نسخته من « الطبقات الوسطى لابن السبكي » ، فجرد ما بها من الحواشي المشتملة عى تراجم مستقلة ، وزيادات في اثناء التراجم مما جردته ايضا في مجلد ، ثم ضم ذلك لتصنيف له على الحروف ، لخص به « طبقات ابن السبكي » مع زوائد وصل اليها بالمطالعة من كتب امده شيخنا بها : « كالموجود من تاريخ مصر للقطب الحلبي » و « نيسابور للحاكم » و « الذيل عليه لعبد الغافر » و « تاريخ بخاري لغنجار واصبهان » ، وغير ذلك مما يفوق الوصف ، وسماه « اللمع الألمعية لأعيان الشافعية » .

اقول : اي مطعن على مؤرخ جمع مؤلفه من اسفار المتقدمين سواء كانت بالاعارة او بالملك ؟! وان كان الطعن فيه من جهة ما جرده من كلام ابن حجر ، فالسخاوي نفسه فعل ذلك فتامل ! ثم قال : وكذا جرد ما لشيخنا من المناقشات مع ابن الجوزي في « الموضوعات » مما هو بهوامش نسخته وغيرها ، ثم ضم ذلك لتلخيصه الأصل وسماه « البرق اللموع لكشف الحديث الموضوع » ، ولخص ايضا « الانساب لابن السمعاني »، مع ضمه لذلك ما عند ابن الأثير والرشاطي وغيرهما من الزيادات ونحوها ، وسماه « الاكتساب في تلخيص الانساب » ، وما علمته حرر واحدا منها . واشتد حرصي على الوقوف عليها فما امكن ، ثم رايت اولها في حياة شيخنا ، وانتقدت عليه اذ ذاك شيئا

فتأمل ايها المنصف كيف طعن في كتب الرجل ، ثم اقرّ بانه لم يرها ، ثم قال : والف معجما سماه « الرقم المعلم في ترتيب الشيوخ والسماع والاجازة على حروف المعجم » و « المنهل الجاري من فتح الباري شرح البخاري » ، وشرع في شرح « الفية العراقي » و « الصفا بتحرير الشفا » و « مجمع العشاق على تنبيه الشيخ ابي اسحاق » و « اللفظ المكرم بخصائص النبي صلى الله عليه وسلم » و « الروض النضر في حال الخضر » و « اللواء المعلم في مواطن النبي صلى الله عليه وسلم » و « زهر الرياض فيما شنعه القاضي عياض على الامام الشافعي » و « تقويم الاسل في تفضيل اللبن والعسل » و « بغية المبتغي في تبيين قول الروضة : ينبغي » .

واول ما ولي : مشيخة دار الحديث الاشرفية ثم نزعت منه ، واستقر في وكالة بيت المال ، وفي نظر الخوالي منها . ثم ترقى لكتابة السر ؛ ثم اضيف اليها قضاء الشافعية ، وصارت اكثر الامور الشامية منوطة به . واتسعت دائرته في الأموال ، والجهات ، والاملاك ، والوظائف ، والكتب وغيرها .

وحدث ببلده ، واملى ودرس ووعظ ، وخطب ، وافتى ، مع الوجاهة والاعتلاء . وولي السميساطية وغيرها من المدارس ، زيادة عن المدارس التي تتعلق بالقضاة كالغزالية والعذراوية .

وكانت له صدقات زائدة ، واحسان للغرباء . وبنى بجانب بيته مدرسة ، وبنى تربة عند باب مقام الشافعي ، ورتب بها صوفية مع شيخ لهم من الطلبة . وما زال ملازماً لخدمة السلطان حتى مات في ربيع الثاني سنة اربع وتسعين وثمانمائة ، ودفن بتربته هذه ، وتأسف السلطان عليه . هذا ملخص كلام السخاوي .

وترجمه الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه « أنباء الغمر » فقال في حوادث سنة ثلاث واربعين وثمانمائة :

ورد — ابن المترجم — الى القاهرة لطلب الحديث ، ووصفه بالفاضل البارع ثم قال : سمع الكثير ، وكتب كتبا كثيرة واجزاء ، وجد وحصل في مدة لطيفة شيئاً كثيرا ، وكتب عني في مدة يسيرة المجلد الأول من « الاصابة في تمييز الصحابة » ، وقراه وعارض علي به واتقنه ، ونسخ ايضا « تعجيل المنفعة في رجال الاربعة »

وقراه كله واتقنه ، وسمع عدة اجزاء ، وحضر مجالس في « الأمالي » . وخطه مليح ، وفهمه جيد ، ومحاضراته تدل على كثرة استحضاره .

هذا كلام الحافظ ابن حجر ملخصاً ، ومن خطه نقلته . ووصفه للمترجم انما كان ايام طلبه للعلم . فاذا قابلته مع كلام السخاوي وجدت الحافظ قد اتى بالانصاف ، كما هي عادته ، وعلمت ان التعصب هو الذي اودى بالعلوم واهلكها .

وترجمه صاحب « تنبيه الطالب » بنحو ما تقدم ، وعد من مؤلفاته « شرح التنبيه في فروع الشافعية » . وقال ابو البقاء احمد البقاعي في « مختصره » : ان المترجم رتب على تربته لسبيق المنجكية بمحلة مسجد الذبان : الجوامك ، والخبز على الفقراء ، وعمل مطبخاً بباب الفراديس ومطبخا بالمدينة المنورة . اهـ فجزاه الله خيراً .

دار القرآن (الجزرية)

هي دار اظهرها الدهر برهة ثم طواها ، وجلاها في وقت ثم اخفاها ، ذهبت احاديثها الا من القرطاس ، وتبدلت احوالها بانتقالها من اناس الى اناس .

امرائع الغزلان غيرك البلا حتى غدوت مرائع الغزلان

والذي افاده كلام المؤرخين ان هذه الدار قد انطمست آثارها ، وخفيت رسومها منذ دهر طويل . فقد قال النعيمي في « تنبيه الطالب » ، ووفاته سنة خمس واربعين وتسعمائة : قيل انها بدرب الحجر ، وكذا قال الشيخ عبد الباسط العلموي في « مختصره » ، ووفاته سنة احدى وثمانين وتسعمائة . وهذا الصنيع يقتضي انها لم تكن موجودة في زمن احد منهما . ولما اختصر ابو البقاء البقاعي « تنبيه الطالب » اسقطها من « مختصره » اشارة منه الى انه لا فائدة في ذكرها لاندراسها . والكتاب موجود في ديوان الاوقاف بدمشق الى الآن ، فهي خارجة عن الأوقاف رسما .

ودرب الحجر هو في اواخر السوق الكبير(١) قريباً من الباب الشرقي ، وعلى التحقيق

---

(١) المسمى الآن بالسوق الطويل وشارع مدحة باشا .

انها صارت داراً للسكنى . فصارت مراتع غزلان بعد ان كانت مراتع علماء وطلاب الا أن ترجيع الالحان بالقرآن قد فقد منها . ونحن اثبتناها في « منادمة الاطلال » تذكاراً لها وبياناً لترجمة واقفها .

ترجمة شمس الدين محمد ابن الجزري

محمد ابن الجزري ٧٥١-٨٣٣

٥ هو الامام الحافظ محمد بن محمد بن محمد علي بن يوسف الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي المقرىء المحدث ، ويعرف بابن الجزري نسبة لجزيرة ابن عمر ، وترجمته في كثير من كتب التاريخ .

قال الحافظ ابن حجر في حوادث سنة اربع وثلاثين وثمانمائة :

١٠ ولد المترجم سنة احدى وخمسين وسبعمائة بدمشق ، وتفقه بها ، ولهج بطلب الحديث والقرآن ، وبرز في علم القراءات ، وعمر مدرسة للقراء سماها دار القرآن ، واقرا الناس . وعين لقضاء الشام مرة ، ثم عرض عارض فلم يتم له . وقدم القاهرة مراراً . وكان مثرياً ، وشكلاً حسناً ، وفصيحاً بليغاً . واطال في ترجمته ، وهو من المعاصرين له .

١٥ وقال الشيخ رضي الدين محمد بن احمد بن عبد الله الغزي العامري ، وهو من معاصريه ايضاً ، في كتابه « بهجة الناظرين الى تراجم المتأخرين » :

هو الشيخ المحدث الفاضل ، الأديب(١) المفنن ، القاضي شمس الدين ثم ذكر تاريخ مولده سنة احدى وخمسين وسبعمائة . ثم قال : قال القاضي علاء الدين ابن خطيب الناصرية في « تاريخه » : كذا رايته بخطه . اهـ . قال الغزي : وحضر على ابن الخباز

٢٠ وروى لنا عنه . واتهمه في ذلك المصريون ومنهم الحافظ ابن حجر .

قلت : ولا وجه لاتهامه ، وحضور ابن الجزري عليه ممكن ، بل سماعه كما هو معروف عند اهل الحديث . واخذ عن جماعة من علماء الاسلام ، وبرع في علم القراءات

---

(١) كذا في الاصل والأصح ان يقال : اديب متفنن .

واتقنها ، واخذها على وجهها من ائمتها ، وبرع في زمانه وشكره الائمة . وولي خطابة جامع التوبة بالعقيبة ، ثم قضاء الشافعية بالشام من قبل الظاهر برقوق الجركسي، لكن لم يتم له الامر . ودخل القاهرة واخذ عن ائمتها ، وكان له صيت في ذلك الوقت . ثم ولي الصلاحية في القدس الشريف[1] ثم ذكر اسفاره في الاقطار ، وتنقلاته على سبيل الاجمال ، ثم قال : ٥

ولما قدم المترجم دمشق اجتمعت عليه ، وكان مسنا عنده تواضع ، وله رياسة ظاهرة . وجلس بجامع دمشق عند باب الخطابة ، واجتمع عليه بعض القراء والطلبة ؛ فاخذوا عنه ، وسمعوا منه . وكانت بضاعته مزجاة في العلوم ؛ سوى القرآن فانه كان فيه علامة زمانه. ثم رحل الى بلاد العجم وكان آخر العهد به ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة عن اثنين وثمانين عاماً . ١٠

وقال في « البدر الطالع » : جد المترجم في طلب الحديث بنفسه ، وقرا الفقه ، والاصول ، والمعاني والبيان .

وترجمه العلامة طاش كبري في « الشقائق النعمانية » بترجمة طويلة حاصلها : انه جمع القراءات السبع ، والعشر ، والاثنتي عشرة . ودخل الديار المصرية فنشر بها العلم والقراءات . ثم تألب عليه الأعداء حتى ناله ظلم شديد ادى الى اخذ ماله وغيره . ١٥ فخرج منها الى مدينة بروسا فاكرمه السلطان بايزيد ، ثم اتى دمشق ، فلم يكد يصف له المقام بها حتى دهمتها الفتنة العظيمة من قبل تيمورلنك سنة خمس وثمانمائة . ولما رحل عنها ، اخذه معه في جملة من اخذه من الفضلاء الى ماوراء النهر ؛ وانزله بمدينة كشي ثم بسمرقند فاشتهر بهما، واقرا جماعات لاتحصى ، وكثر نفعه ، واشتهر فضله، حتى ان تيمور لما كان بسمرقند اتخذ وليمة عظيمة فجلس في ديوانه ، وعين جانب ٢٠ يساره للأمراء ، وجانب يمينه للعلماء . فقدم في ذلك المجلس الشيخ (الجزري) على السيد الشريف الجرجاني المشهور ، وكان وقتئذ مدرسا بسمرقند ؛ فقالوا له في ذلك. فقال : كيف لااقدم رجلا عالما بالكتاب والسنة ، وما يسال عما اشكل على السائل منهما الا حل الاشكال بالذات بلا تاخير !.اه

---

(1) وقد جعلت الآن كنيسة مع أن وقفيتها مازالت على بابها وجدرانها ، وبها بئر يزعم النصارى ان ٢٥ نبي عليه السلام كان يشفي بها المرضى .

قلت : تامل ! وامعن النظر في هـذه القضية ، وادر انه ان كان ما فعـله تيمور لامر سياسي ، فقد نشا عن فكر عال ، ومرتبة في السياسة سامية . وان كان عن حب للسنة ، فلله در رجال تعرف مراتب اصحاب الكمال ، ولا تنقص الرجال شيئاً مـن حقهـا .

٥ والذي يظهر انه قصد الامر الثاني: لأن تيمور ، مع عتوه وظلمه وبغيه ، كان مغرماً بحب العلماء ، ولاسيما الكاملون منهم .

قال في « الشقائق » : ثم لما مات تيمور سنة سبع وثمانمائة ، فارق المترجم بلاد ماوراء النهر فدخل خراسان ، وهـراة ، وشيراز ، ويـزد ، ونواحيها ، ونشر في تلك الاماكن فن القراءات. والزمه صاحب شيراز القضاء بها فاقام مكرها . ولما قضى الرحمن ١٠ له بالخلاص سافر الى البصرة ثم الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . اه

وترجمه السخاوي في « الضوء اللامع » ترجمة مطولة ، وطعن فيه وفي روايته ، كما هو دابه في علماء الحديث الذين لم يعظموه ، وخلاصة ما قاله :

انه جعل نفسه عمريا وقال : كان ابوه تاجرا ، وحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين ، وصلى بـه في السنة العاشرة . ثم ولي القضاء بدمشق على مـال بدفعه ، فلما تولاه ١٥ لم يف به ، فامتحن لذلك ، وفر الى مصر سنة ثمـان وتسعين ، ثم لحق ببلاد الروم واتصل بالسلطان بايزيد ، فاكرمه وعظمه وانزله عنده بضع سنين ، فنشر علم القراءات والحديث ، وانتفعوا به . فلما دخل تيمورلنك الروم[1] اخذه معه الى سمرقند ، فاقام بها الى ان مات تيمور ، فتحول حينئذ الى شيراز فنشر بها القراءات والحديث ، وانتفع به اهلها ، وولي قضاءها وقضاء غيرها من البلدان من جهة اولاد تيمورلنك . ثم قصد ٢٠ الحج سنة اثنتين وعشرين ، فنهب في الطريق ، وتعوق عن ادراك الحج ، فاقام يبيـع ويشتري ، ثم تيسر له فاقام بمكة مجاورا ، وحدث بها . ثم سافر الى بلاد العجم . ثم قدم القاهرة واتصل بالسلطان الاشرف فعظمه واكرمه . وتصدى للاقراء والتحديث . ثم سافر الى مكة ثم الى اليمن تاجرا ، فاسمع بها الحديث ، واكرمه صاحبها ، ووصله بحيث رجع ببضائع كثيرة . وعاد الى مكة ثم الى القاهرة ثم الى البصرة ، والى شيراز ٢٥ فمات بها ، ودفن بمدرسته التي أنشاها هناك .

---

(١) اي بلاد الروم .

ثم سرد السخاوي مصنفاته فقال هي :

« النشر في القراءات العشر » مجلدان ، واختصره بكتاب سماه « التقريب وتحبير التيسير في القراءات العشر » و « التمهيد في التجويد » ، وهما مما الفه وله من العمر سبع عشرة سنة ، ونظم الهداية في تتمة العشرة ، وسماها « الدرة » وله من العمر ثماني عشرة سنة ، وربما حفظها او بعضها بعض شيوخه ، و « اتحاف المهرة في تتمة العشرة » و « اعانة المهرة في الزيادات على العشرة » نظم ، و « طيبة النشر في القراءات العشر » في الف بيت ، و « المقدمة فيما على قارىء القرآن أن يعلمه » وهي نظم ايضا ، وقل من يعاني فن التجويد في زمننا الا ويحفظها ، و « منجد المقرئين وطبقات القراء » في مجلد ضخم ، و « غايات النهايات في اسماء رجال القراءات » و « الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين » في الأذكار والدعوات وهو غاية في الاختصار والجمع ، و « عدة الحصن الحصين » و « جنة الحصن الحصين » و « عرف التعريف » مختصرة و « التوضيح في شرح المصابيح » وهو ثلاثة اسفار الفه فيما وراء النهر ، و « البداية في علوم الرواية والهداية في فنون الحديث » نظم ، و «الأولوية في احاديث الاولوية » و « عقد اللالى في الاحاديث المسلسلة العوالي » و « المسند الاحمد فيما يتعلق بمسند احمد » و « المقصد الأحمد في رجال احمد » و « المصعد الاحمد في ختم مسانيد احمد » و «الاجلال والتعظيم في مقام ابراهيم » و « الابانة في العمرة من الجعرانة » و « التكريم في العمرة من التنعيم » و « غاية المنى في زيارة منى » و « فضل جبل حراء » و « احاسن المنن » و « اسنى المطالب في مناقب علي ابن ابي طالب » و « الجوهرة في النحو » وغير ذلك من الرسائل والتعليقات .

وقد ذكره الطاووسي في مشيخته وقال : انه تفرد بعلو الرواية ، وحفظ الأحاديث والجرح والتعديل ، ومعرفة الرواة المتقدمين والمتاخرين . اه وترجمه الحافظ ابن حجر في معجم شيوخه الذي سماه « المجمع المؤسس للمعجم المفهرس » فذكر نحوا مما سبق ، وقال : كان له توقيع الدست بدمشق وعين لقضاء الشافعية ، ثم فر الى بلاد الروم واتصل بالملك بايزيد بن عثمان ، واقام عنده بضع سنين الى وقعة الكائنة العظمى التي قتل فيها الملك بايزيد ؛ فاتصل بعدها بالأمير تيمور الى ان قال : وليس له في الفقه يد ، بل فنه الذي مهر فيه القراءات ، وله عمل في الحديث ، وله نظم وسيط . اه

قلت : وفن القراءات في دمشق ومصر وغيرهما ، انما يدور على مصنفات ابن الجزري في زمننا هذا ، وعلى « الشاطبية » وشروحها . ورأيت له كتابا في نظم السيرة النبوية وانا في سن الصبا وقد غاب الآن عني . ومن لطيف نظمه ماقاله عند ختم كتاب « الشمائل » للامام الترمذي :

٥ اخلاي ان شط الحبيبُ وربعُه — وعز تلاقيهِ وناءت منازله
وفاتكمُ ان تبصروه بعينكم — فما فاتكم بالسمع هذي شمائله

قال المقريزي وقد مدحه النواجي بقوله :

ابا شمس علم بالقراءات اشرقت — وحقك قد منَّ الاله على مصر
وهاهي بالتقريب منك تضوعت — عبيرا واضحت وهي طيبة النشر

١٠ وكتب اليه المولى خضر بك يقول :

لو كان في بابه للتعلم معجزة — الفت في مدحه الفا من الكتب
لكنه البحر في كل الفنون فما — اهداءُ در الى بحر من الادب

فأجابه بقوله :

في در علمك بحر الفضل ذو لجب — ودر نظمك عقد في حلى الأدب
١٥ الدر في البحر معهود تكونه — والبحر في الدر يبدي غاية العجب

دار القرآن (الدلامية)

ترجمها صاحب « تنبيه الطالب » و « الدارس » بقوله : هي بالقرب من الماردانية بالجسر الأبيض بالجانب الشرقي من الشارع الآخذ الى الجسر المذكور بالصالحية . زاد العلموي في « مختصره » : وهي معروفة . انتهى

٢٠ وفيها تربة الواقف . انشاها الشهاب الخواجكي(١) الرئيسي الشهابي ابو العباس احمد بن المجلس الخواجكي زين الدين دلامة بن عز الدين نصر الله البصري اجل اعيان الخواجكية بالشام الى جانب داره . وترجمه السخاوي في « الضوء اللامع » فقال:

---

(١) من ألقاب الأعيان .

احمد بن دلامة
٨٥٣-٠٠٠

احمد بن دلامة الخواجا البصري ، ثم الدمشقي ، انشأ مدرسة بصالحية دمشق ، وتفقه ، وبرع ومات في ثامن عشر المحرم سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ، ودفن بعد العصر من يومه . انتهى

قال البقاعي : وقد قارب الثمانين . قال في « التحفة » : وقفها سنة سبع واربعين
وثمانمائة ، ورتب بها اماما وله من المعلوم مائة درهم ، وقيما وله مثل الامام ، وستة ٥
انفار من الفقراء الغرباء المهاجرين في قراءة القرآن ، ولكل واحد منهم ثلاثون درهما في
كل شهر ، ولشيخهم عشرة . ومن شرط الامام الراتب ان يتصدى شيخا لاقراء القرآن
الجماعة ، وله على ذلك عشرون درهما زيادة على معلوم الامامية ، وستة أيتام بالمكتب
على بابها ، ولكل واحد منهم في كل شهر عشرة دراهم . وقرر لهم شيخا ، وله من
المعلوم ستون درهما في كل شهر . ورتب ايضا قارئا « لصحيح الامام البخاري » في ١٠
كل من شهر رجب وشعبان ورمضان ، وجعل له من المعلوم مائة وعشرين درهما ،
وناظرا وله من المعلوم في الشهر ستون درهما ، وعاملا وله من المعلوم في السنة
ستمائة درهم . ورتب الزيت في كل عام مثلها . وجعل للشمع ولقراءة البخاري
وامام التراويح مائة درهم ، ولارباب الوظائف خمسة عشر رطلا من الحلوى ، ورأسي
غنم اضحية ، ولكل يتيم جبة قطنية ، وقميصا ، ومنديلا في كل سنة . وقرر قارىء ١٥
ميعاد في يوم الثلاثاء من كل اسبوع ، وله في الشهر ثلاثون درهما . وشرط على ارباب
الوظائف حفظ حزب الصباح والمساء لابن ابي داود ، يقرؤونه بعد صلاة الصبح والعصر ،
وان يكون الامام هو القارىء البخاري ، والقارىء على ضريح الواقف ، والقيم هو البواب
والمؤذن . حكى هذا ابن طولون في كتابه « القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية »
والنعيمي وتبعه في « التنبيه » . وأول من باشر الامامة بها والمشيخة ، شمس الدين ٢٠
البانياسي ، وقراءة الميعاد شمس الدين بن حامد . وذكر بعضهم ان سبب انشائها
ان الخواجا ابراهيم الاسعردي عمر مدرسة بالجسر الأبيض ليس لها نظير ، وجعل بها
خلاوي[1] . فطلب بها رجل من جماعة ابن دلامة خلوة بشفاعة ابن دلامة فلم يعطه
الخلوة التي طلبها ، واعطاه غيرها فلم يقبلها . فقال الخواجا ابراهيم له : قل لابن دلامة :
يعمر مدرسة مثلها ، ويعمر لك خلوة تريدها . فاخبره بذلك ، فلم ينم تلك الليلة ٢٥

---

(١) كذا في الاصل وصوابها خلوات .

حتى رسم مكانها وقاسها . فقال الخواجا ابراهيم : ما أردت بذلك الا تنهيضه لفعل الخير .

قلت : وقد شاهدت تلك الدار أثناء كتابتي لهذه السطور ، وهي معروفة باسم الدلامية الى الآن في الطريق الآخذ الى الصالحية في الجهة الشرقية ، وهي عامرة مشهورة ، وحائطها الغربي مبني بالحجارة السوداء والصفراء على نمط جميل ، وبابها مبني على هندسة لطيفة واتقان يدل على ما كان للفن المعماري في ذلك الزمن من التقدم ، وكأن المتقدمين كانوا يتفننون في بناء الابواب ، فيجعلون لأبواب دور القرآن طرزا غير طرز ابواب دور الحديث ، ولأبواب الحديث شكلا غير شكل ابواب مدارس الفقه والعلوم . ويميزون ابواب أبنية السلاطين والأمراء لمعاهد الخير عن أبواب ابنية غيرهم . ومن تأمل مآثرهم رأى ذلك عيانا . ثم انك اذا دخلت من الباب أفضى بك الى صحن لطيف في وسطه بركة ماء ، وفي الجهة الشمالية ايوان لطيف أيضا ، وفي الجهة القبلية حرم جميل ثلاث عشرة خطوة في سبع . وفي الحائط الشرقي حجرة ، وفي الغربي حجرة أيضا ، وبها قبر الواقف ، ولها شباك مطل على الطريق . وتلك الدار الآن معدة لاقامة الصلوات الخمس ، والاوقات التي اصطلح عليها اتباع الشيخ ابراهيم الرشيدي من المتصوفة(1) . واخبرني احد المقيمين بها ان ايدي المختلسين تناولتها قديما ، فجعلوا نصفها دارا ، والنصف الآخر جنينة للورد والأزهار التي يزرعها أهل الصالحية ويبيعونها . فلما كانت سنة ثلاثمائة والف انتدب لها السري المحسن علي بك ابن مردم باشا المؤيد العظمي(2) فاستخلصها من يد مختلسيها ، وبناها على الطراز الذي هي عليه الآن .

دار القرآن (الرشائية)

كانت هذه الدار شمالي الخانقاه السميساطية ، وكان الطريق الذي يمر امام مدفن السلطان صلاح الدين فيأخذ الى الشرق يقال له : درب الخراعيين ، وباب الجامع الشمالي يقال له باب الناطفيين(1) ، فتغير الاسم وبقي المكان على حاله .

---

(1) ويدرس فيها الآن فقيه المذهب الشافعي في الشام الشيخ صالح العقاد .

(2) هذا الاسم يجمع بين اسرتي مردم والمؤيد العظم . ومن الرجوع الى الاسرتين لم يعرف احد يجمع بين اللقبين وانما كان في أسرة العظم شخص يدعى علي بن مؤيد باشا العظم ، وفي اسرة مردم شخص يدعى علي بن محمد مردم وكان متزوجا من آل العظم . وعلى هامش مصورة الاوقاف قوله : ابن مردم باشا سبق قلم .

ترجمة واقفها

علي السنجاري
٠٠٠–٧٣٥

انشاها علاء الدين علي بن اسماعيل بن محمود السنجاري .

قال الحافظ ابن كثير في ترجمته : هو احد التجار المشهورين ، والأتقياء الورعين ، ومن الاخيار ذوي اليسار المسارعين الى الخيرات . توفي فجاة في القاهرة ليلةالخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، ودفن عند قبر القاضي شمس الدين الحريري ، ومات عما ينيف عن ثمانين سنة من العمر .

وقال الحافظ البرزالي في ترجمته: كان رجلا جيدا، فيه ديانة وبر، انشا دار القرآن السنجارية ، ورتب فيها جماعة يقرؤون القرآن ، ويتلقونه . وكان له مواعيد حديث ، يعني اوقاتا يحضرها الناس لسماع الحديث .

وقال العلموي : انشاها سنة ثلاثين وسبعمائة . وقال ايضا في تعريفها : وهي الآن متصلة ببيتي بباب فتحته من حائط مشترك بين بيتي وبينها ، غير بابها المخصوص بها . انتهى

وانظر ايها العاقل مراده بهذه العبارة التي قصد بها ان يعرفنا مكان بيته ، فتوجه عليه اعتراض ، وفتح عليه فتح ذلك الباب بابا وهو : انه اشار الى انه اول من سارع من القوم الى التلاعب بها ، واول من انتظر فرصة لضمها الى بيته . وقد شاء له الزمان ذلك . فانه بهذا تصرف بها نوعا من التصرفات ، ثم جاء من بعده فبالغ ، وهكذا الى ان صارت ملكا تباع وتوهب وتورث . وربما استبدلت بها قراءة القرآن بنغمات الأوتار ، وتلون الالحان ، ومغازلة الغادات والغزلان. فبانيها سن سنة حسنة فكان له اجرها، ومختلسها سن سنة سيئة فكان عليه وزرها . ولايضيع عند الله مثقال ذرة .

دار القرآن (الصابونية)

هي الآن موجودة مشهورة عامرة .

قال النعيمي : هي خارج دمشق قبلي باب الجابية ، غربي الطريق العظمى ، ومزار أوس بن أوس الصحابي الجليل رضي الله عنه. وبها جامع حسن بمنارة تقام فيه الجمعة، وتربة الواقف واخيه وذريتهما . انتهى

وقد رأيتها أثناء كتابتي لهذه السطور لأصفها عن مشاهدة : فاذا هي مقابل تربة باب الصغير ، غربي الطريق الأعظم الآخذ الى باب المصلى والميدان . وجدارها الشرقي شاهق متين ، مبني بالحجر الأصفر بناء متقنا ، وبه نقوش بديعة محفورة بأحجاره . وفيه الباب وهو مرتفع ايضا يماس اوجه علو الجدار . وصدر قنطرته مزخرف بحجارة
٥ محفورة معجنة ، وهو على شكل محراب ؛ وفيه باب المدرسة وهو صغير بالنسبة اليه . وهذا العمل يدل على اتقان الفن المعماري وتنشد . فاذا دخلت من الباب صرت في دهليز ، وكان عن يسارك جامع للمحاسن : جامع تقام فيه الجمعة والجماعة ؛ وعن يمينك قبة لها شباكان مطلان على الطريق الاعظم . وفي الجنوبي منهما فسقية ماء بردها المارون ؛ وفيها قبر الواقف واخيه واحد اقاربه . والقبور الثلاثة مبنية بالرخام
١٠ الابيض . واعلى القبة كان متهدما ، فعمر عمارة لطيفة ، وجعل له شبابيك من البلور . وبجانبها من الغرب حجرة قد سقط سقفها ، وبقيت جدرانها ، ولها باب الى الدهليز . وفي داخلها باب الى القبة . فاذا خلصت من الدهليز ، وصلت الى صحن المدرسة ، وطوله تسع عشرة خطوة في عرض سبع عشرة خطوة ، وفيه بركة ماء مربعة ماؤها دائم الجريان كما هي عادته في دمشق . وقابلك من الغرب ايوان في صدره ثلاث حجرات ،
١٥ وبجانبه الشمالي حجرة ، وعن يمينه دار للسكنى ، وعن يساره كذلك . وفي الجانب الجنوبي ايوان ايضا ، وفي صدره محراب ؛ وحجرتان عن يمينه وعن يساره ، وفي جانبه الشرقي حجرة ايضا ، وفيه باب يصعد منه الى المنارة ، وهي شاهقة البناء حسنة الوضع . وفي الجانب الشمالي بيوت الخلاء ، وحجرة امامها قبران . فجملة ماهو موجود بها عشر حجرات .

٢٠ قال النعيمي : وهذه الدار انشاها المقر[1] الخواجكي شهاب الدين أحمد الشهابي القضائي ابن علم الدين سليمان بن محمد البكري الدمشقي المعروف بالصابوني . ابتدأ في عمارتها سنة ثلاث وستين وثمانمائة ؛ وفرغ منها سنة ثمان وستين وثمانمائة . وشرط الواقف النظر لنفسه ، ثم لذريته ، ثم من بعد انقراضهم يكون النظر نصفين : نصف منه لحاجب دمشق ، يعني واليها او مالكها كائنا من كان . والنصف الآخر للامام .
٢٥ وشرط قراءة «البخاري» في شهور رجب وشعبان ورمضان . واشترط في الخطيب أن يكون شافعي المذهب ، وفي الامام ان يكون من الطائفة الجبرتية ، وسياتي بيانهم ،

---

(1) المقر من القاب ارباب الاقلام والسيوف والعلماء والكتاب كما ذكره صبح الاعشى ٤٩٥/٥

وأن يكون حنفيا ، وان يكون معه تسعة عشر فقيرا من جنسه يقرئهم القرآن . قاله ابو البقاء احمد البقاعي في « مختصره » . وفي « التنبيه »: عشرة ، ولعله هو الاصح . وجعل لسكن الامام وعياله قاعة ، وللفقراء عشر حجرات ، يعني خلاوي(١) . **قلت :** وهذه الحجرات والقاعة موجودة الآن كما مر بيانه . فان لم يوجد امام من الجبرتية الحنفية فيكون يمانيا . فان لم يوجد(٢) فيكون آفاقيا . ورتب ستة مؤذنين ، وجعل قيما وبوابا، وفراشا ، وجابيا للوقف . وبنى ايضا تجاه المكان المذكور من الشرق مكتبا للأيتام ، واشترط أن تكون عدتهم عشرة . ورتب لهم شيخا يقرئهم القرآن بمعلومات(٣) شرطها لهم ، تصرف عليهم من جهات عديدة منها : عدة قرى غربي مدينة بيروت اسمها الصابونية، ومنها جميع قرية مَدْيَرى بفتح الميم وسكون الدال المهملة وفتح المثناة التحتية آخرها الف مقصورة ، وهي بالغوطة من المرج الشمالي ، معروفة مشهورة ، ومنها قرية ترحيم بالبقاع ، وعشرة افدنة ونصف فدان واربعة فدادين بقرية الصويرة ، وربع قرية القرعون بالبقاع ، وستة فدادين من قرية كحيل بحوران ، وعشرة افدنة ونصف فدان من قرية الخيارة قبلي دمشق ، وعشرة افدنة ونصف فدان من قرية السبينة الغربية ، ومزرعة السياف الكائنة بقرب بيت الابيار ، وربع بستان بقرية جرمانا ، وبستان الوثاب بالوادي التحتاني ، وبستان بعين ترما ، وسبع قطع ارض بقرية سقبا ، وبستان بقرية حمورية ، وعدة بساتين ببرزة ، واربعة بساتين بجوبر ، وعدة بساتين بالشرف الفوقاني ، واربعة بساتين بارض المزة ، ومثلها بقرية كفرثوثا(٤) ، وثلاثة بساتين بارض قبية . فهذه هي الاراضي والبساتين .

واما المسقفات فمنها : خان كان يسمى بخان البقسمانية ، وقاعة واحدة بعين اللؤلؤة ، وحانوت بالدباغة ، واربع طباق بالعقيبة الكبرى ، وخان طولون بها، وثلاثة حوانيت شركة الحرمين بسوق العمارة التحتاني وكانت تسمى عمارة الاخنائي ، وستة حوانيت بمحلة مسجد الاقصاب ، وقاعتين بجوار الجامع الاموي ، واربع طباق جوار المارستان النوري ، وطبقة واحدة جوار باب الفراديس بدمشق، واربعة حوانيت بالقضمانية، وستة حوانيت بباب الجابية ، وخان بمحلة سوق الهواء ، وخان بمحلة قصر حجاج ، وطبقة فوقه ،

(١) تقدم بيانها .

(٢) في نسخة ميونيخ من « الدارس » زيادة : فحجازيا فان لم يوجد . انظر الدارس ١/١٥

(٣) مرتبات .

(٤) المعروفة الآن بكفرسوسة .

وحانوت غربي النخلة الطويلة قبلي جامع حسان (١) وهذه النخلة كانت في زمن النعيمي والبقاعي ، واما الآن فلم يفدنا التعريف بها شيئا !؟

هذا ماوقفه الواقف واحتسب اجره عند الله تعالى .

ثم جاء بعده مملوك له يقال له يوسف الرومي فحذا حذو سيده في افعال الخير ، والتربية الحسنة تفيد المربى والمربي . فاوقف على الصابونية بستانا غربي مصلى العيدين جوار بستان الصاحب ، ومعصرة زيتون بكفرنونا ، وقاعة لصيق الجامع ، وفي علوها طبقة ، وقاعة اخرى قبلي ذلك ، وفوقها طبقتان .

الجبرتية

حيث انه قد سبق ذكر الجبرتية اثناء شرط الواقف ، كان الالماع الى تعريفهم وبيان مواطنهم متمما للفائدة ، موقفا على مزيد بيان ، تفكهة وتنقلا ، واللذات في التنقل ، ولذا وضعناها بحسب ماكانت عليه من قبل ، وبمقتضى ماهي عليه الآن ، واليك ذلك :

قال الفاضل عبد الرحمن الجبرتي ، في تاريخه المسمى «عجائب الآثار » :

بلاد جبرت هي بلاد الزيلع بأراضي الحبشة تحت حكم الحطا ملك الحبشة . وهي عدة بلاد معروفة تسكنها هذه الطائفة، وهم المسلمون بذلك الاقليم، ويتمذهبون بمذهبي ابي حنيفة والشافعي لاغير ، وينتسبون الى سيدنا اسلم بن عقيل بن ابي طالب . وهم قوم يغلب عليهم التقشف والصلاح ، ويسافرون من بلادهم بقصد الحج والمجاورة في طلب العلم . ويحجون مشاة ولهم رواق بالمدينة المنورة ، ورواق بمكة المشرفة ، ورواق بالجامع الازهر . ثم قال الجبرتي : وظهر منهم علماء افاضل كالزيلعي شارح « الكنز » ، وغيره . وسرد تراجمهم ، ثم قال : وللحافظ المقريزي مؤلف في اخبار بلادهم ، وتفصيل احوالهم ، وللشيخ علاء الدين محمد بن عبد الله البخاري كتاب سماه « الطراز المنقوش في محاسن الحبوش » ، وللحافظ عبد الرحمن بن الجوزي كتاب « تنوير الغبش في فضائل السودان والحبش» ، وللجلال السيوطي كتاب ايضا سماه : «رفع شان الحبشان» . انتهى

---

(١) الطبقة التي فوق الخان الاخير والحانوت الذي يليه ليسا في الدارس .

هذا بحسب ماكانت عليه من قبل . واما ماهي عليه بحسب[1] من جهة جغرافيتها :
فان تلك الاصقاع يقال لها: بلاد الصومال . وهي بلاد واقعة في الشرق الأقصى من افريقية
الشمالية بين خليج عدن والمحيط الهندي ، تقابل شبه جزيرة العرب من الجنوب . وهي
هضبة بها جبال مرتفعة في الشمال .وجوها حار جدا في النهار ، وبارد جدا في الليل .
وليس للأمطار فيها انتظام . وانهارها وقتية تستمد من الامطار . وتبلغ مساحتها
سبعمائة وخمسين الف كيلومتر مربع .ويزرع فيها البن ، واللبان بكثرة . وتجارتها
رائجة مع الحبشة وبلاد اليمن . واهم صادراتها : الصمغ ، واللبان ، وريش النعام ،
والعاج ، والجلود ، والبن . وسكانها يقدرون بثلاثمائة وخمسين الف نفس ، كلهم مسلمون
حمر الوجوه . وهم قبيلتان : ففي الشرق الصوماليون ، وفي الغرب قبائل الجالة .
والفريقان في قتال مستمر ، لاتجمعهما الا كراهة الاجنبي ومقاومة الغريب . ولم يتمكن
الاوربيون من دخول البلاد لمقاومة اهلها لهم ، فاحتلوا السواحل . فاختصت انكلترا
بالسواحل الشمالية التي على خليج عدن وبين خليج تاجورا وبندر قاسم . وهواء هذه
السواحل جيد .

وبتولى ادارتها القنصل الانكليزي المقيم في بربرة . ويحافظ على سلطة الحكومة
فيها جنود هنود ضباطهم من الانكليز ، وعاصمة هذه المستعمرة بربرة وهي مدينة جيدة
الماء والهواء ، ذات مرفأ امين ، ولها تجارة مع اليمن والحبشة . وكانت تابعة لحكومة
شرقي السودان المصري قبل استيلاء الانكليز عليها . واشهر مدنها : زيلع وهي ميناء
تجارية على خليج عدن ، وبلهار مثلها .

واما شواطيء المحيط الهندي فالنفوذ فيها لأيطاليا . واشهر المدن فيها بروه ومركه
ومقدوش .

ثم ان انكلترا ارادت بسط سلطتها على قبائل الصومال الداخلية ، كما هي عادتها ،
ليقوى سلطانها هناك ، وليقوى نفوذها في شرقي افريقية . فاخذت ترسل وسواسها
وتتبع طريقتها ، الى ان دخلت بحجة مقاومة الملا احد رؤساء هذه القبائل . وما زالت
تتوسع في مطاردته ومحاولته وتطاوله ، الى ان تم لها ما ارادت ، وحازت على ما شاءت
وشاء لها الحظ ، وهمجية السكان ، وتفرق الكلمة ، وتشعب الآراء . والله يقضي مايريد
ويفعل ما يشاء .

---

(1) كذا وردت بالاصل ولا لزوم لها .

دار القرآن (الوجيهيــة)

كانت قبلي المدرسة العصرونية والمسرورية ، وغربي الصمصامية التي كانت شمالي الخاتونية التي زقاقها يسلك منه الى البيمارستان النوري ، والى ذلك الزقاق يفتح بابها.

هذا ما حكاه النعيمي ، وتبعه العلموي ، والبقاعي . ولعلها كانت موجودة في زمنهم . ٥ واما في زمننا فلا رسم لها ولا اثر ! وسأفصل موضعها واقول :

انك اذا وقفت على درج باب البريد ، ثم سرت مغربا ، فانك لاتسير قليلا حتى ترى عن يمينك مبدأ سوق العصرونية ، فاذا دخلت وسرت الى نحو من نصفه كانت المدرسة العصرونية عن يمينك ، ثم بعدها الى الغرب الخاتونية الصغرى ، وامامها في الجهة الشمالية العادلية الصغرى ، وبعدها الى الغرب دار الحديث الاشرفية . وسيأتي الكلام ١٠ على هذه المدارس في محالها ان شاء الله تعالى . ثم اذا خلصت من السوق ، وجدت القلعة امامك . فاذا اتجهت الى الجنوب ، وسرت الى طريق البيمارستان النوري ، لم يكن هنالك مدارس ابدا ، ولم تجد الا البيمارستان ، وبجانبه باب وله اسكفة(١) من الحجر مكتوب عليه مايدل على انه باب المدرسة الخاتونية لكنهـا صارت الآن داراً للسكنى ! واخبرني بعض الثقات انه كان يعرف زقاقا بجانب العصرونية الجنوبي ، وفي ١٥ آخره دار على هيئة مدرسة . فلما فتحت سوق الحميدية ، ادخل هـذا البناء في السوق ، ولم يبق له رسم ولا طلل . ومهما يكن ، فانها اما ان تكون قد صارت دورا للسكنى ؟. واخبرني بعض الثقات انه كان يعرف زقاقا بجانب العصرونية الجنوبي ، وفي التنصيص على انها كانت اثراً في محلها ، وذخرا لواقفها .

ترجمة واقفها

وجيه الدين ابن المنجا ٦٣٠ـ٧٠١

٢٠ انشأ هذه الدار الشيخ وجيه الدين محمد بن الامام الرئيس ، شيخ الاكابر ، وشيخ الحنابلة في وقته ابو المعالي عثمان بن المنجا التنوخي الدمشقي . ولد المترجم سنة ثلاثين وستمائة ، وتوفي سنة احدى وسبعمائة . وكان صدرا محترماً ، دينا ، ذا ثروة ومتاجر ، وبر واوقاف . انشأ دار القرآن هذه ، ورباطا بالقدس . وكان محدثا فاضلا . ولي نظارة

---

(١) الاسكفة والاسكوفة خشبة الباب التي يوطأ عليها .

الجامع الاموي تبرعا وحسبة لله تعالى . ودرس بالمسمارية . وكان مع سعة ثروته مقتصدا بملبسه . وتوفي في تلك الدار التي انشاها . هذا كلام النعيمي في ترجمته .

وقال الشيخ برهان الدين ابراهيم بن مفلح في كتابه « المقصد الارشد في ذكر اصحاب الامام احمد » في ترجمة الواقف :

هو محمد بن عثمان بن اسعد بن المنجا الشيخ الامام صدر الرؤساء وجيه الدين ابو المعالي التنوخي . حضر على ابن اللتي ، وابن المقير ، ومكرم . وسمع من جعفر الهمداني والسخاوي ، وكان شيخا عالما فاضلا ، كثير المعروف والصدقات والتواضع ، وله هيبة وسطوة وجلالة . درس بالمسمارية والصدرية ، ثم تركهما لولده ومات في حياته ، وحدث ، روى عنه جماعة . مات في شعبان سنة احدى وسبعمائة . انتهى ٥

ورايت بخط الشيخ عبد الباسط العلموي على هامش ترجمة جد الواقف اسعد ابن المنجا ما صورته : ١٠

هو واقف الوجيهية التي براس باب البريد . وهي مدرسة قريبة من المدرسة الخاتونية الجوانية ، وبها خلاوي كثيرة ، ولها وقف كثير فاخذ واختلس . اهـ

وهو خطا . والصحيح ان واقفها هو المترجم لاجده ، كما زعم العلموي على انه نفسه . قال في « مختصره » : ان واقفها محمد بن عثمان. ووفاته سنة سبعمائة وواحد. ١٥ وجده اسعد توفي كما في « طبقات ابن رجب » سنة ست وستمائة . فتنبه ! وهذا آخر الكلام على الدور التي كانت مختصة بتعليم القرآن .

القسم الثاني في دور الحديث الشريف

حرف الهمزة

دار الحديث (الأشرفية الأولى)(1)

عرف النعيمي وغيره محلها بانه جوار باب القلعة الشرقي غربي المدرسة العصرونية، وشمالي القيمازية الحنفية . انتهى ٥

اقول : هي الآن مشهورة معروفة ، وهي في اوائل سوق العصرونية من الجانب الغربي ، وتعريفها الاول معروف الآن . الا ان القيمازية لم نر لها اثرا . والاشرفية جنوبي الطريق المخترق للسوق . وقد جدد لها باب قنطرته من الحجر المزي الأحمر والاسود؛ فاذا دخله الداخل ؛ افضى به الى دهليز لطيف بجانبه الشرقي حجرة . ثم يصل منه الى صحن لطيف ، في وسطه بركة ماء ، وفي الجانب الغربي مواضع الطهارة ، وحجرتان . ١٠ وفي القبلي مسجد حسن البناء والوضع . وفي الشرقي ثلاث حجرات . وفي الشمالي سلم من الحجر يصعد منه الى الطباق العلوية وهي ثلاث في الجانب الغربي ، وخمس في الشرقي . وكان سكني في غرفة علوية من هذه المدرسة اثناء طلبي للعلم . فنلت بها من الانشراح ، والفتوح ما يجعلني حامد الله تعالى ، وشاكرا له مدة حياتي . والفت بها بعض الكتب . وبجانبها الجنوبي دار لطيفة معدة لسكنى المدرس بها . وهو الآن العالم ١٥ الفاضل المحدث الصالح الشيخ محمد بدر الدين ابن الشيخ يوسف بدر الدين البيباني الشهير بالمغربي . لكن تلك الدار قد اجِرت لبعض التجار ؛ وجعلت محلا للتجارة . وفوق شباك الحجرة الثانية السفلية الشرقية منها بلاطة طويلة محفور فيها ما صورته بعد البسملة :

٢٠ مما اوقفه السلطان الملك الأشرف ابو الفتح موسى ابن الملك العادل رحمه الله على هذه الدار المباركة، وهو ثلث قرية حزرما ، وقيسارية العلو بكمالها، وعشرة حوانيت ، وفرنان واصطبل جوارها ، وحانوتان ؛ وحجرة جوار كنيسة مريم ؛ واربع

---

(1) فيها الآن اعدادية للعلوم الشرعية ينفق عليها جماعة من أهل الخير وتقام فيها الجمعة .

حصص في اربعة حوانيت بباب البريد ، وحصتان في حانوتين في الجزيرة ، وحصة في حانوت الحدادين .

هذا ما قرأته على البلاطة المذكورة .

قال ابن كثير في « تاريخه » : كانت هذه المدرسة لصارم الدين قايماز بن عبد الله النجمي واقف القايمازية ، وله بها حمام ، فاشترى ذلك الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن العادل ، وبناها دار حديث وخرب الحمام وبناه سكنا للشيخ المدرس . واتم بناءها في سنتين ، وجعل شيخها الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، ووقف عليها الأوقاف . وكان بهـا نعل النبي صلى الله عليـه وسلم . واشترط في الشيخ ان تجتمع فيـه الرواية والدراية . اهـ ٥

وكان بناؤها سنة ثمان وعشرين وستمائة . وقال الحافظ ابن كثير في «طبقاته» : ١٠

وفتحت سنة ثلاثين وستمائة ليلة نصف شعبان ، واملى بها الشيخ تقي الدين ابن الصلاح الحديث . وبها نعل النبي صلى الله عليه وسلم . وكان عند الامام نظام الدين أبي العباس احمد بن عثمان بن أبي الحديد السلمي ، مولده بدمشق سنة ستين وخمسمائة، وكان ورثه من آبائه ، وكان الاشرف يقربه ويجله لأجله ، ويؤمل ان يشتريه منه ويضعه في مكان ليزار . فلم يسمح بذلك ، وسمح بان يقطع له قطعة منه ، فامتنع الأشرف حذرا من التطرق الى اعدامه ، ثم اقطعه الاشرف وقدر له معلوما ، فاستمر كذلك الى ان توفي . واوصى بالنعل للأشرف فاقره بدار الحديث الاشرفية . ويقال انه كان الفردة اليسرى ، وان الفردة اليمنى كانت بالمدرسة الدماغية ولم تزل الى زمن تيمور ، فلما دخل دمشق اخذهما . وفي كتاب « الفتاوى الكبرى للسبكي » ماصورته : ١٥

وقف دار الحديث الأشرفية مختصرا : هذا ما وقفه السلطان الملك الاشرف ابو الفتح موسى ابن العادل ابي بكر محمد بن ايوب بن شادي جميع ما يأتي ذكره : فمنه الدار ، ومنه جميع الحانوتين من شرق بابها ، وجميع الحانوت من غرب الشباك ، وجميع الحجرة من غرب ما يأتي ذكره . ومنه جميع القيسارية السفل والعلو ، وجميع الساباط قبالتها، ودار ايضا . ومنه تلك حوزما وقفا مؤبدا . فالدار دار حديث ، واما جميع العقار فموقوف على مصالح هذه الدار ، وعلى أهلها . ٢٠ ٢٥

يبدأ الناظر في هذه الأماكن بعمارة الدار ، وعمارة ما هو موقوف عليهـا وعلى

اهلها قدر الحاجة اليه من زيت ، وشمع ، وقناديل ، ومصابيح ، وتعاليق ، وحصر ، وبسط برسم المسجد ، وسائر ما لا يختص احد بسكناه من سفل الدار ، وما يحتاج اليه من آلة تنظيف وكنس ونحو ذلك ، وما تدعو الحاجة اليه من تقوية فلاح ، واقراضه، وشراء دواب وآلات .

٥ ويتعاهد كتب الوقف وحججه بالاثبات ، ويصرف في ذلك من فعل الوقف مقدار الحاجة . وله ان يصرف من فعل بعض الاماكن الموقوفة في عمارة مكان آخر منها مما وقف الآن ، ومما سيوقف ان شاء الله تعالى .

وما فضل بعد ذلك كان مصروفا الى اهل الدار من اصحاب الحديث ، والمشتغلين بعلمه ، والسامعين له ، والقراء للسبع ، والشيخ المحدث والامام ، وسائر المرتبين بالمكان
١٠ المتعلقين به على ما سيأتي شرحه .

فمنه ما هو مصروف الى الامام ستون درهما عن كل شهر ، ففي السنة سبعمائة وعشرون . وعليه القيام بوظيفة الامامة في الخمس ، وفي التراويح ، وعليه عقد حلقة الاقراء ، والتلقين . وشرطه في هذا ان يكون حافظا للقراءات السبع ، عارفاً بها . وللشيخ الناظر ان يجعل حلقة الاقراء الى شخص غير الامام ، ويوزع المقدار المذكور عليهما على
١٥ حسب ما يرى فيه المصلحة .

ويصرف الى الشيخ المحدث في كل شهر تسعون درهما ، وهو أبو عمرو بن الصلاح، ولنسله خمسون درهما الى ان ينقرض آخرهم .

ويصرف الى اولاد الشيخ ابي موسى ، ونسله كل شهر ستون درهما . ولهم ، او لمن شاء منهم ، سكنى الحجرة التي من شمالي الدار . ويصرف الى خادم الأثر الشريف
٢٠ النبوي ، وهو الحاج ريطار واسمه غلام الله ، في كل شهر اربعون درهما ، وتجرى بعده على نسله ، فاذا انقرضوا ، عاد ذلك الى سائر مصارف الوقف وجهاته . ويجعل شيخ المكان بعد انقراضهم خدمة الأثر الى من شاء ، ويجعل له مايراه . والمصروف الى هؤلاء الثلاثة ، وهم اولاد ابي موسى وعقبه ، وعقب ابن الصلاح ، وعقب ريطار ، من فعل ما سوى الثلث المعين من حزرما لكونهم لم يذكروا حالة انشاء هذه المدرسة .

٢٥ ويصرف في كل شهر مائة درهم الى عشرة انفس من قراء السبع ، لكل واحد عشرة . ويصرف الى قارىء اربعة وعشرون درهما كل شهر .

ويصرف الى خازن الكتب ثمانية عشر درهما في كل شهر ، وعليه الاهتمام بترميم الكتب ، واعلام الناظر او نائبه ليصرف فيه من مغل الوقف ما يفي بذلك ، وكذا اذا مست الحاجة الى تصحيح كتاب ومقابلته .

ويصرف الى شخص يكون مرتبا ونقيبا ثمانية عشر درهما . وللشيخ ان يضم اليه في بعض ذلك شخصا من الجماعة ، ويزيده على ذلك شيئا على ما يراه . ٥

وللمؤذن في كل شهر عشرون درهما ، وللبواب خمسة عشر درهما .

ويصرف الى قيمين ثلاثون درهما . وللشيخ الناظر ان يفاوت بينهما على حسب عملهما ، وان وقع الاستغناء بواحد اقتصر عليه ، وصرف اليه بعض ذلك على ما يقتضيه حاله .

ويصرف كل سنة الفان من الدراهم من مغل ثلث حزرما في مصالح التورية ، ١٠ والقائمين بمصالحها ، والمشتغلين بالحديث من اهلها ، على ما يقتضيه راي الواقف ، او من يفوض ذلك اليه .

ويصرف في شراء اوراق والات النسخ ، من حبر واقلام ، ونحو ذلك من ادوات الكتابة ، مما تقع به الكفاية لمن ينسخ في الايوان الكبير او قبالته الحديث ، او شيئا من علومه ، او القرآن العظيم ، او تفسيره . ويصرف الى من يكتب في مجالس الاملاء ، ١٥ والى من يتخذ لنفسه كتبا أو استجازة ، ولايعطى من ذلك الا لمن ينسخ لنفسه لغرض الاستفادة والتحصيل دون التكسب والانتفاع بثمنه .

وما فضل عن الاصناف المذكورين ، والجهات المذكورة ، الى تمام الف ومائتي درهم ، يصرف الى المشتغلين بالحديث ، والسامعين له . فيجعل لكل من المشتغلين ثمانيةدراهم ، ومن زاد اشتغاله زاده ، ومن نقص نقصه . ويجعل لكل من السامعين اربعة او ثلاثة ، ٢٠ ومن ترجح منهم زاده ، ومن كان فيه نباهة جاز الحاقه بالثمانية . ومن حفظ كتابا من كتب الحديث ، فللشيخ ان يخصه بجائزة . ومن انقطع منهم الى الاشتغال بالحديث ، وكان ذا اهلية يرجى معها ان يصير من اهل المعرفة ، فللشيخ ان يوظف له تمام كفاية امثاله بالمعروف. واذا ورد شيخ له علو سماع يرحل الى مثله ، فله ان ينزل بدار الحديث ، ويعطى كل يوم درهمين ، فاذا فرغ اعطي ثلاثين دينارا كل دينار بسبعة دراهم . هذا ٢٥ اذا ورد من غير الشام . فاذا كان ممن هو مقيم بالشام كان له دون ذلك ، على مايراه

الشيخ . فاذا كان صاحب العلو من المستوطنين بدمشق ، واقتضت المصلحةاستحضاره في الدار لاستماع ما عنده من العالي ، فللناظر ان يعطيه ما يليق بحاله من عشرة دنانير فما دون ذلك .

واذا اقتضت المصلحة امراً دينياً يناسب مقاصد دار الحديث ، زائدا على مانص عليه في كتاب الوقف ، فللشيخ الناظر ان يصرف ذلك من مغل الوقف ما يليق بالحالة. ٥
ومن قام بشرط جهتين ، وقدر على اتيانه بهما ، فللناظر أن يجعل له ذلك .

وللشيخ الناظر ان يستنسخ للوقف ، او يشتري ماتدعو الحاجة اليه من الكتب والاجزاء ، ثم يقف ذلك اسوة بما في الدار من كتبها .

وعليهم ان يجتمعوا في خمس ليال ، ويبتدؤوا بعد صلاة الظهر . وللناظر ان يتخذ لهم طعاماً ، وله ان يجعل بدل الطعام كل ليلة مائة . وله ان يشتري ما يليق من شمع ، ١٠
وعود يبخر به ، وكيزان ، وثلج ونحو ذلك . وله أن يتخذ في شهر رمضان طعاماً ، او يفرق عوضا عنها الف درهم بالسوية على جميع من بالدار من المرتبين والساكنين ، وذلك اذا رأى في مغل الوقف اتساعاً . ومهما كان في مغل الوقف نقص بحيث لايفي بجميع الجهات المذكورة ، فليجعل النقص في الأمور الزائدة دون الأصلية المهمة .
وليكمل المؤذن ، والقيم ، والخازن ، والبواب ، والقارىء ، والشيخ ، وقراء السبع ، ١٥
وطبقة المشتغلين ، ويخص بالنقص والحرمان السامعين . وان زاد النقص ، وتناهى الى الاهلية والقائمين بها ، وزع عليها بحسب مايراه الناظر . واذا فضل من مغل الوقف فاضل ، فللناظر ان يشتري به ملكا يقفه على الجهات المتقدمة . وله ان يستفضل شيئا من المغل لذلك . واذا رأى صرف الفاضل على أهل الدار أصلح كان له ذلك . وللناظر شراء حصر للبيوت المسكونة في علو الدار . ٢٠

هذا ما اتصل بي من كتاب وقف هذه المدرسة . وتاريخ هذه الشروط في يوم الاحد التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ؛ ونقلته من نسخة كتبت سنة خمس واربعين وثمانمائة ، وقد انقطع هذا كله في زمننا ولم يبق منه رسم ولا اثر . وانما كتبته ليرى قارىء كتابنا ما كان عليه القوم من الاعتناء بالعلوم ، واقبالهم على ترقيتها وعلى حب الحضارة والعمران ، ومن الاقبال على نصرة المدنية ، ومحو آثار ٢٥
الهمجية ، اللذين لايتمان الا بالعلوم ونشرها . وحبذا لو كانت المطابع موجودة في ذلك

العصر ، اذ لو وجدت فيه وفي العصور التي قبله لأهدت الينا كتبا وعلوما واخبارا ليس لدينا اليوم منها سوى شيء يسير !.

ثم ان دار الحديث هذه بقيت عامرة الى قبيل مجيء غازان احد ملوك التتار . فلما دخل الشام ، واتى دمشق ، رام ان يقصدها بسوء ، وكانت تهدمت زيادة تهدم ، فقام في حمايتها الشيخ زين الدين ابو محمد عبد الله بن مروان الفارقي ، المتوفى في سنة ٥ ثلاث وسبعمائة ، فتولى شؤونها ، وكف عنها يد الذين ارادوا اختلاسها . قال الشيخ ابو نصر عبد الوهاب السبكي في «الطبقات الوسطى» في ترجمة الفارقي خطيب دمشق، وشيخ دار الحديث الاشرفية ، ومدرس الشامية البرانية : اخذ الحديث عن جماعة ، وكان فقيها فاضلا ، دينا خيرا ، وقورا مهيبا ، قوي النفس ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، مصمما في دينه . وكانت ولادته سنة ثلاث وثلاثين وستمائة . ا.هـ ١٠

والذي علمناه ممن درس بها من الكبار : تقي الدين ابو عمرو ابن الصلاح ، ثم عماد الدين عبد الكريم ابن الحرستاني ، ثم الشيخ عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي المعروف بابي شامة ، ثم الشيخ محي الدين ابو زكريا يحيى النووي ، ثم زين الدين الفارقي ، فصدر الدين محمد بن عمر العثماني المعروف بابن المرحل وبابن الوكيل ، فكمال الدين محمد بن علي المعروف بابن خطيب زَمْلكا(١) بفتح الزاي وسكون الميم وفتح اللام قرية ١٥ في غوطة دمشق ، فأحمد بن محمد البكري المشهور بالشريشي ، فالحافظ الكبير جمال الدين يوسف القضاعي الحلبي الدمشقي المعروف بالمزي ، فالقاضي علي السبكي، فجماعات لم يصح الترتيب فيهم ، منهم :

الحافظ الكبير عماد الدين اسماعيل بن كثير ، والقاضي تاج الدين والقاضي بهاء الدين السبكيان ، فولي الدين عبد الله السبكي، وزين الدين عمر بن مسلم القرشي الملحي ٢٠ بفتح الميم واللام الدمشقي، وشمس الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله المعروف بالحافظ ابن ناصر ؛ ورأيت مجلدا يشتمل على ما املاه الناصر في دروسه وكله في تفسير قوله تعالى :

« لقدْ منَّ اللهُ على المؤمنينَ اذْ بعثَ فيهمْ رسولاً منْ انفسِهمْ يتلو عليهمْ آياتهِ ويزكّيهمْ ويعلّمهمُ الكتابَ والحكمةَ وانْ كانوا منْ ٢٥ قبلُ لفي ضلالٍ مبينٍ » ٣/١٦٤

(١) وتنطق الآن بفتح الزاي والميم وتسكين اللام .

وعلي بن عثمان الصيرفي شارح « منهاج النووي » ، والحافظ الكبير شيخ الاسلام احمد بن حجر العسقلاني ، ولما ولي تدريسها ، استناب قطب الدين الخيضري المتقدمة ترجمته في مدرسته ، قاله السخاوي ، وقال : لكونه امثل أهل الفن بدمشق حينئذ . ويقال انه استقر بها بعد الحافظ ابن ناصر علاء الدين الصيرفي ؛ وان ابن حجر اخذها منه.انتهى. ومنهم سيف الدين ابوبكر بن عبد الله الحريري البعلبكي . ثم درس بها جماعة يطول سرد اسمائهم .

وتلاشى امرها الى أن صارت بعد المائتين والف في حالة محزنة . فاستولت ايدي المختلسين على دار مدرسها ، ولم يبق منها الا الحجرات التحتانية ، الى ان آلت الدار لامرأة . فجاء العالم الفاضل الأديب الشيخ يوسف بدر الدين البيباني الشهير بالمغربي ، وكان محبا لدار الحديث لما كان يسمع من تاريخها وتراجم كبار المدرسين بها ؛ وكان ذلك بعد الستين ومائتين والف بقليل . ولما زارها وجدها في حالة تنذرها بمحو آثارها ، فهزته الحمية العلمية ، وجد في خلاصها من يد مختلس دارها ، فلما علمت المرأة بذلك، آجرتها لرجل مسيحي يقال له : يانكو ، وتبعته غير عثمانية ، وكان يبيع الخمر ، فجعلها حانة للمسكرات ، واخذ قسما من مسجدها ؛ وهو ماتحت القبة ، ففتح له بابا الى الدار، وجعله مخزنا لدنان الخمر . فاغتاظ الشيخ من ذلك ، وادعى لدى الحاكم أن البيت وقف على مدرس المدرسة ، واثبت ذلك بالبراهين والأدلة القاطعة . فحكم الحاكم بذلك ، واعطاه حجة بثبوت مدعاه . ورام بأخذ الدار بدون عوض ولا ثمن ، فلم يتيسر له ذلك لفقره واحتياجه ، ولم يصادف مسعفا . وحصل له بسبب ذلك مماكسات ، فنظم قصيدة طويلة يذكر فيها الواقعة ، ويهجو من لم يساعده ، وهي طويلة جدا ووجودها الآن قليل .

ولما ضاق به الحال ، خرج من دمشق وحلف أن لايعود اليها أو يجد سبيلا لضم الدار الى المدرسة . فسافر الى القسطنطينية ، فمر في طريقه على رودس ، وكان العارف الكبير الامير عبد القادر الجزائري مسجونا بها بعد ما اخرجته فرنسا من القطر الجزائري ؛ فتعرف به وزاره ، وشكى اليه امره . فسأله الأمير عن البلاد التي دخلها أيها اجمل واحسن للاقامة ؟ فقال له دمشق . فقال له : ان قدر الله لي الخلاص ، لاسكنن دمشق ، ولاخلصن لك الدار . ثم انه سافر الى القسطنطينية ، فاجتمع بها بشيخ الاسلام وقتئذ عارف عصمت بك ، فتعرف به وتقرب اليه ، ونظم هناك قصيدة في

فن الرسم ؛ وشرحها بشرح سماه « الدر المستطاب بشرح تحفة الطلاب » . ثم ان عارف بك احبه لما راى من فضله ، فقرا عليه ، واخذ عنه بعض الفنون ، وكان يحفظ مولد الشيخ الدردير ويجعله وردا له ، فشرحه له الشيخ شرحا مطولا . وفي هذه البرهة استحصل على براءة شريفة سلطانية بخطابة دار الحديث وتدريسها ونظرها وامامتها . وفي هذه المدة قدر الله الخلاص للامير عبد القادر ، واستوطن دمشق . فعاد الشيخ يوسف اليها في حدود سنة خمس وستين ومائتين بعد الالف . فاشترى الأمير الدار من ماله ، وجعلها وقفا على الشيخ وعلى ذريته من بعده . وتبرع الوجيه السري سعد الله حلابة البيروتي التاجر بعمارة باب المدرسة ، واصلاحها . ثم صارت الى الصورة التي هي عليها الآن . وحاصل امرها انها بنيت اولا ، ثم تهدمت واحترقت ، فقام بامرها الفارقي ، فرممها واصلحها ، ثم اختلس جانب منها ، وكاد الباقي ان يتبعه ، فقيض لها الله اهل الخير بواسطة الشيخ يوسف المغربي . وفي سنة ثلاثين وثلاثمائة بعد الألف احترق السوق الذي وراءها واحترق جانب منها . فسعى بعض اهل الخير في اعمالها وهي الآن تعمر . واما اوقافها ومرتباتها ، فقد اختلست منها من امد بعيد ، واصبحت فقيرة . ورايت فوق بابها بالحائط حجراً مكتوبا فيه بعد البسملة : عمرت هذه الدار المباركة بعد احتراقها وانهدامها بنظارة الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام بركة الشام زين الدين عبد الله بن مروان الفارقي الشافعي وذلك في سنة [1] وستمائة ومكتوبا بجانبه هذه الأبيات :

هذه دار حديث المصطفى — من عليه الله صلى كل حين

جد في تجديدها قاضي القضا — مخلصا لله رب العالمين

ولسان السعد نادى اهلها — ادخلوها بسلام آمنين

شكر الله له السعي بها — وجاء النصر والفتح المبين

فهي افق لبدور العلم كالنووي الحبر والسبكي المكين

فاتى تاريخها — نعم أجر العاملين

هنا كلمات لم تظهر لي . — سنة ١٢٦٦

---

(١) كذا في الاصل .

وبجانبها ايضا :

هذه مدرسة قد اشرقت	بحديث المصطفى الهادي العميم
جد سعد الله في تجديدها	مخلصا لله مولانا الكريم
فجزاه الله من افضاله	أرخن بجدة الاجر العظيم
	سنة ١٢٩٠

٥

وهو تاريخ بناء سعد الله افندي حلابه لبابها .

واطلعني الشيخ احمد بدر الدين ولد الشيخ يوسف بدر الدين على قصيدة لاحد ادباء حلب واسمه الشيخ مصطفى ، يمدح بها والده ، ويشير بها الى ان الشيخ كان سببا في تجديد جامع العفيف الذي هو في صالحية دمشق . منها :

١٠

والجامع البدر انشا العفيف عفا	فكنت محي له اذ زدته مددا

ومنها :

والقطب شمس نوى أولاك مظهره	نعمت فيه بحق واضح وهدى
بمت ساحة دار للحديث وقد	صارت رميما وباب القبر منسدى
فساعد الله في بدء عيشي كرما	يتم بالحسن والاحسان كيف بدى

١٥

وبيت التاريخ :

دار الحديث زهت منه مؤرخة	شمس الضحى اوجها ارخت سرغدا

ومن هذا يعلم تاريخ السعي في انشائها ، وتاريخ انشائها ، وعمارة بابها ، فجزى الله المحسنين خيرا .

دار الحديث (الأشرفية الثانية)

٢٠

وهي الاشرفية البرانية المقدسية . وهي ، كما في « تنبيه الطالب » وغيره ، بسفح قاسيون على حافة نهر يزيد ، تجاه تربة الوزير تقي الدين التكريتي ، وشرقي المدرسة الاسدية الحنفية وغربي الاتابكية الشافعية . بناها الملك الاشرف مظفر الدين موسى ابن العادل باني دار الحديث الاشرفية المتقدمة لاجل الحافظ ابن الحافظ جمال الدين عبد الله بن تقي الدين عبد الغني المقدسي ، ووقف عليها خمس ضياع بالبقاع : الدير ،

والدوير ، والتليل ، والمنصورة ، والشرقية ، ولها بيت ابن النابلسي المعروف بالشكك ، والجنينة ، وحكر حارة الجوبان . ومات الحافظ المبنية لأجله قبل اتمام بنائها .

قال الذهبي : بنى له الملك الأشرف دار الحديث بالسفح ، وجعله شيخها ، وقرر له معلوما ، فمات قبل فراغها. واول من درس بها ؛ القاضي شمس الدين محمدابن ابي عمر، ثم محمد بن عبد الواحد ، ثم شرف الدين عبد الله المقدسي ، ثم سليمان بن حمزة ، ثم ابنه عز الدين محمد ، فولده بدر الدين ، ثم صار كل من يتولى قضاء الحنابلة يتولاها ؛ وان لم يكن اهلا للتدريس بها ، كما استقرت عليه عادة المدارس في عدم الأهلية الى يومنا هذا . وكان للمدرسة وظيفة اعادة .

اقول : وقفت على هذه المدرسة اثناء تأليفي لهذا السفر وقفة باهت متحير مما انزلها من اوجها بعد عزها . فرأيتها عن يمين الطريق العظمى التي تمر امام الأتابكية ، وتذهب الى جهة الغرب الشمالي ، الى المحلة التي انشئت حديثا وسميت بحارة المهاجرين . ورأيت جدارها الشمالي قائما لم يغيره طول الزمان ، ولا كر الحدثان . وهو مبني بالحجارة الصفر . ومحلتها الآن يقال لها حارة عرودك . وبجانبها الشرقي الجنوبي باب يصار منه الى قبة مبنية ببناء متين ، لكنما أعلاها قد تهدم ، وبها باب يدخل منه الى المدرسة وقد اتخذها الآن الناس الذين هناك مخزنا لقش الحصر . واما المدرسة فانها اختلست ، وصارت دورا للسكنى ، وجنائن لزرع الزهور والرياحين ! وامامها ساحة فسيحة ، وهي متنزه عجيب ابدع من اختها المتقدمة ، واتقن بناء وأتم هندسة . غير ان الحظ ساعد أختها ، فبعث الله لها من احياها بعد اندراسها ، وهذه تبكي على ايامها وتستغيث فلا تجد مغيثا ، وتستنصر فلا تجد ناصرا فسبحان الدائم ! وفوق بابها حجر محفور فيه ماصورته بعد البسملة :

اوقف هذه المدرسة المباركة ، ابتغاء لوجه الله تعالى ، المولى السلطان ، العالم العادل، المظفر المؤيد المنصور ، الملك الأشرف مظفر الدين ابو الفتح موسى ابن المولى السلطان الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب تقبل الله منه واثابه الجنة ، على الحنابلة المحدثين . وأوقف عليها نصف دير ارغى بالبقاع العزيز ، وربعها ومزارعها في سنة أربع وثلاثين وستمائة .

ونص هذا الوقف هنا لاينافي ما تقدم ، لأن هذا كان عند البناء ، والزائد عليه كان بعده . ولو استطعنا وصفها بالمعاينة ، لظفرنا بايضاحات اكثر من هذه . ولكن تغير

أحوالها ، وتبدلها منع من ذلك . وكأني بمعاهدها تندب أهلها ، ورجالها الذين كانوا بها ، وتنشد قول ابي العلاء :

كانما الخير ماء كان وارده   اهل العصور فما ابقوا سوى العكر

ومن اتصل بنا خبره من اساتذتها شمس الدين عبد الرحمن ابن ابي عمر محمد ابن احمد بن قدامة المقدسي شارح « المقنع » في عشر مجلدات . وهو اول من رتب لها ، واول من ولي قضاء الحنابلة . فالامام محمد بن عبد الرحيم بن عبد الواحد المقدسي المعروف بابن الكمال ، فالقاضي حسن بن ابي بكر المقدسي ، فتقي الدين سليمان بن حمزة ، فشرف الدين الفالق النابلسي ، فتقي الدين المقدسي ، فولده عز الدين ، ثم صار تدريسها لمن يتولى قضاء الحنابلة .

١٠

ترجمة واقفها

الملك الأشرف
موسى
٥٧٦-٦٣٠

قد علم مما مر ان الذي بنى هذه المدرسة ، والتي قبلها الملك الاشرف مظفر الدين موسى ابن العادل وترجمته في القسم الاول السياسي من هذا الكتاب فلا نطيل بها هنا وكانت وفاته سنة ثلاثين وستمائة[1] .

حرف البـاء

١٥

دار الحديث (البهـائية)

بهاء الدين المظفر
٦٢٩-٧٢٣

هي داخل باب توما ، وكانت داراً للشيخ بهاء الدين ابي محمد القاسم ابن الشيخ بدر الدين ابي غالب المظفر ، فاوقفها آخر عمره دار حديث . وولي تدريسها الشهاب الأذرعي المشهور ، ثم شمس الدين ابو المحاسن الحسيني الدمشقي . هذا ما رأيته في « تنبيه الطالب »[2] .

---

(١) كذا في الاصل وفي رواية اخرى : كانت وفاته سنة ست وثلاثين .

(٢) بعد هذا الكلام يوجد في الاصل بياض قدره أحد عشر سطرا ، لعل المؤلف تركها ليضيف معلومات جديدة فما تيسر له ذلك . وهذا كثير في طيات الكتاب وسننبه اليه — ان شاء الله — في حينه .

حرف الحـاء

دار الحديث (الحمصية)

هذه لم تكن دار حديث مستقلة ، وانما كانت حلقة في الجامع الأموي لاقراء الحديث . وكان لها وقف يقوم بمصالحها . قال في « تنبيه الطالب » ، وتبعه البقاعي : لم نقف لواقفها على ترجمة . ودرس بها الحافظ المزي ، ثم الحافظ صلاح الدين العلائي خليل ابن كيكلدي في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة . قال في « العبر » : اورد العلائي بحلقة ابن صاحب حمص درساباهرا نحو ستمائة سطر ، وكان ذلك بحضرة القضاة. ا.هـ وستأتي ترجمته في محلها .

حرف الدال

دار الحديث (الدوادارية) والمدرسة والرباط

وقفها الامير علم الدين سنجر التركي الصالحي الدوادار داخل باب الفرج . وكان مكانها رواقا له أولا ، فجعله دار حديث ومدرسة سنة ثمان وتسعين وستمائة . قاله ابن كثير . وأول من وليها : الشيخ علاء الدين علي بن ابراهيم الشهير بالعطار ثم الشيخ نور الدين محمد بن نجم الدين ابي بكر محمد الشهير بابن قوام البالسي الدمشقي ولد سنة سبع عشرة وسبعمائة ، وسمع جماعة وتفقه ، وكان يحب السنة ، ويفهمها جيدا ، توفي سنة خمس وستين وسبعمائة .

اقول : ان هذه المدرسة درست ، ولم يعلم مكانها على سبيل التحقيق ، ولكننا نشير اليه على سبيل الاشارة . فاما باب الفرج فهو الباب الموجود الآن بالقرب من القلعة، في السوق التي يقال له الآن المناخلية المركب بعضه على نهر بردى الذي يتوصل منه الى الدرب العمومي(١) . وهو باب متين قال الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » : باب الفرج من شآمي البلد ، يعني من جهتها الشمالية ، احدثه الملك العادل نور الدين ، وسماه بذلك تفاؤلاً لما وجد من الفرج لاهل البلد بفتحه . وكان بقربه باب يسمى : باب العمارة،

---

(١) المسمى الآن بشارع الملك فيصل .

فتح عند عمارة القلعة ، ثم سد بعد ، واثره باق في السور. انتهى . وباب الحديد بالحاء
المهملة ، من شآمه ايضاً . وهو الآن خاص بالقلعة التي احدثت غربي البلد في دولة
الاتراك . سمي بذلك لانه كله حديد ، فقيل له : الباب الحديد ، ثم تركت الالف واللام
تخفيفا ، ثم صحفته العوام فقالوا الباب الجديد بالجيم . وكان الاتراك ينزلون منه ،
٥ ويطلعون منه سرا . ويجوز الخارج منه على جسر من خشب ، من تحته الخندق الدائر
بالقلعة ، ينوف عمقه على مائة ذراع بذراع العمل . به يتخزن الماء ، وينبت الشوص ،
وغير ذلك . وهو غير خندق المدينة . واصطلح في آخر دولة ابن قلاوون ان من يلي
نيابة دمشق يصلي عند هذا الباب ركعتين ، مستقبلا للقبلة ، بحيث يبقى الباب عن
يساره ، وتقف اجناد القلعة ، وارباب الوظائف والادارات في منازلهم على حسب العادة،
١٠ حاملين السلاح الى ان يفرغ من صلاته ودعائه. فان اريد به شر قبضوا عليه، ودخلوا به ،
وقلبوا الجسر بينه وبين اعوانه . والجسر بلوالب ، فيحال ما بينه وبين اعوانه . وان
اريد به خيرا ركب في عزة ، ومعه وجوه الدولة ، وهم في خدمته ، الى ان ينزل بدار
العدل التي انشاها المرحوم نور الدين وكانت تسمى بدار السعادة وهي تلي باب السر .
وعلى بابها باب النصر فتحه الملك الناصر ابن ايوب للمدينة . وبهذا علم محل باب الفرج .
١٥ ثم انك اذا خرجت منه متوجها نحو الجنوب ، اعترضك طريقان : احدهما عن يسارك ،
ومنه تصل الى سوق العمارة ، وليس فيه مدرسة ولا اثر لها ، الا ان يكون ثمة اثر داخل
الدور . ثم بعد كتابتي لهذا هدمت الحوانيت التي كانت هناك فظهر باب المدرسة وقد
صارت دورا . وثانيهما عن يمينك ، ويمر الى شرقي القلعة . وعن يسار الذي يجتازه
طريق آخر ذو شعب ، توصل شعبة منه الى المدرسة العادلية ، ثم الظاهرة[1] . وغربي
٢٠ العادلية ، في شمالي الزقاق ، تجاه الزقاق الذاهب الى العصرونية باب يشير بنفسه الى
انه باب مدرسة . وبجانبه من الغرب جدار مبني بالحجارة المتينة ، وهو شاهق ، ويدور
مع الزقاق الى الجانب الغربي الموصل الى باب الفرج . وهو يشير ايضاً الى انه كان جدارا
لمدرسة عظيمة تشابه العادلية الكبرى . وهذا المحل كله قد اختلس ، وصار دورا
للسكنى ! فيمكن ان يكون ذلك الاثر هو الدال على مكان المدرسة الدوادارية ، ودار
٢٥ الحديث التي كانت بها ، وعلى الرباط الذي بني بها ، لان ذلك المكان واسع ، يمكن أن
يحتوي على جميع ذلك والله اعلم .

---

(١) كذا في الاصل والارجح انها الظاهرية المعروفة .

ترجمة واقفها

علم الدين سنجر
٦٢٠-٦٩٩

هو الامير علم الدين سنجر المتقدم . قال الحافظ الذهبي في « العبر » : كان من نجباء الترك وشجعانهم ، وعلمائهم ، وله مشاركة جيدة في الفقه والحديث ، وفيه ديانة وكرم ، وله في دمشق والقدس اوقاف كثيرة تحيز الى حصن الاكراد . ولد سنة نيف وعشرين وستمائة ، وتوفي سنة تسع وتسعين وستمائة . وقال الصلاح الصفدي في ٥
« تاريخه » :

قدم من الترك في حدود سنة اربعين وستمائة ، وكان مليح الشكل ، مهيبا ، كبير الوجه ، خفيف اللحية ، صغير العينين ، ربعة من الرجال ، حسن الخلق والخلق ، فارسا، شجاعا ، دينا ، خيرا ، عالما ، فاضلا ، مليح الخط ، حافظا لكتاب الله . حفظ «الاشادة في الفقه لسليم الرازي » ، واعتنى بالحديث وحفظه ، وكان من الأمراء في ايام الظاهر ، ١٠
ثم اعطي الامرة بحلب ، ثم قدم دمشق وولي الشدودة ، ثم كان من اصحاب سنقر الاشقر ، ثم امسك ، ثم اعيد الى رتبته ، ثم اعطي خبزا وتقدمة على الف . وتقلبت به الاحوال ، وعلت رتبته في دولة الملك لاشين ، وقدمه على الجيش في غزوة سيس . وكان لطيفا مع اهل الصلاح والحديث ، يتواضع لهم ، ويحادثهم ، ويؤانسهم ، ويصلهم . وله معروف كثير ، واوقاف بدمشق والقدس . وكان مجلسه عامرا بالعلماء ، والشعراء ، ١٥
والأعيان ، وسمع الكثير بمصر والشام والحجاز . وروى عن زكي الدين عبد العظيم المنذري ، والرشيد العطار ، وجماعة . وسمع جماعات بمكة ودمشق ، والاسكندرية ، وحلب ، وانطاكية وبعلبك ، والقدس ، وتوص ، والكرك ، وصفد ، وحماة ، وحمص ، والفيوم ، وجدة ، وطيبة[1] . وقل من انجب من الترك مثله . وسمع منه خلق ، وشهد الوقعة وهو ضعيف ، ثم التجأ باصحابه الى حصن الاكراد ، فتوفي فيه ليلة ٢٠
الجمعة ثالث شهر رجب . فانظر الى ماكانوا يعتنون به من العلم ، ويطوفون لاجله البلاد البعيدة ، مع قلة الوسائط في زمانهم ! وانظر الى امرائهم كيف كانوا ! وقال الصفدي : وكان الشيخ فتح الدين خصيصا به ينام عنده فقال لي يوما : كان الأمير علم الدين قد لبس الفقيري وتجرد ، وجاء مكة فجاورها ، وكتب الطباق بخطه ، وكان في وجهه آثار الضروب من الحروب ، وكان اذا خرج الى غزوة خرج والى جانبه شخص يقرأ ٢٥
عليه احاديث الجهاد ، وقال : ان السلطان حسام الدين لاجين رتبه في عمارة جامع

(١) تكرر ذكر طيبة في الاصل والظاهر انه سبق قلم من المؤلف .

طولون ، وفوض اليه أمره ، فعمره وعمر اوقافه ، وقرر فيه دروس الفقه والحديث ، وجعل من ذلك وقفا يختص بالديوك التي تكون في مكان مخصوص من سطح الجامع ، وزعم أنها تعين الموقتين ، وتوقظ المؤذنين بالأسحار ، واثبت ذلك ضمن كتاب الوقف. فلما قرئ على السلطان اعجبه ما اعتمده في اوله ، ولكنه لما انتهى الى ذكر الديوك انكر ذلك ، وقال ابطلوا هذا لايضحك الناس علينا . وكان سبب اختصاص فتح الدين به انه سال الشيخ شرف الدين الدمياطي يوما عن سنة وفاة الامام البخاري فلم يستحضر التاريخ ، فسال الامير سنجر عن ذلك فاجابه ، فاختص به . وغالب رؤساء دمشق ، وكبارها وعلمائها نشاوه في ذلك الزمن . وقد ترجمه ابن الزملكاني واثبت القصائد التي مدح بها في مجلدتين . وكتب اليه علاء الدين الوداعي في وفاة ولده عمر :

قل للأمير وعزّه في نجله ... عمر الذي أجرى الدموع اجاجا
حاشاك تظلم ربع صبرك بعدما ... امسى لسكان الجنان سراجا

وقال فيه لما اخذ في دويرة السميساطي بيتا :

لدويرة الشيخ السميساطي من ... دون البقاع فضيلة لا تجهل
هي موطن للأولياء ونزهة ... في الدين والدنيا لمن يتأمل
كلت معاني فضلها مذ حلها العلامة الفرد الغياث المؤمل
اني لأنشد كلما شاهدتها ... ما مثل منزلة الدويرة منزل

ابـواب (دمشق)

لما كان لمعرفة ابواب دمشق فائدة كبيرة اثناء التعريف بالمدارس القريبة منها ، وتقدم بعض من بيانها ، ردفنا هنا بيان ذلك بالباقي منها ليكون كالتتمة والايضاح . فقلنا : من تأمل الآثار الموجودة بدمشق ، علم يقينا بأنها كانت في سابق اعوامها معقلا حصينا ، وموطنا حربيا مهما بالنسبة الى الفن الحربي الذي كان في تلك الأيام . ومن وقف امام ابوابها ، ورأى سورها الذي كان محيطا بها احاطة السوار بالمعصم ، والخندق المحيط به ، تجلت له ابهة الجلال ، وتصور تحصينها أيام كانت فيها محاصرة وهي تدافع عن حوزتها ، واسودها يحمون ذلك العرين ، ويحنون لصلصلة السيوف ، ويرتاحون للمعانها ، ورأى سطور البطش والسطوة مرسومة على سورها وابوابها . كما أنه اذا تأمل مدارسها ، علم منها شدة اعتناء اهلها بالعلوم ، واعتناء ابطالها بآلات الحرب ، وشغفهم بها ، ومهارتهم في تحقيقها ، ومعرفة طرق ادائها ، وشغف اسودها ومهارتهم بفنون الحرب ، والشجاعة ، والاقدام . فليعلم المتأمل الجهتين ، وليتفكر في آثار الموضوعين . ولنرجع لما كنا بصدده فنقول :

قد تقدم التعريف **بباب الفرج** ومكانه . وهذه الابواب الخمسة المتقدمة جميعها حادث ، وهي فيما بين باب الجابية وباب الفراديس الا باب السلامة . ولم يبق موجودا منها الآن الا باب الفرج واخبرني الثقات انه كان باب عظيم في اول السوق المعروف الآن بسوق الأروام من جهة الغرب بالقرب من سراي العسكرية ، فلما بني السوق على الهيئة الموجودة الآن ، هدم فلم يبق له أثر .

واما **باب الجابية** فهو من غربي البلد . قال ابن عساكر في « تاريخه » : هو منسوب الى قرية الجابية لأن الخارج اليها يخرج منه لكونه مما يليها . وكان هذا الباب ثلاثة ابواب : **الأوسط** منها كبير ، ومن جانبيه بابان صغيران ، على مثال ما كان الباب الشرقي . وكان من الثلاثة ابواب ثلاثة أسواق معقدة من باب الجابية الى الباب الشرقي ؛

كان الاوسط من الاسواق للناس ، واحد السوقين لمن يشرق بدابته ، والآخر لمن يغرب بدابته ، حتى انه كان لايلتقي فيها راكبان . فسد الباب الكبير والشمالي منهما ، وبقي القبلي الى الآن .

اقول : وهذا الباب الباقي مبني بحجارة ضخمة ، وفوقه صخرة عظيمة قد وضع طرفاها فوق عضادتيه ، ومكتوب فوقها ما يشير الى انه تطرق اليه بعض انهدام ؛ فجدده الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل ، وهو الذي بنى سور دمشق بعد انهدامه ، وبنى طارمة على باب الحديد . وهذا الباب يقرب من جامع السنانية ، وبجانبه عن يسار الخارج منه تربة يقال للمدفونة بها الست جابية ، وبجانبها سويقة ، حوانيتها صغيرة ، وطريقها ضيق جدا ، وهي الباشورة التي بناها نور الدين الشهيد ، ولها باب بجانب باب جامع السنانية الشرقي الصغير . وهذا الباب مبني بالحجارة الضخمة ايضا ، ومحفور على الحجر الذي باعلاه من الخارج بعد البسملة :

امر بعمارة الباشورة والقبو مولانا الملك العادل السعيد نور الدين ابو القاسم محمود ابن زنكي بن اق سنقر ضاعف الله له الثواب وغفر له ولوالديه يوم الحساب ابتغاء مرضاة الله سنة سبع وستين وخمسمائة .

وآثار الابواب ظاهرة من شماله ، وكذا آثار الاسواق الثلاثة التي اشار اليها ابن عساكر . وقد ظهر منذ عهد قريب اعمدة ضخمة جدا مطمورة في محلة الخراب ، فنقل واحد منها الى الجامع الاموي حين بنائه كما سيأتي ، فما وصل اليه الا بعد الجهد لعظمه . وهذا مما يدل على ان تلك الاسواق الثلاثة كانت معقودة بالاحجار العظيمة . ثم يلي باب الجابية **الباب الصغير** وهو الباب القبلي للبلد . قال ابن عساكر : سمي بذلك لانه كان اصغر ابوابها حينما بنيت . ا.هـ وهو باق الى الآن بمصلبة الشاغور . ومن جانبه الغربي زقاق يقال له زقاق الصمادية ، ومن شرقيه طريق يوصل الى حارة الزط ، وبناؤه قوي متين . واخبرني بعض سكان تلك الجهة انه كان في قبلته باب آخر نظيره ، فهدم في حدود تسعين ومائتين بعد الالف ، وجعل مكانه حوانيت للبيع والشراء . والظاهر ان هذا كان هو الاصل ، وان الموجود الآن احدث بعده .

ثم يلي هذا الباب من القبلة الى الشرق **باب كيسان** . قال ابن عساكر : ينسب الى كيسان مولى معاوية . وذكر هشام بن محمد الكلبي انه منسوب الى كيسان مولى

بشر بن عبادة بن حسان بن جبار بن قرط الكلبي الكليبي ، وهو الآن مسدود . ولم يزل مسدودا الى عهدنا هذا .

ثم يليه **الباب الشرقي** سمي بذلك لانه شرقي البلد ، وكان ثلاثة ابواب : باب كبير في الوسط وبابان صغيران الى جانبه ، سد منها الكبير والباب الصغير الذي من قبلته ؛ وبقي الصغير الشمالي . قاله ابن عساكر . وهذا الباب لم يزل موجوداً الى الآن ، وهو على نمط باب الجابية الباقي .

ويليه **باب توما** وهو من شمالي البلد ، ينسب الى عظيم من عظماء الروم اسمه توما وكانت له على بابه كنيسة جعلت بعد ذلك مسجداً ، وهو مسجد لطيف وموجود الى الآن .

وباب الجنيق من الشمال ايضاً منسوب الى محلة الجنيق وكانت محلة كبيرة وبها كنيسة فجعلت بعد مسجداً . قال ابن عساكر : وهو الآن مسدود. أ.هـ وهذه المحلة هي ما بين باب توما وباب السلامة خارج السور وتسمى محلة القرابين . والباب لم يزل مسدوداً الى زمننا .

باب السلامة وهو مشهور الآن بباب السلام ، وهو من شمالي البلد ايضاً ، سمي بذلك تفاؤلاً ، لان القتال كان لايتهيأ على البلد من ناحيته لما دونه من الاشجار والانهار . وهذا الباب مما احدثه المرحوم نور الدين محمود بن زنكي ثم تهدم مما توالى عليه من الحروب ، ثم جدده الملك العادل كما يظهر من آثاره . وقد رأيته فوجدته بابا متينا عظيما نظير غيره من الابواب الباقية ، ومعلق داخله من الشمال حجر من احجار المنجنيق ، ومكتوب على الصخرة التي فوقه بعد البسملة :

جددت عمارة هذا الباب السعيد في ايام مولانا السلطان ، الملك الصالح ، السيد الاجل ، العالم العابد ، المجاهد المؤيد المظفر المنصور ، نجم الدنيا والدين ، سلطان الاسلام والمسلمين ، منصف المظلومين من الظالمين ، قاتل الكفرة والمشركين ، ماحي البغي والفساد ، دافع المفسدين في البلاد ، مقر الاسلام ، غياث الانام ، ركن الدين والملة والامة ، علاء الامة ، سعد الملوك والسلاطين ، السلطان الملك العادل ابو بكر بن ايوب الناصر امير المؤمنين ، بتولي العبد الفقير يعقوب بن ابراهيم بن موسى سنة احدى واربعين وستمائة . وغالب الابواب مكتوب عليها كتابات تشبه هذه ، وقد تركت نصها خوف التطويل ، واهدم جدواها .

وباب الفراديس من شمالي البلد ايضا . وهو الآن في سوق العمارة الممتد الى جامع بني امية . وهو باب متين ايضا بالقرب من نهر بردى ، وفي داخله باب ايضا عند المقدمية . وكلاهما مبني بالصخر العظيم . قال ابن عساكر : وهذا الباب منسوب الى محلة كانت خارج البلد تسمى الفراديس ، وهي الآن خراب . وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسد . والفراديس بلغة الروم البساتين .

وقال ايضا : **باب الجنان** من غربي البلد ، سمي بذلك لما يليه من الجنات وهي البساتين ، وقد كان مسدوداً ثم فتح . انتهى

اقول : يمكن ان يكون هو الذي كان عند سوق الاروام ثم هدم ، او غيره . وبالجملة فلم يبق من الابواب ظاهرا للعيان ومشهورا ، سوى سبعة ابواب : باب الجابية ، باب الصغير بالشاغور ، باب شرقي ، باب توما ، باب السلامة ، باب الفراديس ، باب الفرج . ومابقي فهو اما مسدود او مهدوم . واما السور فمن باب الجابية الى باب الفراديس قد بقي على حاله ، لم يطرا عليه سوى بعض الانهدام والنقض . ومنه الى باب الجابية لم يوجد سوى شيء يسير من أطلاله .

قال ابن عساكر : وفي السور ابواب صغار غير ماذكرنا ؛ تفتح عند وجود الحاجة اليها ، منها : باب في حارة الحاطب يعرف بباب ابن اسماعيل ، وباب في المربعة انتهى . وغالب هذه الابواب القديمة بنى نور الدين عليها منائر ، وجعل لكل منارة مسجدا ، وجعل لكل باب باشورة كالسويقة ، بها حوانيت مملوءة بالبضائع . فاذا حصنت المدينة ، وقفلت الابواب ، استغنى أهل كل باب من هذه الابواب بما عندهم . وهو مقصد جميل . وقال الفاضل حسن ابن المزلق المعروف بالتقي البدري في كتابه «نزهة الانام في محاسن الشام » : كانت صور الكواكب على هذه الابواب ؛ فزحل على باب كيسان ، والشمس على الباب الشرقي ، والزهرة على باب توما ، والقمر على باب الجنيق ، وعطارد على باب الفراديس ، وعلى باب الجابية المشتري ، وعلى الباب الصغير المريخ . هذا كلامه ؛ وليس بمستبعد في نظر التاريخ لأن الاقدمين سكان سورية كانت لهم عناية عظيمة بالكواكب ، وبناء الهياكل لها ، واستخدامها بزعمهم ؛ كما تدل على ذلك الآثار الباقية من القرون الخالية . ومن مثل هذا نشأت عبادة الكواكب ، والاوثان والاصنام . فكانوا يصورون كل كوكب بصورة شيء يميل ذلك الكوكب بدلالته عليه . وجاماسب الحكيم لما تكلم على قرانات الكواكب أشار اليها برموز صورها التي توجد احيانا في الحفريات .

فكانوا يصورون **زحل** في صورة شيخ في يمينه راس رجل ، وفي يساره يده ، وهو راكب على ذئب يحرك له بعصاه . وتارة يصورونه راكبا على فرس ، وفي راسه مغفر ، وفي يساره ترس ، وفي يمينه سيف .

ويصورون **المشتري** في صورة كهل ، في يمينه سيف مصلت ، وفي يساره قوس ، وهو راكب على فرس ، وفي عنقه سبحة . ويصورونه ايضا بصورة رجل جالس على كرسي ، عليه اثواب ملونة ، وفي يساره خيزرانة .

ويصورون **المريخ** بصورة شاب راكب على اسدين ، وفي يمينه سيف مصلت ، وفي يساره طبرزين[1]. ويصورونه ايضا بصورة شاب اشقر ، راكب على فرس اشقر ، في راسه مغفر ، وفي يساره رمح فيه علامة ، وفي يمينه راس رجل ، ولباسه احمر .

ويصورون **الشمس** بصورة رجل ، في يمينه عصا متكيء عليها ، وهو راكب على وردنون يحمله على اربعة ثيران ، وفي يساره خرز . ويصورونها ايضا بصورة رجل جالس ، وجهه كالطوق ، ومعه تمثال أربعة أفراس .

ويصورون **الزهرة** بصورة امراة ، عندها عود تضرب به . او بصورة امراة جالسة ، مرسلة شعرها ، وذوائبها في يدها اليسرى ، وفي يمينها مرآة تنظر فيها ، ولباسها اصفر واخضر ، وعليها الطوق والسوار والخلخال .

ويصورون **عطارد** بصورة شاب راكب على طاووس ، وفي يمينه حية ، وفي يساره لوح يقرا فيه . ويصورونه ايضا بصورة رجل جالس على كرسي ، وفي يده كتاب ، وعلى راسه تاج او شيء من الملبوس ، وعليه ثياب ملونة .

ويصورون القمر بصورة رجل في يمينه حربة ، وقد عقد في يساره ثلاثين كانه يحسب ثلاثمائة ، وفي راسه تاج ، وهو راكب على وردنون يحمله اربعة افراس .

هذا ماكان عليه اصحاب فن احكام النجوم . ويمكن ان تكون الصور التي كانت على الابواب من هذا القبيل ، وضعوها لغاية لهم اقتضتها صناعة فن النجوم والله أعلم .

---

(١) الطبرزين والطبر الفاس من السلاح والكلمتان من الدخيل .

حرف السين

المدرسة (السامرية)

هي بالقرب من محلة مئذنة الشحم بزقاق المرحوم الشيخ المسلك الدسوقي ، وبها خانقاه ايضا ، وهي التي الى جانب الكروسية الآتية والسامرّية بفتح الميم وكسر الراء مشددة ، نسبة الى بانيها الصدر الكبير سيف الدين ابي العباس احمد بن محمد بن علي جعفر البغدادي السامرّي ، نسبة الى « سر من راى » بلدة على الدجلة . وينسب اليها ايضا بلفظ السرمري . وكانت قديما تعرف بدار ابن قوام . وكان بناؤها من حجارة منحوتة كلها . فاشتراها السامري ، وجعلها دار للسكنى ؛ ثم وقفها دار حديث وخانقاه بعد ان قام بهذه الدار مدة . ودفن بها .

قلت : وهذا الزقاق مشهور الآن بزقاق السلمي ، وهو مقابل للزقاق الذي وراء سوق البزورية من جهة الشرق . وقد صارت الآن دورا للسكنى ؛ فانمحى اثرها ، واندرست اطلالها ، ولم يبق منها سوى احجار في اساس جدار تشير اليها ! وسيأتي ايضاح لمحلها عند الكلام على اختها الكروسية التي اصابها ما أصاب هذه .

ترجمة واقفها

سيف الدين السامرّي ...-٦٩٦

اوقفها واوقف الخانقاه التي كانت بها ، الصدر الكبير سيف الدين ابو العباس احمد ابن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السامرّي بفتح الميم وتشديد الراء نسبة الى مدينة سرمن راى كما تقدم . وكان المترجم كثير الاموال ، حسن الاخلاق معظما عند الدولة ، له اشعار رائقة ، ومبتكرات فائقة ، توفي سنة ست وتسعين وستمائة . وكان له ببغداد حظوة كبيرة عند الوزير ابن العلقمي ؛ وامتدح المعتصم وخلع عليه خلعة سوداء سنية . ثم قدم دمشق في ايام الناصر صاحب حلب ؛ فحظي عنده ايضا ؛ فسعي به اهل الدولة، فصنف فيهم ارجوزة فتح عليهم بسببها باب مصادمة ؛ فصادمهم الملك لاجل ذلك بعشرين الف دينار ؛ فعظموه جدا وتوصلوا به الى اغراضهم . وله قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ عماد الدين ابن كثير في « تاريخه » في سنة ست وثمانين وستمائة :
وفيها استدعي سيف الدين السامري من قبل الناصر من دمشق الى الديار المصرية ؛
ليشتري منه ربع قرية حزرما الذي اشتراه من بنت الملك الأشرف موسى . فذكر لهم انه
وقفه ؛ وقد كان المتكلم في ذلك علم الدين السنجاقي ؛ وكان قد استنابه الملك المنصور
بديار مصر وجعل يتقرب اليه بتحصيل الاموال . فقرر لهم ناصر الدين محمد بن عبد ٥
الرحمن المقدسي ان السامري اشترى هذا من بنت الملك الأشرف وهي غير رشيدة ؛
واثبت سفهها على زين الدين بن مخلوف ، وابطل البيع من اصله ، واسترجع على
السامري بمغل عشرين سنة مائتي الف درهم ، اخذوا منه حصة من الزنبقية قيمتها
سبعون الفا وعشرة الاف مكملة ، وتركوه فقيرا على برد الديار . ثم اثبتوا رشدها ،
واشتروا منها تلك الحصص بما ارادوا . ثم ارادوا ان يستدعوا بالدماشقة واحدا بعد ١٠
واحد ويصادروهم ، وذلك انه بلغهم انه من ظلم بالشام لايفلح ومن ظلم بمصر افلح .
وطالت مدته ؛ فكانوا يطلبونهم الى مصر ارض الفراعنة والظلم ، ويفعلون بهم ماارادوا .
انتهى كلامه .

دار الحديث (السكرية)

هي بالقصاعين داخل باب الجابية ، وبها خانقاه ؛ قاله النعيمي والبقاعي وقالا : لم ١٥
نقف لواقفها على ترجمة .

اقول : هما لم يقفا لواقفها على ترجمة ، ونحن لم نقف لها على اثر ! ولقد وقفت
حذاء باب الجابية ؛ فرايت بجانبه من القبلة زقاقا يسمى الآن زقاق البرغل ، ثم مشيت
مشرقا نحوا من سبعين خطوة ، فرايت بالجانب القبلي مسجدا ، سقفه معقود بالحجر ،
وهو قديم قد بدا لاعلاه ان يسقط . وفي جانبه قبر ، مكتوب على الشباك المقابل له: هذا ٢٠
قبر سيدي سركس ، بخط حديث . وأمام هذا الجامع من الشمال بركة ماء ، عليها آثار
القدم . فلعل هذا الجامع هو الخانقاه ، والمدرسة هي الدور التي بجانبه . ويمكن أن
تكون المدرسة والخانقاه في جانب تلك البركة ، ثم اخنى عليها الزمان ، ودخلت في السوق
فصارت حوانيت . والحاصل أنها قد اندرست آثارها ، وذهبت رسومها ؛ واخنى عليها
الذي اخنى على لبد[1] . ٢٥

---

(١) أصل البيت وهو للنابغة الذبياني :

اضحت خرابا وامسى اهلها احتملوا — اخنى عليها الذي اخنى على لبد

وقد تولى مشيختها قديما العلامة شهاب الدين عبد الحليم ابن تيمية ، ثم ولده الامام شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية(١) ، ثم الامام شيخ المحدثين قدوة الحفاظ والقراء محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، ثم صدر الدين سليمان المالكي . ثم بعدكتابتي لذلك ، اطلعت على رسالة سماها صاحبها «الكلام على بناء التدمري»
٥ فكان محصلها : ان الامام شيخ الاسلام احمد بن تيمية كان ساكنا بمحلة القصارين داخل باب الجابية ، في مدرسة تعرف بالسكرية ، وهي دار حديث، وهي صغيرة ضيقة حرجة. وقفها ضعيف جدا يبلغ في السنة خمسمائة درهم ، وهي تحتاج خمسين الفا . فانتدب لذلك رجل بدمشق يقال له محمد بن عبد الكريم التدمري وهو من اعيان التجار ، ومن المحبين لشيخ الاسلام ، فكتب محضرا بان جدران المدرسة تعيبت ، وسقوفها تحتاج
١٠ الى فك . فعارضهم زين الدين عبد الرحمن بن رجب بدعوى ان النظر مفوض اليه من بعض القضاة . وبعد امور يطول شرحها بناها ابن التدمري ، وزاد فيها قاعة له كانت بجوارها ، وجعل لها ميضاة . وبنى فوق القاعة حجرات واتمها سنة خمس وثمانين وسبعمائة . وكان المصرف على بنائها من ماله . وقرره القاضي ناظرا عليها. قال ابن مشجرة صاحب الرسالة المذكورة : ويجب أن تسمى هذه المدرسة الشمسية لان واقفها شمس
١٥ الدين ابن التدمري . والرسالة المذكورة في نحو خمسين ورقة ، ولكن هذا ملخصها .

حرف الشين

دار الحديث (الشقشقية) (٢)

قال في «تنبيه الطالب» : هي بدرب البانياسي . كانت دارا للشيخ المحدث نجيب الدين ابو الفتح نصر الله بن ابي العبر مظفر بن عقيل الشيباني الدمشقي الصفار الشاهد
٢٠ فاوقفها دار حديث . وقال ابن كثير : وقف داره بدرب البانياسي دار حديث . وهي التي كان يسكنها شيخنا المزي الحافظ قبل انتقاله الى دار الحديث الأشرفية . انتهى

اقول : لم ادر ما درب البانياسي ، ولا في أية ناحية هو ، ولم اجد من يخبرني عنه. وذلك عذري في ترك التحقيق عن موضعها .

---

(١) سبق القلم المؤلف فذكر شهاب الدين والصحيح تقي الدين .
(٢) كذا في الاصل وذكرها النعيمي في الدارس « الشقيشقية » .

ترجمة واقفها

نجيب الدين ابن الشقيشقة ٠٠٠-٦٦٦

هو نصر الله بن مظفر المتقدم . قال النعيمي : ولد بعد الثمانين وخمسمائة ، وكان اديبا ظريفا ، مليح البزة ، واعتنى بالحديث ، ورماه ابو شامة بالكذب ورقة الدين ، توفي سنة ست وستين وستمائة . انتهى

٥ وقال ابو شامة : هو مشهور بالكذب ، ورقة الدين ، وغير ذلك ، وهو احد الشهود المقدوح فيهم ؛ ولم يكن بحال ان يؤخذ عنه . وقد اجلسه احمد بن يحيى بن هبة الله الملقب بالصدر ابن سني الدولة في حال ولايته اقضى القضاة بدمشق ؛ فانشد فيه بعض الشعراء :

جلس الشقيشقة الشقي ليشهدا ... بابيكما ما ذا عدا فيما بدا ؟

١٠ هل زلزل الزلزال ام قد اخرج الدجال ام عدم الرجال ذوو الهدى ؟

عجبا لمحلول العقيدة جاهلا ... بالشرع قد اذنوا له ان يقعدا !؟

قال النعيمي : ولم اقف على احد ولي مشيختها .

حرف العين

دار الحديث (العروية)

١٥ كانت زمان وجودها بالجانب الشرقي من صحن الجامع الاموي قبيل الحلبية . ويعرف مكانها قديما بمشهد علي ، وعرف بعده بمشهد عروة . قال ابن كثير : ان الناس يقولون مشهد عروة بالجامع الأموي . وانما نسب اليه لانه اول من فتحه بعد ان كان مشحونا بالحواصل المجموعة للجامع ، وبنى فيه البركة ، ووقف فيه على الحديث دروسا ، ووقف خزائن كتبه فيه ، وصنع له محرابا ، وبيضه .

٢٠ **اقول** : اذا وقفت عند باب جيرون متجها الى الغرب ، كان عن يسارك مشهد كبير يسميه الناس اليوم مشهد الحسين ، وبجانبه من الجهة الشمالية آثار بناء قديم . وفي زاوية نهاية المكان باب فتحه بنو الغزي لبيتهم . وبجانبه في الحائط الشمالي التربة الكاملية ، وهي ايضا منضمة الى دار بني الغزي . ووراء ذلك الحائط المدرسة السميساطية ، ثم الاخنائية ، ثم دار بني الغزي . فيمكن ان تكون العروية ادخلت في

المشهد الحسيني ، أو هي والحلبية ادخلتا في الدار المذكورة لكونها عظيمة متسعة جدا والله اعلم .

ترجمة واقفها

شرف الدين ابن عروة ...ـ٦٢٠

هو شرف الدين محمد بن عروة الموصلي ، نسب اليه مشهد عروة كما تقدم .
وكان مقيما بالقدس ، ولكنه كان من خواص اصحاب الملك المعظم ؛ فانتقل الى دمشق حينما خرب سور بيت المقدس ، واقام بها الى أن توفي . وقبره عند قباب طغتكين قبلي المصلى . وتوفي سنة عشرين وستمائة .

واول من ولي مشيخة هذه المدرسة فخر الدين عبد الرحمن المشهور بابن عساكر ، ثم الحافظ الكبير الرحال محمد بن يوسف البرزالي الاشبيلي ، ، ثم فخر الدين عبدالرحمن بن يوسف البعلبكي الحنبلي . قال ابن كثير : كان يفتي ويفيد الناس ، مع ديانة وصلاح ، وعبادة وزهادة .

وقال برهان الدين ابراهيم بن مفلح في « المقصد الارشد » في ترجمته : هو الفقيه المحدث الزاهد ، سمع الحديث ، وتفقه على الشيخ تقي الدين ابن العز وعمر ابن المنجا ، وحفظ علوم الحديث ، وعرضه من حفظه على مؤلفه ابن الصلاح ؛ وقرأ الاصول ، وشيئاً من الخلاف على السيف الآمدي ، والنحو على ابن الحاجب ؛ وصحب اليونيني والنووي . توفي سنة ثمان وثمانين وستمائة ، وولادته سنة احدى وعشرين وستمائة . وانما ترجمته هنا لاني افردت السفر الاخير من هذا الكتاب لتراجم المشاهير فمن كان مشهورا اخرت ترجمته الى ذلك السفر ، ومن كان متوسطا اترجمه بالمناسبات لئلا أسهو عنه هناك .

حرف الفاء

دار الحديث (الفاضلية)

كانت ايام مجدها بالكلاسة ، واما الآن فقد صارت بيوتا للسكنى . وقد شاهدت من آثارها الايوان وقاعتين بجانبه والمطبخ من ضمنه .

قال أبو شامة في كلامه على وفاة صلاح الدين : أن تربته مجاورة للمكان الذي زاره القاضي الفاضل في المسجد . انتهى .

ونحن الآن لم نر الا زقاقا ، بين التربة المذكورة والجامع ، يوصل الى دور معدة للسكن . والوقف عليها مزوعة برتايا لضيق ارض حمّورية ، يفصل بينهما النهر . ثم كانت بعد ذلك بيد الزعني عبد الغني بن السراج بن الخواجا شمس الدين بن المزلق ، ثم صارت بيد محب الدين ناظر الجيش سنة خمس عشرة وتسعمائة . واول من درس بها التقي البلداني ، ثم النجم اخو البدر ، ثم الحافظ الذهبي ، ثم الحافظ المتقن أبو المعالي محمد بن رافع بن هجوش السلامي بتشديد اللام الصميدي المصري ثم الدمشقي ، ثم شمس الدين محمد بن محمد بن رضوان البعلي المعروف بابن الموصلي .

ترجمة واقفها

القاضي الفاضل ٥٢٩-٥٩٦

نحن الآن لم نرد استقصاء ترجمة هذا الفاضل لانه من زينة المشاهير ، ومحل طلوع كوكبه أوج سفر المشاهير . ولكننا نأتي على نبذة منها هنا ؛ وفي محلها نزيد ما لم نأت عليه في هذا الموضع ، اذ لايليق بالمقام اخلاء هذا السفر من ترجمته ، فنقول :

هو عبد الرحيم بن علي بن حسن بن الحسين بن احمد بن الفرج بن احمد القاضي محي الدين ابن القاضي الأشرف أبي الحسن اللخمي البيساني العسقلاني المولد المصري المنشا ، صاحب العبادة ، والفصاحة ، والبراعة والبلاغة . ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة . انتهت اليه براعة الانشاء ، وبلاغة الترسل ، وله في ذلك معان مبتكرة لم يسبق اليها مع كثرتها . اشتغل بصناعة الترسل على الموفق يوسف بن الجلال شيخ الانشاء في زمنه ، ثم اقام بالاسكندرية مدة . قال عمارة الفقيه اليمني : ومن محاسن العاضد ، خروج امره الى والي الاسكندرية بتسيير القاضي الفاضل الى الباب ، واستخدامه في ديوان الجيوش . فانه غرس منه للدولة ، بل للملة ، شجرة مباركة ، متزايدة النماء ، أصلها ثابت وفرعها في السماء . سمع جماعة من المحدثين ؛ وكان كثير الصدقات ، والصوم ، والصلاة . ورده كل يوم وليلة ختمة كاملة .

قال الحافظ عبد العظيم المنذري : ركن السلطان صلاح الدين الى القاضي الفاضل ركونا تاما ، وتقدم عنده كثيرا ؛ وله آثار جميلة ظاهرة ، مع ما كان عليه من الاغضاء

والاحتمال . وروى موفق الدين أحمد ابن ابي اصيبعة في تاريخه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » في ترجمة موفق الدين عبد اللطيف البغدادي عنه انه قال :

توجهت الى زيارة القدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا ، فاجتمعت ببهاء الدين ابن شداد قاضي العسكر يومئذ ، وكان قد اتصل به شهرتي بالموصل ، فانبسط الي واقبل علي ، وقال : نجتمع بعماد الدين الكاتب ؛ فقمنا اليه وخيمته الى خيمة بهاءالدين؛ فوجدته يكتب كتابا الى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة ، وقال : هذا كتاب الى بلدكم ؛ وذاكرني في مسائل من علم الكلام ، وقال : قوموا الى القاضي الفاضل ؛ فدخلنا عليه ، فرايت شيخا ضئيلا كله راس وقلب ، وهو يكتب ويملي على اثنين ؛ ووجهه وشفتاه تلعب انواع الحركات ، لقوة حرصه في اخراج الكلام ، وكانه يكتب بجملة اعضائه. وسالني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى : « حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها »٣٩/٧١آية اين جواب اذا ؟ واين جواب لو في قوله تعالى : « ولو ان قرآنا سيرت به الجبال » ١٣/٢١ آية وعن مسائل كثيرة ؟ ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء ، وقال لي : ترجع الى دمشق وتجرى عليك الجرايات ؟ فقلت اريد مصر، فقال : السلطان مشغول القلب باخذ الفرنج عكا ، وقتل المسلمين بها . فقلت : لابد لي من مصر . فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيله بها . فلما دخلت القاهرة ؛ جاءني وكيله وهو ابن سناء الملك ، وكان شيخا جليل القدر نافذ الكلمة ، فانزلني دارا قد ازيحت عللها ؛ وجاءني بدنانير وغلة ، ثم مضى الى أرباب الدولة وقال : هذا ضيف القاضي الفاضل ؛ فوردت الهدايا والصلات من كل جانب . وكان كل عشرة ايام أو نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة ، وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي . انتهى

وقال الموفق عبد اللطيف البغدادي ايضا : كان للقاضي الفاضل غرام في الكتابة ، وتحصيل الكتب ، وكان له العفاف والدين والتقى ، مواظبا على اوراده . ولما ملك اسد الدين شيركوه ، احتاج الى كاتب ، فأعجبه سمته وتصوره . فلما ملك صلاح الدين استخلصه لنفسه ، وحسن اعتقاده فيه . وكان قليل اللذات ، كثير الحسنات ، دائم التهجد ، مشتغلا بالادب ، قليل النحو ، لكن له دربة قوية فيه توجب قلة اللحن . وكتب في الانشاء ما لم يكتبه أحد . وكان متقللا في مطعمه ، ومنكحه ، وملبسه ؛ يلبس البياض ، ولايبلغ جميع ما عليه من الثياب دينارين ، ويركب معه غلام وركابي ، ولايمكن

أحدا أن يصحبه ، ويكثر لقي الجنائز ، وعيادة المرضى ، وزيارة القبور . وله معروف معروف ، في السر والجهر . وكان ضعيف البنية ، رقيق الصوت ، له حدبة يغطيها الطيلسان . وكان به سوء خلق يكمد به في نفسه ، ولايضر احدا به . ولاصحاب الفضائل عنده نفاق[1] يحسن اليهم ولايمن عليهم . ولم يكن له انتقام من اعدائه الا بالاحسان اليهم ، او الاعراض عنهم . وكان دخله ومعلومه في السنة خمسين الف دينار، سوى متاجر الهند والمغول وغيرهما . واحوج ما كان الى الموت عند تولي الاقبال، واقبال الادبار . وهذا يدل على ان لله به عناية . ويقال : ان مسودات رسائله في المجلدات ، والتعليقات في الأوراق ، اذا اجتمعت ، لاتقصر عن مائة مجلدة ، وله نظم كثير . وقيل : انه ملك من الكتب مائة الف مجلدة . وقد اثنى عليه العماد الكاتب ثناءً عظيما ، توفي سنة[2] ......

وبنى للشافعية مدرسة بالقاهرة ، وشرك معهم المالكية بها ، ومكتبا للأيتام . وترجمه الذهبي في «تاريخه» في ورقتين ونصف . قال ابن كثير : والعجب ان القاضي الفاضل مع براعته وفصاحته التي لايدانى فيها ، ولايجارى ، لايعرف له قصيدة طويلة رنانة . له ما بين البيت والبيتين والثلاثة في أثناء الرسائل وغيرها . هذا كلام الأسدي ؛ واعترض عليه بأن له قصيدة طويلة رنانة مطلعها :

لله روض بالحدائق محدق وبكل ما تهوى النواظر مونق

وهي فوق الثلاثين بيتا وله غيرها مما هو اطول منها .

حـرف القـاف

دار الحديث (القلانسية)

هي بالصالحية . قال النعيمي : بها رباط ومئذنة وتعرف الآن بالخانقاه ، غربي مدرسة أبي عمر . قال العلموي : قلت : هي نهر يزيد جار في وسطها ، وينزل اليها من درج . انتهى

أقول : فتشت عنها اثناء كتابتي هذه الأسطر ؛ وذهبت الى الصالحية ؛ فدللت على

(1) نفاق جمع نفقة .

(2) في الاصل بياض وكانت وفاته سنة ست وتسعين وخمسمائة .

مكانها ، فرأيت جيرانها قد اختلسوا اكثرها ؛ وبقي منها بقية من جهة نهر يزيد ! وتلك البقية كانت سابقا خربة ترمى بها الزبالة ، فهيأ الله لها الشيخ اسماعيل بن علي التكريتي الصالحي فعمر تلك الخربة ، وجعل لها مسجدا لطيفا ، وعمر الدرج الذي ينزل منه اليها ، ثم الى نهر يزيد بالحجر . فكان النهر تحت مسجدها ، ينزل اليه المصلون من
٥ طرف المسجد من الشرق فيتوضؤون منه . وجعل لها صحنا لطيفا ، وبجانبه مطبخ ، وعمر بالعلو من الجانب الغربي والشمالي ثماني غرف ، واعدها لسكنى الفقراء الذين لا مأوى لهم ، وجدد بابها وكتب فوق اسكفته :

مدرسة ذي عمرت	من بعد ما قد دثرت
انعم باسماعل من	شيدها فظهرت
١٠ ابن علي التكريتي من	يوجر ما قد بقيت
شاد لأن يبقى له	اجر مدى أن نفعت
اعطاه ربي ارخوا	اجرا ببره ثبت
دعى فارخ الذي	حبى بجنة علت

فتاريخ بنائها سنة ست عشرة وثلاثمائة والف . فجزى الله مجددها خيرا . واسمها
١٥ الآن الخانقاه . وقال النعيمي بعد أن حكى ما نقلناه عنه سابقا : ولم اقف على احد ممن ولي مشيختها .

ترجمة واقفها

عز الدين بن القلانسي ٦٤٩-٧٢٩

هو الصاحب عز الدين ابو المعالي اسعد ابن عز الدين غالب بن المظفر ابن الوزير مؤيد الدين ابي المعالي اسعد ابن العميد ابي يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد
٢٠ التميمي الدمشقي الشهير بابن القلانسي احد رؤساء دمشق الكبار . ولد سنة تسع واربعين وستمائة ، وسمع الحديث من جماعة واسمعه .

قال ابن كثير : سمعنا عليه ، وله رياسة باذخة ، واصالة كبيرة ، واملاك هائلة كافية لما يحتاج اليه من امور الدنيا . ولم تزل صناعة الوظائف معه الى ان الزم بوكالة بيت السلطان ، ثم بالوزارة في سنة ست عشرة وستمائة ؛ ثم عزل ، وقد صودر في بعض
٢٥ الاحيان . وكانت له مكارم على الخواص والكبار ، وله حسنات على الفقراء ؛ وعلى

المحتاجين . ولم يزل وجيها معظما عند ارباب الدولة من الملوك ، والنواب ، والامراء ، وغيرهم ؛ الى ان توفي ببستانه سنة تسع وعشرين وسبعمائة عن ثمانين سنة ؛ ودفن بتربته بسفح قاسيون ، وله في الصالحية رباط حسن بمئذنة ، وفيه دار حديث . قاله ابن كثير . وهي دار الحديث التي ترجمناها سابقا . وله بر وصدقة .

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة الواقف : كان محتشما ، معظما، متنفما على الوزارة وغيرها ؛ وروى عن البرهان وابن عبد الدائم .

مسامرة خيـال

لاح في خيالي قبل الشروع في هـذا التاليف ان استقصي اوقاف كل مدرسة ؛ واصفها وصفا تاما . فلما شرعت في الكتابة ، فاذا انا كالقابض على الهواء ؛ لأني لم اجد من آثار غالب المدارس الا هباء منثورا ، ومن اسمها والتعريف بمحلها الا ما هو مسطور في بطون الكتب . فكنت اقضي الايام متجولا ، واكثر التسآل حتى اجد بعض اثر او اهتدي الى اسم مكان ، خصوصاً وانا نزيل تلك المدينة الزاهرة . وربما كان يدلني على الاثر قبر الواقف ، ان كان ؛ لأن اصحابنا اصطلحوا على اختلاس المدرسة ، ووقفها ، ومسجدها ؛ ولم يجسروا على ابتلاع قبر الواقف فلله در صلاحهم ! ولو سمحت نفوسهم بابتلاع القبر ايضا ، لايسنا من مشاهدة طلل ! فمن ثم ترى بستانا وهو نزهة الناظرين، وفيه قبة عالية بها قبر عظيم ؛ فاذا سالت عنه قيل لك : هـذا قبر الولي الفلاني ؛ او الصحابي ويسميه باسم غريب . ويكون اصل ذلك البستان مدرسة او جامعا ؛ فاختلس مكانهما ؛ وغرس بالأشجار ، واعطي القبر لقب ولي او صحابي ؛ وربما قيل عنه : نبي ؛ ثم مع مرور الزمن يخترعون له مناقب وكرامات ؛ ويعلقون الخرق فوقه لصرف افكار البسطاء نحوه ، واقبالهم على زيارته ، وبذل الدراهم لخدامته ؛ فيجعلونه كشجرة يقصدون ثمرها بكرة وعشيا . وحينا كنت استدل على المدرسة باسم الزقاق، او الدرب المسمى باسمها ، او باسم واقفها . كما اني حرت في معرفتي للمدرسة الكروسية ، فلم اقدر على معرفة محلها لاندراسها ، ودخولها في الدور . فبينما انا افتش ، اذ برجل قال لي : هذا مقام السلمي وهو صحابي جليل ؛ وهذا الزقاق يسمى باسمه . فنظرت في ترجمة واقف الكروسية ؛ فاذا هو السلمي . فاهتديت الى مكانها ؛

وأريت صاحبي ترجمته ، وأعلمته بأنه ليس بصحابي . وصاحبي هذا من اهل العلم الذين لهم تلامذة في زمننا فما ظنك بالعوام !؟ الى غير ذلك مما كنت أعانيه وأتعب به .
وأما الأوقاف ، فرأيت ظفري بها ضربا من المحال ، لانا اذا اعتبرنا دمشق وما حولها ؛ نجد الغالب عليه انه وقف . وهذا شي يطول ، ولايمكن استقصاؤه . وهب انه استقصي ،
٥ فليس في ذكره فائدة الا الأسف ، وضياع الوقت . وكان بعض اصحابنا من الاشراف قال لي : ان احد اجداده له كتاب سماه « التذكرة » يذكر فيه المدارس كلها ، ويذيل كل مدرسة بفهرست أوقافها . ووعدني بأن يطلعني على ذلك الكتاب . وبعد مماطلة طويلة ، اسفر الوعد عن « مختصر العلموي » ، وكان عندي سابقا ، فشكرت سعيه . وعلمت ان الكتاب كان في عالم الخيال لافي عالم الشهود . فلذلك اقتصرت على ما وصل الى يدي ؛
١٠ ولا يكلف الله نفسا الا وسعها .

واني اقدم للناظر في كتابي هذا لمعة من الكلام على اوقاف دمشق ليرى عذري واضحا . وهي ما قاله ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي ثم الطنجي المعروف بابن بطوطة في رحلته « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » من فصل له أثناء كتابه وهو : والأوقاف بدمشق لاتحصر انواعها ، ومصارفها
١٥ لكثرتها ، فمنها :

اوقاف على العاجزين عن الحج ، يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته .

ومنها أوقاف على تجهيز البنات الى ازواجهن ، وهن اللواتي لاقدرة لاهلهن على تجهيزهن .

ومنها أوقاف لفكاك الأسارى .

٢٠ ومنها اوقاف لأبناء السبيل ؛ يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون لبلادهم .

ومنها اوقاف على تعديل الطرق ورصفها ، لأن طرق دمشق لكل واحد منها رصيفان في جنبيه يمر عليهما المترجلون ، ويمر الركبان بين ذلك .

وقال : مررت يوما ببعض ازقة دمشق ، فرأيت به مملوكا صغيرا قد سقطت من يده صحفة من الفخار الصيني ، وهم يسمونها الصحن ، فتكسرت ؛ واجتمع عليه الناس
٢٥ فقال له بعضهم : اجمع شقفها ، واحملها معك لصاحب اوقاف الاواني . فجمعها ، وذهب الرجل معه اليه ، فأراه اياها ؛ فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن . وهذا من احسن الأعمال ، فان سيد الغلام لابد له أن يضربه على كسر الصحن أو ينهره . وهو

ايضاً يتكسر قلبه ويتغير لأجل ذلك . فكان هذا الوقف جبرا للقلوب . جزى الله خيراً من تسامت همته في الخير الى مثل هذا . واهل دمشق يتنافسون في عمارة المساجد، والزوايا ، والمدارس ، والمشاهد .

ثم قال : وكل من انقطع بجهة من جهات دمشق لابد ان يتاتى له وجه من المعاش، من امامة مسجد ، او قراءة بمدرسة ، أو ملازمة مسجد يجيء اليه فيه رزقه ، او قراءة القرآن ، او خدمة مشهد من المشاهد المباركة ، او يكون كجملة الصوفية بالخوانق تجرى له النفقة والكسوة . فمن كان بها غريبا على خير ، لم يزل مصونا عن بذل وجهه ، محفوظا عما يزري بالمروءة . ومن كان من اهل المهنة والخدمة ، فله اسباب اخر ، من حراسة بستان ، او امانة طاحون ، او كفالة صبيان ، يغدو معهم الى التعليم ويروح . ومن اراد طلب العلم ، او التفرغ للعبادة ، وجد الاعانة التامة على ذلك . ومن فضائل اهل دمشق؛ انه لايفطر احد منهم في ليالي رمضان وحده البتة . فمن كان من الأمراء ، والقضاة ، والكبراء ، فانه يدعو اصحابه والفقراء يفطرون عنده . ومن كان من التجار ، وكبار السوقة ، صنع مثل ذلك . ومن كان من الضعفاء ، والبادية ، فانهم يجتمعون كل ليلة في دار احدهم ، او في مسجد ؛ ويأتي كل احد بما عنده ، فيفطرون جميعاً .

ثم قال : وكان بدمشق فاضل من كبرائها ، وهو الصاحب عز الدين القلانسي ، له مآثر ومكارم وفضائل وايثار ، وهو ذو مال عريض . وذكروا ان الملك الناصر لما قدم دمشق اضافه ، وجميع اهل دولته ، ومماليكه ، وخواصه ، ثلاثة ايام ؛ فسماه اذ ذاك بالصاحب .

ومما يؤثر من فضائلهم ؛ ان احد ملوكهم السالفين لما نزل به الموت ، اوصى ان يدفن بقبلة الجامع المكرم ، ويخفى قبره . وعين اوقافا عظيمة لقراء يقرؤون سبعا من القرآن الكريم في كل يوم اثر صلاة الصبح ، بالجهة الشرقية من مقصورة الصحابة رضي الله عنهم حيث قبره . فصارت قراءة القرآن على قبره لاتنقطع ابدا ، وبقي ذلك الرسم الجميل بعده مخلدا .

ومن عادة اهل دمشق ، وسائر تلك البلاد ، انهم يخرجون بعد صلاة العصر من يوم عرفة ؛ فيقفون بصحون المساجد كبيت المقدس وجامع بني امية وسواها ، ويقف بهم ائمتهم كاشفي رؤوسهم ، داعين خاشعين خاشعين ملتمسين البركة . ويتوخون

الساعة التي يقف فيها وفد الله ، وحجاج بيته بعرفات . ولايزالون في خضوع ودعاء وابتهال ، وتوسل الى الله تعالى بحجاج بيته ، الى ان تغيب الشمس . فينفرون كما ينفر الحاج ، باكين على ماحرموه من ذلك الموقف الشريف بعرفات ، داعين الى الله تعالى أن يوصلهم اليها ، ولايخليهم من بركة القبول فيما فعلوه .

٥ لهم ايضا في اتباع الجنائز رتبة عجيبة ؛ وذلك انهم يمشون امام الجنازة ، والقراء يقرؤون القرآن بالاصوات الحسنة والتلاحين المبكية التي تكاد النفوس تطير لها رقة . وهم يصلون على الجنائز بالمسجد الجامع قبالة المقصورة . فان كان الميت من ائمة الجامع او مؤذنيه او خدامه ادخلوه بالقراءة الى موضع الصلاة عليه . وان كان من سواهم ، قطعوا القراءة عند باب المسجد ، ودخلوا بالجنازة ؛ وبعضهم يجتمع له بالبلاط

١٠ الغربي من الصحن ، بمقربة من باب البريد ، فيجلسون وامامهم ربعات القرآن يقرؤون فيها ، ويرفعون اصواتهم بالنداء لكل من يصل للعزاء من كبار البلدة واعيانها ، ويقولون : بسم الله ، فلان الدين من كمال ، وجمال ، وشمس ، وبدر ، وغير ذلك . فاذا اتموا القراءة ، قام المؤذنون فيقولون : افتكروا واعتبروا صلاتكم على فلان الرجل الصالح العالم ؛ ويصفونه بصفات من الخير ، ثم يصلون عليه ، ويذهبون به الى مدفنه . هذا

١٥ وقد انقطعت تلك العادات واضمحلت ، واستبدلت بغيرها(١) مما سنذكره اثناء هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

ترجمة التكريتي مجدد المدرسة

اسماعيل التكريتي
...—١٣٢١

طلبت من السيد محمد امين التكريتي الصالحي ترجمة مجدد هذه المدرسة ؛ فكتب الي ما صورته :

٢٠ هو السيد اسماعيل ابن السيد علي ابن السيد اسماعيل ؛ من بني التكريتي ، وهم عائلة كبيرة في صالحية دمشق ، واصلهم من مدينة تكريت ، وهي على شاطىء دجلة قريبة من الموصل ، واقاموا بدمشق من مدة تزيد على السبعمائة سنة . وكان من هذه العائلة فضلاء واعيان .

قلت : وستاتي ترجمة جدهم الأعلى في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى سنة ست

---

(١) كذا في الاصل والاصح ان يقال استبدل بها غيرها .

وخمسين ومائتين والف . وتوفي والده وهو ابن سبع سنين ؛ فربي في حجر والدته الى ان شب ، فاشتغل بالتجارة ، ونشا على عفة وصلاح ، ومحبة للفقراء والمساكين . وكان كثير الاصحاب ، يكثر من الاجتماع بالعلماء ، ويحب البر والخيرات . ومما جعله ذخرا في الآخرة ؛ انه لما راى دار الحديث القلانسية المسماة بالخانقاه ، التي هي بالزقاق المسمى الآن بزقاق قصر العارة بالصالحية قد تهدمت ، واندرست منذ ثلاثمائة سنة ، وتناولت ايدي المختلسين اكثرها ؛ عمر ما بقي منها من ماله ابتغاء لوجه الله تعالى . وعمرها في سنة اولها في محرم سنة خمس عشرة وثلاثمائة والف ؛ وانتهى من تعميرها في ربيع الاول سنة ست عشرة . وكان يصرف على ما يلزمها ، من مصابيح واجرة اذان وغير ذلك ، من ماله . ولما توفي الى رحمة الله تعالى ، قام بالانفاق عليها ، حاذيا حذو والده ، الشاب النجيب السيد محمد . وهذه المدرسة الآن تسمى بجامع التكريتي.

زار المترجم بيت المقدس ، وحج ثلاث حجات . ولما حج الرابعة ، وتوجه الى بلده توفي بجبل الطور سنة احدى وعشرين وثلاثمائة والف رحمه الله تعالى .

حرف القاف

دار الحديث (القوصية)

سياتي الكلام عليها في مدارس الشافعية .

حرف الكاف

دار الحديث (الكروسية)

غربي مئذنة الشحم ، وهي بجانب المدرسة السامرية . وكانت دارا لمحمد بن عقيل ابن كروس جمال الدين محتسب دمشق ابو المكارم السلمي ؛ فجعلها مدرسة ودار حديث .

قال في «تنبيه الطالب» : ولم اقف على احد ممن ولي مشيختها . اهـ وسياتي تمام الكلام عليها في مدارس الشافعية . وهذه المدرسة ذهبت احاديثها الا من القرطاس ؛ وضمتها ايدي المختلسين اليها ، فصارت مرتع غزلان وثعالب بعد أن كانت تلوح عليها انوار حديث سيد المشارق والمغارب !! ولقد خفي عليّ مكانها اولا ، ثم ظفرت به ؛ فاذا هي

بمحل يقال له الآن زقاق السلمي غربي مئذنة الشحم . ولما تاملتها وجدت حائطها الشرقي باقيا ، وبه بركة ماء مبنية بحجارة ضخمة على طراز قديم ، وهندسة معجبة ، ونقوش بديعة . وعن يمينها ويسارها عمودان لطيفان ، والشمالي من المرمر ، وصدرها من الحجر المعجن ، وبابها لم يزل باقيا ، الا انه مسدود . وبعد نحو ثماني خطوات من البركة الى الجنوب ، حجرة لطيفة بلا سقف ولها شباك على الطريق ، وبها قبر مصبوغ بالمغرة ؛ ٥ يقولون: انه قبر السلمي . وعن شمالها اثر في الجدار ينادي على انه كان مدرسة؛ ولعلها اختها السامرية التي اصابها كل ما اصاب اختها .

ترجمة واقفها

جمال الدين ابن كروس ٠٠٠-٦٤١

هو ابن كروس المتقدم جمال الدين محتسب دمشق ابو المكارم السلمي . كان كيسا، متواضعا كريما حسن الاخلاق . قال الصفدي : سمع الحديث من بهاء الدين ابن ١٠ عساكر وغيره . وكان رئيسا محتشما ، تيما بالحسبة ، توفي بدمشق في شوال سنة احدى واربعين وستمائة ، ودفن بداره . وسياتي تمام الكلام في مدارس الشافعية .

حرف النون

دار الحديث (النورية)

١٥ هي بسوق العصرونية من الجانب القبلي ؛ بين دار الحديث الاشرفية والمدرسة العصرونية ، امام العادلية الصغرى ، يفصل بينهما الطريق . وهذه الدار تقلبت بها الايام والدهور ، فاصابها قريب مما اصاب دار الحديث الاشرفية . فصارت دارا للسكنى؛ وطمس محراب مسجدها ، وطمرت بركة مائها لتتغير رسومها . فارشد الله تعالى لاستخلاصها العالم الفاضل الفقيه الشيخ ابو الفرج[1] ابن العالم الفاضل الصالح الشيخ عبد ٢٠ القادر الخطيب الدمشقي ؛ فانقذها من يد مختلسيها ، وجلس يقرىء بها الدروس ؛ فجزاه الله خيرا .

ولقد شاهدتها وتأملتها اثناء كتابتي لهذه السطور ؛ فاذا هي الآن تشتمل على دهليز

---

(١) كذا في الاصل .

لطيف ، فيه عن يمين الداخل حجرة ، وعن يساره باب مسدود ؛ يظن انه باب حجرة ايضا ، لكنها صارت حانوتا للبضائع والتجارة . ولها ساحة لطيفة ، في وسطها بركة ماء على نمط قديم ، وهندسة لطيفة . وبها مسجد طوله احدى وعشرون خطوة ، وعرضه خمس خطوات ، وسقفه معقود بالحجارة والآجر المتين ، ومحرابه من الحجر المحفور المعجن . وبالجانب الشرقي من الساحة حجرتان جديدتان ، وفوقهما غرفتان مثلهما ، ٥
وهما من بناء اهل الخير بواسطة الفاضل الشيخ عبد القادر ابن الشيخ ابي الخير الخطيب، وفوق دهليزها غرفة ايضا .

واقفها ومدرسوها

نور الدين بن زنكي
٥١١-٥٦٩

اختلف في بانيها وواقفها ، فقيل : واقفها وبانيها نور الدين محمود بن ابي سعيد ابن آق سنقر التركي ، وهو اول من بنى دارا للحديث ، وقيل : اوقفتها عصمة التي قيل: ١٠
انها كانت زوج السلطان صلاح الدين ، وهو خلاف المعروف . وفي « طبقات السبكي الوسطى » في ترجمة الحافظ ابن عساكر ان الملك العادل محمود بن زنكي نور الدين قد بنى لابن عساكر هذا دار الحديث النورية ، ودرس بها الى حين وفاته . انتهى . فالباني لها هو نور الدين . وترجمة السلطان نور الدين الشهيد ، في القسم الاول . لكنا نقول هنا : انه توفي يوم الاربعاء الحادي من شوال سنة تسع وستين وخمسمائة ، عن ثمان ١٥
وخمسين سنة . قال الاسدي في « الكواكب الدرية في السيرة النورية » : وكان وقف هذه المدرسة قليلا .

قال ابن كثير : ولما وسع الخندق سنة احدى عشرة وستمائة ، مما يلي القيمازية خربت دور كثيرة هناك ، وخرب حمام قايماز ، وفرن كان وقفا على هذه المدرسة ، وغير ذلك . فلما بنى الاشرف دار الحديث غربيها ، شرط ان يؤخذ من وقفها الفا درهم ، ٢٠
فتضاف الى وقف دار الحديث النورية ، فانصلح حالها . وقال ابو شامة في « الروضتين »: بنى نور الدين دار الحديث ، ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث ، اوقافا كثيرة ؛ وهو اول من بنى دار حديث فيما علمناه .

واما مدرسوها : فهم الحافظ الكبير ثقة الدين ابو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر صاحب « تاريخ دمشق » ، ثم ولده الحافظ المسند بهاء الدين ابو محمد ٢٥

القاسم . ولم يتناول من معلومه من المدرسة النورية هذه شيئا ، بل جعله مرصدا لمن يرد عليه من الطلبة . وقيل : انه لم يشرب من مائها ، ولم يتوضا منه ، ثم زين الدين ابن الامناء الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ، ثم عبد الوهاب ابن زين الامناء ابو البركات الحسن بن محمد بن عساكر ، ثم الحافظ زين الدين خالد بن يوسف ابن سعد النابلسي شيخ النووي ، ثم العلامة تاج الدين ابو محمد عبد الرحمن بن ابراهيم ابن سباع الفزاوي المعروف بابن الفركاح ، ثم الحافظ محمد بن علي بن محمدالصابوني، ثم المجد بن المهتار ، ثم فخر الدين الحنبلي ، ثم شرف الدين النابلسي احمد بن نعمة ، ثم علاء الدين بن العطار ، ثم الحافظ المؤرخ المعيد علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف ابن محمد البرزالي الدمشقي ، صاحب « الذيل على تاريخ ابي شامة » و«المعجم الكبير» يقال : انه في بضع وعشرين مجلدا ، ولما اطلع عليه ابن حبيب قرظه بقوله :

ياطالبا لقب الشيوخ وما رووا ... فيه على التفصيل والاجمال
دار الحديث انزل تجد ما تبتغيه ... بارزاً في معجم البرزالي

ثم جماعات لم يصلنا ذكرهم على الترتيب[1] .

دار الحديث (النفيسية)

ترجمها كل من العليمي ، والعلموي ، والبقاعي بانها بالرصيف قبلي البيمارستان الدقاقي وباب الزيادة عن يمين الخارج منه ، شمالي المدرسة الامينية الى الغرب بالزقاق الذي كان يعرف بزقاق الزطي . ا.هـ

اقول : هذه المدرسة مع البيمارستان درسا وادخلا في غيرهما فصارا دوراللسكنى . وبيان موضعها يعسر جدا الآن وباب الزيادة هو باب الجامع القبلي فاذا خرج منه احد، وسار قليلا ، كان عن يمينه الآن العنبرانية وهي بيوت خلاء للجامع ، ثم تكون الحوانيت، ثم بعد العنبرانية بقليل سوق قصير من الشرق الى الغرب ، في جانبه القبلي الأمينية، وفي الشمالي زقاق قصير وهو الذي سماه العلموي بزقاق الزطي ويقال له الآن : زقاق الاقميم . وفي زمننا كان بجانبه حمام يقال له : حمام القيشاني ، فصار سوقا واتصل

---

(١) وبعد هذا الكلام يوجد في الاصل بياض قدره تسعة اسطر .

بهذا الزقاق ، وفيه كانت المدرسة المذكورة ، وقد صارت الآن دارين واخبرني بعض الثقات ان بابها كان ظاهراً وفوقه حجر مكتوب عليه اسم بانيها ، ولم يزل الى زمن قريب ، ثم طين فوقه حتى لاتظهر كتابته ، ومحل العنبرانية والابنية التي بجانبها كان البيمارستان المذكور ، فتبدلت الأحوال ولله في خلقه شؤون ! واخبرني بعض الثقات انه سكن دارا لبني الباقي ملاصقة للعنبرانية فرأى به آثار بناء قديم يشبه ان يكون هو البيمارستان المذكور .

ترجمة واقفها

أبو النفيس بن صدقة ٦٢٨-٦٩٦

هو أبو النفيس(١) اسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن صدقة الحرّاني ثم الدمشقي . قال ابن كثير : كان ناظراً على الايتام ، تولى شهادة القسمة ، وكان ذا ثروة من المال توفي سنة ست وتسعين وستمائة ، عما يقرب من سبعين سنة ، ودفن بسفح قاسيون .

واول من ولي تدريسها المقرىء المحدث النحوي الأديب علاء الدين بن المظفر الكندي السكندري ثم الدمشقي من جماعة الشيخ ابن تيمية، ثم بعده الحافظ علم الدين البرازالي.

دار الحديث (الناصرية)

اهملها البقاعي ، وقال النعيمي : هي بمحلة الفواخير بسفح قاسيون قبلي الجامع الأفرم ، وبها رباط ، وهي الناصرية البرانية ، وستاتي الناصرية الجوانية . انتهى

اقول : ان تلك المدارس والربط التي كانت بالسفح من لدن الجسر الابيض الى الجبل من الغرب الشمالي ، مما بين يزيد وثورا ، لم يبق منها بقية تذكر ، وذلك ان يد الزمان قد تناولتها ، فنقضت بناءها وقوضته . ثم انه منذ عهد ليس بالبعيد احتاج نهر ثورا الى عمارة جوانبه ، فاخذت حجارة تلك الابنية ، وتصرف بها في ذلك البناء . وهذا عدا عما تناولته الأيدي ، واختلسته ، ثم سويت الأرض ، وجعلت حواكير وبساتين ، سنة الله في خلقه ! والجامع الافرم الآن خراب بلقع لم يوجد منه سوى حفرة تدل على

(١) كذا في الاصل وذكره الذهبي في العبر « النفيس اسماعيل » ، وابن كثير : « نفيس الدين » .

انه كان هنالك بحيرة الجامع ، وما بقي من حجارته وحجارة امثاله اخذ لبناء البيوت التي جددت منذ عشر سنين ، وسميت بحارة المهاجرين . وقبلي الجامع المذكور حاكورة يفصل بينها وبين ساحته الطريق . جدارها الشمالي اساس به احجار تدل على انه كان ثمة المدرسة الناصرية . واخبرني بعض الاصحاب انه شاهد هناك حجرات قائمة
٥ الجدران بلا سقف ، ثم اخنى عليها الزمان كما ذكرنا . ومحراب الجامع الأقوم نقلت حجارته الى مسجد دار الحديث الاشرفية بطريقة الشراء .

ترجمة بانيها

الملك الناصر يوسف ٦٢٧-٦٥٩

أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شاذي فاتح بيت المقدس . وكان مولده بقلعة حلب ،
١٠ في رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة . وبويع له بحلب سنة اربع وثلاثين وستمائة بعد موت ابيه ، وعمره سبع سنين ؛ وقام بتدبير مملكته جماعة من مماليك ابيه ؛ وكان الأمر كله عن راي جدته ام ابيه صفية خاتون ابنة الملك العادل ابي بكر بن ايوب ولهذا سكت الملك الكامل لانها اخته . فلما توفيت سنة اربعين اشتد الناصر واشتغل عنه الكامل بعمه الصالح ، ثم فتح حمص سنة ست واربعين ، فوليها عشر سنين . قال ابن
١٥ قاضي شهبة : كان كثير البر والاحسان والصدقات ، محببا الى الرعية ، فيه عدل في الجملة ، حسن الاخلاق ، محبا لأهل العلم والفضل والأدب ، وكان سوق الشعر نافقا في ايامه ؛ وكان يذبح في مطبخه كل يوم اربعمائة كبش من الغنم ، سوى الدجاج والطيور والجداء ، وله نظم حسن . وقال غيره : وكان الناس معه في عيشة هنية الا وقت ادارة الخمور . وكان مجلسه مجلس ندماء وادباء ، ثم خدع وعمل فيه حتى وقع
٢٠ في قبضة التتار ؛ فذهبوا به الى هولاكو فاكرمه . فلما بلغه ان جيشه قد كسر على عين جالوت ؛ غضب وتنمر وأمر بقتله ، فتذلل له ، وقال : ماذنبي ؟ فامسك عن قتله ، وقتل شقيقه الملك الظاهر عليا . قاله الحافظ الذهبي في « العبر » في حوادث تسع وخمسين وستمائة . وقيل : بل قتله سنة ثمان . وكان قد اعد لنفسه تربة في رباطه الذي بناه بسفح قاسيون ، فلم يقدر له دفنه به ، ودفن بالشرق ، وكان شابا ابيض مليحا حسن
٢٥ الشكل بعينيه ؛ قيل : يعني حوَل قاله ابن كثير . وقال ايضا في حوادث اربع وخمسين وستمائة : وفيها امر الناصر بعمارة الرباط الناصري بسفح قاسيون ، وذلك عقيب الفراغ

من بناء الناصرية الجوانية بدمشق . والناصرية البرانية من أغرب الأمكنة في البنيان المحكم ، والجوانية من احسن المدارس . وهو الذي بنى الخان الكبير تجاه الزنجاري ، وحولت اليه دار الاطعمة وكانت قبل ذلك غربي القلعة في اصطبل السلطان . وكانت مدة تملكه لدمشق عشر سنين ، فبنى فيها هذه الامكنة . وفي القسم الأول زيادة ايضاح على هذا . ٥

ورتب الناصر لهذه المدرسة مرتبات ؛ ودرس بها كمال الدين بن الشريشي مع توليته مشيخة الرباط اكثر من خمس عشرة سنة .

ترجمة محمد بن كمال الدين الشريشي (١)

ثم درس بها ولده العلامة محمد ؛ ولد سنة اربع او خمس وتسعين وستمائة ، ثم اشتغل بالطب ، وسمع من الحافظين العراقي والهيثمي وغيرهما ، واشتغل في صباه ، وتفنن في العلوم ، واشتهر بالفضيلة ، وكان حسن المناظرة ، دمث الاخلاق ، درس بعدة ١٠ مدارس ، وافتى ، وتولى القضاء مرارا ، واختصر « الروضة » ، و « شرح المنهاج » في اربعة اجزاء لخصه من « شرح الرافعي الصغير » ، وله « زوائد الحاوي على المنهاج الفرعي » ، وله خطب ونظم . توفي سنة تسع وستين وسبعمائة . ثم درس بعده حسام الدين الفوتي ، ثم شرف الدين الغزاري ، ثم نجم الدين بن قوام ، ثم ولده نور الدين . ١٥

---

(١) كذا كتب المؤلف فأثبتنا ذلك في الحاشية للأمانة العلمية ، بينما لم نترجم نحن الا لمن بنى او وقف.

دور القرآن والحديث

قد سبق لنا الكلام على الدور التي كانت مختصة بالقرآن ، وعلى الدور التي كانت مختصة بالحديث ، حسب الامكان ، وحسبما اتصل بنا . ولنشرع الآن في بيان الدور التي كانت مشتركة بينهما .

٥ دار القرآن والحديث (التنكزية)

هي شرقي حمام نور الدين الشهيد ، تجاه دار الذهب ، وراء سوق البزوريين المعروف قديما بسوق القمح .

قال ابن كثير : وكانت هذه الدار حماما يعرف بحمام سويد ، فهدمه نائب السلطنة تنكز الملكي الناصري ، وجعله دار قرآن وحديث . فجاءت في غاية من الحسن ، ورتب ١٠ فيها الطلبة والمشائخ . وقال ايضاً : وفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، توجه نائب السلطنة سيف الدين تنكز الى الديار المصرية لزيارة السلطان ، فاكرمه واحترمه ، واشترى له في سفره هذا دار الفلوس التي هي بالقرب من البزوريين والمدرسة الجوزية وهي شرقيهما ، فعمر هذه الدار دارا هائلة ليس في دمشق دار احسن منها ، وسماها دار الذهب . ومر بالقدس حين رجوعه من مصر ، فامر ببناء دار حديث فيه وخانقاه .

١٥ ثم لما ابى الى الشام ، نقل حواصله وامواله من دار الذهب التي كانت داخل باب الفراديس الى داره هذه . قال النعيمي في كتابه « تنبيه الطالب » : رايت في قائمة قديمة تتضمن سرد اوقاف دار الحديث هذه ، فكان فيها ما صورته :

في سوق القشاشين ثمانية عشر حانوتا في خارجه ، وفي داخله تسعة عشر حانوتا ، وبحارة القصر طبقتان واصطبل ، وبستان يعرف ببستان البندر . وبها مشيخة للاقراء ٢٠ باسم البرهان الاربدي ومصرفها مشيخة القرآن والامامة مائة وعشرون درهما ، وثلاث مشيخات للحديث ، لكل واحد منها خمسة عشر درهما في الشهر ، وللمشتغلين بالقرآن العظيم ، وهم اثنا عشر ، لكل واحد منهم سبعة ونصف في الشهر ، وللمعاونين ، وهم خمسة ، لكل واحد منهم سبعة ونصف في الشهر ايضا ، ولكاتب الغيبة عشرة ،

وللمؤذن والبواب والقوام اربعون، ولصحابة الديوان اربعون ، وللمشارف مثلها ، وللعامل ثلاثون ، وللجابي خمسون ، ولمن يشاهد عمارة الوقف خمسة وعشرون ، ومشهدالعمارة كذلك ، وللمعمارية خمسةعشر، ولنيابة النظر اربعون ، وللناظر مائة . هذا كله في الشهر .

اقول : سوق البزوريين يعرف الآن بسوق البزورية ، وقد كان على شكل قديم ؛ فعمر فيما بعد التسعين ومائتين والف على نمط جديد ، ووسع . وحمام نورالدين موجود الى الآن يقال له حمام البزورية[1] والمدرسة الجوزية هي الآن محكمة البزورية ، وقد اخليت الآن من الحكم وصارت دار قرآن وتعليم خط وحساب . ودار الذهب باقية الى الآن ، وهي بيد بني العظم ، وهي معدودة من الآثار القديمة ، ومشهورة يأتي السالحون من الفرنجة لرؤية مبانيها ، فيتعجبون منها ، ومن سعتها وجودة انتظامها[2] .

واما المدرسة فلم تزل باقية الى الآن ، وهي شرقي اقميم حمام البزورية في الزقاق المنحدر الى الشرق ؛ وبابها على هندسة لطيفة ، ومحفور في البلاطة التي هي اعلاه ما صورته :

انشأ هذه المدرسة المباركة ، واوقفها على القراء المشتغلين بالقرآن العظيم ، والفقهاء المستمعين للحديث النبوي ، الملك الاشرف السيفي التنكزي النظري كافل الممالك الشريفة بالشام المحروسة ؛ وذلك في سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . باشره العبد الفقير ايدمر العيني؛ وجدرانها الاربع باقية مع بعض ابنيتها الاصلية . ولقد تناولتها قديما ايدي النظار ، ففعلوا بها كما فعلوا بغيرها ؛ الى ان وصلت الى يد ناظر ، له نصف النظر ، ولاخته النصف الآخر . فجعلاها دارا للسكنى ، ثم هما بأن يهدما الباب لتتغير هيئتها ، فالقى الله تعالى الخلاف بينهما ، والمشاجرة في امرها . ففطن لذلك بنو الخطيب ، ففتحوا بابها للصلاة، وعلم الناس بانها مدرسة . ثم تولى نظرها القارىء المتقن الشيخ محمد الحلواني؛ فحسن بعض ابنيتها الداخلية ، واعانه على ذلك بعض اهل الخير ، وجعلها مكتبا لقراءة القرآن، فعاد اليها شيء من رونقها ، ثم اخذها منه في هذه السنين الفاضل الشيخ كامل القصاب فبنى بها ابنية علوية وسفلية ، ورممها ، وجعلها مكتبا لقراءة القرآن ومبادىء العلوم والفنون ؛ فازداد رونقها ، وظهرت بهجتها ، وهي على تلك الحال في زمننا هذا . واما اوقافها فلم توجد الا في القراطيس !

(١) ما زال البناء على حالته الاولى وحول الى مخزن تجاري .

(٢) البناء القائم فيها الآن هو بناء أسعد باشا العظم .

ترجمة واقفها

سيف الدين تنكز
٠٠٠–٧٤١

في القسم الاول من هذا الكتاب بيان لأحوال واقفها ، ولكن من الجهة السياسية . ولنذكر هنا ترجمته الادبية فنقول :

قال الصلاح الصفدي في« تاريخه » : الأمير الكبير المهيب سيف الدين ابو سعيدتنكز نائب السلطنة بالشام، جلب الىمصر وهو حدث فنشا بها ، وكان ابيضاللونالىالسمرة، رشيق القد مليح الشعر ، خفيف اللحية ، قليل الشيب ، حسن الشكل ظريفه ، جلبه الخواجا علاء الدين السيواسي فاشتراه الأمير حسام الدين لاجين واستمر عنده الى ان قتل ، فصار الى خاصكية(١) السلطان، وشهد معه واقعة الخازندار،ثم واقعة شقحب.(٢) قال الصفدي : واخبرني القاضي شهاب الدين القيسراني ان تنكز قال له يوما : انا والأمير سيف الدين طفيال من مماليك الاشرف . ثم ان تنكز سمع «الصحيحين» ، و « كتاب الآثار » ، وامره الملك الناصر امرة عشرة قبل توجهه الى الكرك ؛ وكان قد سلم اقطاعه الى الامير صارم الدين صاروجا المظفري ، فكان آغا له . ولما توجه الى الكرك كان في خدمة الملك الناصر . وجهزه مرة الى الافرم في دمشق فاتهمه بان معه كتابا الى امراء الشام ؛ فحصل له منه مخافة شديدة وفتش وعاقبه الافرم . فلما عاد الى الناصر عرفه بذلك ، وقال له : ان عدت الى الملك فانت نائب دمشق . فلما حضر من الكرك ، جعل الامير سيف الدين ارغون الدوادار نائب السلطان بمصر بعد احضار الجوكندار الكبير ؛ وقال لتنكز ولسودي : احضرا كل يوم عند ارغون ، وتعلما منه النيابة والاحكام . فلازماه سنة ؛ فلما مهرا ، جهز سيف الدين سودي الى حلب نائبا ، وجعل تنكز نائبا في دمشق، فحضر اليها على البريد هو والحاج سيف الدين سودي ، وارقطاي ، والامير حسام الدين طومطاي ، والشبهقدار . وكان وصولهم الى دمشق في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة وسبعمائة . فتمكن تنكز من النيابة ، وسار الى ملطية فافتتحها ، وعظم شانه ، وهابه الامراء بدمشق وامن الرعايا ، ولم يكن احد من الامراء ، ولا من ارباب الجاه يقدر على ظلم ذمي او غيره ، خوفا من بطشه وشدة ايقاعه . ولم يزل في الارتقاء ، وعلو الدرجة ، واملاكه تتضاعف وتزيد انعاماته ، وعوائده من الخيل والقماش والطيور والجوارح ، حتى

---

(١) كذا في الاصل ولعلها خاصة السلطان .

(٢) كانت هذه الوقعة في أول رمضان سنة اثنتين وسبعمائة بين الجيش المصري واهل دمشق من جهة والتتار من جهة ثانية ، وقد هزم الله التتار هزيمة منكرة وكان لشيخ الاسلام ابن تيمية في هذه المعركة القدح المعلى في تحريض الناس وتشجيعهم ومباشرة القتال واقتحام الصفوف .

كتب له : أعز الله أنصار المقر الكريم العالي الاميري ، وفي الالقاب : الاتابك القائدي ، وفي النعوت : معز الاسلام ، سيد الامراء في العالمين .

قال الصفدي : وهذا لم تعهد كتابته من سلطان لنائب ، ولا لغير نائب على اختلاف الوظائف والمناصب .

وكان السلطان لايفعل شيئا في الغالب حتى يستشيره . ولقد عقد شيئا ، ماسمعناه من غيره ، وهو أنه كان له كاتب ليس له شغل ولا عمل ، غير مايدخل خزائنه من الاموال، ومايستقر له ، ثم اذا حال الحول عمل أوراقا بما يجب صرفه من الزكاة ؛ فاذا قدم له كاتبه الاوراق أمر بصرف مابها الى ذي الاستحقاق ؛ فكان هذا الكاتب كاتبا وناظرا على الزكاة فقط . وازدادت امواله واملاكه ، وعمر الجامع المعروف به بحكر السماق ، وانشأ الى جانبه تربة وحماما ، وعمر تربة الى جانب الخواصين لزوجته ، وعمر دار القرآن والحديث الى جانب داره دار الذهب ، وانشأ بالقدس رباطا ، وعمر سور القدس، وساق اليها الماء وادخله الى الحرم ، وعمر على بابه سقاية ، وعمر بها حمامين وقاسارية مليحة الى الغاية ، وعمر بصفد البيمارستان المعروف به ، وخانا وغيرهما . ولهبجلجولية خان السبيل ويقال له: خان المنية ، وهو في غاية الحسن . وعمر في الكافوري من القاهرة دارا عظيمة ، وحماما وحوانيت وغير ذلك . وجدد القنوات بدمشق وكان ماؤها قد تغير ، وجدد ابنية المساجد والمدارس ، ووسع الطرقات بها ، واعتنى بأمرها . وله في سائر الشام آثار واملاك وعمائر . انتهى . وقد بسط الصفدي ترجمته في نصف كراس ، وهذا ملخصها .

ثم أن السلطان غضب عليه ، وجهز للقبض عليه جماعة ، فاستسلم ، فأخذ سيفه ، وقيد خلف مسجد القدم ، وجهز الى السلطان في ذي الحجة سنة اربعين وسبعمائة . وتأسف اهل دمشق عليه ، واحتيط على حواصله . فلما وصل الى الاسكندرية حبس بها دون الشهر ، ثم قضى الله فيه امره ، وصلى عليه اهل الاسكندرية ، وكان قبره يزار ويدعى عنده . ولما كان في أواخر رجب سنة اربع واربعين وسبعمائة ، حضر تابوته من الاسكندرية الى دمشق ، ودفن في تربة جوار الجامع المعروف بانشائه ، ورثاه الصلاح الصفدي بقصيدة طويلة .

جامع تنكز

حيث أفضى بنا المقال الى ترجمة تنكز وخيراته ، حسن بنا ان نذكر جامعه الذي بناه بدمشق وان كان اسمه يأتي عند سرد الجوامع فنقول :

قال التقي البديري حسن بن المزلق في «نزهة الانام» : هذا الجامع في الشرف الادنى ، وهو من الغايات هندسة وبناء ، وفيه عشرون شباكا على خط الاستواء ، تشرف على الانهار ومرجة الميدان وما حوى ، وبوسط صحنه يمر نهر بانياس ، يتوضأ منه الناس ، وبه ناعورتان ، تملآن وتفرغان الى حوضين بهما سائر الاشجار والرياحين والازهار ، وبينهما بركة مربعة ، بها كاس في غاية التدوير ، يجري الماء اليها من النواعير . فهو متنزه يقصد ، وللمصلي معبد . انتهى

وقال ابن كثير في «تاريخه» : وفي سنة سبع عشرة وسبعمائة ، شرع في عمارة الجامع الذي انشاه الامير تنكز او دنكز نائب الشام ظاهر باب النصر ، تجاه حكر السماق على ظهر بانياس . وتردد القضاة العلماء في تحرير قبلته ؛ فاستقر الحال في امرها على ماقاله الشيخ تقي الدين احمد بن تيمية . وشرع في بنائه بأمر من السلطان ، ومساعدته لنائبه في ذلك ، وكان الشروع به في صفر من السنة المذكورة ، وصليت الجمعة فيه في عاشر شعبان منها . انتهى. وسيأتي لهذا مزيد ايضاح في موضعه أن شاء الله تعالى .

دار القرآن والحديث (الصبابية)

كانت قبلي العادلية الكبرى ، وشمالي الظبرية ، انشاها شمس الدين بن تقي الدين ابن الصباب التاجر ؛ وكانت قبل ذلك خربة شنيعة .

قال النعيمي : كان انشاؤها سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ، وجعلها بانيها دار قرآن وحديث . ولم اقف على احد ممن وليها اصلا. انتهى

ورايت في زيادات العدوي على «مختصر تحفة الطالب» للعلموي أن واقفها رتب بها شيخا للاقراء ، وشيخا للحديث ، ووقفا للمستحقين .

قال العلموي : قلت: هي الآن سكن الشيخ ابي اليسر بن الرملي . واما الطبرية فلعلها احترقت في فتنة تيمورلنك . وهي الآن بيوت وبيت ابن علم الدين واولاد خضر، ونحو ذلك ، قبلي الصبابية، انتهى .

قلت : التعريف ببيت فلان لم يفدنا الآن شيئا . والتعريف بمكانها بالنسبة لزماننا يعسر غاية العسر . بيد انه اذا وقفت بجانب العادلية ، وسرت الى الجنوب امام المرادية ، ٥ ونظرت الى يمينك رأيت أولا بركة ماء في أول الطريق ، واساسا مبنيا بحجارة ضخمة ، فربما كان الاساس اساس تلك المدرسة وآثارها ، وبعدها الطبرية؛ وعلى كل فانهما درسا ولم يبق لهما رسم ولا طلل .

ترجمة واقفها

قال الحسيني في «ذيله على العبر» : انشأها الصدر الاجل النبيل شمس الدين ١٠ محمد بن احمد بن محمد ابي العز الدمشقي المعروف بابن الصباب . ولد سنة سبعين وستمائة ، وتوفي سنة اربعين وسبعمائة ، وكان من التجار المشهورين .

شمس الدين ابن الصباب ٦٧٠-٧٤٠

دار القرآن والحديث (المعبدية)

قال النعيمي : هي داخل دمشق . والمنقول انها دار قرآن فقط .

قال الشريف الحسيني في «ذيل العبر» : وفي سنة ست واربعمائة[1] مات بدمشق ١٥ الامير علاء الدين بن سعيد[2] البعلبكي ، ودفن الى جانب داره . ورأيت بخط الاسدي انه دفن داخل دمشق بتربة انشأها لنفسه ، وجعلها دار قرآن . وقال العلموي : قلت : لانعرف هذه اصلا . وتعقبه العدوي فقال : يحتمل انها المعينية وتصفحت . وهي الآن سكن المنلا يوسف الكردي وهو مدرسها فليعلم ! وهي غربي الصبابية ، وقبلي اللاقية .

علاء الدين بن معبد ٠٠٠-٧٤٦

(١) (٢) كذا في الاصل وذكر النعيمي في الدارس نقلا من الشريف الحسيني ما يلي : في سنة ست واربعين ، وفي ذي القعدة ، مات في دمشق الامير علاء الدين علي بن معبد البعلبكي .

اقول: ان هذه التعريفات لم تفدنا عن بيان موضعها الآن شيئا . والغالب على الظن بل المحقق انها اصبحت اما بيوتا للسكنى ؛ او حوانيت للبيع والشراء . ولقد راجعت « تاريخ ابن عساكر »وغيره عن ترجمة واقفها ، فلم اظفر له بترجمة ، ولم اجد فيما بين يدي غير ماقدمته . وهنا انتهى الكلام على هذا القسم ويتلوه القسم الثالث ان شاء الله تعالى .   ٥

القسم الثالث في مدارس (الشافعية)

هذا القسم لكثرة مدارسه اقتضى الحال تقديمه . ويحسن بنا ان نذكر هنا مقدمة تتضمن كيفية تشعب المذاهب ، وما كان داعيا الى انحصارها في هذه الاربعة في ديارنا وما والاهـا فنقول :

يعلم كل احد ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، بعثه الله تعالى على فترة من الرسل ، رسولا الى الناس جميعا ، ورحمة للعالمين . وكان الناس حينئذ اهل شرك وعبادة لغير الله تعالى الا بقايا من اهل الكتاب ، ونذر يسير من العرب المقرين بوحدانيته تعالى . فقام بالامر مع شدة شكيمة المعارضين ، وصدع به معرضا عن الجاهلين ، واتاهم بكتاب اخرس الفصحاء ، واعجز البلغاء ، مع انهم كانوا يفوقون رمل عالج عددا . فاختاروا المضاربة بالصفاح ، والطعن بالسنان على المغالبة بالحجة والبرهان ؛ وكتابه يناديهم: « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » الآية ٢/٢٣ . فلم يك في وسعهم اجابة النداء ، بل اختاروا المقاومة والمشاتمة والملاكمة والصدام ، الى ان كان من امره صلى الله عليه وسلم مع قريش ماكان ، مما هو موضح في كتب السيرة النبوية . وهاجر من مكة الى المدينة ، فاشرقت اشعة هذا الدين المبين ، وطلعت شمسه فعمت الآفاق . ولم تكن الدعاية الى الدين الا بالحجة والبرهان . وليست الحروب الا للمدافعة عن الروح ، كما يعلمه من سبر اسرار الشريعة المحمدية . ومن يقل : ان الدعوة الاسلامية كانت بالسيف والقهر والغلبة ، ولا سلطان للبرهان عليها ؛ فقد كذب وافترى ؛ وقيل له : اية قوة كانت لمحمد صلى الله عليه وسلم ، من المال والاعوان حينما كان بمكة امام جميع العرب المقاومين له ، وهم اهل الشجاعة والفصاحة والبلاغة !؟ ولو كان له ماذكر ، لما خرج من مكة حيث اخرجه اهلها منها ؛ فما غلبهم بغير هذا القرآن ، وكله حجج دامغة لاولي الشرك والطغيان ! ولما خلص نور البرهان الى افئدة قوم وفقهم الله من اهل المدينة ومن حولها ؛ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم اليها ، ومعه قومه ممن خالط الايمان بشاشة قلوبهم ؛ واستقر بها بين المهاجرين والانصار . وكان الصحابة رضي الله عنهم يجتمعون اليه ، ويحتاطون به احاطة الهالة

بالبدر النير في كل وقت ، مع ما كانوا عليه من ضنك المعيشة وقلة القوت . ولذلك كان منهم من يحترف في الاسواق ، ومنهم من كان يقوم على نخله ، ويحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل وقت ، ومنهم طائفة كانوا يحضرون عندما يجدون ادنى فراغ مما هم بسبيله من طلب القوت . فاذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسالة، او حكم بحكم ، او امر بشيء ، او فعل شيئا ، وعاده من حضر عنده من الصحابة ، وفات من غاب عنه علم ذلك ، كما هو معروف في كتب الحديث . وكان يفتي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم : ابو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبدالله ابن مسعود ، وابي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، وابو الدرداء ، وابو موسى الأشعري ، وسلمان الفارسي رضي الله عنهم .

فلما انتقلت الروح الطاهرة النبوية الى اعلى عليين ، واستخلف ابو بكر الصديق رضي الله عنه ، تفرقت الصحابة في الأقطار ، فمنهم من خرج لقتال مسيلمة واهل الردة ، ومنهم من خرج لقتال اهل الشام ، ومنهم من خرج لقتال اهل العراق .

وبقي من الصحابة في المدينة مع ابي بكر رضي الله عنه جماعة ؛ فكانت القضية اذا نزلت بأبي بكر ، قضى فيها بما عنده من العلم بكتاب الله ، او سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فان لم يكن عنده فيها علم من كتاب الله ، او سنة رسوله ، سال من بحضرته من الصحابة عن ذلك . فان وجد عندهم علما بذلك رجع اليه ، والا اجتهد في الحكم .

ولما توفي ابو بكر رضي الله عنه ؛ وولي الامر من بعده عمر بن الخطاب ؛ وفتحت الامصار ، وزاد تفرق الصحابة فيما افتتحوه من الأقطار ؛ كانت المسالة الواقعة من الشرع تنزل المدينة ، او غيرها من البلاد ؛ فان كان عند الصحابة الحاضرين بها في ذلك اثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حكم به ، والا اجتهد امير تلك البلدة في ذلك . وقد يكون في تلك القضية حكم عن النبي صلى الله عليه وسلم عند صحابي آخر ، وقد حضر المدني ما لم يحضره المصري ، وهو حضره ما لم يحضره الشامي ، والشامي حضره مالم يحضره البصري ، وحضر البصري مالم يحضره الكوفي ، وحضر الكوفي مالم يحضره المدني . كل هذا موجود في كتب الآثار ، وفي دواوين السادة الاخيار من المحدثين ، وفيما علم من مغيب بعض الصحابة عن مجلس النبي صلى الله عليه وسلم

في بعض الاوقات ، وحضور غيره ، ثم مغيب الذي حضر امس وحضور الذي غاب . فيدري كل واحد منهم ما حضر ، ويفوته ما غاب عنه ، فمضى الصحابة رضي الله عنهم على ما ذكرنا .

ثم خلف بعدهم التابعون الاخذون عنهم . وكل طبقة من التابعين في البلاد التي تقدم ذكرها انما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة . فكانوا لايتعدون فتواهم الا يسيرا عن غير من كان في بلادهم من الصحابة ، كاتباع اهل المدينة في الاكثر فتاوى عبد الله بن عمر ، واتباع اهل الكوفة في الاكثر فتاوى عبد الله بن مسعود ، واتباع اهل مكة في الاكثر فتاوى عبد الله بن عباس ، واتباع اهل مصر في الاكثر فتاوى عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهم اجمعين .

ثم اتى من بعد التابعين فقهاء الامصار : كابي حنيفة وسفيان وابن ابي ليلى بالكوفة ، وابن جريج بمكة ، ومالك وابن الماجشون بالمدينة ، وعثمان البتي ، وسوار بالبصرة ، والاوزاعي بالشام ، والليث بن سعد بمصر . فجروا على تلك الطريق من اخذ كل واحد منهم عن التابعين من اهل بلده فيما كان عندهم ، واجتهادهم فيما لم يجدوا عندهم ، وهو موجود عند غيرهم . واول من اقرا القران بمصر ابو قبيل ، وهو يروي عن عبيد بن مخمر المعافري المكنى بابي امية : رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، شهد فتح مصر . ثم ان اهل مصر كانوا يتحدثون في الفتن والترغيب . فكان اول من نشر علم الحلال والحرام فيهم ، يزيد بن ابي حبيب . وحكى ابو عمرو الكندي . ان ابا ميسرة عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمي كان فقيها ، وكان اول من اقرا الناس بمصر بحرف نافع قبل الخمسين ومائة ، وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائة . وان اباسعيد عثمان بن عتيق مولى غافق اول من رحل من اهل مصر الى العراق في طلب الحديث . توفي سنة اربع وثمانين ومائة . انتهى

وكان حال اهل الاسلام من اهل مصر وغيرها من الامصار ، في احكام الشريعة ، على ما تقدم الكلام عليه .

ثم كثر الترحال الى الافاق ، وتداخل الناس والتقوا ، وانتدب اقوام لجمع الحديث النبوي وتقييده . فكان اول من دون العلم محمد بن شهاب الزهري ، واول من صنف وبوب سعيد بن عروبة ، والربيع بن صبيح بالبصرة ، ومعمر بن راشد باليمن ، وابن

جريج بمكة ، ثم سفيان الثوري بالكوفة ، وحماد بن سلمة بالبصرة ، والوليد بن مسلم بالشام ، وجرير بن عبد الحميد بالري ، وعبد الله بن المبارك بمرو وخراسان ، وهيثم ابن بشير بواسط . وتفرد بالكوفة ابو بكر بن ابي شيبة بتكثير الأبواب ، وهيثم التصنيف ، وحسن التاليف . فوصلت احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاد البعيدة الى من لم تكن عنده ، وقامت الحجة على من بلغه شيء منها ، وجمعت الاحاديث المبينة لصحة احد التاويلات المتاولة من الاحاديث ؛ وعرف الصحيح من السقيم ، وزيف الاجتهاد المودي الى خلاف النبي صلى الله عليه وسلم ، وترك العمل به، وسقط العذر عمن خالف من السنن ، ببلوغه اليه ، وقيام الحجة عليه . وعلى هذا الطريق كان الصحابة رضي الله عنهم ، وكثير من التابعين ، يرحلون في طلب الحديث الواحد الايام الكثيرة ، كما هو معلوم من كتب الحديث .

فلما قام هارون الرشيد بالخلافة ، وولى ابا يوسف بن يعقوب صاحب ابي حنيفة القضاء بعد سنة سبعين ومائة ؛ لم يقلد ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر الا من اشار به أبو يوسف واعتنى به .

وكذلك لما قام بالاندلس الحكم المرتضى بن هشام بعد ابيه وتلقب بالمنتصر في سنة ثمانين ومائة ، اختص بيحيى بن يحيى بن كثير الاندلسي ، وكان قد حج وسمع «الموطا» من مالك الا ابوابا ، وحمل عن وهب ، وابن القاسم ، وغيرهما علما كثيرا . وعاد الى الاندلس ؛ فنال من الرئاسة والحرمة ما لم ينله غيره . وعادت الفتيا اليه ، وعظم أمره . ثم هو لم يقلد في سائر أعمال الاندلس قاضيا الا باشارته واعتنائه . فصاروا على راي مالك بعد ما كانوا على راي الأوزاعي ، وكان زياد بن عبد الرحمن الملقب ببسطور قد ادخل مذهب مالك الى الأندلس قبل يحيى ، وكان الغالب في افريقية مذهب السنن ، الى ان ادخل عبد الرحمن بن فروخ أبو محمد الفارسي اليها مذهب ابي حنيفة ؛ فلما يزالوا عليه الى ان ولي سحنون بن سعيد القضاء فنشر اذ ذاك مذهب مالك . وصار القضاء في أصحاب سحنون دولا ، ولم يزل الحال على ذلك الى زمن بني هاشم ؛ فتوارثوا القضاء . ثم ان المعز بن باديس حمل جميع اهل افريقية على التمسك بمذهب مالك ، وترك ما عداه من المذاهب ؛ فرجع اهل افريقية كلهم ، واهل الاندلس كلهم الى مذهب مالك ؛ ففشا هناك فشوا طبق تلك الاقطار ، كما فشى مذهب أبي حنيفة ببلاد المشرق.
ولما كانت أيام الخليفة القادر بالله ابي العباس احمد ؛ وتمكن الشيخ ابو حامد الاسفرائيني

من دولته ، قرر معه استخلاف ابي العباس احمد بن محمد البارزي الشافعي ، عوضا عن قاضي بغداد ابي محمد الاكفاني . وكتب ابو حامد الى السلطان محمود بن سبكتكين، واهل خراسان . ان الخليفة نقل القضاء عن الحنفية الى الشافعية . وكان القادر بالله قد سير الى محمود خلعة السلطنة ، سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، بعد أن انقطعت الدولة السامانية . فحصلت بذلك فتنة بخراسان بين الحنفية والشافعية ، صار امرها الى رجوع القضاء الى الحنفية ، وانقطاع ابي حامد من دار الخلافة ، وظهور التسخط عليه والانحراف عنه ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

ولما قدم عبد الرحيم بن خالد مولى جمح على مصر ، نشر بها مذهب مالك ، وتوفي بالاسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة . ثم نشره بها ايضا عبد الرحمن بن القاسم ؛ فاشتهر حينئذ اكثر من مذهب ابي حنيفة ، الى ان قدم محمد بن ادريس الشافعي الى مصر مع عبد الله بن العباس بن موسى في سنة ثمان وتسعين ومائة ، فتبعه جماعة من اعيانها كبني عبد الحكم ، والربيع ، والمزني ، والبويطي ، وكتبوا عن الشافعي ما الفه ، وتبعوا مذهبه فقوي حينئذ واشتهر . وصار القضاء في مذهب مالك والشافعي ، الى ان قدم القائد جوهر من بلاد افريقية في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وبنى مدينة القاهرة . وكان شيعيا ؛ ففشا مذهب التشيع بمصر ، وعمل به في القضاء والفتيا ، والنكر على من خالفه ، ولم يبق بمصر مذهب سواه ؛ حتى قام الملك الناصر صلاح الدين ابن ايوب في جمادى الآخرة سنة اربع وستين وخمسمائة ، وشرع في تغيير دولة الاسماعيلية وازالتها ، وانشأ بمصر مدرسة للفقهاء الشافعية ، وصرف قضاة مصر الشيعية كلهم ، وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس الماراني الشافعي ؛ فلم يستنب عنه في اقليم مصر الا من كان شافعيا . فتظاهر الناس من يومئذ بمذهب مالك والشافعي ، واختفى مذهب الشيعة والاسماعيلية والامامية ، حتى فقد من ارض مصر كلها .

وكذلك كان السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي حنفيا فيه تعصب ؛ فنشر مذهب ابي حنيفة ببلاد الشام ، ومنه كثرت الحنفية بمصر . وما زال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من يومئذ . وحمل السلطان صلاح الدين الناس ايضا على عقيدة الشيخ ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري ، وشرط ذلك في اوقافه التي بديار مصر كالمدرسة الناصرية ، والقمحية ، وخانقاه سعيد السعداء في

القاهرة . فاستمر الحال عليها بمصر ، والشام ، وارض الحجاز ، واليمن ، والمغرب ايضا لادخال محمد بن تومرت راي الاشعري اليها . ولم يكن في الدولة الايوبية بمصر كثير ذكر لمذهب ابي حنيفة ، واحمد بن حنبل ؛ ثم اشتهر ذكرهما في آخرها .

فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري ولي بمصر والقاهرة اربعة من القضاة وهم : شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي ، وتقرر الأمر على ذلك في الشام وما والاها . وكان اول من ولي قضاء قضاة الحنابلة بدمشق الشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن احمد بن قدامة المقدسي ثم الصالحي ، وهو من مشايخ شيخ الاسلام احمد بن تيمية ، وله مصنفات سنذكرها في ترجمته ، وتوفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة .

وقد كان مذهب الامام احمد شائعا اولا في العراق وما والاه . فلما دخل البلاد الشامية عبد الواحد بن محمد الشيرازي ثم المقدسي الدمشقي وسكن بيت المقدس ؛ نشر فيه وفي جهاته مذهب احمد ، ثم اقام بدمشق ، ونشر بها المذهب ايضا . وكانت وفاته سنة ست وثمانين واربعمائة بدمشق . قاله البرهان بن مفلح في « المقصد الارشد » . فمن ثم انتشرت المذاهب الاربعة في هذه الديار ، وبنيت لها المدارس وتنافس الناس فيها ، وتسابقوا في انشائها ، وكانت كثرتها على حسب كثرة اصحابها كما يعلمه من طالع كتابنا هذا . وجعلت مقصورة على علم الفقه غالبا المسمى الآن بفن الفروع ، وعلى فني النحو والتصريف ، وعلى قليل من فني البيان والاصول ، وعلى تلقي الاحاديث النبوية . وعمرت الزوايا والخوانق للمتصوفة . وبنيت في دمشق مدارس لفن الطب . واما العلوم العقلية ، فالظاهر انها كانت يومئذ مبتذلة ، وفن التحقيق متروكا لايهجم على ذلك الا الافراد ، وخصوصا فن الحكمة . فانه كان مع فنون الهيئة وتشريح الافلاك ، وتلك المعاني في الندرة بمكان ، يكاد المشتغلون به أن يتبرؤوا منه في الظاهر ؛ ولله في خلقه شؤون ! وحيث المعنا الى زبدة يستخرج منها المطالع اللبيب تاريخ انحصار المذاهب في الاربعة ، واسباب بناء المدارس لها . فلنرجع الى ما كنا بصدده وهو هذا .

حرف الهمزة

المدرسة (الاتابكية)

هي بصالحية دمشق . وقد عين النعيمي موقعها فقال : هي بسفح قاسيون ، غربيها المرشدية ، ودار الحديث الأشرفية المقدسية . ا.هـ

اقول : ولقد وقفت عليها بعد بحث طويل ، فرأيتها قبلي السكة ، شرقي دارالحديث ٥ المذكورة . وبابها مثل باب غيرها من مدارس الامراء ، مزخرف أعلاه بالحجر المعجن ، قائم على سفة محراب ، وباب الدخول في الوسط . وقد بنيت لها منارة يظهر عليها آثار الحدوث ، يصعد اليها بسلم من الحجر ، عليه آثار القدم . والجدار الغربي مبني بحجارة ضخمة . وبالجانب القبلي مسجد لطيف ، يظهر لمن رآه انه مستحدث . وبجانبه الى الشرق تربة مبنية بالحجارة الكبيرة ، ولها شباكان في الحائط القبلي يطلان على ١٠ بستان ، وشباكان ايضا يطلان على دمشق . وقد تهدم أعلاها ، وبها قبران ، وبساحتها بئر يجتمع الماء فيه من نهر يزيد ، وعليه مضخة تجذب الماء الى الاعلى . ومن هذا يظهر ان المدرسة قد استولى الخراب على اكثرها ؛ فتناولتها أيدي المختلسين ، وبقي جانب منها ، فهيأ الله له بعض اهل الخير ؛ فجعله مسجدا تقام فيه الصلوات الى الآن. والناس الآن يسمونها جامع التابتية وتارة يقولون : التابتية . ولقد كان لهذه المدرسة ١٥ شان عظيم ، درس بها جماعة من العلماء الكبار كابي بكر بن طالب الاسكندري ، واسماعيل الماوردي ، وصفي الدين الهندي ، وتقي الدين السبكي ، واحمد بن صصري ، واحمد ابن حجي ، واحمد بن علي الداجي المصري ، وغير هؤلاء من الافاضل .

اقول : حجي بكسر الحاء والجيم الثقيلة ، هكذا ضبطه الحافظ بن حجر في « المجمع المؤسس » وقال : مهر في الفقه والحديث ، ودرس ، وافتى ، واشتهر ، وكان ٢٠ لهجا بالتاريخ وعلم الميقات ، مات سنة عشرة وثمان مائة .

ترجمة واقفهـا

تركان خاتون بنت عز الدين ٠٠٠-٦٤٠

انشأتها تركان بالتاء المثناة الفوقية خاتون بنت السلطان عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن اتابك زنكي بن آقسنقر ، وهي زوجة الملك الأشرف موسى ، كما قاله في

« العبر » . وقول عز الدين الحلبي(١) : ان التي أنشأتها بنت نور الدين أرسلان بن أتابك صاحب الموصل ليس بصحيح ! وفي ليلة وفاتها ، كان وقف مدرستها ، وتربتها بالجبل ؛ كما قاله ابو شامة . وتوفيت سنة اربعين وسبعمائة(٢) ودفنت في تربتها بمدرستها .

وقال الذهبي في « مختصر تاريخ الاسلام » : مات صاحب الموصل سنة سبع وستمائة ، وهو نور الدين أرسلان . وكان شهما مهيباً ، فيه ظلم وجبروت ، وكان حكمه ثمانية عشر عاماً ، وبنى مدرسة للشافعية في غاية الحسن . وقال ابن الأثير :

قال وزيره : ما قلت له في فعل خير الا بادر اليه .

قال ابن خلكان : كان شهماً عارفاً بالأمور ، تحول شافعياً ولم يكن في بيته شافعي ؛ وله مدرسة قل ان يوجد مثلها في الحسن .

وحاصل هذا ان البانية لها تركان ، وكان المساعد لها زوجها الأشرف ، واحد بني اتابك . ومن كلام الذهبي يعلم أن البانية ليست بنت صاحب الموصل لتقدم وفاتها على تركان فتأمل !

المدرسة (الأسعردية)

كانت بالجسر الابيض . وقد اناخ عليها الزمان بكلكله كاخواتها من المدارس ، وذهب اسمها الا من القرطاس .

قال ابن قاضي شهبة في « الذيل » : وفي جمادى الآخرة سنة ست عشرة وثمانمائة ، خربت ثلاثة مساكن هي احسن مساكن دمشق : الدهشة ، وبستان النشوة على حافة نهر تورا بالقرب من الربوة ، وبستان ابن جماعة بالمزة . ولكن هذا الثالث نقلت آلته الى مدرسة الخواجا ابراهيم ابن الأسعردي ، وانتفع الناس بها ، وفرغ من عمارتها سنة سبع عشرة وثمانمائة ، وكانت في غاية الحسن ، ورتب بها وظائف كثيرة . ا.هـ

والدهشة والنشوة قصران عظيمان كانا في البساتين ، وسيأتي الكلام عليهما عند الكلام على متنزهات دمشق .

---

(١) المعروف بابن شداد .

(٢) كذا في الاصل وقال الصفدي توفيت في شهر ربيع الاول سنة اربعين وستمائة . ونرى ان هذا هو الأصح لما ذكر من انها كانت زوج الملك الاشرف وقد توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة .

ترجمة واقفهـا

ابراهيم الاسعردي
٠٠٠-٨٢٦

هو التاجر الكبير ابراهيم بن مبارك شاه الأسعردي . كان هو وابن المزلق من اكبر تجار دمشق ؛ تسير تجارتهما في البلدان . واعطى الله المترجم كثيراً من المال والبنين ، وكان عنده كرم واحسان الى الفقراء ، وتأنق في بناء مدرسته ، وبنى لها تربة ، ورتب بهـا فقراء ، وجماعة يقرؤون القرآن ، وهي مـن احسن عمائر دمشق . توفي سنة ست وعشرين وثمانمائة ، ودفن في تربته . وترك من الاموال والاملاك والبضائع والخيل المسومة شيئاً كثيراً . وخلف ولدين شابين ، وكان متزوجاً بنت ابن المزلق . قال ابن قاضي شهبة : توفي بعده بقليل عشرون نفساً من اهل بيته .

المدرسة (الأسدية)

حدث النعيمي وغيره : انها بالشرف القبلي ظاهر دمشق ، مطلة على الميدان الاخضر يعني المرجة الخضراء . وهي على الطائفتين الشافعية والحنفية . انتهى

وقد عفت اليوم اطلالهـا ، وانمحت رسومها وآثارهـا ، وذهبت احاديثها الا من القرطاس فسبحان الباقي !

وقال العلموي في « مختصر تنبيه الطالب » : قلت : يحتمل انها المركبة على بانياس ، المعروفة بالقرمانية . والعجب ان شيركوه له اسديتان ، برانية وجوانية ، واناس كثيرون ينتسبون اليه ، ولا تعرف هذه المدرسة . والوقف عليها قرية برزة وشمير . ولا يعرف من ذلك الا ثلاثة قراريط مـن برزة هي وقف على الاسدية الجوانية بدمشق ، وثمانية قراريط من شمير هي وقف على الاسدية الجوانية بحلب ؛ فليعلم ذلك . قال : واما الذرية فابتلوا بالقلة لعدم رجوعهم الى الحق في شرطهم الاول . انتهى

وأيا ما كان ، فقد اندرست هذه المدرسة ، واندرس وقفها . وممن درس بها أيام عزها : العز القرشي ابو الخطاب ، والركن البجلي ؛ وصلاح الدين العلائي ، وشرف الدين الاذرعي وغيرهم .

ترجمة واقفهــا

أسد الدين شيركوه
٠٠٠-٥٦٤

بناها شيركوه بن شادي بن مروان الملقب بأسد الدين ، سنة اربع وستين وخمسمائة . وكان بطلا شديد البأس ، له صيت بعيد ، ويضرب المثل بشجاعته . ونشأ بدوين من اطراف اذربيجان وبتكريت ، وكان ابــوه متولي قلعتها . وأسد الدين هذا مــن أمراء نور الدين ؛ وكان قد سيره الى مصر عونا لشاور السعدي فلم يقف شاور له ؛ فعاد منها الى دمشق وفي نيته اخذ مصر ثم رجع فكسر عسكرها وعسكر الافرنج ؛ وتولى وزارتها . وكانت الافرنج تهابه وتخافه . واقطعه نور الدين الرحبة وحمص فوق ماله من الاقطاع .

وقال ابن شداد في «سيرة صلاح الدين» : كان أسد الدين شيركوه كثير الاكل،شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة ، تتواتر عليه التخم والخوانيق ، وينجو منها بعد مقاساة شديدة عظيمة . فاخذه مرض شديد ، واعتراه خانوق فقتله سنة اربع وستين وخمسمائة ، ودفن بمصر ، ثم نقل الى المدينة المنورة . وستأتي زيادة على هذا في القسم السياسي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

المدرسة (الأصفهانية)

ذكرها القاضي ابن شداد في « الاعلاق الخطيرة » والنعيمي ، وقالا : هي بحارة الغرباء ، بالقرب من درب الشعارين ، بناها رجل تاجر من أصفهان . ولم يذكر النعيمي تاريخ بنائها .

وقال الذهبي في « العبر » : ان الشيخ عبد الكافي الربعي درس بها سنة تسع وثمانين وستمائة. ا.هـ

فيكون على هذا بناؤها قبل التاريخ المذكور .

وقال الشيخ عبد الباسط العلموي : حارة الغرباء وراء القجماسية ، وهذه المدرسة مجهولة الآن ، اللهم الا أن تكون موضع تكية احمد باشا ، فلا يبعد والله اعلم . انتهى

والعلموي مولده سنة احدى وثمانين وتسعمائة . فعليه ان هذه المدرسة قد اندرست قبل التسعمائة . وتكية احمد باشا هي المعروفة الآن بالمدرسة الاحمدية . وفي

الحارة المذكورة آثار ابنية قديمة ؛ فيمكن أن يصح ما قاله العلموي ، ويمكن أن يكون قد صارت دارا للسكنى والله اعلم !

المدرسة (الاقبالية)

اخبر النعيمي وغيره بانها داخل بابي الفرج والفراديس ، شمالي كل من الجامع والظاهرية الجوانية ، وشرقي الجاروخية ، وغربي التقويه . وقال في « العبر » : ان بانيها كان له داران ، فجعل احداهما مدرسة للحنفية ، والثانية للشافعية وهي الكبيرة منهما ، ووقف عليهما أوقافا ، وجعل الثلث منها لمدرسة الحنفية ، والثلثين لمدرسة الشافعية .

هذا ما ذكره المؤرخون ، وأقول : هذا التعريف المذكور لم يفدنا الآن شيئا ؛ لأن هذه المدرسة قد اندرست ، ولم يبق منها سوى الظاهرية . وهي الآن بأول الطريق المعروف الآن بزقاق السبع طوالع من غربيه في الجهة الشمالية ؛ مقابل اقميم حمام المقبقي ، يفصل بينهما الطريق . واخبرني بعض المعمرين الثقات ان هذه المدرسة بقيت ابوابها مفتوحة لطلاب العلم ، معمورة الى قبيل الخمسين والمائتين بعد الألف . وكان من عادة القضاة يومئذ أن ينصبوا بوابين للمدارس ، ويأذنوا لهم بالسكنى بها . وفي التاريخ المذكور : كان لهذه المدرسة بواب يقال له : يوسف الدوركلي ؛ فرأى أن من قبله من البوابين قد اعتادوا غلق ابواب المدارس الا في أوقات الصلوات ، فاقتدى بهم ، ثم زاد عليهم ، فاغلق ابوابها دائما ، ثم استبد بها ، وجعلها دارا لسكناه ، ونقض كثيرا من ابنيتها ، وبناها بناء جديدا . وبعد وفاته اختلف اولاده عليها ، وترافعوا[1] الى الحكام؛ ولم يزل الخلاف عليها جاريا فيما بينهم الى قبيل سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة بعد الألف، فهنالك قصد احد بني الدوركلي نكاية مخاصميه ؛ فاثبت لدى الحاكم أنها مدرسة ، وطلب من مجلس معارف دمشق ان يأخذها . وبعد المعاملة المقتضية ، اخذها المجلس المذكور هي والاقبالية الحنفية التي بجانبها . وفي سنة اربع وعشرين من التاريخ المذكور ؛ جعلت مدرسة للاناث ، وبقيت على ذلك . والله أعلم بما يؤول اليه امرها بعد ذلك . وسنأتي زيادة على ماكتبناه هنا عند الكلام على الاقبالية الحنفية .

---

(1) في الاصل وترافعا .

ترجمة واقفهـا

جمال الدولة اقبال
٠٠٠-٦٠٣

قال الذهبي : هو جمال الدولة امير الجيوش شرف الدين ابو الفضل اقبـال ابن الحبشي المستنصر الشرابي ، جعل مقدما على جيوش العراق ، وانشا مدرسة في غـاية الحسن للشافعية ، ثم انه في سنة اثنين وستمائة انشا مدرسة ثـانية للحنفيـة ، وانشا بمكة رباطا . وله معروف كثير ، وفيه دين وخشوع ، وله محاسن . والتقى بالتتار فهزمهم ؛ فعظم بذلك ، وارتفع قدره . ثم توجه في خدمة المعتصم نحو الحلة لزيارة الشهيد فمرض ، ثم اقبل من الحلة ، فيقال : انه سقي سما في تفاحة ؛ فلما أكلها أحس بالشر ، فرجع الى بغداد .

وقال ابن كثير : توفي اقبال الخادم جمال الدولة أحد خدام صلاح الدين ، واقف الاقباليتين بالقدس الشريف سنة ثلاث وستمائة . انتهى . وهو العام الذي فرغ فيه من بناء الاقبالية الحنفية كما سيعلم من الكلام عليها .

ودرس بهذه المدرسة جماعة من العلماء الكبار : كبدر الدين بن خلكان ، ثم شمس الدين محمد بن خلكان ، ثم الامام يحيى النووي ، ثم تاج الدين المراغي ، ثم علاء الدين القونوي ، ثم ابن المجد ، ثم العماد النابلسي ، ثم الكمال الشريشي ، ثم ولده بدر الدين ، ثم الجلال الزرعي ، ثم العماد الحسباني ، ثم ولده عبد الوهاب ، ثم ابن قاضي شهبة ، ثم الشمس الكفيري ، ثم جماعة غيرهم . وبهذا يعلم انه كان لهذه المدرسة اهمية كبرى ، فسبحان الباقي !

المدرسة (الأكزية)

هي غربي الظبية والتربة التنكزية ، وشرقي مدرسة ام الصالح .

قال النعيمي : وقد رسم على بابها بعد البسملة :

اوقف هذه المدرسة على اصحاب الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه الامير اسد الدين اكز في سنة ست وثمانين وخمسمائة . وتمت عمارتها ايام الملك الناصر صلاح الدين والدنيا ، ومنقذ البيت المقدس من ايدي المشركين ابي المظفر يوسف بن ايوب محيي الدولة امير المؤمنين ، واوقف عليها ، والدكان التي شرقيها

وقف عليها والثلث من طاحونة اللوان ، سنة سبع وثمانين وخمسمائة. انتهى .

اقول : ان هذا التعريف قد اندرس باندراس الاكزية والطيبة ؛ ولم يبق لهما رسم ولا طلل ! وان شئت البيان ، فادخل من الطريق الكائن امام محكمة الباب، جنوبي المدرسة النورية ، وسر مغربا ، والتفت بمينك ؛ تجد بناء شامخا ، وبابا مرتفعا في الهواء فهذا بناء التربة التنكزية . والناس يسمونها الآن زاوية النحلاوي . ثم اذا سرت الى جهة الغرب ، ترى في الجدار الشمالي آثار المدرسة الطيبة ؛ ويدلك عليه جدار مبني بالحجر الاحمر ، واثر باب قديم . وبالقرب من ذلك الاثر اثر نظيره ؛ وهناك كانت الاكزية . والاثنتان صارتا دورا للسكنى ، والدكان المذكورة قد دكت دكا !

ولكل دهر حلية من اهله ما فيهم جنف ولا افراط

وواقف تلك المدارس يقول لسان حاله :

قد كنت احذر بينهم من قبله لوكان ينفع خائفا ان يحذرا !

واخبرني احد الثقات انه راى الحجر المكتوب عليه ماتقدم بعد الالف والثلاثمائة ، وهو ظاهر للعيان ، ثم غطي بالطين. انتهى

وقد درس بهذه المدرسة جماعة منهم : شرف الدين الحاكي ، والبرهان المراغي ، والمجد الشهرزوري ، والكمال بن الحرستاني ، والصدر محمد بن ابراهيم بن وهيب ، ويقال : هبة الله بن عبد الرحمن بن ابي القاسم الجزري الاصل الصلتي الشهير بالنابلسي. ولي قضاء نابلس ، والتدريس بعدة مدارس ، وكان جيد السيرة والاحكام ، توفي سنة ست وسبعمائة ، وكان يحفظ « المنهاج » ، وله نظم حسن ؛ فمنه :

زار الحبيب بغير وعد سابق فلك الهنايا مقلتي فتمتعي
سرحت طرفي في بهاء جماله وحفظت جوهر لفظه في مسمعي
وفرشت خدي في الثرى لقدومه وجعلت منزله حشاي واضلعي
ونحرت نومي في الجفون قرى له وسالته وصلا بغير تمنع
فأجابني بالمنع وهو مودع اهلا به من زائر ومودع

المدرسة (الأغلبكية)

حكى المحبي في « تاريخـه » في ترجمة محمد بن محمـد الفرفوري الدمشقي الحنفي ان المذكور درس بهذه المدرسة ، قـال : وهي مشـروطة لهم ، وهي بمحـلة القيمرية . هذا كلامه . ولم « اقع(۱) » من شانها على اكثر من هذا . وظهر لي انها كانت ٥ بعد الالف واظن انها كانت للحنفية والله أعلم .

المدرسة (الأمجدية)

حكى النعيمي وغيره انها كانت بالشرف الاعلى . وسبب بنائها أن الملك الامجد بهرام ؛ الآتي تعريفه قريبا ، كان قد اوصى وصية ؛ ثم ان مملوكا له قتله . فقام بعده الملك المظفر تور الدين عمر ، فعمر تلك المدرسة من مال الوصية ، وجعلها على الحنفية والشافعية . ١٠ وكانت في موضع لطيف جدا ، لها شبابيك تطل على الميدان الاخضر المسمى بالمرجة الفيحاء ، وتظهر للواقف في الميدان كأنها قصر بديـع ، لأنها تعلو عنه علوا كثيرا . والى جانبها كانت المدرسة الفرخشاهية ، وكلاهما قد اصبحتا بستانا . وسيأتي الكلام على الفرخشاهية في موضعها . وقد درس بالأمجدية جماعة منهم : رفيع الدين الجيلي ، ونجم الدين سني(۲) الدولة ، وامين الدين بن عساكر ، والبرهان الخلخالي ، والمجد ١٥ المارداني ، واحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقي ، والشهاب الباعوني ، وابن قاضي شهبة ، وابن قاضي عجلون ، والسيد عز الدين بن حمزة ، وغيرهم من العلماء فسبحان الباقي ! ومن يعش ير موضع هذه المدارس التي كانت بالشرف الأعلى دورا للسكنى وحدائق غناء ، ويذهب بالقديم ادراج الرياح فلا يرى رسمه الا على صفحات القرطاس والله اعلم !

٢٠ ترجمة واقفهـا

الملك الامجد
بهرام شاه
٠٠٠-٦٢٩

اشتهرت هذه المدرسة قديما بالأمجدية نسبة لمجد الدين ابي المظفر بهرام شاه ابن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب . وتقدم ان الذي باشر بناءها ولده عمر من مال وصية

(۱) لم ترد هذه الكلمة في الاصل وقد اضفناها لعدم اكتمال المعنى بدونها .

(۲) كذا في الاصل ، وورد في « الاعلاق الخطيرة » : نجم الدين بن سني الدولة .

ابيه . والملك الامجد كان صاحب بعلبك بعد ابيه ، واخذت منه سنة سبع وعشرين وستمائة . اخذها منه الملك الاشرف موسى ، وردها الى اخيه الصالح اسماعيل. فقدم الامجد دمشق واقام بها . ثم انه اتهم احد مماليكه بسرقة حياصة له ، وحبسه في خزانته . وبينما هو ذات ليلة متشغل بالنرد ، اذ بالغلام قد ولع برزّة[1] الباب فقلعها ، وهجم على الامجد فقتله ، وهرب ورمى بنفسه من السطح فمات . وقيل : لحقه المماليك عند وقوعه ، فقطعوه بالسيوف . ودفن بتربته التي هي بجانب تربة ابيه في الشرف الشمالي . قال محمد بن شاكر الكتبي في « فوات الوفيات » وغيره : كان ذلك سنة تسع وعشرين وستمائة ؛ وقيل : سنة ثمان وعشرين ؛ والاول اصح . وقال ايضا : كان الامجد اديبا فاضلا ، شاعرا له ديوان شعر موجود في ايدي الناس ؛ ثم اورد شيئا من كلامه ومنه قوله :

قولوا لجيران العقيق والنقا	حتام تهدون الينا القلقا
ياساكني قلبي عسى مبشر	يخبرني متى يكون الملتقى
مالبقائي بعد بعد عنكم	معنى فان لقيتم طاب البقا
اشقاني الدهر فان اسعدني	بجمع شملي بكم زال الشقا
اهواكم وا قلقي وقلما	يجمع ما بين الغرام والتقى
حبكم سفينة ركبتها	مامونة فكيف اخشى الغرقا
حاشا لمراصبح يرجو الوصل ان	يمسي بنار هجركم محترقا

وقوله :

دعوت بماء في اناء فجاءني	غلام بها صرفا فاوسعته زجرا
فقال هو الماء القراح وانما	تجلى لها خدي فاوهمك الخمرا

واورد ابن الساعاتي قطعة من جيد شعره الفائق ونظمه الرائق ؛ فمنه ما قاله على البديهة في شاب يقطع قضبان بان :

من لي باهيف قال حين عتبته	في قطع كل قضيب بان رائق
يحكي شمائله الرشاق اذا انثنى	ريان بين جداول وحدائق

(1) حديدة يدخل فيها القفل ونحوه .

سرقت غصون البان لين شمائلي	فقطعتها والقطع حد السارق

وله دوبيت(١)

كم يذهب هذا العمر في الخسران	ما اغفلني عنه وما انساني
ضيعت زماني كله في لعب	يا عمر هل من بعد عمر ثاني

المدرسة (الأمينية)

تعريفها القديم كما في « تنبيه الطالب » وغيره : انها قبل باب الزيادة من ابواب الجامع الأموي ، المسمى قديما بباب الساعات ، لانه كان هناك مكان للساعات يعلم منها كل ساعة تمضي من النهار ، وعليها عصافير من نحاس ، وحية من نحاس ، وغراب من نحاس ، فاذا تمت الساعة ، خرجت الحية ، وصوتت العصافير ، وصاح الغراب ، وسقطت حصاة . كذا ذكره القاضي ابن زبر في « تاريخه » . وهي شرقي المجاهدية ، جوار قاسارية القواسين ، وتعرف هذه المحلة قديما بحارة الغقاب ، وكانت هناك دار مسلمة بن عبد الملك ، وكانت هذه المدرسة من سوق السلاح . وقيل : انها اول مدرسة بنيت للشافعية . وقد اوقفها امين الدولة كما سيأتي .

قال الصلاح الصفدي في « تاريخه » : وقف امين الدولة هذه المدرسة سنة اربع وعشرين وخمسمائة ، ووقف عليها غالب ما حولها من سوق السلاح وقيسارية القواسين ، وقد اخبرني بعض شيوخي انها كانت تسمى حق الذهب لكثرة اوقافها ، ولها حصة ببستان الخشاب بكفرسوسا وغير ذلك . وقد درس بها جماعة من كبار الأفاضل يتلو بعضهم بعضا ، لافائدة من ذكرهم سوى الاطلاع على الاسماء . وقد تكلم الأسدي عن الامينية في كراس ، وكتب على ظهره ما صورته : وفي سنة خمس وثمانين وستمائة ؛ نظر العلاء ابن الزملكاني في كتاب وقف الأمينية ؛ فزعم ان القاسارية التي الى جانب المدرسة لايحل اكراؤها ، ويجب ان يسكنها الفقراء بغير اجرة ؛ فأبطل جملة من الكراء كل شهر ، ثم اقتضى رايه ونظره ان الدرس يذكر كل يوم ، حتى يوم الثلاثاء والجمعة ؛ وذكر الدرس بعد العيد بثلاثة ايام ، واستمر الدرس يوم الجمعة والثلاثاء . انتهى

وبالجملة فقد كان لهذه المدرسة شان كبير بين المدارس ، ثم ان الأيام كرت عليها

(١) القصيدة التي يكون فيها كل بيتين بقافية هي من محدث العصر العباسي .

فاغتصبت أوقافها ، واعطيت لغيرها . ثم اغتصب الناس اكثرها ، وتغيرت رسومهـا ، وجعل بابها من الجهة الشمالية . ثم قيض الله لها بعض مؤدبي الأولاد ؛ فانفق عليهـا جانبا ، ورممها واصلح ما بقي منها ، وجدد بركة مائها ، واتخذها مكتبا للتعليم ، وهي الآن على ما ذكرنا . ومحلها في الجانب القبلي من سوق الحرير . وتفصيله أن الخارج من باب الزيادة ، وهو باب الجامع القبلي ، اذا توجه جهة الجنوب ، يرى عند أول سوق السلاح ، سوقا عن يمينه تسير الى الغرب . فهذا هو المسمى بسوق الحرير ، والأمينية هناك معروفة مشهورة . والله اعلم بما تصير اليه أحوالها فيما بعد .

ترجمة واقفهـا

أمين الدولة كشتكين ٠٠٠-٥٤١

بناها اتابك العساكر بدمشق وكان يقال له : أمين الدولة كستكين(١) بن عبد الله الطغتك ، وكان نائبا على قلعتي بصرى وصرخد ، ولاه عليها الاتابك طغتكين . وكان أميراً جليلا ، كبير الحرمة ، توفي سنة احدى واربعين وخمسمائة . قاله الذهبي في «تاريخه» .

المدرسة (الباذرائيـة)(٢)

هي الآن مشهورة معروفة ، وهي بمحلة العمارة الجوانية ، امام حمام اسامة المعروف بحمام سامية ، بحذف الألف من أوله . وبناؤها متين ، وداخلها ذوطباق علوية وتحتية ، وبها مجاورون لطلب العلم . وقال في « تنبيه الطالب » : هي داخل بابي الفراديس والسلامة ، شمالي جيرون ، وشرقي الناصرية الجوانية . انتهى . وهذه الأوصاف موجودة الا الناصرية ، فان أيدي المختلسين قد تناولتها فجعلتها دارا للسكنى ! وكان موضع الباذرائية قبل بنائها دارا لرجل يقال له : اسامة .

وقال ابن كثير في حوادث سنة تسع وستمائة من « تاريخه » : هذا هو اسامة الجبلي ، كان احد اكابر الأمراء ، وكان بيده قلعتا عجلون وكوكب ، وكان شيخا كبيرا قد اصابه النقرس ؛ فاعتقله العادل بقلعة الكرك ، واستولى على حواصله وامواله واملاكه ، ومن ذلك داره وحمامه داخل باب السلامة . انتهى

---

(١) كذا في الأصل وذكر النعيمي في «الدارس» نقلا عن الذهبي انه « كمشتكين بن عبدالله الطغتكيني » ، وهذا هو الأصح .

(٢) قال الشيخ محمد أحمد دهمان : الصواب البادرائية ، لان منشأها منسوب الى بادرايا ، قرية من عمل واسط .

ثم ان هذه الدار انتقلت بطريق الملك الى العلامة نجم الدين البادرائي كما حكاه ابن شداد ؛ فجعلها مدرسة كبيرة مهندسة .

وقال ابن كثير : ان واقفها اوقفها على المقيمين بها ممن كان اعزب ، وان لايكون الفقيه المقيم بها ساكنا في غيرها من المدارس . واراد بهذين الشرطين توفير خاطر الفقيه، ٥ وجمعه على طلب العلم . ولكن حصل بذلك خطل كثير ، وشر لبعضهم كبير . وقد كان برهان الدين الفزاري ، مدرس هذه المدرسة وابن مدرسها ، يقول : لما حضر الواقف في اول يوم درس بها ، وحضر عنده السلطان الناصر ، قرا كتاب وقف هذه المدرسة وفيه : لايدخلها امراة. فقال السلطان : ولاصبي فقال الواقف : يامولانا ان الله لايضرب بعصوين . فكان اذا ذكر هذه الحكاية تبسم عندها . وكان هو اول من درس بها ، ثم ولده كمال الدين ١٠ من بعده . وجعل نظرها الى وجيه الدين بن سويد ، ثم صار في ذريته ، وطول الزمن نسخ ذلك . ونظرها في زمننا هذا الى بني الشطي .

قال ابن كثير : وقد وقف البادرائي على هذه المدرسة اوقافا حسنة دارة ، وجعل فيها خزانة كتب . انتهى

اقول : اما وقفها فقد صار كغيره ملكا بيد الغير ، واما كتبها فلقد طارت بها اجنحة ١٥ الفقدان في الاقطار والبلدان . وشرط وقفها لارعاية له ابدا كسائر الشروط ، ولكن المدرسة عامرة مفتحة الابواب ؛ منتظمة في سلك المدارس المعدة لطلب العلم .

وقال ابن قاضي شهبة في « تاريخه » : وفي شوال سنة ثلاث وخمسين وستمائة، اشترى البادرائي دار اسامة الكبيرة ، التي خربها نجم الدين بن ايوب داخل باب السلامة ليجعلها مدرسة للشافعية ، بخمسين الف درهم ؛ وشرع في الشهر الآتي بعمارتها ؛ ٢٠ واطلق له السلطان من غيضة جسرين خمسمائة حمل خشب . قال : ورايت شرط واقفها ان لايدخل اليها امراة ، فقال السلطان : ولا امرد . فقال : ان الله لايضرب بعصوين . قال ابن شهبة : فلذلك لم تفلح هذه المدرسة ، اي لم يخرج منها عالم فالح، وقد درس بها جماعة كثيرون .

ترجمة واقفها

٢٥ نجم الدين البادرائي ٥٩٤-٦٥٥ هو العلامة نجم الدين ابو محمد عبد الله بن ابي الوفاء بن محمد الحسن بن عبد الله ابن عثمان البادرائي البغدادي ، ولد سنة اربع وتسعين وخمسمائة ، كما حكاه عبد الوهاب

السبكي في « الطبقات الكبرى والوسطى » ، وقال : تفقه وبرع ، ودرس بنظامية بغداد، وترسل عن الديوان العزيز غير مرة ، وحدث ببغداد ومصر وحلب ، وبنى بدمشق المدرسة المعروفة به ، وولي القضاء ببغداد خمسة عشر يوما ، وتوفي اول ذي القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة .

وقال الذهبي : كان ، يعني المترجم ، فقيها عالما دينا ، صدرا محتشما ، جليل القدر ٥
وافر الحرمة ، متواضعا دمث الاخلاق منبسطا ، قد ولي القضاء ببغداد على كره ، وعافاه الله من فتنة التتار الكائنة ببغداد في السنة التي مات فيها .

وفي كلام ابن كثير ثناء عليه ايضا ؛ فانه قال : كان فاضلا بارعا ، رئيسا متواضعا ، وقد ابتنى بدمشق مدرسة حسناء مكان دار الامير اسامة ، الذي قبض عليه العادل
١٠ حينما اتهمه بمكاتبة الملك الظاهر صاحب حلب ، واخذ منه الف الف دينار ، وخرب قلعة كوكب الى الارض لعجزه عن حفظها . ثم ساق قصة بناء المدرسة على نحو ما تقدم . وبالجملة فان الباني لها كان ذا حظ من علم وحسن سيرة .

المدرسة (البهنسية)

هي بجبل الصالحية كما حكاه النعيمي ، ولم يزد على هذا . وسماها البقاعي
١٥ المهلبية ، نسبة الى المهلب احد اجداد الواقف . ولم يترجموها باكثر من هذا . وماكنت اهتدي الى موضعها بعد البحث الشديد ، والسؤال من اهل المعرفة . وكأني بها وهي تنشد قول القائل :

بالقضاء البليغ كنا فعشنا ثم زلنا وكل خلق يزول

ترجمة واقفها

٢٠ انشاها الوزير مجد الدين الحارث بن المهلب ، وكان يعرف بابي الاشبال ، او ابن الاشبال . مجد الدين البهنسي ٠٠٠-٦٢٨

ترجمه الاسدي فقال فيه : هو العالم النحوي مهذب الدين ، وقف وقفا بمصر على

الزاوية التي كان والده يقرىء بها بالجامع العتيق ، وكانت له يد طويلة في اللغـة ، وله شعر حسن .

وفي «تاريخ ابن كثير» : أنه جعل كتبه وقفا بالمدرسة البهنسية ، واجرى عليها اوقافا جيدة دارة . انتهى

٥ ثم اتصل بالصاحب ابن سكر وترسل الى الديوان العزيز ، والى ملوك النواحي . قال السبط ابن الجوزي : كانت له سيرة حسنة ، لم يقطع رزق احـد ، وكان حسن المحاضرة عاقلا ، لم يكن فيه ما يعاب عليـه الا استبداؤه . واستوزره الملك الاشـرف موسى ، ثم نكبه وصادره وحبسه .

المدرسة (التقوية)

١٠ روى مترجمها انها كانت داخل باب الفراديس ، وهو الباب الحديد الذي هو بسوق العمارة . وهي شمالي الجامع ، شرقي الظاهرية ، والاقباليتين ، وكان لها اوقاف كثيرة. حكاه ابن كثير في « تاريخه » .

وقال الأسدي : اوقفها السلطان تقي الدين عمر سنة اربع وسبعين وخمسمائة . ودرس بها محمد بن سليمان الصرخدي المتوفى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ، وكان

١٥ اجمع اهل البلد لفنون العلم ، صنف « شـرح المختصر في مذهب الشافعي » في ثلاث مجلدات ، واختصر « اعراب القرآن للسفاقسي » ، واعترض عليه في مواضع ، واختصر « قواعد العلائي » و « التمهيد للأسنوي » ، واعترض عليهما ، واختصر « المهمات » . وقد احترقت غالب مصنفاته في الفتنة قبل تبييضها . وكان فقيرا ذا عيال .

وقال العلموي : درس بها قاضي القضاة محي الدين البرزي ، ثم محي الدين بن زكي

٢٠ الدين ، ثم درس بها نحو خمسة عشر نفساً ، آخرهم السيد كمال الدين ، ثم جماعات اروام واعجام ؛ ثم تخلل بينهم القاضي زين الدين معروف لما تحنف ، ثم تخللت الاروام، ثم الشيخ علاء الدين بن عماد الدين ، ثم بعده الشيخ بدر الدين بن رضي الدين الغزي سنة احدى وسبعين وتسعمائة . والظاهر ان ايدي المختلسين تلاعبت بها بعد الالف ؛ فمازالوا يبتلعونها كغيرها من المدارس ، هي واوقافها شيئا فشيئا ، وهي تنشد قول

٢٥ المعري :

منازل المجد من سكانها دثر — قد غيرتهم صروف بالفتى عسر
هب الديانة لاترعى فعالهم — حق المروءة لايرعوا وان كثروا
لايجلبون لضيف طارق ثمرا — الا وثم نفوس للقرى خثروا
انحن افضل ام اشياء جامدة — اضحت لديها العين والاثر

الى ان اضحت في زماننا هذا دارا للسكنى ، يسكنها جماعة من بني التغلبي ، ومحلها الآن بزقاق السبع طوالع من لمن(١) العمارة . وملاكها الآن يقيمون بها ، في الساحة البرانية منها حفلة للأذكار على الطريقة الشيبانية كل ليلة جمعة من الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان . ٥

ترجمة واقفها

الملك المظفر عمر بن شاهنشاه ٥٨٧-٠٠٠

١٠ بناها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب ، وبنى بمصر ايضا المدرسة المعروفة بمنازل العز . قال ابن كثير : وله بحماة مدرسة هائلة ، ولد سنة سبع وثمانين وخمسمائة(٢) ، وكان بطلا شجاعا ، له مواقف مشهورة في قتال الافرنج مع عمه صلاح الدين وكان يحبه ، وهو الذي اعطاه حماة . وقد استنابه بمصر مدة ، واعطاه المعرة والسليمية وكفر طاب وميافارقين واللاذقية وجبلة ، ثم اعطاه حران والرها . فسار الى تلك البلدان في سبعمائة فارس . وكان عالي الهمة ، فقصد مدينة جابي فحاصرها وافتتحها . فلما سمع بكتمر صاحب اخلاط به ، سار لقتاله في اربعة آلاف واربعمائة فارس ، والتقوا ، فلم تثبت عساكر اخلاط وانهزموا فتبعهم المظفر ، واخذ قلعة بكتمر ، ونازل اخلاط وحاصرها ، فلم ينل منها غرضا لقلة عسكره . وفي القسم الاول من هذا الكتاب مايكون ابسط من هذا . ١٥

٢٠ قال ابن واصل : كان المظفر عمر شجاعا جوادا ، شديد الباس ، عظيم الهيبة ، وكان من اركان البيت الأيوبي ، وكان عنده فضل وادب ، وله شعر حسن . اصيب السلطان صلاح الدين بموته ، لأنه كان من اعظم اعوانه على الشدائد . قال في « مرآة الزمان » : وله ديوان شعر ، ومن شعره قوله :

---

(١) وهذا مما تعارف عليه الناس من تقسيم المدينة الى ثمانية اقسام والعمارة واحد منها .
(٢) كذا في الاصل وفي هذه السنة كانت وفاته لا ولادته كما سيذكر ذلك المؤلف فيما بعد .

ارى قوما حفظت لهم عهـودا فخانوني ولـم يرعوا حفاظا
لهـم عنـدي محافظة فالفى لهـم خلقا وافئـدة غلاظـا

وقال ابن خلكان في « تاريخه » : كان الملـك المظفر شجاعا مقداما منصورا في الحروب مؤيدا في الوقائع ، ومواقعه مشهورة مع الفرنجة ، وكانت له آثار في المصافات
٥ دلت عليها التواريخ ، وله في ابـواب البر كل حسنة ، منها مدرسة منـازل العز التي بمصر ، ويقال : انها كانت دار سكنه ، فوقف عليها وقفا كثيرا ، وجعلها مدرسة . وكانت الفيوم وبلادها اقطاعا له ، وله به مدرستان شافعية وحنفية ، عليهما وقف جيد ايضا . وبنى بمدينة الرها مدرسـة لما كان صاحب البلاد الشرقية ، وكان كثـير الاحسان الى العلماء والفقراء وارباب الخير ، وناب عن عمه صـلاح الدين في الديار المصـرية في بعض
١٠ غيباته عنها ؛ فان الملك العادل كان نائبا عن اخيه صلاح الدين في مصر . فلما حاصـر الكرك سنة تسع وسبعين وخمسمائة في رجب طلب اخاه من مصر بالعساكر ، وسير اليها تقي الدين نائبا عنه ، ثم استدعاه اليه بالشام ، وولى الديار المصرية لولده الملك العزيز عثمان ومعه الملك العادل . فشق ذلك على تقي الدين ، وعزم على دخـول بلاد المغرب ليفتحها ، فقبح عليه اصحابه ذلك فامتثل قول عمه صـلاح الدين ، وسار الى
١٥ خدمته . فخرج السلطان ، فالتقاه بمرج الصفر ؛ واجتمعا هنالك في شعبان سنةاثنتين وثمانين وخمسمائة ، وفرح به واعطاه حماه . فتوجه اليها ثم توجه الى قلعة منازكرد من نواحي خلاط ليأخذها فحاصرها مدة ، ثم توفي عنها تاسع عشر شهر رمضان مـن سنة سبع وثمانين وخمسمائة . وقيل : توفي مابين خلاط وميافارقين . ونقل الى حماة ، فدفن بها .

٢٠ وقال في « الروضتين » في حوادث السنة المذكورة : كان تقي الدين عمر ابن اخي السـلطان قد امتدت عينه الى بلاد غيره ، فاستولى على السويداء وعلى مدينة حاني ، وتملك معظم البلاد ، ثم قصد خلاط ، فاناخ على منازكرد يحاصرها ؛ ومعـه عساكر كثيرة ؛ فاناخت بجسـده المنية بسبب مرض اعتراه ، وزاد الى ان بلغ منه المراد . وقال عند الكلام على كسرة الرملة ، نقلا عن العماد الكاتب فانه قال : وحيث كانت للملك المظفر
٢٥ تقي الدين في هذه الغزوة اليد البيضاء انشدته قصيدة منها :

سقى الله العـراق وساكنيـه وحيـاه حيا الغيث الهتـون
وجيرانا امنت الجـور منهـم وما فيهم سـوى واف امـين

صفوا والدهر ذو كدر وقدما | وفوا بالعهد بالزمن الخؤون
بنو ايوب زانوا الملك منهم | بحلية سؤدد وتقى ودين
ملوك اصبحوا خير البرايا | لخير رعية في خير دين
اسانيد السيادة عن علاهم | معنعنة مصححة المتون
بنو ايوب مثل قريش مجدا | وانت لها كانزعها البطين[1] ٥
اخفت الشرك حتى الدهر منهم | يرى قبل الولادة في الجنين
ويوم الرملة المرهوب باسا | تركت الشرك منزعج القطين
وكنت لعسكر الاسلام كهفا | اوى منه الى حصن حصين
وقد عرف الفرنج سطاك لما | راوا آثارها عين اليقين
وانت تبت دون الدين تحمي | حماه اوان ولى كل دين ١٠

اقول : ولايستبعد قول العماد : اخفت الشرك ، البيت ، لان الولد له حظ من اخلاق والده ؛ فان كان حين الوقاع خائفا ، او مسرورا ، او غير ذلك ، اثرت حالته في النطفة ، وسرى ذلك التاثير الى الولد ، كما يعلمه من حقق ذلك الأمر ودقق فيه. فرحم الله ارواح اولئك الافاضل الذين باعوا نفوسهم في الجهاد ، وانفقوا اموالهم في سبيل العلم واهله. ١٥ ثم خلف من بعدهم خلف نقضوا آثارهم وغيروها ، وقلبوا اوضاعها ، واكلوا اوقافها ، واماتوا العلم ؛ فاضاعوا الصلوات ، واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا .

المدرسة (الجاروخية)

سيف الدين جاروخ

اخبر عنها النعيمي وغيره ، بانها كانت داخل بابي الفرج والفراديس ، لصيقةالاقبالية الحنفية شمالي الجامع الأموي ، والظاهرية الجوانية . انشاها سيف الدين جاروخ التركماني للعلامة ابي القاسم محمود بن المبارك بن علي بن المبارك المعروف بالمجيرالواسطي ٢٠ البغدادي ، فدرس بها مدة ، ثم درس بها بعده جماعات من الافاضل . والذي يفهم من تراجم مدرسيها انها اقدم من المدرسة الباذرائية ؛ لان نجم الدين الباذرائي ممن جملة من درس بها . وبقيت منهلا لطلاب العلم الى ان سطت عليها ايدي المختلسين ؛ فجعلت دورا للسكنى ، ولم يبق لها رسم ولا طلل ، سوى حجارة يسيرة في اساس جدارها ! ٢٥

(1) الانزع من انحسر الشعر من جانبي جبهته . والانزع البطين هو سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

ترجمة المجير الواسطي

المجير الواسطي ٥١٧-٥٩٢

الخص هنا ترجمة الواسطي الذي بنيت هذه المدرسة له ، ليعلم الواقف على كتابنا كيف كان اعتناء الامراء والاغنياء بالعلم والعلماء المحققين ، وكيف كانوا ينفقون الاموال في سبيل ترقي العلم ونصرة الدين ، فاقول :

حكى الشيخ عبد الوهاب السبكي في « الطبقات الوسطى » : ان المجير الواسطي برع في مذهب الشافعي فروعا وخلافا ، واشتغل بالاصول والكلام ، حتى صار من احد الائمة فيهما . وقال ابن النجار : برع المترجم في الاصول والفروع ، والخلاف والجدل ، وعلم الكلام والمنطق ، حتى صار شيخ وقته ، وعلامة عصره ، يقصده الطلبة من جميع الجهات . وصنف كتبا كثيرة في الاصول والجدل وغيرهما ، واعاد بالنظامية ببغداد وهو شاب ، ثم سافر الى دمشق ، فاقام بها مدة يدرس في عدة مواضع . ثم عاد الى بغداد ، وخرج الى بلاد فارس فنزل شيراز فاقام مدة يدرس . ثم انتقل الى عسكر مكرم ؛ فبنى له اميرها مدرسة ، فدرس بها سنين ، ثم قدم واسط فنشر العلم بها . ثم عاد الى بغداد ، وتولى تدريس المدرسة النظامية . ثم ندب الى الخروج في رسالة الى خوارزم شاه سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ؛ فلما انتهى الى همذان مرض مرضا شديدا ؛ فاقام بها الى ان توفي في السنة المذكورة .

وقال الحافظ الذهبي في « العبر » : كان المترجم احد العلماء الاذكياء ، والمحررين لمذهب الامام الشافعي ، وكان فصيحا بليغا ، بنيت لاجله المدرسة الجاروخية في دمشق .

وقال ابن قاضي شهبة : وقد نشر في دمشق علم الطب ، غير العلوم التي نشرها ايضا . قال : وكان احذق اهل زمانه ، مع سكون ظاهر ، وقلة انزعاج .

وقال ابن الدبيثي : تفرد بمعرفة الاصول والكلام ، وما راينا اجمع لفنون العلم منه مع حسن العبادة .

قال في « العبر » : وكان طويلا جدا ، غواصا على المعاني . ا.هـ

والذي يظهر ان بناء الجاروخية كان في حدود التسعين وخمسمائة .

الأردبيلي

نور الدين
الأردبيلي
٠-٧٤٩

هذا الفاضل احد مدرسي الجاروخية ، ولشهرته عجلت القرى لترجمته . وهو فرج بن محمد بن أبي الفرج الأردبيلي الشيخ نور الدين ، قرا المعقولات على الجاربردي المشهور ، ثم قدم دمشق ، ودرس بالبادرائية ، ثم بالظاهرية البرانية ، ثم بالناصرية الجوانية والجاروخية ، ومات عنهما . وشغل الناس بالعلم ، فافاد الطلبة ، وشرح ٥
« منهاج البيضاوي في اصول الفقه » وشرح من « منهاج النووي » قطعة جيدة .

وقد ترجمه ابن السبكي في « الطبقات » ، وحكى له همة عالية في تعلم العلم وتعليمه ، وقال : انه توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة بمدرسة الجاروخية ، ودفن بباب الصغير . وقال في « ذيل العبر » : انه توفي شهيدا . ولم يفصل خبر شهادته .
وقال ابن رافع : كان دينا خيرا ، ملازما للاشتغال والتصنيف ، بشوشا حسن الملتقى ١٠
متواضعا .

ترجمة واقفها(١)

المدرسة (الحمصية)

قال في « تحفة الطالب » : هي تجاه الشامية البرانية ، يعني في سوق صاروجا . ١٥
قال ابن كثير : فتحت هذه المدرسة سنة ست وعشرين وسبعمائة ، ودرس بها قاضي حصن عكار ابو الرباح محي الدين الطرابلسي . وقال العلموي : سكنها العجماوي المصري المقرىء امام سيباي نائب الشام . ثم تركت وهجرت ، وهي الآن من بيوت الاروام. ا.هـ
وهذا يدل على انها اختلست في عصر التسعمائة، ومن ذلك الوقت اندرست آثارها ،
وتبدلت اطلالها ، ولذلك لم يذكرها البقاعي في « مختصره » . ٢٠

---

(١) في الاصل بياض مقداره سبعة أسطر . وقد قال ابن شداد في ترجمة واقفها : بانيها جاروخ التركماني يلقب سيف الدين. ا ه

المدرسة (الحلبية)

كانت في مكان يقال له : محلة السبعة . واقيمت بها الجمعة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

شهاب الدين ابن عبد الخالق ٠٠٠-٨٢٨

قال ابن شهبة : انشأها شهاب الدين احمد بن عبد الخالق ، وكان في اول امره ٥ مغنيا يعلم الجواري الغناء ، ثم رجع عن ذلك ولازم الصلوات ، ووقف الى جانب الحلبية مسجدا ، واضافه اليها ، ووقف عليها وقفا ؛ ولم يخلف ولدا . ووقف ثلث قاعة على الزيت الذي يوقد في الحجرة النبوية ، والثلث الثاني على زوجته ، والثلث الباقي على ابن اخيه. وجعل وقفا على قراءة «البخاري» بالحلبية. ومآل ذلك الى الزيت في الحجرة النبوية . توفي يوم الاحد مستهل جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وثمانمائة .

١٠ قال ابن شهبة : كان الامير زين الدين دمرداش الظاهري الحاجب اصله من مماليك برقوق ، ولي القسمة بدمشق ، وحصل مالا من الموتى ، ثم وقع بينه وبين القاضي ابن ابي الثناء ، وضرب بعض الشهود ، ثم ترافعوا الى النائب فعزله بعد ذلك بقليل ، وبقي بطالا مدة طويلة . وحصل املاكا كثيرة ، وتوفي في التاريخ المذكور ، ودفن بمقبرة الشيخ ارسلان ، ومات عن غير ولد . ووقف املاكه على جهات البر بمكة والمدينة ، ١٥ وعلى مدرسة ابي عمر . وكانت المدرسة الحلبية مقابل داره ؛ فوقف عليها سبعاً وقارىء حديث ، وجهات بر وخير. انتهى . ثم اندرست ولم نعلم لها الآن موضعا ولا اثراً، فسبحان الباقي !

المدرسة (الخبيصية)

قال في «التحفة» : هي قبلي الزنجاري. انتهى

٢٠ اقول : وخان الزنجاري قد بناه الملك الاشرف جامعا ، وصار اسمه جامع التوبة . وكانت هذه المدرسة بالعقيبة ، قبلي ذلك الجامع . قال العلموي : وهي الآن يعني في زمنه خرابة ، وربما دخلت في البستان . وفي «التحفة» ان ابن قاضي اذرعات[1] كان سكنه باعلاها ، وبها توفي سنة اربع عشرة وثمانمائة. انتهى

فتكون قد سلمت من فتنة تيمورلنك ، ولم تسلم من يد المختلسين . واما الآن ٢٥ فلا ذكر لها ولا رسم ولا اثر !

---

(١) هي مدينة درعا اليوم .

المدرسة (الخليلية)

سيف الدين بن بكتمر ٠٠٠-٧٤٦

انبتها البقاعي ، وصاحب «التحفة» . قال البقاعي نقلا عن الحسيني : انشاها الامير سيف الدين بن بكتمو ، ومات بها سنة ست واربعين وسبعمائة . ونقل منها بتابوت ، فدفن بالقبيبات . وهذه المدرسة بالقرب من المؤيدية وحمام المحتسب .اه

٥ اقول : اطلق المؤيدية وهي محلان : احدهما مقبرة كانت على الشرف الشمالي فوق العزبة . فان كانت هي المقصودة فقد اندرست هي والخليلية والعزبة ، وصار الكل بساتين . وثانيهما المؤيدية الصوفية : وهي بدمشق ايضا . ولم نعلم لها اثرا وأياما كانت ؛ فقد اندرست ومضى زمنها !

المدرسة (الدماغية)

١٠ ابان عنها صاحب «التحفة» بقوله : داخل باب الفرج ، غربي الباب الثاني الذي قبلي باب الطاحون ، وهي قبلي وشرقي الطريق الآخذ الى باب القلعة الشرقي ، وهذا الطريق بينها وبين الخندق . وهي ايضا شمالي العمادية . انتهى

اقول : ان باب الفرج هو الباب المسمى بباب المناخلية ، والطاحون لم تزل موجودة ، والخندق قد ردم ، وبنيت امامه حوانيت . وقد شاهدت هذا المكان ؛ فرايت مكان الدماغية

١٥ قد صار قاعة للنشا ، ودارا للسكنى ، ولم يبق اثر يدل على المدرسة . وكذلك العمادية قد صارت دورا وحوانيت . ولقد كانت الدماغية على الحنفية والشافعية .

وقال ابن شهبة الاسدي في «تاريخه» : ان نعل النبي صلى الله عليه وسلم اليمنى كانت بهذه المدرسة ، والنعل اليسرى كانت بدار الحديث الاشرفية ، فاخذ تيمورلنك الفردتين . وقال هذا ايضا ابن قاضي شهبة في « تاريخه » . وقد تقدم ذلك عند الكلام على دار

٢٠ الحديث الاشرفية .

ترجمة واقفها

عائشة الدماغ

قال القاضي ابن شداد : انشأتها عائشة جدة فارس الدين بن الدماغ وزوجة شجاع الدين بن الدماغ سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وقيل : سنة ثلاث وثلاثين . ولعل عمارتها استمرت مدة مابين التاريخين .

قال في « العبر »: كان شجاع الدين محمود هذا من اصدقاء العادل يضحكه؛ فحصل من اجل ذلك اموالا جزيلة . وكانت داره داخل باب الفرج ، فجعلتها زوجته عائشة مدرسة للشافعية والحنفية ؛ ووقفت عليها اوقافا ، وهي ثمانية اسهم من أصل اربعة وعشرين سهما من قصر اللباد شرقي مقري ، وثلث مزرعة الدماغية ، وحصة من رجم
٥ الحيات ، وحصة من حمام اسرائيل ، وحصة من قرية ديرسلمان ببلاد المرج ، ومزرعة شرحوب عند قصر ام حكيم شرقي عوار وقبلي شقحب ، ومحاكرات ، وغير ذلك . وكانت وفاة شجاع الدين سنة أربع عشرة وستمائة .

المدرسة (الدولعية)

هي بجيرون قبلي المدرسة الباذرائية بغرب . قاله في « التحفة ». وتحديدها الآن
١٠ وان لم يحصل منه نفع : انك اذا وقفت أمام الباذرائية ، وسرت الى جهة الجنوب برهة ، كان عن يمينك طريق نافذ ضيق ، وفي اواسط ذلك الطريق من الجهة الشمالية زقاق صغير وفيه كانت الدولعية ؛ او ان ذلك الزقاق هو محلها . وقد صارت الآن دورا للسكنى . ولم يبق لها اثر ؛ سوى حجرة لطيفة بها قبر الدولعي في دار صغيرة . وقد اوقف عليها بانيها اوقافا منها : جميع بياض البستان خارج الباب الشرقي المعروف
١٥ بالدولعية ، ولم يزل يسمى بذلك الى الآن ؛ وحقلة الوادي التحتاني ؛ ومحاكرات ابن صبح ، وحصة بطاحون الزلف بالوادي التحتاني ، وغير ذلك .

قال العلموي : استولى عليها وعلى وقفها ابن قاضي عجلون حتى نسيت ؛ ثم تقرر في تدريسها ناصر الدين الطرابلسي امام الحنفية بالجامع الاموي سنة أربع وسبعين وتسعمائة . انتهى

٢٠ وعلى هذا فتكون قد سلمت من فتنة تيمورلنك ، ولم تسلم من أيدي المختلسين !

ترجمة الدولعي الكبير عم الواقف

ضياء الدين الدولعي ٥٠٧-٥٩٨

قال ابن السبكي في «الطبقات الكبرى»: هو عبد الملك بن زيد بن ياسين بن زيد ابن قائد بن جميل التغلبي أبو القاسم الدولعي ، خطيب دمشق والمدرس بها ، ضياء الدين

الارقمي الموصلي . والدولعية قرية من قرى الموصل . ولد سنة سبع وخمسمائة . وقال في « طبقاته الوسطى » : ولد سنة اربع عشرة وخمسمائة او قبل ذلك . وتبعه على ذلك الاسنوي في « طبقاته » . فيكون تعيين ولادته مجهولا .

قال ابن السبكي : وقدم دمشق في شبيبته ، وكان فقيها كبيرا متفننا ، عارفا بمذهب الشافعي ، وبناء على طريقة حميدة . ولي خطابة دمشق وامامتها مدة طويلة ودهرا طويلا ، ودرس بالغزالية زمنا كثيرا . ٥

وقال عبد الرحيم الاسنوي : الدولعية بالعين المهملة ، وقال عن المترجم : تفقه ببغداد ، ثم قدم الشام فتفقه على ابن أبي عصرون وغيره .

وقال النووي في « طبقاته » : كان شيخ شيوخنا ، وكان احد الفقهاء المشهورين ، والصلحاء الورعين . توفي سنة ثمان وتسعين بتقديم التاء على السين وخمسمائة .

ترجمة واقفها ١٠

جمال الدين الدولعي ٥٥٥–٦٣٥

أنشأها العلامة جمال الدين محمد بن ابي الفضل بن زيد الخطيب التغلبي الارقمي الدولعي ثم الدمشقي كذا قاله الصفدي وغيره سنة خمس وخمسين وخمسمائة . وورد دمشق شابا ، فتفقه على عمه عبد الملك الدولعي المتقدم ذكره ، وسمع منه ومن جماعة . وكان له ناموس وسمت ؛ يفخم كلامه . وولي خطابة الجامع الاموي بعد عمه . توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ودفن في الضفة الغربية من مدرسته . وفيه يقول ١٥ شرف الدين بن عنين :

طولت يادولعي فقصر	فانت من غير ذا مقصر
خطابة كلها خطوب	وبعضها للورى منفر
تظل تهذي ولست تدري	كانك المغربي المفسر

المدرسة (الركنية الجوانية) ٢٠

هي شمالي الاقباليتين شرقي العزية الجوانية والفلكية ، غربي المقدمية . وهي الآن بزقاق كان يعرف بزقاق بني مفلح الحنابلة ، ويعرف الآن بزقاق بني عبد الهادي . وهو

معروف بمحلة العمارة تجاه المقدمية ، واما المدرسة الركنية ، وكذا العزية والفلكية ، ففي طي الخفاء تتمثل بقول ابي الأصبع :

أهلكنا الليـل والنهـار معـا والدهر يغدو مصمما جذعـا

والمصمم الماضي في سيره . وقوله جذعا بفتح الذال ومعناه شاب دائما لايهرم .

٥ ولله در المعري حيث يقول :

ما يعرف اليوم من عاد وشيعتها وآل جرهم لابطـن ولا فخـذ
اطارهم شيمة العنقـاء دهرهم فليس يعلم خلق اية اخـذوا

ولي هذه المدرسة شمس الدين ابن سنا الدولة ، ثم ولده صـدر الدين ، ثم ولده نجم الدين ، ثم شمس الدين ابن خلكان ، وناب عنه بها النووي ، ثم نحو خمسة وعشرين

١٠ مدرسا ، ثم اناس ، الى ان غربت شمسها وتقوضت خيام العلم منها !

ترجمة واقفها

ركن الدين منكورس ٠٠٠-٦٣١

اوقفها ركن الدين منكورس عتيق فلك الدين ، وستاتي ترجمته في الركنية الحنفية .

المدرسة (الرواحيـة)

هي شرقي مسجد ابن عروة الذي هو بالجامع الاموي ولصيقه، شمالي جيرون ،

١٥ وغربي الدويلعية ، وقبلي السيفية الحنبلية . اقول : شاهدت موضع هذه المدرسة فرايتها قد صارت دارا .

قال الحافظ الذهبي : ان واقف الرواحية اشترط على مـن يقيم بها من الفقهـاء والمدرسين شروطا صعبة ، لايمكن القيام ببعضها . ولم يبين الذهبي تلك الشروط . ثم قال : وشرط ان لايدخل مدرسته يهودي ، ولانصراني ، ولاحنبلي حشوي . انتهى .

٢٠ فاشتراطه عدم دخول اليهود والنصارى الى مدرسته علة مفهومة . واما اشتراطه عدم دخول حنبلي حشوي ، فليس بمفهوم ؛ لان الحنابلة لايتصفون بهذه الصفة . وهذا من التعصب الناشىء عن الجهل ، والسعي في تفريق اجتماع هذه الامة المحمدية . ويمكن ان يكون اراد بالحشوية الذين يقرؤون آيات الصفات ، ويقولون : نمرها كما جاءت ؛ ونكل تفسيرها الى الله تعالى من غير تأويل ولاتشبيه ولاتعطيل . فالاستواء في قوله

تعالى : « الرحمن على العرش استوى » . آية ٥/٢٠ استواء يليق بذاته تعالى لانعلم حقيقته . لانا اذا فسرناه بقولنا : استولى ؛ نكون اخطانا . لان من استولى على شيء ، لابد وان يكون خارجا عن يده قبل استيلائه عليه ؛ كما يشير اليه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق — من غير سيف او دم مهراق

ومعناه ان بشرا استولى على العراق ، واستخلصها من يد غيره ، بدون سل سيف ، او اراقة دم . وتعالى الله عن ان يكون استولى على ملكه بهذه الصفة ؛ ومثله يقال ، في السميع والبصير واشباههما : ان الله أثبت لنفسه صفة السمع والبصر والكلام ؛ واخبرنا في كتابه العزيز بانه متصف بذلك . ولكننا لانعلم حقيقة تلك الصفات . وليس يجب علينا الا ان نؤمن بها ، ونترك علمها الى المتصف بها .

انت اذا شاركت جميع علماء التشريح في البحث عن حقيقة السمع والبصر والكلام في المخلوق ؛ تعرف كيف تركبت اعضاء هذه الحواس ، وما يطرأ عليها من العلل ، ولكنك لاتعلم حقيقتها ولو افنيت الاعوام ، وشاركك اهل البسيطة ، فكيف تعلم حقيقة صفات من يجل عن التشبيه والمثال ؟!

اختلف اساطين العلماء من قبلك في صفة الكلام ؛ فقال قوم : ان الكلام لايكون الا من لسان وفم ومخارج ؛ فنفوا الكلام اللفظي ، واثبتوا الكلام النفسي ، هربا من اثبات ما هو من صفات المخلوقين ؛ نورد عليهم ان الكلام النفسي يحتاج الى اعضاء يقوم بها ، وتكون محلا لتصوراته ؛ فلم يفدهم الهرب شيئا وقال قوم : ان الله لما كلم موسى عليه‌السلام ؛ خلق كلامه في الشجرة ، فهي التي خاطبته وكلمته . وهؤلاء لم يفهموا معنى قوله‌تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » آية ١٦٣/٤ فاكد كلامه بالمصدر ؛ فصاحوا بمقالتهم علنا مكذبين الله تعالى . وذهب قوم الى ان الله يتكلم بلسان ، تعالى الله عن ذلك ! والقرآن العظيم يكذبهم . ثم لما طال الأمر اذن الله بتكذيبهم حسا لعلهم يتدبرون آياته . فاظهر على يد رجل افرنجي الآلة المتكلمة المسماة بالافرنجية بالفونغراف ، وجعلها تتكلم بدون لسان ولا جوارح . افلا يكون الخالق متكلما على صفة لانعلم حقيقتها ، ولا ندر ما صفتها ؟! قل لاولئك المشاغبين : بينوا لنا فلسفة الفونغراف ، وكيف ان الأصوات التصقت بذلك الشيء الشبيه بالورق ، ثم اعيدت كما هي ، ثم تكلموا بعد ذلك ببيان حقيقة صفات الخالق ان قدرتم ! والا فارجعوا الى انفسكم ، وصرحوا بالعجز عن ادراك اسرار الربوبية ، واتركوا العلم بذلك للعليم الخبير . مهما فكر العبد في آيات الصفات ، لايقدر الا أن يقول :

اثبت الله هذه الصفات لنفسه ؛ فنؤمن بها ، ونكل علمها للمتصف بها . وان خاض في تأويلها وتفسيرها على مقتضى عقله ، ضل في بيداء الحيرة ، ونادى القرآن العظيم بخطئه على رؤوس الأشهاد . وفقنا الله للحق ، وابعدنا عن الزيغ والتعصب ، بفضله وكرمه .
ويرحم الله القائل :

جاءت احاديث ان صحت فان لها	شأنا ولكنّ فيها ضعف اسناد
فشاور العقل واترك غيره هدرا	فالعقل خير مشير ضمه النادي

وقال ايضاً :

الله صورني ولست بعالم	لم ذاك سبحان القدير الواحد
فلتشهد الساعات والانفاس لي	اني برئت من الغوي الجاحد

ترجمة واقفها

زكي الدين ابن رواحة ٠٠٠–٦٢٢

انشاها زكي الدين ابو القاسم هبة الله بن محمد الانصاري المعروف بابن رواحة . اشتهر بذلك لانه ينسب الى ابي عبد الله الحسين بن عبد الله بن رواحة من جهة امه .

قال ابن كثير : كان المترجم تاجرا صاحب ثروة ، وكان في نهاية الطول والعرض . وقد ابتنى المدرسة الرواحية داخل باب الفراديس ، واوقفها على الشافعية ، وفوض تدريسها ونظرها الى الشيخ تقي الدين ابن الصلاح السهروردي . وله بحلب مدرسة اخرى مثلها . وقد انقطع آخر عمره في مدرسته بدمشق ، وكان يسكن في إيوانها من الجهة الشرقية . ورغب فيما بعد ان يدفن فيه اذا مات ، فلم يمكن من ذلك بل دفن في مقابر الصوفية . وكانت وفاته سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

قال العلموي : أول من درس بهذه المدرسة شرف الدين ابن ابي بكر القرشي . وبعد موته ، شهد محي الدين محمد بن عربي الطائي وتقي الدين بن علي النحوي المصري على ابن رواحة بانيها بانه عزل ابن الصلاح عن هذه المدرسة ؛ فجرت خطوب طويلة ، ولم ينتظم ما ارادوه . ذكره ابو شامة . ثم بعد المدرس القرشي ، درس بها نحو سبعة وعشرين مدرسا ، الى ابن نوح المقدسي . وكان داخلا في الدولة ؛ وفي وكالة بيت المال ، ونظر الاوقاف . فظلم وتعدى طوره ؛ فاعتقل بالعذراوية ؛ فوجد بها مشنوقا بعد ان صودر وضرب بالمقارع . وكان السامري أوذي به كثيرا ، فذهب اليه وهو في الحبس

وتمازحا ، ولكن تعرّض بالتشفي كثيراً . فبعد خروجه وضع أبياتاً منها :

ورد البشير بما اقرّ الاعينا	تشفى الصدور وبلغ الناس المنا
فاستبشروا وتزايدت افراحهم	فالكل مشتركون في هذا الهنا
وتقدم الامر الشريف بأخذ ما	نهب الخؤون من البلاد وما اقتنا
ياسيد الامراء ياشمس الهدى	يا ماضي العزمات يارحب الفنا
عجل بذبح المقدسي وسلخه	واحقن دما الاسلام من ولد الزنا
واغلظ عليه ولاترق فكلما	يلقى بما كسبت يداه وما جنا
فلكم يتيم مدقع ويتيمة	من جوره باتوا على فرش الضنا
ولكم غني ظل في ايامه	مسترفدا للناس من بعد الغنى
ان انكر اللص اللئيم فعاله	بالمسلمين فاول القتلى انا

الزاوية (الخضراء)

بمقصورة الخضراء ، غربي الجامع الاموي . والناس صحفوها فسموها مقام الخضر . درس بها جماعة ؛ وسيأتي الكلام عليها عند شرح احوال الجامع الاموي .

وقد ذكر هنا صاحب « التحفة » مدرستين ؛ نوردهما في هذا المحل ، وان لم تكونا في دمشق . قال :

المدرسة (السيفية م)

سيف الدين بكتمر ٠٠٠-٧٤٦

هي بمدينة الصلت، بناها الامير بكتمر سنة ٧٢٤ ؛ ودرس بها الشيخ داود بن سليمان ابن داود ، ووقف على الطلبة المشتغلين بهما جملة من الكتب .

المدرسة (الزبدانية م)

فتح الدين ابن المدل

هي ببلدة الزبداني ، بناها محمد بن عبد الصمد بن عبد الله بن حيدرة فتح الدين ابن المعدل[1] سنة ٥٩٠ . وكان من الصدور المشكورين حسن الطريقة . وهاتان المدرستان لم ادر كيف صار حالهما ، والى اي شيء آل امرهما .

---

[1] كذا في الاصل وفي تاريخ ابن كثير : « العدل » .

المدرسة (الشامية البرانية)

هي الآن مشهورة بالعقيبة الكبرى ، بينها وبين سوق صاروجا ، وكان محلها قديما يسمى بالعينية . والذي يلوح من تراجم هذه المدرسة انها كانت كبيرة الحجم جدا ، كبيرة الشان . والظاهر ان الموجود الآن انما هو قسم منها .

٥ قال ابن شداد : المدرسة الشامية من اكبر المدارس ، واعظمها ، واكثرها فقهاء واوقافا . انتهى

وتسمى هذه المدرسة بالحسامية ايضا ، نسبة الى حسام الدين عمر بن لاجين زوج الواقفة . ومن اوقافها : السلطاني وهو قدر ثلاثمائة فدان وحده ، من قناة الريحانية الى اوائل القبيبات الى قناة حجيرا ودرب البوبضاء ومنه الوادي التحتاني المسمى وادي ١٠ السفرجل وقدره نحو عشرين فدانا ، ومنه بستان الصاحب غربي المصلى ؛ ومنه ثلاثمائة من الكروم وهي من الافدنة ؛ ومنه طاحون باب السلامة ؛ وحكورة متعددة ؛ وغير ذلك من الاوقاف التي لم يبق لها منها سوى رسمها في الكتب .

قال ابو شامة : ومن شروط وقفها ان لايجمع المدرس بينها وبين غيرها . واول من درس بها ابن الصلاح . وقيل : اول مدرسيها شرف الدين ابن عمر الزكي ، وبعده اثنان ١٥ واربعون مدرسا ، الى ان اتصلت بابن قاضي عجلون ؛ ثم بسراج الدين الصيرفي ، ثم جماعات منهم : البدر الغزي ، والشيخ اسماعيل النابلسي ، والحسن البوريني ، والنجم الغزي .

قال العلموي : وللشامية البرانية كتاب وقف منقول عندغالب فضلاءدمشق . انتهى . ويمكن ان تكون الأيام نسخته ، وساعدتها على ذلك الليالي . وقد اصبح القسم الموجود ٢٠ من المدرسة عبارة عن مسجدها ، وبركة كبيرة للماء في ساحتها ، وبعض حجرات فوقانية متروكة ، وبيوت للخلاء . وليس بها احد للطلبة ؛ غير ان المعارف قد جعلت مسجدها مكتبا ابتدائيا ؛ فصارت دار علم بالجملة .

تنبيه واستبصار

ان الناظر في كتابنا هذا ربما يمل من سرد اسماء بعض المدرسين عند الكلام على ٢٥ المدارس ، ولايعلم لذلك معنى ؛ نظرا لتغير الاوضاع ، وتبدل الزمان ، وتقلص ظل العلم

واهله . وان شئت السبب الحامل على ذلك ؛ فاعلم انه كان لجميع المدارس الموجودة في هذا الكتاب وغيرها شأن عظيم . فما من مدرسة الا وقد كان بها من الطلبة المشتغلين بالعلم ليلا ونهارا ، ما تضيق المدرسة عن سكناهم لكثرتهم . وبكل واحدة منهـا دار لنفائس الكتب . ومثل ذلك كان في الترب التي سنذكرها . ثم انه كان لكل مدرسة مدرس خصوصي ، ينتخب من الافاضل الكبار . وكان لهؤلاء المدرسين مواعيد ، فاذا كان يوم ميعاد مدرسة ، جلس المدرس في موضع الميعاد ؛ واحدق به غالب الفقهاء والعلماء ، فيذكر مسالة ويأخذ في تفصيلها ، وبيان دلائلها . ويشاركه العلماء في البحث، على طريقة فن الجدل . ويتكلم الواحد منهم بما عنده ؛ وتطول ذيول المناظرة . ويأخذ الحنفي مثلا في الانتصار لقول امامه ؛ فيعارضه الشافعي مدليا بحجته . ويشاركهما المالكي والحنبلي والظاهري والنحوي والمنطقي والبليغ . واذا كان ثم احد من العلماء غريبا ؛ اخذ في المذاكرة معهم . ولم يزالوا كذلك حتى فراغ الميعاد . ثم ينتقلون فيما بعد الى ميعاد ثان في مدرسة ثانية . وحرصا على ان « لا (١) » يغلب المدرس على امر من احد غريب ؛ كان المتميزون في العلم يجلسون الى يمينه وشماله ، ليكونوا عونا له اذا سئل ولم يستحضر جوابا . ثم درست في ايامنا تلك العادة ؛ ولم يبق سوى بعض من الدروس، هي على مقتضى الرسوم . وصورتها : ان يكون المدرس قد حفظ كلمات عن ظهر قلبه؛ فاذا كانت ساعة الميعاد ، جلس متصدرا ، وجلس العلماء والامراء عن يمينه وشماله افتخارا ، ثم شرع كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد ؛ فيقرا ذو صوت رخيم حزبا من القرآن ؛ ثم يقرا المعيد عبارة الكتاب ، ثم يسرد المدرس ما كان يحفظه ، ولا سائل ثم ولا مسؤول . فاذا وجد احد غريب ، وسال مسالة ، انتهره الحاضرون واسكتوه . فهكذا كان شأن العلم ، وهذا شأنه في ايامنا ! فاذا رأيته سرد اسماء المدرسين ؛ فتذكر السبب، واعلم انهم جلسوا عن استحقاق ، وعلم واسع واطلاع كبير .

ومن بعض حوادث الشامية ما حكاه ابن قاضي شهبة في « الذيل » قال : ولي القاضي سري الدين تدريس الشامية البرانية والجوانية ، واستمرتا بيده . مع ان الشيخ فتح الدين ابن الشهيد وليهما بمرسوم سلطاني فلم تحصل له . وباشر الاوقاف بهمة وقوة نفس ، وحشمة وكرم . والقضاة واعيان الفقهاء وغيرهم كانوا يترددون اليه . وكان ذلك سنة خمس وثمانين وسبعمائة . ثم لما كانت فتنة تيمورلنك ؛ افتقر وساءت

---

(١) لم ترد في الاصل والمعنى لايستقيم بدونها .

احواله ؛ فنزل عن حصته في نظر الشامية البرانية ، وصار مشارقا بها . ثم قوي عليه القضاة ، وبعض الفقهاء ؛ واستولوا على غالب الأوقاف . فجعل أكثر اقامته بقرية المجيدل التي هي وقف للشامية الجوانية . ولم يمت حتى راى في نفسه العبر من الفقر والفاقة وشماتة الأعداء . وكان من شأنه قبلا انه عمر الشاميتين بعد الفتنة ، وعمر البرانية مرة ثانية لما احترقت في فتنة الناصر في سنة اربع وعشرين وثمانمائة . قال ابن قاضي شهبة : وفي هذه السنة المذكورة قبض على تاج الدين عبد الوهاب الأنصاري ناظر الشامية البرانية ، وطلب منه مال ، قيل : انه الف وخمسمائة دينار . وضرب وعصر ، وبقي بين اثنين دائرا في البلد يستدين ويسأل ؛ فاذا هو تمم المبلغ ضرب وعصر ثانيا ، وطلب منه مبلغ غيره فتأمل وتعجب !

المدرسة (الشامية الجوانية)

قبلي المارستان النوري . وقد كانت دارا لست الشام المذكورة فيما سيأتي؛ فجعلتها بعدها مدرسة . ولم يبق الآن من رسمها سوى بابها ، وباعلاه بلاطة كبيرة ، نقش فيها حفرا بعد البسملة :

هذه مدرسة الخاتون الكبيرة الأجلة عصمة الدين ست الشام ام حسام الدين بنت ايوب بن شادي رحمها الله . ابدتها وقفا على الفقهاء والمتفقهين من أصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه . والموقوف ، عليها وعليهم وعلى اتباع ذلك : جميع القريةالمعروفة بعرينة ، وجميع الحصة ، وهي احدى عشر سهما ونصف من أربعة وعشرين سهما ، من جميع المزرعة المعروفة بجرمانا ، وجميع الحصة ، وهي اربعة عشر سهما وسبع من أربعة وعشرين سهما ، من القرية المعروفة بالثنية ، ونصف القرية المعروفةبمجيدل السوداء ، وجميع القرية المعروفة بمجيدل القرية ، وذلك في شهر شعبان . ومحل التاريخ قد انمحى اثره ؛ وحفرت البلاطة مكانه وحشيت بالطين . وعما قليلستذهب البلاطة باجمعها . ولما وقفت امامها وتأملتها ، رايت بابها الأصلي موجودا كما مر . الا انه صغر وصار بابا للدار . وجدارها القربي باق وهو مبني بالحجارة الكبيرة . ولقد ظفرت بكراريس مجموعة بخط العلامة النعيمي ؛ فرايت بها مختصر الشامية البرانية منقولا من كتاب الوقف من « فتاوى السبكي الكبرى » ؛ فاذا هو مبدوء بقوله : هذا ما وقفه فخر الدين ابو بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن علي بن احمد الأنصاري مايأتي

ذكره من ذلك جميع الدار بدمشق . ثم ساق ما قدمناه آنفا ومقصوده بالدار المدرسة بعينها . وزاد ، بعد قوله بجرمانا ، من بيت لهيا . وقال عن الثنية : من جبة عسال ، ثم قال بعد ذلك : وقفا على الخاتون ست الشام بنت نجم الدين ايوب بن شادي ، ثم على بنت ابنها زمرد خاتون بنت حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ، ثم على اولادها ، للذكر مثل حظ الانثيين ، ثم أولاد أولادهـا ، ثم انسالهم كذلك . فـاذا انقرضـوا ولم يوجدوا ؛ عاد على الجهات التي يأتي ذكرها : فالدار مدرسة على الفقهاء والمتفقهة الشفعوية المشتغلين بها ، وعلى المدرس بها الشافعي قاضي القضاة زكي الدين ابي العباس الطاهر ابن محمد بن علي القرشي ، ان كان حيا . فان لم يكن حيا ؛ فعلى ولده ، ثم ولد ولده، ثم نسله المنتسبين اليه ممن له اهلية التدريس . فان لم يوجد فيهم من له اهلية التدريس ، فعلى المدرس الشافعي بهذه المدرسة . ومن شرطهم ان يكونوا من اهل الخير والعفاف والسنة ، غير منتسبين الى شر وبدعة . والباقي من الأوقاف : عـلى مصالح المدرسة ، وعلى الفقهاء والمتفقهة المشتغلين بها ، وعلى المدرس قاضي القضاة زكي الدين، او من يوجد من نسله ممن له اهلية التدريس ، وعلى الامام المصلي بالمحراب بها ، والمؤذن بها، والقيم المعد لكنسها ورشها وفرشها وتنظيفها وايقاد مصابيحها . يبدأ من ذلك بعمارة المدرسة ، وثمن زيت ومصابيح وحصر وبسط وقناديل وشمع ، وما تدعو الحاجة اليه. وما فضل يكون مصروفا الى المدرس الشافعي ، والى الفقهاء والمتفقهة ، والى المؤذن والقيم . فالذي هو مصروف الى المدرس في كل شهر : من الحنطة غرارة ، ومن الشعير غرارة ، ومن الفضة مائة وخمسة وثلاثون فضة ناصرية . والباقي مصروف الى الفقهاء، والمتفقهة ، والمؤذن ، والقيم ، على قدر استحقاقهم ؛ على ما يراه الناظر في امر هـذا الوقف من تسوية وتفضيل ، وزيادة ونقصان ، وعطاء وحرمان . وذلك بعـد اخراج العشر ، وصرفه الى الناظر عن تعبه وخدمته، ومشارفته للأملاك الموقوفة ، وترددهاليها. وبعد اخراج ثمانمائة فضة ناصرية في كل سنة ، تصرف في ثمن مشمش وبطيخ وحلواء في ليلة نصف شعبان على ما يراه الناظر . ومن شـرط الفقهاء والمتفقهة ، والمدرس ، والمؤذن ، والقيم ؛ ان يكونوا من أهل الدين والخير ، والصلاح والعفاف ، وحسن الطريقة، وسلامة الاعتقاد ، والسنة والجماعة . وان لايزيد عدد الفقهاء والمتفقهة المشتغلين بهذه المدرسة عن عشرين رجلا ، من جملتهم المعيد بها والامام . وذلك خارج عن المدرس والمؤذن والقيم . الا ان يوجد في ارتفاع الوقف نماء وزيادة وسعة ؛ فللناظر ان يقيم بقدر ما زاد ونمى . ثم بحث السبكي في شروط الوقف على طريقة الفقهاء بما يزيد عن عشر

ورقات ، ليس هنا محل بيانها(١) ، خصوصا وقد انقرضت المدرسة وامتلكت هي وأوقافها .

ترجمة الواقفة

الخاتون ست الشام ٠٠٠-٦١٦

قد علمت فيما سبق انها ست الشام بنت نجم الدين ايوب بن شادي بالشين المعجمة ، وبعد الالف دال مكسورة ، وبعدها ياء مثناة من تحت . قاله ابن خلكان ، وقال : وهذا الاسم أعجمي ، ومعناه بالعربي فرحان . قال الذهبي في «تاريخه الصغير» : توفيت سنة ست عشرة وستمائة بدارها المعروفة بالشامية . قال ابن كثير : وهي اخت الملوك ، وقريبة ابنائهم . وكان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكا منهم الملك المعظم ثوران شاه بضم المثلثة وسكون الواو ، لفظة اعجمية معناه ملك الشرق ، واصله تركان ، ثم غيروا حروفه فقال : ثوران ، وهو صاحب اليمن وهو مدفون عندها في تربتها في القبر القبلي من الثلاثة ، وفي الاوسط زوجها وابن عمها ناصر الدين صاحب حمص ، وفي القبر الثالث ابنها عمر . ويقال للتربة : الحسامية ، نسبة الى ابنها حسام الدين عمر . وكانت المترجمة من اكثر النساء صدقة ، واحسانا الى الفقراء والمحاويج . وكانت في كل سنة تعمل أدوية وعقاقير ، ومايحتاج اليه من ذلك ؛ وتفرقه على الفقراء . وقد صنف الشيخ تقي الدين ابن قاضي شهبة كراسة في ست الشام ومناقبها .

وقال عبد الرحيم بن شغده في « منتخب شذرات الذهب » : ست الشام الخاتون اخت الملك العادل بنت ايوب كانت عاقلة ، كثيرة البر والصدقة ، وبابها ملجأ القاصدين . وهي أم حسام الدين ، وتزوجها محمد بن شيركوه صاحب حمص . وبنت لها مدرسة وتربة بالعونية على الشرف الشمالي من دمشق . واوقفت دارها ، قبيل موتها ، مدرسة ، وهي التي الى جانب البيمارستان النوري . واوقفت عليها اوقافا كثيرة . توفيت في ذي القعدة ، ودفنت بتربتها بالعونية . وكان كافور الحسامي خادمها . وكان لها نيف وثلاثون محرما من الملوك سوى اولادهم ؛ فاخوتها صلاح الدين والعادل وسيف الاسلام وولده . انتهى

وقد درس بالشامية الجوانية تقي الدين ابن الصلاح ، ثم عبد الرحمن المقدسي ، ثم انتزعها من يده ابن أبي عصرون . وفي سنة احدى وعشرين وثمانمائة ، كان تقي الدين

---

(١) كذا في الأصل .

اللوبياني متوليا اعادتها ، وكانت قد عمرت بعد الفتنة التيمورلنكية ، وكانت مباشرتها وقبض معلومها بيده وبيد المدرس . فلما جاء الأمير محمد بن منجك ناظرا على الاوقاف، طلب حسابها ، ورسم بتتمة عمارتها وبياضها . فكتب الناظر الحساب ، وذهب اليه وتظلم . وكتب بيد اللوبياني عشرين الفا وكسورا . فرسم أن تسترجع منه ومن غيره، لاجل العمارة . وبعد مداخلات ، ضرب اللوبياني نحوا من ثلاثمائة عصا وكان الضارب له النائب . ثم بعد ان اخذ نصيبه من الضرب اطلقه ، واعتذر اليه بأنه لم يعرفه . ٥

المدرسة (الشاهينية)

شاهين الشجاعي
٠٠٠-٦١٦

كانت حلقة تدريس بجامع التوبة الذي بالعقيبة . انشاها الامير شاهين الشجاعي دوادار شيخ . وكان عمر جامع التوبة من ماله ، بعد ان احترق في رمضان سنة (١) . وكان من اعظم اعوان استاذه في الفتن . توفي سنة ست عشرة وستمائة في طريق مصر . ١٠
قاله ابن حجي .

المدرسة (الشومانية)

خاتون بنت
شومان

انشأتها خاتون بنت ظهير الدين شومان . قال النعيمي : اخبرني القاضي ابراهيم الشهير بابن المعتمد ان هذه المدرسة هي المسماة الآن بالطيبة . انتهى . وسيأتي الكلام عليها في باب الطاء . وأيا ماكانت ، فقد انمحى رسمها ، ودرس اسمها ! ١٥

المدرسة (الشريفية)

قال في «التحفة» : هي التي عند حارة القرباء . وقال الاسدي : هي بدرب الشعارين؛ لم اعرف واقفها ، ولم اعرف من مدرسيها سوى نجم الدين الدمشقي في سنة تسعين وستمائة. ا.هـ

اقول : وحارة القرباء هي التي غربي المدرسة القجماسية . ولم يبق لهذه المدرسة ٢٠ عين ولا اثر . فكما انه جهل واقفها كذلك جهل مكانها . والله أعلم بما صار اليه حالها .

(١) لم يذكر المؤلف سنة احتراق الجامع .

المدرسة (الصالحية)

هي تربة ام الملك الصالح ، غربي الطيبة والجوهرية الحنفية، وقبلي الشامية الجوانية الى الشرق . وقد وقفت على محل رسومها فخفيت ! ونادبت اطلالها فلم تجب الا بقول الصلاح الصفدي مخاطبة لبانيها :

٥

تحكمت بعدكم أيدي النوى فينا	وقد أقامت بنادينا تنادينا
وجرعتنا كؤوس الحزن مترعة	مزاجها كان زقوما وغسلينا
وقد اناخت بنا من بعدكم محن	عدت علينا بما يرضي أعادينا

ترجمة واقفها

الملك الصالح اسماعيل ٠٠٠-٦٤٨

اوقفها الصالح أبو الحسن اسماعيل ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر .

١٠ قال ابن كثير في «تاريخه» : وكان ملكا عادلا ، عاقلا حازما ، تقلبت به الاحوال اطوارا كثيرة . وقد كان الملك الاشرف موسى أوصى له بدمشق بعده ؛ فملكها شهورا ، ثم انتزعها منه اخوه الكامل . ثم ملكها ابنه الصالح خديعة ومكرا ؛ فاستمر بها اربع سنين . ثم استعادها منه الصالح ايوب عام الخورازمية ، سنة ثلاث واربعين وستمائة . واستمرت بيده بعلبك وبصرى ثم اخذتا منه . ولم يبق له بلد يأوي اليه ؛ فلجأ الى حلب مجاورا ١٥ للناصر يوسف . ثم انه في سنة ثمان واربعين وستمائة سافر الى الديار المصرية ، فلا يدرى ما فعل الله به . وهو واقف التربة والمدرسة ودار الحديث والاقراء بدمشق. ولم نطل الكلام على تراجم هؤلاء لان محلها القسم الاول من هذا التاريخ ؛ وسياتي لها في هذا القسم زيادة بيان .

وقد درس بهذه المدرسة نجم الدين احمد ابن المقدسي ، ثم شهاب الدين ابن المجد ، ٢٠ ثم بعده سبعة مدرسين ، كل واحد منهم في وقت اوقات . آخرهم على ما قاله العلموي : تاج الدين الزهري . واما مشيخة الاقراء بها ؛ فوليها علم الدين أبو الفتح علي بن محمد ابن عبد الصمد الهمذاني السخاوي المصري شيخ القراء والنحاة والفقهاء في زمنه بدمشق. ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين وخمسمائة .

قال الذهبي في « العبر » : سمع المترجم من السلفي وجماعة ، وقرا القراءات على ٢٥ الشاطبي وغيره من المشاهير ، وانتهت اليه رئاسة الادب والاقراء بدمشق ؛ وقرا عليه

خلق لايحصيهم الا الله . وما علمت احدا من الاسلام حمل عنه القراءات ، اكثر مما حمل عنه . وله تصانيف سائرة متقنة . توفي سنة ثلاث واربعين وستمائة ، ودفن بتربته بجبل قاسيون . ثم ولي المشيخة بعده احدى عشرة نفسا ، آخرهم فخر الدين ابن الصلف . وكان بها مشيخة دار حديث ؛ فباشرها كمال الدين ابن الشريشي ، فشمس الدين الزهري ؛ فعماد الدين الحافظ ابن كثير ، ثم بعده كثير من المحدثين . ثم جاء من درسها ، وأكل أوقافها ، ومنع حق الله وحق العباد منها .

المدرسة (الصارمية)

كانت داخل بابي النصر والجابية ، قبلي العذراوية الى الشرق .

قال في « تنبيه الطالب » : ورأيت ، مرسوما بعتبتها بعد البسملة ، ما صورته :

هذا المكان المبارك انشاء الطواشي الأجل صارم الدين جوهر بن عبد الله الحر عتيق الست الجليلة الكبيرة عصمة الدين عذراء بنت شاهنشاه رحمها الله تعالى . وهو وقف محرم ، وحبس مؤبد على الطواشي المسمى أعلاه : مدة حياته ، ثم من بعد وفاته ، فعلى الفقهاء والمتفقهة من اصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه . والنظر في هذا المكان والوقف على الطواشي جوهر المسمى اعلاه ، مدة حياته ، على مادون في كتاب الوقف . « فمن بدله بعدما سمعه ؛ فانما اثمه على الذين يبدلونه » آية ١٨١/٢ كتب سنة اثنتين وعشرين وستمائة . وهي عبارة ركيكة في الأصل . هذا ما قاله في « تنبيه الطالب » .

(صارم الدين جوهر)

وقال القاضي عز الدين : ان الذي بنى الصارمية صارم الدين ازبك مملوك قايماز النجمي .

وما قاله في « التنبيه » اولى لأنه ناقل عن كتابتها الحجرية . وأيا ما كان ؛ فان المدرسة الصارمية قد انطمست آثارها ، ومحي منارها ، وصارت منازل ودورا تباع وتشترى . وباب النصر قد انقض بنيانه وتشتتت اطلاله . فلا يمكن للباحث عنها ان يهتدي الى مكانها ، ولا الى مكان جارتها العذراوية . ولقد وقفت في اوائل حارة الغرباء امام الحمام المسمى بحمام الست عذرا ثم مشيت الى جهة القبلة نحوا من ثمان وخمسين خطوة وعند منتهاها ، وجدت عن يساري جدارا ينادي بأنه جدار مدرسة ، ومتصل به

جدار آخر بالجهة القبلية مثله ، وتحته بركة ماء تشير أيضا الى ان هنالك كان مدرسة .
فلعل هذه احدى المدرستين العذراوية او الصارمية والله اعلم .

وقد درس بالصارمية نجم الدين ابن الحنبلي ، ثم ولده ، ثم تاج الدين ابن الفركاح ،
ثم بعده خمسة عشر مدرسا ، الى بدر الدين ابن قاضي شهبة ، ثم زين الدين عبد القادر،
٥ ثم جماعات . وممن درس بها الواسطي : (١) وهو السيد الشريف
شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الواسطي . ولد سنة
سبع عشرة وسبعمائة ؛ واشتغل بالعلم حتى برع فيه . وكتب الكثير بخطه الحسن .
وألف كتبا منها : « مجمع الأحباب » وهو مختصر « الحلية لابي نعيم » في مجلدات .
وله تفسير كبير . وشرح « مختصر ابن الحاجب » في ثلاث مجلدات . وقد اكثر في
١٠ النقل فيه عن الأصفهاني ، وعن القاضي تاج الدين ؛ وله كتاب في اصول الفقه في مجلد ؛
وله كتاب « الرد على الأسنوي في تناقضه » . وكان منجمعا عن الناس ، وخصوصا
عن الفقهاء ؛ لأن دأبهم حسد علماء الأصول ، والتعصب عليهم ، والحط من قدرهم ،
وقدر العلماء المحققين . توفي في ربيع الأول سنة ست وسبعين وسبعمائة ؛ ودفن
عند مسجد القدم . وأما باني المدرسة ؛ فان كونه قد جعل هذا الخير والاعانة لأهل
١٥ العلم ، يكفيه ذخرا وثوابا عنده تعالى وتقدس .

المدرسة (الصلاحية)

بالقرب من البيمارستان النوري . وهي أيضا منطمسة الاثر ، لم يعلم مكانها . وفي
« تنبيه الطالب » ان الذي بناها نور الدين محمود بن زنكي ، ونسبت الى الملك الناصر
صلاح الدين . انتهى

٢٠ **أقول :** ومقابل البيمارستان طريق ، وبأوله من الجهة الشمالية باب مدرسة قديم .
وقد كان الحجر الكبير الذي فوقه مكتوبا ، فنحتت الكتابة فلعل هنا محل المدرسة
المذكورة . وبالجملة فان جميع المدارس التي كانت بالقرب من البيمارستان قد تناولتها
أيدي الخفاء . فهب اليها المختلسون ، كما هبوا لغيرها ، فابتنوها دورا ومساكن ، واتوا
على أوقافها فابتزوها ، وغيروا شروطها شيئا فشيئا ، حتى حولوها ملكا لهم . فأصبح
٢٥ طالب العلم لايجد نفقة ولا مأوى ؛ فقلت الرغبة في الطلب ، حتى صار العلم في زمننا

---

(١) كذا في الاصل بياض .

اسما بلا جسم ، وكلمات بلا معنى . فليس هو الآن الا بالعمائم والدعوى ، وليست وظائفه الا بالارث ، وقولهم : القديم على قدمه ، سواء كان حقا او باطلا ، طالبا للعلم ذلك الوارث او جاهلا لافرق . فنرجوه تعالى ان يكشف هذه الغمة ، ويرشد الامة الى مافيه صلاحها ونجاحها ، وان يؤيد الحكم الشوروي ، والرأي الدستوري الذي حصلت عليه الامة في وقتنا هذا . فابتدأت بسببه بقطع دابر الاستبداد ، وابعاد اهل الغي والعناد ؛ حتى شممنا رائحة تقدم العلم ، وانقشاع غيوم الظلم . وسنأتي فيما بعد على شرح ما عليه كنا ، وما اليه وصلنا ، تذكرة لمن يتذكر ، وايقاظا لمن يتدبر . ولقد لوحنا لذلك في خطبة الكتاب والله الهادي .

واقفها وبانيها

سنذكر ترجمة السلطان نور الدين عند الكلام على المدرسة النورية الحنفية ، وترجمة السلطان صلاح الدين في محلها ان شاء الله تعالى . ولم يتصل بنا من اخبار هذه المدرسة سوى انه درس بها شمس الدين ومجد الدين الكردبان .

نور الدين بن زنكي ٥١١-٥٦٩

تنبيه :

المدارس المسماة بالصلاحية ثلاثة : احداها هذه ، وثانيتها بالقدس . قال الحافظ ابن كثير في « تاريخه » في حوادث ثلاث وثمانين وخمسمائة : وبنى السلطان صلاح الدين بالقدس مدرسة للشافعية سميت بالصلاحية ، ويقال لها : الناصرية .

وقال العماد الكاتب : وفاوض السلطان صلاح الدين جلساؤه من العلماء والاكابر الابرار ، والاتقياء الاخيار ايام فتح القدس ، في ان يبني مدرسة للفقهاء الشافعية ، ورباطا للصلحاء الصوفية . فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصندحنة عند باب اسباط ، وعين دارا لبطرك ، وهي تقرب كنيسة قمامة للرباط ، ووقف عليها اوقافا ، واسدى بذلك الى الطائفتين معروفا . وارتاد ايضا مدارس الى الطوائف ليضيفها الى ما اولاه من العوارف . انتهى

وقال ابن كثير : واجرى صلاح الدين على القراء بالقدس ، وعلى الفقهاء بها ،

الجامكيات(١) والجرايات ؛ وارصد الختم والربعات في ارجاء المسجد الأقصى لمن يقرأ وينظر فيها من المقيمين والزائرين . وتنافس بنو ايوب بما يفعلونه من الخيرات في القدس الشريف القادمين والقاطنين والقاطنين .

وثالثها بالكلاسة ؛ وهي عبارة عن زاوية كانت بها . ويظهر من كلام ابن شداد على الجامع الأموي انها كانت مدرسة للشافعية . فانه قال : ذكرنا فيه من المدارس ، مدرسة شافعية بالكلاسة ، والمدرسة الغزالية وتعرف بالشيخ نصر المقدسي ، ومدرسة ابن شيخ الاسلام ، ومدرسةالملك المظفر اسد الدين شافعية، ومدرسة للمالكية، ومدرسة ابن منجا حنبلية . انتهى

وهذا كله كان في الجامع الأموي وقد اختفى باختفاء اهله ، وهو ينشد :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر

المدرسة (التقطائية)

لم يذكرها العلموي في « مختصره » . وقال في « تنبيه الطالب » : هي بالتاء المثناة الفوقية ، ورأيت بقائمة بكشف الأوقاف ، سنة عشرين وثمانمائة : التقطائية من المدارس الشافعية ، وهي داخل الباب الصغير بنحو مائة ذراع شرقية ، غربي بيت الخواجا الناصري ، قبلي منارة الشحم ؛ لها منارة صغيرة . ثم انه نقل ترجمة شهاب الدين قرطاي عن ابن كثير ، ثم قال : ولم يذكر له مدرسة . ونقل ايضا عن « الوافي » للصلاح الصفدي ترجمة اثنين : احدهما طقطاي من جماعة صاحب القبجاق ، وثانيهما طقطاي الأمير عز الدين . ثم قال : ولم يذكر لهما مدرسة ولا خانقاه ، ولا غيرهما . وبالجملة فانه لم يتيقن ترجمة باني هذه المدرسة .

ولقد وقفت مكانها ؛ فلم يناذني شيء من اطلالها ؛ ولم تخاطبني آثارها بشيء من اخبارها . فرجعت آسفا حزينا . فتجلى لي غيرها من المدارس ، ممن هو اعظم منها ، وقد تداولته يد الاختلاس ، فالهاني عنها . « والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » (٢) .

---

(١) مرتبات للمنقطعين الى العلم .

(٢) الاعراف ١٢٧

المدرسة (الطبرية)

يقال : انها كانت بباب البريد . ومن أوقافها : وقف برأس العين ، وحوانيت بالنورية داخل دمشق . وقد تكلم عليها صاحب « تنبيه الطالب » ، فذكر من مدرسيها : الحسين ابن علي الشهير بابن آلة بفتح الهمزة وضم اللام واسكان الهاء ، ومعناه بالعربية العقاب . توفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة . ولم يزد في « التنبيه » على هذا . ٥

والظاهر انه لم يظفر بترجمة من بناها . وقال العلموي : درس بها شرف الدين ابن هبة الله الاصفهاني . وترجمته لها في « مختصره » تدل على انها ، دخل الالف وهي موجودة . ثم تناولتها يد من لم يخف الله تعالى من المختلسين ؛ فضمها الى املاكه ، ومحا اثرها . وبباب البريد جملة من بقية الأبنية التي تشبه ابنية المدارس ؛ ولكن لم يتيسر للباحث ان يفرق بان هذا اثر المدرسة الفلانية عن يقين ، خصوصا وآثار الكتابة قد محيت والله أعلم . ١٠

المدرسة (الطيبة)

قبلي النورية الحنفية ، وشرقي تربة زوجة تنكز بقرب الخواصين داخل دمشق . وقد تقدم أنها هي المسماة بالشومانية ، وانما غير اسمها تيمنا . وقال الصفدي : الذي بنى الطيبة العابر علي بن أبي بكر . درس بها الفزاري ، ثم درس بها ستة بعده منهم : زكي الدين زكريا بن يوسف البجلي في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة . هذا ماذكره في « التنبيه » ، ولم يزد عليه . ١٥

خاتون بنت شومان

وقال في « ذيل العبر » : انشأتها خاتون بنت ظهير الدين بن شومان(١) . أخبرني القاضي ابراهيم الشهير بابن المعتمد ان هذه المدرسة هي المسماة الآن بالطيبة ، سموها بذلك تيمنا . ا.هـ ٢٠

وقال العلموي : قلت : الظاهر انها شمالي الحمام المتصل ببيت قاضي الشام . ورأيت في « السالنامة السورية التركية » المؤلفة سنة عشر وثلاثمائة والف رومية شرقية عند الكلام على المدارس ، ما معربه : ان المدرسة الطيبة هي المدرسة الشومانية . ولم نعلم

(١) كذا في الاصل وفي « الاعلاق الخطيرة » لابن شداد : « ظهير الدين شومان » .

من تاريخها سوى أنها مدرسة شافعية كانت بجوار المدرسة النورية الكبرى. أ.هـ

واقول: الذي ظهر لي من التردد الى محلها مرارا، وتدقيق النظر في موضعها، أنها اندرست وصارت دورا للسكنى، وهي الدور التي امام المحكمة الكبرى المسماة بمحكمة الباب. واما تربة زوجة تنكز، فموجود الآن قسم منها. انتحل المتحلون لها اسم النحلاوي، وسيأتي الكلام عليها في موضعه. واما الحمام الذي ذكره العلموي فلم نجد هناك حماما سوى المسمى بحمام الخياطين « وان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » آية ١٢٧/٧. واما ترجمة من بناها او من بنتها؛ فسيذكران في القسم الاول من هذا الكتاب.

حرف الظاء

المدرسة (الظبيانية)

كانت قبلي المدرسة الشامية الجوانية، وغربي المدرسة الصالحية التي هي غربي المدرسة الطيبة. قال العلموي: جدارها لصيق بجدار الشامية الجوانية. ا.هـ

واقول: قد اتخذها المختلسون دورا للسكنى؛ ولم يبق مما يدل عليها سوى جدارها المبني بالحجارة الضخمة. ولولا متانته لغيّره المستحلون لاغتصاب الأوقاف، لنطمس آثارها بالكلية. ودرس بها الحافظ شهاب الدين ابن حجي سنة اربع وسبعين وسبعمائة. ولم يذكر النعيمي ولا العلموي من بناها. وذكر النعيمي من وقفها: المزرعة بقرية يعقوبا، والمحاكرات حول الخندق قبلي سور دمشق. وقد انطمست الآن آثارها أيضا، والمحاكرات شمالي مقبرة باب الصغير. وقد ذهبت المدرسة وما وقف عليها ادراج الرياح، وانطمس اسم بانيها.

المدرسة (الظاهرية البرانية)

كانت خارج باب النصر بمحلة المتبيع، شرقي الخاتونية الحنفية، وغربي الخانقاه الحسامية، بين نهري القنوات وبانياس على الميدان الأخضر بالشرف القبلي.

اقول: قد انطمست آثارها، وخفي محلها. والظاهر أنها كانت موضع التكنة

الخانونية والحسامية . وقد درس بهذه المدرسة شمس الدين بن معن لم درس بها بعده العسكرية التي هي موجودة اليوم . وباب النصر قد خفي محله ايضا ، كما اختفى محل لمانية من العلماء . وقال في « تنبيه الطالب » : وفي ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة اربع وسبعين وثمانمائة ، درس فيها شيخنا شيخ الشافعية في وقته نجم الدين محمد ابن ولي الدين عبد الله الدمشقي الشهير بابن قاضي عجلون ، درس بها « بالمنهاج » من اول كتاب البيع ؛ فظهر عن اتقان وتفنن وتحرير . وهو اذ ذاك يؤلف في كتابه الأعجوبة لشرح « المنهاج » المسمى « بالتحرير » وهو شرح عظيم الشأن ؛ لو بيض لجاء في مجلدات . وله تصحيح كبير على « المنهاج » . وله كتاب « التاج في زوائد الروضة على المنهاج » ؛ وهو اعجوبة في غاية الاتقان . وله شرح « المنهاج » في قدر العجالة سماه « الفتوح » . وله مصنف في « تحريم لبس السنجاب » ؛ وآخر في « تحريم ذبائح اليهود والنصارى الموجودين في هذا الزمان » ؛ وله « شرح العقيدة الشيبانية ». ميلاده سنة احدى وثلاثين وثمانمائة . اخذ عن والده ، وعن تقي الدين ابن قاضي شهبة، وعن الشرواني ، وعن جماعة آخرين (٢) .

ابن قاضي عجلون (١)

ترجمة واقفها

الملك الظاهر غازي ٥٦٨ – ٦١٣

بناها الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب . قال في « العبر »: ولد بمصر سنة ثمان وستين وخمسمائة . حدث عن جماعة ، وكان بديع الحسن ، كامل الملاحة ، ذا غور ودهاء ، ومصادقة لملوك النواحي ؛ يوهمهم أنه لولاه لقصدهم عمه العادل . ويوهم عمه أنه لولاه لاتفق عليه الملوك . وكان سمحا جوادا ، توفي سنة ثلاث عشرة وستمائة بحلب . وقال في موضع آخر : كان من خيار الملوك ، واسعدهم سيرة ؛ ولكنه كان فيه عسف ، ويعاقب على الذنب شديدا ؛ وكان يكرم العلماء والشعراء والفقراء .

وقال موفق الدين عبد اللطيف البغدادي المتفلسف في « رحلته » : كان الظاهر جميل الصورة ، رائع الملاحة ، موصوفا بالجمال في صغره وفي كبره ، وله غور وذكاء ؛ ودهاء ومكر . واعظم دليل على دهائه ؛ معارضته لعمه العادل . وكان لايخليه يوما من

(١) أورده المؤلف على الحاشية فأثبتناه للأمانة العلمية .

(٢) بعد هذا الكلام يوجد في الأصل بياض قدره ثلاثة أسطر .

شغل قلب وخوف . وكان يصادق ملوك الاطراف ويباطنهم ويلاطفهم . وكان بتدبيره يستولي على عمه العادل ؛ وعلى ملوك الاطراف ، ويستعبد الفريقين ، ويشغل بعضهم ببعض . وكان كريما معطيا يرضي الملوك والشعراء .

ومن نوادره : ان الشاعر الحلبي قال له يوما في المنادمة وهو يعبث به ، وزاد عليه : النظم ؟ يهدده بالهجو . فقال له السلطان انثر ؛ واشار الى السيف . انتهى . اقام في الملك ثلاثين سنة . وقال عز الدين علي بن الاثير الجزري في « الكامل » في حوادث سنة ثلاث عشرة وستمائة : بها توفي الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين بن يوسف بن ايوب . وهو صاحب مدينة حلب ومنبج وغيرهما من بلاد الشام . وكان مرضه اسهالا . وكان شديد السيرة ، ضابطا لأموره كلها ، كثير الجمع للاموال من غير جهاتها المعتادة ، عظيم العقوبة على الذنب ، لايرى الصفح ، وله مقصد يقصده . يقصده كثير من أهل البيوتات من اطراف البلاد ، والشعراء واهل الدين وغيرهم ؛ فيكرمهم ، ويجري عليهم الجاري الحسن . ولما اشتدت علته ؛ عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمد ولقبه الملك العزيز غياث الدين ، عمره ثلاث سنين . وعدل عن ولد له كبير ، لان الصغير كانت امه ابنة عمه الملك العادل ابي بكر بن ايوب صاحب مصر ودمشق ، وغيرهما من البلاد . فعهد بالملك له ؛ ليبقي عمه البلاد عليه ، ولاينازعه فيها . واخذ له العهد بالتولية من العادل . ولما توفي الظاهر ، كان قد جعل اتابك ولده ومربيه ، خادما روميا اسمه طغريل ، ولقبه شهاب الدين . وهو من خيار عباد الله ، كثير الصدقة والمعروف . فاحسن السيرة بالناس ، وعدل فيهم . وازال كثيرا من السنن الجارية . واعاد املاكا كانت قد اخذت من اربابها ، وقام بتربية الطفل احسن قيام . وحفظ بلاده ، واستقامت الأمور بحسن سيرته وعدله . وملك ما كان يتعذر على الظاهر ملكه ، مثل تل باشر وغيره .

قال ابن الاثير : وما اقبح بالملوك وابناء الملوك ، ان يكون هذا الرجل الغريب المنفرد احسن سيرة واعف عن اموال الرعية ، واقرب الى الخير منهم . ولا اعلم اليوم في ولاة امور المسلمين احسن سيرة منه . ولقد بلغني عنه كل حسن وجميل . ا.هـ

اقول : ليس الحزم وحسن الحال بالاباء والجدود ، وانما هو بالمعدن الحسن الذي يكون منه الانسان ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام » حديث .

المدرسة (الظاهرية الجوانية)

داخل بابي الفرج والفراديس ، بينهما ، جوار الجامع ، وشمالي باب البريد ، وقبلي الاقباليتين والجاروخية ، وشرقي العادلية الكبرى . باباهما متواجهان يفصل بينهما الطريق . كانت دارا للعقيقي ، فاشتراها من تركته أيوب والد صلاح الدين فكانت دارة.

قال ابن كثير : وفي سنة ست وسبعين وستمائة ، شرع في بناء الدار التي تعرف بدار العقيقي تجاه العادلية ، لتجعل مدرسة وتربة للملك الظاهر . ولم تكن من قبل الا دارا للعقيقي وهي المجاورة لحمام العقيقي. واسس اساس التربة في خامس جمادى الآخرة . واسست المدرسة أيضا وجعلت على الحنفية والشافعية .

وفي كلام ابن شهبة ما يشير الى أن الملك الظاهر بيبرس هو الذي انشاها ، وجعلها دار حديث ومدرسة . وهو مخالف لما ذكره في آخر كلامه ؛ فانه قال : ان هذه المدرسة انشاء الملك السعيد ابن الملك الظاهر ؛ انشاها بعد موت ابيه بيبرس ، بعد ان سمع خبر موت ابيه . وكان قد تقدم موته ، وبقي مدة بقلعة دمشق الى ان حضر السعيد الى دمشق ؛ فاشترى دار العقيقي ، ثم انشا التربة . فبين اول كلامه وآخره مخالفة . والذي يظهر ان الباني لها السعيد لا ابوه . وكان بناؤها سنة تسعين وستمائة . وقد درس بها جماعة من الفضلاء منهم : البونيني ، وابو حفص عمر الفارقي الدمشقي ، وعلاء الدين ابن بنت الاعز ، ثم الصفي الهندي ، ثم ابن الزَّملكاني ، ثم الجمال القلانسي ، ثم ابن قاضي الزبداني ، ثم محمد بن الشهيد ، ثم افاضل يطول تعدادهم .

اقول : ان هذه المدرسة باقية الى الآن ؛ وهي مشهورة معروفة ، وبابها بناؤه من العجائب ، يدخل منه الى ساحتها ، فيكون عن يمين الداخل ، التربة الظاهرية ، وهي في قبة شاهقة في الهواء ، وجدرانها من الرخام الابيض والاسود ، مزخرفة بالفسيفساء . وفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة والف ، غيرت بلاطتها وبركتها الكبيرة ؛ وابدل ذلك بطراز لطيف . وبالجملة فلم يبق في داخلها من البناء الاول الا الجهة القبلية ، واما الباقي فقد غير ، وجعل مدرسة لصغار الطلبة سميت باسم نموذج الترقي . وفي سنة ست وتسعين ومائتين والف ، كان المرحوم مدحت باشا واليا على سورية ؛ فاهتم بانشاء المكاتب ، ثم علم ان دمشق كان بها ما لا يعد من خزائن الكتب الموقوفة على المشتغلين بالعلم؛ تمدت اليها ايدي المختلسين بالنهب والبيع ؛ حتى لم يبق منها الا النذر القليل . فخاف على

الباقي من الضياع ، فكتب الى مقر السلطنة بذلك كتابا يقول فيه : لما كانت الكتب الموقوفة ، والمشروطة لاستفادة العموم قد حصرت بأيدي المتولين ، وحرمت الناس من مطالعتها ؛ كان من اللازم جمعها وجعلها في مكان مخصوص ليكون الانتفاع بها عاما . فصدر له الأمر بذلك في اليوم الخامس عشر من شباط سنة خمس وتسعين ومائتين والف رومية الموافقة للتاريخ المذكور . واعطي القرار من طرف مجلس الادارة على ذلك . ٥
وجمعت الكتب الموجودة من عشر خزائن :

من خزانة المدرسة العمرية التي بالصالحية ، وكان بها كتب عظيمة ؛ فلم تصل يد الذين جمعوها الا الى بعضها .

ومن مدرسة عبد الله باشا العظم . ومكتبتها من وقفه رحمه الله في سنة احدى عشر ومائتين والف . وكان والده محمد باشا قد كتب وقفها من قبله سنة تسعين ومائة والف. ١٠
وكان مقرها في مدرسته الا ان نسبتها اشتهرت الى عبد الله باشا .

ومكتبة سليمان باشا العظم : وهي مكتبة وقفها المذكور سنة ست وتسعين ومائة والف . وكان مقرها في مدرسته في باب البريد .

ومكتبة الملا عثمان الكردي : وكان مقرها في المدرسة السليمانية .

ومكتبة الخياطين : وهي مكتبة وقفها اسعد باشا العظم بعد سنة خمس وستين ومائة والف . وكان مقرها في مدرسة والده الحاج اسماعيل باشا في محلة الخياطين، قرب المدرسة النورية . ١٥

ومكتبة المدرسة المرادية .

ومكتبة السميساطية : وهي مكتبة حديثة العهد ؛ وقفها اهل الخير .

ومكتبة المدرسة الياغوشية : وكانت موضوعة في مدرسة سياوش باشا في محلة الشاغور . ٢٠

ومكتبة الاوقاف : وهي مكتبة مجموعة من مكتبات متفرقة تشتت امرها ، فوضعت في ديوان الأوقاف حفظا لها .

ومكتبة بيت الخطابة : وكانت موضوعة في حجرة الخطابة في جامع بني امية .

ثم جعل مقر تلك الكتب كلها في تربة الملك الظاهر ، في المدرسة المذكورة لمتانتها ولياقتها لتلك الغاية ، وطبع دفتر باسماء الكتب ، وعين الوالي لها محافظين ، لكل واحد منهما مائتي قرش في الشهر ، وبوابا بخمسين قرشا . ولما انهى المرحوم مدحت باشا تنظيمها ، وترتيب قانونها ، عزل عن ولاية سورية . وجاء بعده حمدي باشا في اوائل سنة ست وتسعين ومائتين والف فكتب الحجر الذي على باب المكتبة باسمه . فكم ساع لقاعد سنة الله في خلقه ! والمكتبة المذكورة مفتوحة الباب للمطالعين . وزاد اهل الخير في كتبها ما هو قريب من الاصل . وكان بهذه المدرسة دار حديث ، بين ايوان الحنفية القبلي وايوان الشافعية الشرقي ؛ وقد صارت بيتا منذ التسعمائة والى الآن . ودرس بها كثير من المدرسين منهم : اليونيني المحدث المشهور ، وعمر الربعي الفارقي ، وابن بنت الأعز ، والصفي الهندي ، وابن الزملكاني ، والقلانسي ، وابن قاضي الزبداني ، وابن الشهيد ، وابراهيم اللوري ، واحمد بن غنيمة الواسطي ، وغيرهم من المشاهير . ومن وقف هذه المدرسة : الحصص بالقنيطرة ، ثم كفر عاقب ، والصرمان بكمالها ، والاشرفية قبلي دمشق ، ونصف قرية الاسطبل بالبقاع ، ونصف الطرة والبستان بالصالحية .

١٥ **ترجمة واقفها المنسوبة اليه**

الملك الظاهر بيبرس ٦٢٠-٦٧٦

هو السلطان ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي ، صاحب الفتوحات ، وهو الرابع من ملوك الترك . قال في « تحفة الناظرين » : اصله تركي ، اشتراه الملك الصالح نجم الدين ايوب واعتقه . ولا زالت الاقدار تساعده ، حتى وصل الى ما وصل . وكان ملكا شجاعا مقداما ، يباشر الحروب بنفسه ، له مع التتار الوقائع الهائلة ثم الافرنج . وقد بنى مدرسة بالقاهرة تجاه المارستان عام اثنين وستين وستمائة ؛ وتم البناء في سنة سبع . وقد تقلب الزمان على مدرسته بالقاهرة ، الى ان جعلها الافرنج قلعة سنة ثلاث عشرة ومائتين والف حينما استولوا على مصر وذلك لمتانتها وصلابتها واتقان بنائها ، وقطعوا ما حولها من الاشجار ، وهدموا الابنية التي كانت بينها . وبنى ايضا قناطر ابي المنجى بالقليوبية ، وقناطر السباع بطريق مصر ، وغير ذلك من قلاع وحصون وقناطر وخانات ، بالشام وغيرها . واكمل عمارة المسجد النبوي من الحريق . وله فتوحات كثيرة : فتح النوبة ودنقلة ، ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها .

وملك قيسارية ، ولبس التاج ، وضربت باسمه الدنانير والدراهم ، وجدد عمارة جامع الازهر بعد ان خرب . وله صدقات واوقاف كثيرة . ولما خرج الى قتال التتار ، استفتى العلماء في اخذ اموال من الرعية ، فافتوه الا النووي فانه امتنع ، وكلمه كلاما شديدا ، فغضب منه ، وامره بالخروج من الشام ، فخرج الى بلده نوى . ثم رسم له بالرجوع ، فقال : لا ادخلها والظاهر بها . وفي ايامه انتقلت الخلافة الى الديار المصرية ، فكان اول خليفة بمصر المستنصر ، دخلها سنة تسع وخمسين وستمائة ، فاجتمع بالملك الظاهر ، واثبت نسبه عند قضاة الشرع ، وبايعه بالخلافة ، واجرى عليه نفقة ، وليس له من الامر الا اسم الخليفة ، واولاده من بعده على هذا المنوال ياتون الى السلطان الذي يريدون توليته ، ويقولون : وليناك السلطنة . هكذا كانوا يفعلون ، ويتلقبون بالقاب الخلفاء ، وكان سلاطين الاقاليم تتبرك بهم ، ويرسلون لهم احسانا ، ويطلبون السلطنة باللسان ، فيكتبون لهم تقليدا . وكان آخر الخلفاء بمصر ابو عبد الله محمد بن يعقوب الملقب بالمتوكل . ولما افتتحت الدولة العثمانية مصر اخذه معه فاتحها السلطان سليم متبركا به . فلما مات السلطان سليم ، عاد الى مصر الى ان توفي بها سنة خمسين وتسعمائة ، وبموته انقطعت الخلافة العباسية . والذي حكاه في « تحفة الطالب » في ترجمة الملك الظاهر ، انه ولد في حدود العشرين وستمائة ، وقال : اشتراه الامير علاء الدين البندقداري ، فقبض الملك الصالح عليه ، واخذ بيبرس منه ، وطلع شجاعا ضاريا شهد وقعة المنصور ، وكان اميرا في الدولة المعزية ، ثم صار من اعيان البحرية ، وولي السلطنة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، قال : ولولا ظلمه وجبروته في بعض الاحايين ، لعد من الملوك العادلين . توفي في اليوم الثامن والعشرين من محرم ، سنة ست وسبعين وستمائة ، بقصره الابلق بدمشق ، وخلف من الاولاد : السعيد محمد ، وسلامش ، والخضر ، وسبع بنات . وكان بيلبك قد اخفى موته ، وخرج من دمشق الى مصر بمحفة ، يوهم ان الظاهر بها ، الى ان دخل مصر ، فسلطن الملك السعيد .

الملك السعيد

الملك السعيد ٦٥٦-٦٦٨

قال في « تحفة الطالب » : ميلاده في حدود ست وخمسين وستمائة بظاهر القاهرة . وتملك بعد ابيه سنة ست وسبعين وستمائة .

قال في « العبر » : وكان شابا مليحا ، حسن الطباع ، فيه عدل ولين واحسان ،

ومحبة للخير . وفي سنة سبع وسبعين وستمائة ، قدم دمشق ، وعملت القباب ، ودخل القلعة ؛ فاسقط ما وظفه ابوه على الامراء ؛ ففرح الناس به ، ودعوا له . ثم خلع نفسه في سنة ثمان ، وقنع بالكرك . ورتبوا اخاه شلامش في السلطنة وعمره سبع سنين. ثم خلعه اتابكه سيف الدين قلاوون ، ولقب نفسه بالملك المنصور . ثم توفي الملك السعيد شبه فجاة بعد ان اقام شهرا في قلعة الكرك ، ثم نقل بعد شهر الى مقبرة والده ، ودفن ٥
بجانبه . وتملك الكرك اخوه خضر بعده. وفي « اخبار الدول للاسحاقي » : ان الملك السعيد توفي سنة ثمان وستين وستمائة ؛ وكان تصرفه في الملك سنتين وثلاثة اشهر . وفي « تحفة الناظرين » : سنتين وثمانية اشهر . ولعل الاول اصح . وحكى المؤرخون سبب خلعه نفسه ، فقالوا : انه لما اتى دمشق ، جرد العسكر منها صحبة سيف الدين قلاوون الصالحي ، وتبعه في تجريد العسكر صاحب حماه . فساروا حتى وصلوا بلاد سيس ، ١٠
فشنوا الغارة عليها ، وغنموا . وعادوا الى جهات دمشق ؛ فاتفقوا على مخالفة الملك السعيد، وخلعه من المملكة لسوء تصرفه وتدبيره . وعبروا على دمشق ولم يدخلوها . فارسل السعيد وهو في دمشق اليهم يستعطفهم ؛ فلم يلتفتوا الى استعطافه ، واتموا السير . فركب الى مصر بحث السير ، فسبقهم اليها ، وصعد الى قلعة الجبل . فحاصره الخارجون عن طاعته ، واخذت عساكره بالتفرق عنه ، والانضمام الى اعدائه . فلما راى ١٥
ضعف نفسه ، خلعها بشرط ان يعطى الكرك . فاجيب الى ذلك ، وارسل من وقته اليها . فمات بها بعد مدة قليلة . وكان سنه حين تولى الملك ثماني عشرة سنة .

حرف العين

المدرسة (العادلية الكبرى)

هي داخل دمشق ، شمالي الجامع الى الغرب ، وشرقي الخانقاه الشهابية ، وقبلي ٢٠
الجاروخية بغرب ، وتجاه باب الظاهرية يفصل بينهما الطريق .

قلت : هي الآن معروفة . واما ما كان بجوارها فقد قضي عليه بالاندراس ؛ وتناولته ايدي المختلسين ، فاما الخانقاه الشهابية ، فهي التي بابها مقابل للزقاق المسمى قديما بزقاق اللاقية ، وهو الذي يتوصل منه الى سوق العصرونية . والباب باق على حاله ،

والخانقاه اصبحت بيوتا للسكنى ! واما الجاروخية فهي الآن دور ولا رسم للمدرسة ولا طلل !

وحكى عماد الدين الكاتب سبب بنائها فقال : وفي سنة ثمان وستين وخمسمائة ؛ وصل الفقيه الامام الكبير قطب الدين النيسابوري ، وهو فقيه عصره ونسيج وحده ؛ فسر نور الدين به ، وانزله بحلب بمدرسة باب العراق . ثم اطلقه الى دمشق ؛ فدرس بزاوية الجامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي وبالغزالية ؛ ونزل بمدرسة الجاروق . وشرع نور الدين في انشاء مدرسة كبيرة للشافعية لفضله ؛ وادركه الأجل دون ادراك عملها لأجله .

قال ابو شامة في « الروضتين » : قلت : هي المدرسة العادلية الآن التي بناها بعده الملك العادل ابو بكر بن ايوب ، اخو صلاح الدين ، وفيها تربته . وقد رايت انا ما كان بناه نور الدين ومن بعده منها ، وهو موضع المسجد والمحراب الآن . ثم لما بناها الملك العادل ، ازال تلك العمارة ، وبناها هذا البناء المتقن المحكم الذي لانظير له في بنيان المدارس . وبقي قطب الدين الى ان توفي في الايام الناصرية في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة . وقد وقف كتبه على طلبة العلم ؛ ونقلت بعد بناء هذه المدرسة اليها ؛ فما فاتها ثمرته اذ فاتها مباشرته . انتهى . فعلم من كلامه ان المبتدىء بانشائها نور الدين ؛ وان الذي اتمها واتقن بناءها الملك العادل . وفي كلام القاضي ابن شداد ما يخالفه بعض المخالفة ، فانه قال: انشاها نور الدين محمود بن زنكي ، وتوفي قبل ان يتمها . ثم بنى بعضها الملك العادل سيف الدين ، ومات قبل اتمامها ايضا . فأتمها الملك المعظم ، واوقف عليها الاوقاف التي منها الى الآن : جميع قرية الدريج ، وجميع قرية ركيس ، وثلث قرية نبطا ؛ والباقي استولى عليه ، لتقادم العهد ، بعض اصحاب الشوكة بطريق ما من طرق الحيل . قال ابن شداد : ثم ان الملك المعظم دفن والده بها ، ونسبها اليه . وبمثل قول العماد ، قال الأسدي وابن كثير . ولا مانع من ان يكون العادل هو الذي بناها . ثم توفي، وجاء بعده ابنه المعظم فاكمل ما تركه والده .

وقد نعت ابن بطوطة هذه المدرسة في « رحلته » فقال ، عند كلامه على مدارس الشافعية : وللشافعية بدمشق جملة من المدارس : اعظمها العادلية ، وبها يحكم قاضي القضاة . وتقابلها المدرسة الظاهرية ، وبها قبر الملك الظاهر ، وبها جلوس نواب القاضي . انتهى

وأول من درس بها القاضي جمال الدين المصري . وكان درسا عظيما ؛ حضر عنده السلطان المعظم ، فجلس في الصدر عن شمال المدرس ، وجلس الجلال الحصري عن يمينه ، ثم انتظم الجمع من مثل ابن الصلاح ، والآمدي ، وابن سني الدولة ، وكثير من العلماء والأمراء والكبراء ، حتى امتلأ الايوان بالناس . وكانت هذه عادة الدروس الرسمية في تلك الازمان . وكانت المناقشات والمناظرات تدور على اصولها ويشتد الخلاف بين الفرق . وقد بقيت بقية من تلك العادة الى زمننا هذا . ولكن صار التدريس اسما بلا جسم ، وجهلا بلا علم ، فلا مناقشات ولا مناظرات ، بل غاية امر المدرس ان يستاجر من يؤلف له الدرس ، ثم يسرده ولايفهم معنى ما يقول . وفي ترجمة ابن خلكان ، انه قرا « صحيح البخاري » في العادلية ؛ وكان يحضر كثير من العلماء منهم : جمال الدين ابن مالك ؛ فاذا وجدت جملة مشكلة من جهة الاعراب ، تكلم فيها وكتبها . حتى اكمل كتابه في « اعراب مشكل البخاري » ، وهو كتاب عظيم الفائدة .

وحكى ابن كثير في « تاريخه » ان العادلية خربت سنة اربع وسبعمائة . ويظهر من كلامه انها كانت قبلها معطلة ، ولم يكن احد يحكم بها بعد واقعة قازان حيث انه خربها . ثم في التاريخ المذكور : جددت عمارتها ، فعادت لها ايامها ، ثم انحطت عقب وقائع تيمورلنك ، فخلت من المدرسين ، وتناولتها ايدي المختلسين ، كما اشار اليه ابن قاضي شهبة فانه يقول : ومن وقائع تيمورلنك الى زمنه ، يعني سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، لم يدرس بها احد . انتهى. وكان جملة من درس بها من قبل تسعة عشر مدرسا . وانشأ الواقف بها مشيخة اقراء ونحو ؛ وليها جماعات من الفضلاء . ثم تقهقرت احوالها الى ما بعد الالف ؛ فتولاها بعض المدرسين . ثم اشتهر الشيخ شهاب الدين احمد المنيني بالعلم والفضل ، فدرس بالسميساطية ، وجعل سكنه بها . وبسبب كثرة مخالطته للكبراء وارباب المناصب ؛ توجه عليه تدريس العادلية الكبرى ، وتولية السميساطية والعمرية . فانتقل الى العادلية ، ولم يزل بها الى ان توفي سنة اثنتين وسبعين ومائة والف . فاستولى اولاده على المدارس الثلاثة المذكورة . ثم انتقلت الى اولادهم ، الى زمن محمد افندي المنيني مفتي دمشق . فاستولى عليهما ، واتخذ العادلية بيتا للسكنى ؛ وجعل مسجدها اسطبلا للدواب ، وتصرف فيها وفي اوقاف المدارس الثلاثة كيفما شاء وشاء له الهوى . ثم مات ؛ فاكمل الاستيلاء ولده توفيق افندي . وبقيت الى الآن ، اعني الى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الألف تحت سيطرته ونفوذه . وفي ايامنا ، جعل مسجدها

مخزنا لبيع الفحم ، واتخذ أعوانه ، ممن يعيشون من اكل أموال الأوقاف ، سلاحاً المدافعة عنها ليعينهم ، هو وشيعته ، على المدافعة عما اختلسوه من الأوقاف . «وان ربك لبالمرصاد » آية ١٤/٨٩ . « ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون » آية ٤٢/١٤

ترجمة بانيها

الملك العادل سيف الدين ٥٤٠-٦١٥

٥ قد علم مما تقدم أن باني المدرسة هو الملك العادل سيف الدين ابو بكر محمد ابن الأمير نجم الدين ايوب بن شاذي[1] . ولد ببعلبك ايام ولاية ابيه عليها ، ونشأ في خدمة نور الدين مع ابيه . وكان اخوه صلاح الدين يستشيره ، ويعتمد عليه وعلى رايه وعقله ودهائه . ولم يكن احد يتقدم عليه عنده . ولما تسلطن صلاح الدين ، استخلف اخاه العادل بمصر ثقة به واعتمادا عليه ، وعلما بما هو عليه من توفر العقل وحسن السيرة.

١٠ فلما توفي صلاح الدين ، ملك دمشق ، وبقي مالكا لها . وفي سنة أربع عشرة وستمائة ، قام الافرنج لمحاربته ، فقصد هو مرج الصفر . فلما سار الافرنج الى ديار مصر ، انتقل الى عالقين فاقام بها ، ومرض الى ان توفي سنة خمس عشرة وستمائة ، ودفن بتربته في مدرسة العادلية . وكان ، على ما حكاه في ترجمته ابن الاثير في « الكامل » ، عاقلا ذا رأي سديد ومكر شديد وخديعة ، صبورا حليما ذا اناة ، يسمع ما يكره ويغضي عليه حتى

١٥ كأنه لايسمعه . كثير الخرج وقت الحاجة ، لايقف في شيء ، واذا لم تكن حاجة ، فلا . وعاش خمسا وسبعين سنة وشهورا . وملك دمشق سنة اثنين وتسعين وخمسمائة، ومصر سنة ست وتسعين . وكان قد قسم في حياته البلاد بين أولاده : فجعل بمصر الكامل محمدا ، وبدمشق والقدس وطبرية والاردن والكرك وغيرها من الحصون المجاورة لها، ابنه المعظم عيسى ، وجعل بعض ديار الجزيرة وميافارقين وخلاط وأعمالها لابنه الملك

٢٠ الأشرف موسى ، واعطى الرها لولده شهاب الدين غازي ، واعطى قلعة جعبر لولده الحافظ ارسلان شاه . فلما توفي ، ثبت كل منهم في مملكته ، واتفقوا اتفاقا حسنا ، ولم يجر بينهم من الاختلاف ما كان يجري بين أولاد الملوك بعد آبائهم . بل كانوا كالنفس الواحدة ، كل منهم يثق بالآخر ، ويحضر عنده منفردا من عسكره ولايخافه . فلا جرم زاد ملكهم ، وراوا من نفاذ الحكم والامر ما لم يره ابوهم . وستأتي زيادة على هذا عند

٢٥ الكلام على التربة العادلية ، وفي القسم السياسي من هذا الكتاب .

---

[1] كذا في الاصل وقد وردت «شاذي بالذال» في « أمراء دمشق في الاسلام » لصلاح الدين الصفدي.

المدرسة (العادلية الصغرى)

هي داخل باب الفرج ، شرقي باب القلعة الشرقي ، قبلي الدماغية والعمادية . كذا عرفها في « تحفة الطالب » . واما الآن فلا اثر للدماغية ولا للعمادية الا بعض جدران لم تقو الحوادث على مصادمتها . والمدرستان صارتا دورا للسكنى . والعادلية الآن في سوق العصرونية في جانبه الشمالي . ولم يبق بها الا حجرتان في مدخلها ، وبركة ماء في ساحتها ، وايوانان : اتخذ احدهما للصلاة ، والثاني لاقراء الصغار القرآن . واصل انشائها ان بابا خاتون بنت اسد الدين شيركوه كانت اشترت دارا وحماما وقرية كامد ، وحصة من قرية برقوم من اعمال حلب ، وحصة من قرية بيت الدار . ثم وقفت ذلك جميعه على نفسها ايام حياتها ، ثم من بعدها على ابنة عمها زهرة خاتون بنت الملك العادل ؛ مشترطة عليها ان تكون الدار مدرسة ، ومدفنا ، ومواضع للسكنى ، وان يكون للمدرسة مدرس ، ومعيد ، وامام ، ومؤذن ، وبواب ، وقيم ، وعشرون فقيها . ثم تصرفت في كتاب وقفها في الجهات المذكورة ؛ فجعلت منها ما هو على مصالح المدرسة ومصارفها ، ومنها ما هو على اقاربها ومعتقيها ؛ وذلك في أوائل شهر رمضان سنة خمس وخمسين وستمائة . كذا قاله ابن قاضي شهبة . ثم ان زهرة انشات المدرسة على وفق شروط الواقفة ؛ فانتظمت احوالها ، ثم نابها الزمان ، واصابها من جور جارتها القلعة ما اصابها . ففي « مختصر تاريخ الاسلام للذهبي » انه في سنة تسع وتسعين وستمائة ٦٩٩ دخل التتار دمشق ، وشرعوا في المصادرة والفسق ، ونهبوا الصالحية ، وسبوا اهلها ، وتغير الخلق ووقع الحريق من صاحب سيس والكفرة ، فاحرقوا جامع العقيبة وعدة أماكن ، وحاصروا القلعة ، وعملوا المنجنيق والنقوب ، فاحرق اهل القلعة دار السعادة ، وداري الحديث الأشرفية والنورية ، والعادلية ، وخربت تلك المحلة ، وبقي باب البريد اسطبلا فيه الزبل نحو ذراع . انتهى . وحاصل القول : ان العادليتين الآن قد استعملتا في غير ما وضعتا له . ودرس بالعادلية المذكورة شرف الدين ابن نعمة المقدسي ، ثم بعده نحو اثني عشر مدرسا ، آخرهم احمد بن صالح العدوي الزهري البقاعي المتوفى سنة خمس وتسعين وسبعمائة .

ترجمة بانيها

بابا خاتون بنت أسد الدين

تقدم ان العادلية كانت دارا لرجل يقال له : عبدان الفلكي . فاشترتها بابا خاتون بنت اسد الدين شيركوه ، ثم اوقفتها مدرسة . ولم نظفر بترجمة لبابا المذكورة .

واسد الدين هذا كان عما للسلطان صلاح الدين . واستوزره السلطان نور الدين محمود ابن زنكي على مصر ، ولقبه بالملك المنصور امير الجيوش . وارسل اليه امير المؤمنين العاضد منشور الوزارة وهو الذي استخدم القاضي الفاضل في الكتابة ، وهناه العماد الكاتب بقصيدة طويلة اولها :

٥ بالجد ادركت ما ادركت لا اللعب — كم راحة جنيت من دوحة التعب

وهي طويلة رواها صاحب الروضتين . وتوفي اسد الدين فجاة سنة اربع وستين وخمسمائة . وكانت وزارته شهرين وخمسة ايام . وفوض الامر بعده في مصر الى ابن اخيه صلاح الدين .

المدرسة (العذراوية)

١٠ كانت بحارة الغرباء داخل باب النصر ؛ وفيها باب ينفذ اليها . وهي وقف على الشافعية والحنفية . كذا في « تحفة الطالب » .

اقول : هذه المدرسة هي بالقرب من القجماسية ؛ غربي حمام الست عذرا ؛ في اوائل الزقاق المسمى بزقاق المبلط . وقد صارت الآن دارا ؛ ولم يبق من اثرها سوى قبر الواقفة . ومحل قبرها استعمل زاوية ؛ يجمع بها سكان الدار النساء في ايام

١٥ معلومة ويضربون هناك الطبول والمزاهر . ويزعمون انها طريقة المحيا . والقبر شباك ينفذ الى حمام الست عذرا . ولولا وجود القبر ، لما علمنا مكانها ولا اتضح لنا اثرها .

ترجمة الواقفة

الست عذراء بنت صلاح الدين ٠٠٠–٥٩٣

هي الست عذراء بنت السلطان صلاح الدين يوسف . توفيت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، ودفنت في مدرستها . وكانت تحب الخير وتدابـ على فعله . ولاهل دمشق

٢٠ اعتقاد كبير ، حسب عادتهم ، في القبور وتعظيمها ونسبة الولاية لاصحابها . واول من درس بمدرستها : الفخر بن عساكر ، ثم بعده ثمانية وعشرون مدرسا . ثم تقلبت بها الاحوال الى ان صارت دارا .

وقيل : ان الست عذراء هي بنت الامير نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين اخي السلطان صلاح الدين والاول اصح والله اعلم .

المدرسة (العزيزية)

كانت شرقي التربة الصلاحية ، وغربي التربة الأشرفية ، وشمالي الفاضلية بالكلاسة ، لصيق الجامع الأموي . وقد اصبحت الآن مجهولة الاثر ، لايعرف محلها ، ولا يدرى مقرها . واول من اسسها : الملك الافضل ؛ ثم اتمها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين ، ونقل والده الى قبة في جوارها . قال العماد الكاتب في رسالته التي سماها « عتبى الزمان » : كان السلطان صلاح الدين لما توفي بالقلعة في منزله ؛ جعل ولده الافضل يتروى في موضع ينقله اليه . واستشار في ذلك ؛ فاشير عليه في سنة تسعين بأن يبني تربته عند مسجد القدم ، ويبني عندها مدرسة للشافعية . وقالوا : اذا وصل الملك العزيز ؛ استغنى بزيارتها عن الدخول الى دمشق لاجلها . وقالوا : ان السلطان لما مرض سنة احدى وثمانين بحران ؛ كان قد أوصى ان يدفن بدمشق قبلي ميدان الحصى ، ويكون قبره على النهج السائل وطريق القوافل ؛ ليدعو له الوارد والصادر ، والبادي والحاضر ، وتجوز عليه في الغزوات العساكر . قالوا : وان تناءت الأرض عن مكان الوصية ، فهي منه قريبة . فامر الافضل ببناء التربة عند مسجد القدم . قال : فاتفق وصول العزيز تلك السنة للحصار ؛ وهم قد شرعوا في عمارتها ؛ فخرب ما كان قد ارتفع من البناء . ثم استقرا الافضل حدود الجامع ليجعل التربة فيها . فوفق لدار كانت لبعض الصالحين ، فاشتراها منه ، وامر بعمارتها قبة ، فعمرت ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء من سنة اثنين وتسعين وخمسمائة . ويقال : انه دفن معه سيفه الذي كان معه في الجهاد ؛ وكان ذلك برأي القاضي الفاضل . وقال في « العبر » : وكان للأمير اسامة دار بجنب تربة صلاح الدين ، فامر الملك العزيز القاضي محي الدين ابن الزكي ان يبنيها له مدرسة ، ففعل . وفي «الروضتين» : ان العزيز اوقف عليها قرية عظيمة يقال لها : محجة . واسامة هذا هو ابن مرشد بن علي بن منقذ ، احد الأمراء والشعراء المشهورين . كانت داره معقلا للفضلاء ، ومنزلا للعلماء . وهو ذو فضل كثير ، وعلم غزير . كان من ابناء ملوك شيزر . واقام بمصر ايام الفاطميين ؛ ثم دخل دمشق ، فاحتفل به صلاح الدين ، وفضله على سائر الدواوين . وكان في ايام شبابه شهما شجاعا فاتكا ، توفي سنة اربع وثمانين وخمسمائة وسنه ست وتسعون .

أسامة بن منقذ(١)
٤٨٨-٥٨٤

(١) اثبته المؤلف على الحاشية فأوردناه للامانة العلمية .

ترجمة واقفها

الملك العزيز ابن صلاح الدين ٥٦٧–٥٩٥

هو ابو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين . توفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة بداره بالقاهرة . ولما مات والده ؛ كان نصيبه القاهرة ؛ فملكها خمس سنين وعشرة اشهر . قال موفق الدين عبد اللطيف البغدادي : كان الملك العزيز شابا حسن الصورة، ظريف الشمائل ، قويا ذا بطش زائد وخفة حركة ، حييا كريما ، عفيفا عن الاموال والفروج . ا.هـ. وفي « العبر » ان العزيز لما كان سلطانا على مصر ، نازعته نفسه بامتلاك دمشق من اخيه الأفضل فسار سنة تسعين وستمائة ، فنزل بنواحي ميدان الحصى . فارسل الافضل الى عمه العادل ، صاحب الديار الجزرية ، يستنجده ؛ وكان يثق به ، ويعتمد عليه . فسار العادل الى دمشق ، ومعه كل من أصحاب حلب وحماه وحمص والموصل ، علما منهم ان العزيز ان ملك دمشق اخذ بلادهم . فلما راى العزيز اجتماعهم؛ علم انه لاقدرة له على البلد . فترددت الرسل حينئذ بالصلح ؛ فاستقر الامر على ان يكون البيت المقدس وما جاوره من اعمال فلسطين للعزيز ، وتبقى دمشق وطبرية واعمالها الغور للافضل ، على ما كانت عليه ، وان يعطي الافضل اخاه الملك الظاهر جبلة ولاذقية ، وان يكون للعادل بمصر اقطاعه الاول . واتفقوا على ذلك ؛ وعاد كل الى مقره. ثم حاصر دمشق مرة ثانية في سنة احدى وتسعين ؛ وعاد عنها منهزما ، لما ذكرناه في القسم السياسي . ولما مات العزيز ، اقيم ولده على مقامه ولقب بالمنصور . فاختلف الامراء عليه ، ولم تنتظم احواله ، وكان من امره ما كان ، حتى ملك العادل البلاد .

والمدرسة العزيزية كانت ذات شهرة وافرة ؛ درس بها القاضي محي الدين ابن الزكي؛ ثم ولده ، ثم اخوه ، ثم من بعدهم اثنا عشر مدرسا منهم : عبد الصمد بن محمد الشهير بابن الحرستاني ، وقد كان العز بن عبد السلام يرجحه على الفخر ابن عساكر . ومنهم: شيخ المتكلمين في زمنه سيف الدين علي الآمدي ، درس بالعزيزية مدة بتولية من الملك المعظم ، ولما ولي اخوه الأشرف موسى ؛ عزله عن التدريس لأنه اتهمه بالفلسفة ، وبالاشتغال بعلوم الأوائل . ونادى الاشرف في المدارس قائلا : من ذكر غير التفسير والفقه ، او تعرض لكلام الفلاسفة ، نفيته ! فأقام الآمدي خامدا خاملا في بيته ، الى ان توفي سنة احدى وثلاثين وستمائة .

وقال الذهبي : اقرا الآمدي بمصر مدة فنسبوه الى دين الأوائل ، وكتبوا محضرا

بإباحة دمه ؛ فهرب وسكن حماة ثم دمشق . ولم يكن له نظير في الأصلين والكلام والمنطق . انتهى

وهذه عادة الدهر مع الأفاضل . على ان الآمدي كان من حقه ان يفتخر زمنه به ، ويباهي به الأزمان التي بعده . ومن تأمل مؤلفاته ، وما انطوت عليه من التحقيقات ؛ أذعن لذلك ، ولله في خلقه شؤون . ٥

المدرسة (القصرونية)

داخل بابي الفرج والنصر ، شرقي القلعة ، وغربي الجامع ، بمحلة حجر الذهب عند سويقة باب البريد . كذا في « التحفة » وغيرها .

اقول : هي الآن بسويقة القصرونية ، في الجانب القبلي منها ، وهي مشهورة ، والسويقة مسماة باسمها . وقد تناولتها ايدي المختلسين حينا من الدهر ؛ ثم قيض الله ١٠ لها من استخلص بعضا منها ، وجعله جامعا . وليس بها الآن سوى بركة ماء في ساحتها، وايوان للصلاة في الجانب القبلي . والمدرسة ينزل اليها بدرج . وباقيها قد صارت حوانيت للبيع والشراء .

قال ابن كثير : هي مقابل دار الباني ، بينهما عرض الطريق . وقد صارت داره الآن قيسارية العمارة للغير ، والأرض لذريته لا للمدرسة . وبقي الى الآن آثار عمارته ١٥ خرابا . انتهى

قلت : اما القيسارية فهي الآن خان للدواب . ومن وقف المدرسة : عشرة قراريط ونصف قيراط من قرية هربرة . ومنه ببعلبك مزرعتان معروفتان بدير النبط ، وقدرهما نحو عشرة قراريط ، شركة الخانقاه السميساطية . ومنه : مزرعة تعرف بالجلدية ، نحو اربعة عشر قيراطا ، كان اهل الجعيدية يزرعونها . ومنه : قيراط ونصف وربع قيراط ٢٠ من قرية حمار بالمرج . ومنه : بالنابتية خارج باب الجابية بدمشق بستان يعرف بالسنبوسكي . وشرط الواقف أن لايزيد فقهاؤها على عشرين فقيها من الشافعية وغيرهم ، وان التدريس لذريته ، ويستناب عمن لم يكن اهلا له ، وان يدرس بها من تصانيفه ، فان تعذرت يكون التدريس في الخلاف . وجعل لارباب الوظائف قدرا معلوما من القراطيس . قال في «التنبيه» : كذا اخبرني من رأى كتاب الوقف من ذرية الواقف. ٢٥

درس بها ولداه : نجم الدين ، ومحي الدين ، وجماعات من الذرية . قال العلموي : وكانه ، والله اعلم ، لما انقطعت الذرية من العلم ؛ تخلل بينهم في التدريس من ليس من الذرية ، كأحمد بن نصر الله ، وشمس الدين بن غانم ، وجمال الدين القلانسي ، فولده امين الدين ، وامثال من يأكلون حراما . وقد كان ذلك سائغا لو تعذرت الذرية . انتهى

ترجمة الواقف

شرف الدين ابن ابي عصرون ٤٩٢-٥٨٥

هو عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر بن ابي عصرون بن ابي السري التميمي الموصلي نزيل دمشق .

قال الذهبي : كان احد الأعلام ، وكان من الصلحاء ، والعلماء العاملين . ولد بالموصل سنة اثنتين او ثلاث وتسعين واربعمائة .

وقال ابن السبكي في « الطبقات الوسطى » : كان من افقه اهل عصره ، واليه المنتهى في الفتاوى والاحكام . تفقه على ابي محمد عبد الله ابن ابي القاسم الشهرزوري ، والقاضي ابي علي الفارقي ، واسعد الميهني ، وغيرهم ، وقرا الاصول على ابن برهان ، وتفقه عليه خلق كثير ، وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة .

وقال الأسدي : قرا بالسبع وبالعشر ، وتوجه الى واسط ، فتفقه بها واشتغل بالنحو ، ورجع الى بلده بعلم كثير ؛ واخذ يدرس به . ثم اقام بسنجار وولي قضاءها ، وقضاء نصيبين وحران وغيرهما .

قال السبكي : ودخل حلب ، فاقبل عليه ملكها نور الدين . فلما انتقل الى دمشق سنة تسع واربعين ؛ صحبه معه ، وولاه تدريس العادلية . ثم انتقل الى حلب ، وولي القضاء بسنجار وحران وديار ربيعة . ثم عاد الى دمشق في سنة سبعين ايام صلاح الدين ؛ فولاه قضاء دمشق ، واستمر فيه الى سنة سبع وسبعين ، فاضر . فولى صلاح الدين قضاء دمشق لولده محي الدين .

قال الشيخ موفق الدين ابن قدامة : كان ابن ابي عصرون امام اصحاب الشافعي في عصره . وقد بنى له نور الدين مدرسة بحلب ، ومدرسة بحمص ، ومدرسة ببعلبك . وقد بنى هو لنفسه مدرسة بدمشق ، ودفن بها .

قال ابن الصلاح : توفي وقد بلغ ثلاثا وتسعين سنة . انتهى

وقد صنف كتبا جمة منها : « صفوة المذهب من نهاية المطلب » في سبع مجلدات ، و « الانتصار » في اربع مجلدات ، و « المرشد » في مجلدين ، و « الذريعة في معرفة الشريعة » ، و « التبيين في الخلاف » في اربعة اجزاء ، و « ماخذ النظر » ، و « مختصر في الفرائض » ، و « الارشاد في نصرة المذهب » لم يتم ، وذهب فيما نهب له بحلب ، و « التنبيه في معرفة الاحكام » ، و « فوائد المنذري » في مجلدين . وجمع جزءا في « جواز قضاء الاعمى » . وقد اورد له العماد الكاتب اشعارا كثيرة منها :

أ آمل ان احيا وفي كل ساعة	تمر بي الموتى تهز نعوشها !
وهل انا الا مثلهم غير ان لي	بقايا ليال في الزمان اعيشها ؟

ومما ينتظم في سلك هذه الترجمة ؛ ما حكاه في « الروضتين » عن الدولعي ، قال : لما مات الحافظ المرادي كنا ، جماعة الفقهاء ، قسمين : العرب والأكراد . فمنا من مال الى المذهب ، واراد ان يستدعي الشيخ شرف الدين ابن ابي عصرون وكان بالموصل . ومنا من مال الى علم النظر والخلاف ، واراد ان يستدعي القطب النيسابوري وكان قد جاء وزار بيت المقدس ؛ ثم عاد الى بلاد العجم . فوقع بيننا كلام بسبب ذلك ، ووقعت فتنة بين الفقهاء . فسمع نور الدين بذلك ؛ فاستدعى جماعة الفقهاء الى القلعة بحلب، وخرج اليهم مجد الدين ابن الداية عن لسانه ، وقال لهم : نحن ما اردنا ببناء المدارس الا نشر العلم ، ودحض البدع من هذه البلدة ، واظهار الدين . وهذا الذي جرى بينكم لايحسن ولا يليق . وقد قال المولى نور الدين : نحن نرضي الطائفتين ، ونستدعي ابن ابي عصرون والنيسابوري . فاستدعاهما جميعا ، وولاهما مدرستين . فرحمه الله من عادل حليم .

المدرسة (العمادية)

داخل بابي الفرج والفراديس ، لصيق المدرسة الدماغية من جهة القبلة . كذا كان تعريفها . وقد اندرست معالمها ، واختفى اثرها ، وتنوسي ذكرها ، وصارت دورا للسكنى .

واختلف في بانيها ؛ فقال ابن شداد : بناها عماد الدين اسماعيل بن نور الدين ، واوقف عليها الاوقاف السلطان صلاح الدين . انتهى . ورده النعيمي فقال : انما الذي بناها نور الدين محمود بن زنكي لاجل خطيب دمشق ابو البركات الخضر بن شبل

الحارثي . وقال الذهبي في ترجمة الحارثي : درس بالغزالية ، والمجاهدية ، وبنى له نور الدين محمود مدرسته التي عند باب الفرج فدرس بها ، وهي الآن تعرف بالعمادية .
وقال ابو شامة في « الروضتين » في حوادث سنة اثنتين وستين وخمسمائة : وفي شعبان من هذه السنة قدم دمشق عماد الدين الكاتب ابو حامد محمد بن محمد الاصفهاني مصنف كتابي « الفتح » و « البرق » . فانزله كمال الدين ابو الفضل محمد ابن عبد الله بن القاسم بن الشهرزوري بالمدرسة النورية الشافعية عند حمام القصير بباب الفرج ، المنسوبة الآن الى العماد . وانما نسبت اليه ؛ لأن نور الدين رحمه الله ولاه اياها في رجب سنة سبع وستين ، بعد الشيخ الفقيه ابن عبد . وقال الذهبي قريبا من هذا . وهذا يصحح ان المدرسة بناء نور الدين . ودرس بها جماعة منهم : الحارثي ، وولداه : عز الدين ، وتاج الدين ، وعماد الدين الكاتب ، وغيرهم الى ان غدت تنشد قول العماد :

عماد الدين الكاتب ٥١٩–٥٩٧

يوم النوى ليس من عمري بمحسوب	ولا الفراق الى عيشي بمنسوب
ما اخترت بعدك لكن الزمان اتى	كرها بما ليس يا محبوب محبوبي

وحكى النعيمي انه وقف على قائمة بخط تقي الدين ابن قاضي شهبة تتضمن محاسبة اوقاف العمادية ، مؤرخة في سنة خمس وستين وثمانمائة . والقائمة ذكرها بتمامها . وبها من الاوقاف : حانوت بجوار المدرسة ، وعلوه طبقة ، ومحاكرة المزرعة المعروفة بالعمادية بقصر اللباد بالقرب من حارة السليماني ، ومحاكرة نصف المزرعة بالوادي التحتاني وتعرف بالدماغية ، ومحاكرة الجنينة ، ومحاكرة كل من ثلاثة من الدبار ، ومحاكرة حوانيت قد ذكر اسماء اصحابها ، وليس الآن لذكرهم فائدة لتغير الاسماء والمسميات . ويظهر من القائمة انه كان بها يومئذ عشرة من الفقهاء يتناولون معلومهم ، وانها كانت عامرة ، ولها مدرس ، وامام ، وبواب ، وقيم ، فسبحان الباقي !

حرف الغين

المدرسة (الغزالية)

هي زاوية بالجامع الاموي ، شمالي مشهد عثمان . وكانت قبل ذلك تعرف بالشيخ نصر المقدسي . وانما نسبت الى الغزالي لانه لما دخل دمشق ، قصد الخانقاه السميساطية

ليسكنها ؛ فمنعه الصوفية الذين كانوا بها يومئذ من الدخول لعدم معرفتهم به . فعدل عنها ، واقام بهذه الزاوية بالجامع . وبعد يسير من استقراره بها ، عرف مقامه ومنزلته، وعلم مكانه . فحضر الصوفية باسرهم اليه ، واخذوا في الاعتذار عما بدر منهم ؛ وسألوه النزول بالسميساطية ، فأجابهم لطلبهم ؛ فعرفت الزاوية به . اخبر بذلك ابن شداد عند كلامه على الزوايا التي هي بالجامع . ٥

قال ابن كثير : هذه الزاوية يقال لها : الغزالية ، وتعرف بزاوية الدولعي ، وبزاوية القطب النيسابوري ، وبزاوية الشيخ نصر . وكان نصر يدرس بها احتسابا ؛ ولم يكن لها وقف. فلما درس بها الغزالي؛ وقف عليها السلطان صلاح الدين قرية خرم بااللوى من حوران، وجعل ريعها على من يشتغل بها بعلم الشريعة ، او بعلم ما يحتاج اليه الفقيه والحضر، لسماع الدروس بتلك الزاوية ، وعلى من هو مدرسهم بهذا الموضع من اصحاب الامام الشافعي. ١٠ وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري ، وكان ذلك سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة . وقد درس بها جماعة منهم : الشيخ نصر المقدسي ، والغزالي ، وابن خطيب الجامع ، والدولعي ، واخوه ، والاسعردي ، وعماد الدين شيخ الشيوخ ، والعز بن عبد السلام ، ثم بعدهم عشرون مدرسا منهم : الايكي ، ومحمد بن ابي بكر بن عيسى بن بدران في سنة ثلاثين وسبعمائة . ثم تغيرت احوالها . قال الاسدي : ومن تيمورلنك الى الآن ، يعني ١٥ الى زمنه ، لم يدرس بها احد . قلت : وفي زمننا فقدان التدريس بها من باب أولى !

حرف الفاء

المدرسة (الفارسية)

هي والتربة بها ، غربي الجوزية الحنبلية ، تجاه الخارج من باب الزيادة ، وهو الباب القبلي للجامع . والجوزية في زمننا محكمة . ٢٠

واقول : وقفت على آثارها فلم ار شيئا من المدرسة . وهناك جامع صغير ، مقابل نهاية سوق السلاح ، وبه قبران ؛ واظنه هو التربة المذكورة . وبجانبه من الغرب ، زقاق له باب قديم . والظاهر والله اعلم ان المدرسة كانت هناك ؛ ثم تناولتها يد المختلسين فجعلتها دورا ، واعانت الدهر على محو الاثر !

ترجمة واقفها

سيف الدين فارس

هو سيف الدين فارس الدوادار التنمي ، واقف التنمية بميدان الحصى ، وواقف تربة صحنايا وغيرها . وقد اوقف هذه المدرسة سنة ثمان وثمانمائة على مدرسين ، وعلى عشرة من الفقهاء ، وعشرة من القراء ، وعلى خمسة عشر يتيما ، بشرط انه اذا حفظ احدهم القرآن يخرج ويقرر غيره ، وعلى تفرقة زنة ربع قنطار من الخبز في كل جمعة . وجعل مقرئين آخرين ايضا غير العشرة الاول يحضران عقيب الظهر والعصر .

قال ابن حجي السعدي : اوقف عليها حوانيت الى جانبها ، وجعلها وقفا على امام وغيره . ثم اشترى قرية صحنايا في سنة ثمان وثمانمائة باذن السلطان . واوقفه على جهات بها ؛ فوقفه على شيخين مدرسين للعلم ، على ان يقرا الطلبة عليهما انواع العلوم من اهل المذاهب الاربعة . وجعل لكل شيخ في الشهر ثمانين درهما ، وللطلبة خمسة واربعين ، وجعل عددهم عشرة . وكذلك المقرئة ، وجعل لكل منهم خمسة عشر درهما .

قال ابن حجي : وتمادى الامر الى هذا الوقت ؛ فعين من الجماعة شمس الدين الكفيري ، ونور الدين ابن قاضي ازرعات ، وتقي الدين ابن قاضي شهبة وآخرون . قال : وبلغني انه جعل لكل يتيم خمسة عشر درهما في كل موسم وعيد ، عدا عما لهم في الشهر .

وقال الاسدي : درس في هذه المدرسة ابن حجي والطيماني سنة احدى عشرة . قال : وفي الوقف شروط للحرمين ، والفاضل بعد ذلك للتربته .

قال في « تنبيه الطالب » : ومن وقفها ، كما اخبرني به جمال الدين العدوي بوابها : ربع قرية فزارة من اعمال الجولان ، والعشر من قرية بالين بالبقاع ؛ وربع سوق السلاح شركة المدرسة الامينية ، وبيت ابن مزلق . ومن مدرسيها : جمال الدين المصري ، ثم ولده ، ثم ابن قاضي شهبة ، ثم ولده ، ثم تقي الدين ابن قاضي عجلون . ثم بدا امرها بالتقهقر ، الى ان اختلست هي واوقافها ، اسوة بغيرها من المدارس .

المدرسة (الفتحية)

•

لم يذكر النعيمي مكانها . وقال العلموي : هي مجهولة المكان . قال النعيمي : انشاها

الملك الغالب فتح الدين

فتح الدين صاحب ماردين[1]، وبها قبر الواقف . ووقفها بالديار المصرية . وجعل نظر التدريس الى القاضي عماد الدين الخرستاني ؛ فدرس بها هو ، ثم ولده محي الدين ، ثم اخذت منه في سنة تسع وستين وستمائة ، واعطيت لمحمد بن عبد القادر الانصاري . قال ابن شداد : درس بها الباجريقي ، ثم الحسباني . انتهى . ثم جماعات لم يحصر التاريخ اسماءهم . قلت : وقوله : ماردين ، كذا في نسخة العلموي . والذي في « التحفة » : بارين[2] . وللواقف مدرسة ثانية ستأتي في مدارس الحنفية ، ويأتي ذكر ترجمته هناك . ٥

المدرسة (الفخرية)

كانت بين السوريين من ثمن[3] العمارة بدمشق ، ولم يبق لها الآن من أثر .

قال ابن حجي في «تاريخه»: تكامل بناء الفخرية في سنة احدى وعشرين وثمانمائة ، وقررت فيها الصوفية ، وفوضت مشيختها للشيخ شمس الدين البرماوي شارح «البخاري»، ودرس الحنفية للقاضي الديري ، والمالكية القاضي جمال الدين المالكي ، والحنابلة للقاضي عز الدين البغدادي ، ثم المقدسي وتولى معها تدريس المؤيدية . انتهى. ١٠

فظهر من كلامه أن التدريس في المدرسة كان عاما ، لم يختص بمذهب من المذاهب كما كان يفعله اهل القرن الخامس ومابعده ، وان البرماوي كان شيخ الشافعية بها . ١٥

ثم قال ابن حجي : ولما فتحت ابواب المدرسة للقراءة ، بعد أن تم بناؤها ، لم يستطع بانيها فخر الدين الحضور عند المدرسين لشدة مرضه اذ ذاك ، وتمادى به الامر في المرض الى ان مات في السنة المذكورة ، ودفن فيها في فسقية اتخذت له بعد موته .

المدرسة (الفلكية)

هي غربي المدرسة الركنية الجوانية ، بحارة الافتريس ، داخل بابي الفرج والفراديس ٢٠

---

(١) كذا في الاصل وذكرها النعيمي في « الدارس » : « بارين » .

(٢) وكذلك ذكرها ابن شداد في « الاعلاق الخطيرة » : « بارين » .

(٣) تقدم شرحه .

كذا في «التنبيه» ، وقال العلموي : قلت : هي بالزقاق الساكن به القاضي اكمل الدين ابن مفلح . واستفدت اسم الحارة الان . ا.هـ

اقول : احالنا على شيء لم يكن معروفا الا في زمنه . واما الان فقد اندرست الركنية، والفلكية وتلتهما الفخرية . ولم يرض الزمان ان يعطيها اما نا من ايدي المختلسين . وقد ولي تدريسها : ابن سناء الدولة ، ثم ابن قاضي شهبة ، ثم ولده صدر الدين ، ثم جماعة آخرون . قال ابن شداد : ووقفها قرية الجمان بكمالها .

ترجمة واقفها

فلك الدين سليمان ٠٠٠-٥٩٩

هو شرف الدين[1] ابو منصور سليمان بن شرف بن جلدك اخو الملك العادل لامه . قال ابو شامة : واليه تنسب المدرسة الفلكية بنواحي باب الفراديس ، وبها قبره . انتهى

توفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة . وكان مقدم العسكر في الدولة الصلاحية . وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وصل عسكر من مصر الى البلاد الشامية يقدمهم فلك الدين ، ومعهم قفل[2] وعدة من الامراء . فاسرى الفرنجة اليهم، فواقعوهم بنواحي الخليل ، فانهزم الجند ، ولم يقتل منهم احد من المشهورين ، وانما قتل بعض الغلمان، وغنم الافرنج خيامهم والاتهم .

حرف القاف

المدرسة (القليجية)

كانت داخل باب شرقي وباب توما ، شرقي المسمارية ، وغربي المحراب والتربة ، وكذا شرقيها . كانت مبنية بحجر مزي منحوت . قال في « تنبيه الطالب » : قد طمست ! كذا ظهر لي انها هي . وقال العلموي : هي بموضع يعرف بقصر الحديد ، وهي عندي مجهولة .

(۱) كذا في الأصل وفي « الدارس » : « فلك الدين » . وترجيح انه الصواب .

(۲) اسم جمع بمعنى القافلة .

قلت: ولئن كانت مجهولة في عصر التسعمائة، فلأن تكون الآن مجهولة من باب أولى. والذي يظهر من «الوافي بالوفيات» انها كانت للشافعية. درس بها: زكي الدين ابن الكتبي، ومحمد بن علي الشهير بابن غانم، وثمانية مدرسين سواهما. هذا غاية ما اتصل بي من اخبارها.

٥

ترجمة بانيها

مجاهد الدين ابن قليج

قال ابن شداد: المدرسة القليجية والمجاهدية، بناهما مجاهد الدين بن قليج محمد ابن شمس الدين محمود(١).

المدرسة (القواسية)

قد خفي علي مكانها، وصعب علي مشاهدة اثرها بعد الفحص الشديد، لان الزمان اغتالها، واخنى عليها، فدرس اطلالها بيد مختلسي الجوامع والمدارس والأوقاف!

١٠

وقد قال في «تنبيه الطالب»: هي بالعقيبة الصغرى بحارة السليماني، بالقرب من مسجد الزيتونة ظاهر دمشق، خارج باب الفراديس. ا.هـ

واقول: ان الجامع المذكور بجانب محكمة العونية الشرقي، يفصل بينهما الطريق، ولقد تاملت هناك فلم اجد لها اثرا، سوى حجارة كبيرة في بعض الجدران. وعلى كل فقد صارت دورا!

١٥

ترجمة بانيها

عز الدين ابن القواس ٠٠٠-٧٣٣

انشاها الامير عز الدين ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن احمد القواس. وكان مباشرا للسر في بعض الجهات السلطانية، وله دار حسنة بالعقيبة الصغرى. فلما حضرته الوفاة، اوصى بان تجعل تلك الدار مدرسة، ووقف عليها اوقافا كثيرة الريع

---

(١) بعد هذا الكلام في الأصل بياض قدره خمسة أسطر.

والحاصل ، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بسفح قاسيون . وأول من تولى تدريسها باذن من الواقف : العماد الكردي ، وبعده البهاء ابن امام المشهد ، ثم ستة مدرسين ، آخرهم محي الدين الناصري .

(القوصية)

٥ تقدم الكلام عليها في دور الحديث . وليست مدرسة ، وانما هي حلقة بالجامع الأموي . قال ابن شداد : لم يعلم لها واقف . وقال جماعة : ان واقفها مدرسها ، يعني الآتي ذكره . وقيل : واقفها رجل يقال له : جمال الاسلام ، وهو احد الأمراء . وعينها النعيمي بانها تجاه البرادة .

قلت : وقد تغيرت الاطلال ، وانطمست الآثار . ويؤخذ من كلام العلموي أنها كانت ١٠ شرقي المقصورة ، بالقرب من الضريح . **قلت** : ولا مقصورة الآن ايضا . وبالجملة فهي حلقة تدريس . درس بها : القوصي ، ثم العز الاربلي ، ثم تسعة أنفس ، آخرهم الكمال بن حمزة .

ترجمة واقفها

شهاب الدين القوصي ٥٧٤-٦٥٣

على القول بان مدرسها واقفها ، نقول : هو اسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن ابن المرجان المرحل الانصاري الخزرجي ، وكيل بيت المال بالشام . ولد بقوص سنة اربع ١٥ وسبعين وخمسمائة . ورحل الى القاهرة ، ثم استوطن دمشق .

قال الذهبي : كان فقيها فاضلا ، مدرسا اخباريا ، حافظا للأشعار ، فصيحا مفوها ، بصيرا بالفقه . روى الكثير ، وخرج لنفسه معجما في أربع مجلدات ، ولم يقصر فيه ، ويقال : ان فيه غلطا كثيرا ، واوهاما عجيبة . وتوفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، ودفن في داره التي جعلها دار حديث ، بالقرب من الرحبة ، داخل باب شرقي والله اعلم .

٢٠ المدرسة (القيمرية الكبرى)

عرفها النعيمي بانها بالحريميين ، وابن كثير بأنها عند مئذنة فيروز . وبعد الفحص الشديد ، لم اتحقق مكانها ، ولا عرفت الحريميين . ثم فتشت عن المئذنة المذكورة فلم

اعرفها . لكن رأيت في « ثمار المقاصد » لابن عبد الهادي ، وفي « تنبيه الطالب » للنعيمي ، عند الكلام على المساجد التي هي شمالي البلد الى جهة الشرق ، ما لفظه : مسجد فيروز في المقابر ، كان يصلى فيه على الجنائز فخرب ، ثم جددته امرأة الحاجب فيروز . له بركة ومنارة ، وعلى بابه قناة . انتهى . فلم يزدنا التعريف الا جهالة . وفي دمشق الآن محلة كبيرة يقال لها : القيمرية . والظاهر أنها نسبة الى المدرسة المذكورة . وكثيرا ما نحصل ذلك، كقولهم : العصرونية، والخيضرية، وكل منهما نسبة الى مدرستيهما واذا كان كذلك ، فالمدرسة في تلك المحلة . وقد ذكر لي احد المتقدمين في السن من سكان القيمرية ان الجامع الذي في محلة الحمام الذي يقال له : حمام البكري ، يقال له : جامع فيروز . وكان بالقرب منه مدرسة قد تهدمت ؛ فباعها ناظرها الى النصارى ؛ فجعلوها كنيسة ومدرسة لهم . فيمكن ان تكون هي القيمرية . وفي أول القيمرية من الجانب الغربي ، مدرسة كبيرة تسميها العامة بالمدرسة العتيقة وبمدرسة القطاط . وهي مشهورة ، وبناؤها متين ، ولها ساحة كبيرة بها بركة ماء كبيرة ايضا . وفي الجانبين الشرقي والغربي حجرات متعددة . وهي عظيمة الأثر . وهذه هي القيمرية الكبرى بيقين ، وما قبله احتمال لايعول عليه .

ترجمة بانيها

ناصر الدين القيمري ٠٠٠-٦٦٥

قال في « التنبيه » : انشأها الامير ناصر بن الحسين بن علي القيمري ؛ واوقفها على القاضي شمس الدين السهروردي . مات سنة خمس وستين وستمائة .

وقال ابن كثير : ان واقف القيمرية الامير الكبير ناصر الدين ابو المعالي الحسين ابن عبد العزيز ابن ابي الفوارس القيمري الكردي . كان من اعظم الأمراء مكانة عند الملوك ، وهو الذي سلم الشام الى الملك الناصر صاحب حلب حين قتل توران شاه ابن الصالح ايوب بمصر . وهو واقف المدرسة القيمرية عند مئذنة فيروز . وعمل على بابها الساعات التي لم يسبق الى مثلها ، ولا عمل على شكلها . ويقال : انه غرم عليها اربعين الف درهم . أ.هـ

ولا خلاف فيما بين ابن كثير والنعيمي . فان النعيمي نسبه الى جده ، وابن كثير الى ابيه .

وترجمه الصلاح الصفدي فقال : كان من اعظم الناس وجاهة واقطاعاً ، وكان بطلا شجاعا . اقطعه الملك الظاهر اقطاعا حميدة ، وجعله مقدم العساكر بالساحل . وكان يضاهي الملوك في مركبه ، ومحمله ، وغلمانه وحاشيته . ا.هـ . ولما اتم بناء القيمرية ، فوض تدريسها الى السهروردي ، والى اولي الاهلية من ذريته . ولنذكر ترجمته لان المدرسة بنيت لأجله ، فكان من جملة أسباب البناء . ٥

والقيمري[1] نسبة الى قيمر . قال ياقوت في « معجم البلدان » : قيمر ، بفتح القاف وياء ساكنة وضم الميم وراء ، هي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط ؛ ينسب اليها جماعة من اعيان الامراء بالموصل وخلاط ، وهم اكراد . ويقال لصاحبها : ابو الفوارس . انتهى . والمترجم هو ابن اخت ابي الفوارس كما في « شذرات الذهب » .

١٠ السهروردي

شمس الدين السهروردي ...-٦٧٥

هو علي بن محمود بن علي بن محرز بن علي السهروردي شمس الدين الكردي . قال ابن السبكي : هو مدرس القيمرية بدمشق ، وابو مدرسها الصلاح .

قال الذهبي : هو شيخ فقيه ، امام عارف بمذهب الشافعي ، موصوف بجودة النقل ، حسن الديانة ، قوي النفس ، ذو هيبة ووقار . بنى الامير ناصر الدين مدرسته بالحريميين ، ١٥ وفوض تدريسها اليه والى اولي الاهلية من ذريته . وقد ناب في القضاء عن ابن خلكان ، وتكلم بدار العدل بحضرة الملك الظاهر عندما احتاط على الغوطة ؛ فقال : الماء والكلا لله لايملك ، وكل من بيده ملك فهو له . فبهت السلطان لكلامه ، وانفصل الامر على هذا المعنى . توفي سنة خمس وسبعين وستمائة .

قال النعيمي : واظن انه دفن تجاه وجه ابن الصلاح بمقابر الصوفية .

٢٠ القيمرية الصغرى

هي بالقباقبية العتيقة ، غربي المقدمية الحنفية ، وشمالي الحنبلية . كذا في « التنبيه » . **اقول** : القباقبية المذكورة ، هي من باب الفراديس الى اول الطريق الذي يتعطف نحو الجامع الأموي ، وغربي المقدمية . لم يبق الآن منها الا مسجدها ، وابدل الناس اسمها

---

(١) في الاصل القيمر وهو سهو من المؤلف .

بالفحفي والدبناري . وقد ذهب اكثرها ، وفي ايامنا هدم قسم منها وادخل في الطريق . وهي تنشد في عالم الخيال قول ابي فراس الحمداني :

تنام فتاة الحي عني خلية ... وقد كثرت حولي البواكي السواهر
ويبعدني غير البوادي لاجلها ... وان رغمت بين البيوت الحواضر
وما هي الا نظرة ما احسبتها ... بعذاب صارت بي اليها المصائر ٥

وهي غير القيمرية المذكورة آنفا ، وغير التي بطريق الشبلية التي قبل الحافظية .

ترجمة بانيها

سيف الدين القيمري ٠٠٠–٦٥٣

هو سيف الدين ابو الحسن علي بن يوسف ابي الفوارس بن يوسك القيمري . كان اكبر الأمراء في آخر عمره، واعظمهم مكانة ، واعلاهم همة، وجميع الامراء القيمرية وغيرهم يتادبون معه ، ويقفون في خدمته ، وهم بين يديه كالاتباع . وكان مطاعا ، كثير البر ١٠ والمعروف والصدقة .

قال الذهبي : كان اميرا كبيرا محتشما ، بطلا شجاعا من الابطال المشهورين بالفروسية .

وقال ابن حبيب : امير نعمته دائرة ، وجلالته ظاهرة ، وهمته مرتفعة ، وكلمة ارباب الدولة على تعطفه متعطفة مجتمعة ، له بر معروف ، ومواقف ووقوف . انشا البيمارستان المشهور بجبل قاسيون ، وكان له بنباله اجر غير ممنون . توفي بنابلس في شعبان سنة ١٥ ثلاث وخمسين وستمائة ، ودفن بتربته الى جانب ما رستانه في القبة التي بجانبه ، كما حكاه الذهبي ، وابن قاضي شهبة . وسنأتي على ذكر بيمارستانه عند الكلام على مدارس الطب .

المدرسة (الكروسية)

هي الى جانب السامرية الشافعية . قال العلموي : قلت : هي مجهولة عندي . ثم ٢٠ اشار اليها باشارة زادتها جهالة ، فقال : والغالب على ظني انها سكن الشيخ ابي البقاء البقاعي الخطيب الشافعي المتحنف آخرا . انتهى

فالزمان افنى البقاعي ، وافنى سكنه ، وجعل المدرسة في خبر كان . والظاهر انها دار الحديث الكروسية المار ذكرها عند الكلام على دور الحديث . فراجعها أن شئت . ودرس بها محمد بن نجم الدين ابن ابي الطيب .

ترجمة واقفها

جمال الدين ابن كروس ٠٠٠-٦٤١

٥ قد تقدم أن منشئها محمد بن عقيل بن كروس محتسب دمشق . قال ابن الاثير : كان كيسا متواضعا ، توفي سنة احدى واربعين وستمائة ، ودفن بداره التي جعلها دار حديث ومدرسة .

مدرسة (الكلاسة)

هي ملاصقة للجامع الاموي من الجهة الشمالية ، ولها باب ينفذ اليه ، وموضعها من
١٠ جملة متفرعات الجامع . وكانت اولا موضع عمل الكلس حين ما يحتاج الجامع للاعمار ؛ اعدت لذلك ايام بنائه . فمن ثم جعلت من الزيادات عليه لما ضاق بالناس . فاذا احتيج اليها لخراب جانب منه ، صلى المصلون بها . وبقيت على ذلك الى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، ايام ملك نور الدين محمود بن زنكي دمشق ، فبناها مدرسة في السنة المذكورة . ثم في سنة سبعين وخمسمائة ، تناولتها السن النيران ، فاحترقت هي
١٥ والمئذنة التي بجانبها المسماة بمئذنة العروس ، ايام كان صلاح الدين مالكا لدمشق . فأمر بتجديد بنائها ، وجعل عليه ابا الفتح ابن العميد ؛ فجددها واتقن بناءها . ثم في سنة سبع واربعين وستمائة ، جدد بركتها جمال الدين بن يغمور ، وبلط ارضها ، وارض دهليزها . ثم ان النائب جقمق ، باني المدرسة الجقمقية ، فتح لتربته شباكا الى الكلاسة من الايوان ، واراد عمارتها لكونها اصابها بعض التخريب . فطلب العامل عليها ، وساله
٢٠ عن مالها ، فقال : اخذه المدرس ، والناظر ، وبعض الفقهاء . فاخذ في حساب ما اخذ ، فوجده خمسة آلاف درهم . فرسم بان يسترجع ، ويعمر بها . فقيل له : ان هذا الوقف ليس هو وقف الكلاسة ، وانما هو وقف على درس بها . فلم يقبل ذلك ، ولم يسمعه . ورسم على تقي الدين ، صهر القري شهاب الدين المدرس بها ، والعامل أن يحبسا بدار السعادة ؛ فحبسا اكثر من شهر ، ثم اطلقا على ان يشرعا في العمارة . قاله
٢٥ في « تنبيه الطالب » وغيره .

قال ابن قاضي شهبة في « الذيل » : وفي سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، شرع في تعزيل التراب من المدرسة الكلاسة من الايوان الشرقي . انتهى

والظاهر ان واقعة تيمورلنك اتلفتها ، او جانبا منها ؛ حينما احرق البلد والجامع . ثم اعيدت مدرسة . وقد درس بها الكمال الحرستاني ، ثم بعده ثمانية ، آخرهم شهاب الدين الغزي ، ثم ولده .

الشهاب الغزي (١)

اقول : الشهاب المذكور هو احمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان بن جابر ابن ثعلب بن ضو" بن شداد بن عامر ابو نعيم العامري الغزي ، ثم الدمشقي ، ثم المكي القرشي . ترجمه الشيخ رضي الدين الغزي في كتابه « تحفة الناظرين » بترجمة مطولة ؛ وصفه فيها بسعة العلم ، وكثرة الاطلاع ، واثنى عليه ثناء عظيما ، وذكر له مؤلفات كثيرة ، منها ما كمل ومنها ما لم يكمل . فالذي كمل منها : « مختصر المهمات » في خمسة اسفار ، « شرح الحاوي الصغير » في خمسة ايضا ، « منسك » في مجلد ، « شرح جمع الجوامع الاصولي » ، « الجواب الراسي لمسالة القاسي » ، « تلخيص التنبيه » . والذي لم يكمل : « كتاب في اسماء رجال البخاري » ، « قطعة على منهاج النووي » ، « قطعة على منهاج البيضاوي في الاصول » ، « قطعة على الفية ابن مالك » ، و « شرح كتاب العمدة » الى اثناء كتاب الصداق ، ثم تممه الرضي الغزي ولد المترجم سنة ستين وسبعمائة بغزة . ثم اشتغل بالعلم ، وسكن دمشق ؛ فولي تدريس الكلاسة وغيرها . وتوفي سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة بمكة المكرمة ، رحمه الله تعالى .

ولنرجع الى ما كنا بصدده ، فنقول : ان الكلاسة لم تزل الايام تتقلب عليها ، حتى صاح بها من يمنع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه ، ويسعى في خرابها : سنريك ايدينا وتجاسرنا ، فكم من مدرسة ابتلعنا اوقافها ، وتركناها خاوية على عروشها ، ثم عمرناها دارا ! وكم من مسجد بعناه واكلنا ثمنه ! افتتركك سالمة ايتها الكلاسة لا ! افتظنين ان اعتصامك بالجامع ينفعك لا ان الجامع لو كان لقمة صغيرة لأكلناه ؛ ولكن يا للأسف ان جدرانه صخر لايبتلع ! ثم حملوا عليها حملة منكرة ، فاتخذوا ساحتها وجعلوها دارا ؛ ثم ابتنوا في جهاتها الثلاثة بيوتا ودورا ، وتركوا الجانب الغربي ساحة لعسر البناء فيه . واتخذوا كلا من الفاضلية والعزيزية وما بينهما دورا للسكنى . وبقي موضع الطهارة من الكلاسة ، وحجرات علوية يسكنها مؤذنو الجامع ، والبعض منهم يؤجر حجرته كأنها

(١) كذا اثبت المؤلف على الحاشية .

ملك له . ومختصر القول : ان الكلاسة لم يبق لها من المدرسة الا الاسم . ثم أخنى عليها الزمان فهدمت كلها في ايامنا والله يقلب الأمور كيفما شاء .

الحلقة الكوثرية

نور الدين بن زنكي

تجاه شباك الكلاسة ، تحت مئذنة العروس بالجامع الأموي . وقفها السلطان نور الدين على صبيان صغار وايتام يقرؤون كل ليلة بعد العصر سورة الاخلاص ثلاث مرات ، ثم يهدون ثوابها للواقف . ولهم على ذلك مرتب يتناولونه من ديوان السبع الكبير الذي كان بالجامع . وان عدة من فيه يومئذ ، يعني في عصر النعيمي ، على ما استقر عليه الحال ، ثلاثمائة واربعون او خمسون نفرا .

قلت : قد كان ذلك ، والحال تغير . واما الحلقة المذكورة فبناؤها باق ، وقد اضحت حجرة يسكنها متولي الجامع ، ويدرس بها ان كان عالما ، والا جعلها منتدى لأشغاله . وتلك حكمة الله .

حرف الميم والنون

المدرسة (المجاهدية الجوانية)

بالقرب من باب الخواصين . قاله في « التنبيه » . والخواصين ، كان يسمى به قديما محل المدرسة النورية ، وقد اشكل محلها على العلموي المتوفى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ، فقال في « مختصره » : لعل هذه المدرسة هي التي وراء سوق جقمق ، وهي الآن سكن الشيخ ناصر الدين الحنفي . وربما تكون المقابلة لباب قيسارية القواسين ، لاني اعلم ان اسمها قديما المجاهدية ، واما الآن فيسمونها الحجازية ، لأنها كانت منزولا لهم . واما حينئذ فهي منزول نواب قاضي الشام ، وغيرهم من الاروام . انتهى . ويمكن ان تكون المحكمة المسماة الآن بمحكمة الباب[1] .

ترجمة واقفها

مجاهد الدين الجلالي ٠٠٠-٥٤٨

هو مجاهد الدين ابو الفوارس بزان بن ياسين بن علي بن محمد الجلالي الكردي ، كان من مقدمي الجيوش في دمشق في ايام نور الدين محمود بن زنكي . ولما كان فتح

(١) في الاصل بياض قدره سبعة اسطر .

صرخد وبصرى ، سلمه صرخد ، واعطى بصرى الى الحاجب فارس الدولة . فاقام المترجم بصرخد الى ان توفي سنة ثمان واربعين وخمسمائة ، كما في « الروضتين » . وقال المؤرخ ابو يعلى : اصابه انطلاق بطن متدارك ، ومرض مفرط ، وفهاق متصل كان به قضاء نحبه . ولما مات دفن في داره .

٥ وقال العلموي : دفن بمدرسته المجاهدية الاخرى بباب الفراديس . انتهى . يعني بدمشق . وفي « تنبيه الطالب » : انه دفن بصفة مدرسته في الجهة الشمالية .

قال ابو شامة : كان المترجم من ذوي الوجاهة في الدولة النورية ؛ موصوفا بالسخاء، والبسالة ، والسماحة ، مواظبا على الصلوات ، والصدقات على المساكين والفقراء والضعفاء ، جميل المحيا ، حسن البشر في اللقاء . وله اوقاف على ابواب البر ، منها :
١٠ المدرستان المنسوبتان اليه ، احداهما التي دفن بها ، وهي لصيق باب الفراديس المجدد، والاخرى في صف مدرسة نور الدين . وله وقف على من يقرأ بمقصورة الخضر . بجانب دمشق ، وغير ذلك . انتهى

وقال الذهبي : جعل لنفسه النظر على اوقافه كلها ، واليه ينسب السبع المجاهدي بالجامع بمقصورة الخضر داخل باب الزيادة . انتهى

١٥ **قلت :** وقد ذهبت هذه الآثار كلها الا من القرطاس ، والله اعلم بمن استولى عليها .

وحكى الصفدي أن من وقف المجاهدية : طاحونة اللوان باواخر المزة ، وذكر اشياء اخر . وقد درس بالمجاهدية منتخب الدين القرشي ، ثم بعده اربعة عشر مدرسا ، آخرهم البرهان المعتمد ، فالزين الاطرابلسي ، فالشمس الكفرسوسي ، فالشريف الموقع الحلبي . ثم كانت كامثالها على حد قول المعري :

٢٠ الدهر ان ينصرك ينصر بعدها ... ذا اجنحة فيحور كل محار
وهواجر الايام يسلب حرها ... ما اودعته ذوائب الاسحار

المدرسة (المجاهدية البرانية)

مجاهد الدين الجلالي

بين بابي الفراديس . واقفها الامير مجاهد الدين المذكور سابقا ، ودفن في صفتها الشمالية . وقد تقدم أنها لصيق باب الفراديس المجدد . هذا ما حكاه النعيمي والعلموي .

اقول: هذه المدرسة موجودة، وقد غير الناس اسمها ورسمها . اما اسمها: فهم يسمونها الآن جامع السادات . ولم ادر لاي شيء اخذت هذه النسبة! واما رسمها: فقد نقص المختلسون اطرافها، والباقي منها مسجدها . وفي صفتها الشمالية قبور، وساحتها موجودة، وبالجانب الغربي منها طباق السكنى بالاجرة . وبالزاوية الشرقية

٥ الشمالية منها منفذ يتصل بدور للسكنى . وايا ما كانت، فانها تقام بها الصلوات الخمس بجماعة، وتصلى بها الجمعة . وهي ملاصقة لباب الفراديس، مشهورة . وليت المدارس التي ابتلعها المختلسون بقيت مثل هذه المدرسة! وعلى بابها حجر كبير قد نقش عليه:

ان الذي بناها بزان، بالباء الموحدة والزاي ثم الف ونون، ابن ياسين بن علي بن محمد الخلالي، بالخاء المعجمة، الكردي، بامر امير المؤمنين .

١٠ ولم يذكر اسمه . وقد خفي موضع التاريخ . وفي الكتابة تطويل واسهاب في المدح تركناه لعدم جدواه .

المدرسة (المسرورية)

لم اقف لها على اثر . وقال العلموي: هي مجهولة عندي . ولم يزد النعيمي على قوله: هي بباب البريد . والله اعلم بما صارت اليه .

١٥ ترجمة واقفها

مسرور الطواشي

انشاها مسرور الطواشي، وكان من خدام الخلفاء المصريين . وقال الأسدي: رايته بخط شيخنا انها منسوبة الى الامير فخر الدين مسرور الملكي الناصري العادلي . وقفها عليه شبل الدولة كافور الحسامي، واقف الشبلية . ووقفت على كتاب وقفها الثاني الذي زاد فيه زيادات على الواقف الأول، تاريخه سابع صفر سنة اربع وستمائة . ثم

٢٠ قال: وشرط الواقف ان له ان يباشر ذلك بنفسه، ويستنيب فيه من اراد ممن هو اهل لذلك، ممن علم دينه، اذا كان فيهم من هو اهل . قال: ولا اعلم وقت وفاته . والمشهور انه اشترط في المدرس بها ان يكون عالما بفن الخلاف . ودرس بهذه المدرسة ناصح الدين، ثم بعده خمسة عشر مدرسا .

المدرسة (الناصرية الجوانية)

داخل باب الفراديس ، شمالي الجامع الاموي والرواحية بشرق ، وغربي الباذرائية بشمال ، وشرقي القيمرية الصغرى والمقدمية الجوانية . كذا عرفها النعيمي وغيره .

اقول : قد صارت الآن دورا للسكنى ، ولم يبق من آثارها الا جدارها الشمالي ، وهو بناء لم يكد الزمان يقدر على فنائه ؛ لمتانته ، وعظم الحجارة المبني بها ، وحسن احكامها . ومحلها الآن : انك اذا سرت من اول الطريق من الجهة الغربية الموصل الى الباذرائية ، رأيت عن يمينك بناء هائلا ، وهو الباقي من آثارها . واهل محلتها يقولون : ان هذا المكان كان سجنا للموتى حتى يقضى عنهم دينهم . وهذا من جملة خرافات العوام ، ومخترع امثالها يقصد به ستر الحقائق ، وتحويل الاسماء ليتأتى له امتلاك الاوقاف .

ترجمة بانيها

الملك الناصر يوسف ٦٢٧-٦٥٩

انشاها الملك الناصر يوسف بن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ، وستأتي ترجمته .

قال ابن شداد : وكانت هذه المدرسة تعرف بدار الزكي المعظم . ثم بناها الناصر مدرسة ، وفرغ من بنائها في اواخر سنة ثلاث وخمسين وستمائة . واول من درس بها : صدر الدين بن سني الدولة بحضرة الواقف وحضرة الامراء والدوادار ونجم الدين الباذرائي ، واعيان الشام ، واهل الحل والعقد بدمشق . ثم بعده محي الدين ابن زكي ، ثم ولده النجم ، ثم من بعدهم ، نحو ثلاثين مدرسا منهم : ابن قاضي شهبة ، وابن قاضي عجلون ، وابن قاري ، وابن الفرفور ، وغيرهم من الافاضل .

المدرسة (المجنونية[1])

قال النعيمي : هي شرقي الشامية البرانية بالعقيبة .

اقول : هي الآن باخر العقيبة ، عن يسار السائر الى سوق ساروجا . وقد انطمست معالمها ، ولم يبق منها الا التربة بجانبها ، ولها شباك الى الطريق . ولقد وقفت عليه ؛ فاذا في اعلاه حجر مكتوب عليه بالخط الحجري البارز بعد البسملة :

(١) وردت في « الاعلاق الخطيرة » : « مدرسة سبع المجانين » .

هذه تربة الامير شمس الدين بن شروة بن حسين المهراني ، المعروف بالسبع المجانين، الحاجي ، الغازي المجاهد في سبيل الله تعالى ، في شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وستمائة . وهو الذي انشا المدرسة .

شرف الدين ابن الزرزاري

وقال النعيمي : انشاها شرف الدين بن شروة بن القرذاري(١) المعروف بالسبع المجانين ، بعد الثلاثين وستمائة . قال العلموي : والآن معروف بين الناس بالسبع ٥ المجاهدين . درس بها عز الدين الموصلي ، ثم بعده ثلاثة مدرسين .ا.ﻫ

قلت : واهل زماننا يسمونه الشيخ مجاهد . واغرب من هذا ، ان جماعة من طلبة العلم يزعمون انه مجاهد التابعي المشهور ، ويقفون امام قبره ، ويزورونه . والحجر مكتوب فيه اسمه ، وهو نصب اعينهم ، ولا يقرؤونه ، ولا يفرقون بين تاريخ مجاهد ١٠ المفسر وبين تاريخ هذا الرجل .

المدرسة (المنكلانية)

لم يذكر عنها في «التنبيه الطالب» شيئا . وقال العلموي : ذكر الصفدي مايشعر بانها مدرسة ، ولم تعلم لها مدرسا ولا واقفا . وهي معروفة قرب القيمرية الجوانية.ا.ﻫ

اقول : مررت في اثناء ذهابي الى محلة باب توما بمسجد ، له صحن لطيف وحرم ١٥ مثله ، وعن يسار الداخل قبور ؛ ورايت هناك شيخا يقرىء القرآن ؛ فسالته عن قبر ، فقال لي : هو قبر الشيخ محمد المنكلاني . فاذا صح الخبر ؛ كانت هذه هي المدرسة المنكلانية ، وهي الآن معروفة مشهورة .

محمد المنكلاني

المدرسة (النجيبية)

كانت لصيق المدرسة النورية، وضريح نور الدين من الجانب الشمالي. وقد اندرست ٢٠ في جملة ماالدرس !

(١) كذا في الاصل وذكر ابن شداد ان الذي انشاها هو : « شرف الدين شروة ابن .... الزرزاري ». وترك بياضا بين ابن والزرزاري مكانه لم يعرف اباه .

ترجمة بانيها

أقوش الصالحي
٦٢٠-٦٧٧

الشاها اقوش الصالحي النجمي[1] ، مملوك الملك الصالح ايوب ، وكان يعتمد عليه في جميع اموره ، وجعله استاذ داره في حياته . وولاه الملك الظاهر نيابة دمشق ؛ فاقام بها نحوا من عشر سنين . ثم عزله بعز الدين ابدمر سنة سبعين وستمائة . فعاد الى القاهرة ، واقام بها وافر الحرمة ، وتوفي سنة سبع وسبعين وستمائة . ومولده في حدود العشرين وستمائة . ٥

قال ابو شامة : كانت مدرسته دارا لابن مرزوق ، فاشتراها اقوش ، وجعلها ضخم الشكل ، جهوري الصوت ، كثير الاكل ، له أوقاف على الحرمين . بنى مدرسة بدمشق الى جانب مدرسة نور الدين ، وبنى بها تربة ، وفتح لها شباكين على الطريق ، ولم يقدر دفنه بها . ١٠

قال ابو شامة : كانت مدرسته دارا لابن مرزوق ، فاشتراها اقوش ، وجعلها مدرسة للشافعية ، ووقف عليها اوقافا دارة واسعة ؛ لكنه لم يقدر للمستحقين قدرا يناسب ماوقفه عليهم . ومن جملة اوقافه : البستان والاراضي التي وقفها على الجسورة التي هي قبلي جامع كريم الدين ، وعلى ذلك اوقاف كثيرة . وجعل النظر في أوقافه لابن خلكان وقد درس في المدرسة ، ثم نزل عنها لولده كمال الدين موسى . قال في «تنبيه الطالب» : وله في دمشق خان ، وخانقاه ، ومدرسة . ولم يخلف ولدا . قاله الذهبي . ١٥

وقد كانت اوقاف المدرسة والخانقاه تحت الحوطة . وفي كلام الصفدي ، ان الخانقاه ظاهر دمشق بالشرف القبلي .

قلت : وقد اندرست أيضا ، واختفى اثرها . وقد درس بالمدرسة جماعة ، منهم : العماد اسماعيل بن كثير ، ثم تقي الدين الحريري . ومنهم : الضياء عبد العزيز بن محمد ابن علي الطوسي ، ثم الدمشقي شارح « الحاوي » ، و « مختصر ابن الحاجب » . توفي سنة ست وسبعمائة بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية . ٢٠

وهذا آخر الكلام على مدارس الشافعية ، حسبما سمح به الزمان ، وتدرت عليه في هذه الايام المعادية للعلم واهله .

وهذا اول الشروع في مدارس السادة الحنفية . ٢٥

---

(1) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « النجيبي » . ولعله الاصح .

الباب الرابع في مدارس الائمة الحنفية

حرف الهمزة

المدرسة (الاسدية)

كانت بالشرف القبلي ظاهر دمشق ، مطلة على الميدان الاخضر . وتقدم الكلام عليها
٥ في مدارس الشافعية ، وانها موقوفة عليهم وعلى الحنفية . ودرس بها من الحنفية : تاج الدين ابن الوزان ، وبعده اربعة منهم .

المدرسة (الاقبالية)

تقدمت الاشارة اليها عند الكلام على الاقبالية الشافعية. وتقدم هناك ذكر لواقفها . ولم يبق من آثارها اليوم الا بابها ، وفي اعلاه حجر كبير قد كتب عليه بعد البسملة :

١٠ وقف هذه المدرسة المباركة الامير الاجل جمال الدولة اقبال ، عتيق الخاتون الاجلة ست الشام ابنة ايوب ، على الفقهاء من اصحاب الامام سراج الامة الشريفة ابي حنيفة رضي الله عنه ، واوقف عليها : الثلث من الضيعة المعروفة بالسموقة ، والثلث من مزرعة الاقريس ، والثلث من مزرعة شمالي بيدر زبدين ، وخمسة قراريط وثلثمن كرم يعرف بمديد الدين في الحديثة ، وقيراطا من مزرعة ذرع ماخاط بطريق سالكة من
١٥ ذرع الى بصرى ؛ وذلك في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وستمائة . اعظم الله اجره. انتهى

وبصرى كانت قرية مابين دمشق والمزة ، وذرع قريب منها ؛ وقد اندرست آثارهما. وبقية الكلام عليها مر في موضعه .

المدرسة (الآمدية)

٢٠ يؤخذ من كلام النعيمي انها مندرسة قبل التسعمائة ؛ فانه قال : هي بالصالحية العتيقة ، جوار الميطورية من الغرب .

قال الأسدي : وفي سنة احدى وعشرين وثمانمائة كان غربي الميطورية ، مدرسة للحنفية يقال لها : الآمدية . حكى لي من شاهدها وهي عامرة ، وعلى بابها طواشية ، وقال لي ناظرها : انها تربة .

وقال ابن طولون في « تاريخ الصالحية » : وحكى لي بعضهم أن الآمدية تربة ؛ ولعلها مدرسة ، قصد التمويه عنها خوفا من الفقهاء . وقال العلموي : لايعلم محلها . انتهى .　٥

وايا ما كانت ؛ فقد اندرست ، وانطمست آثارها من عهد بعيد ، ويمكن أن موضعها الآن بستان . ولم أر من تعرض لترجمة واقفها .

حرف البـاء

المدرسة (البدرية)

قبالة الشبلية التي بالجبل ، عند الجسر المعروف بجسر كحيل ثم بجسر الشبلية .　١٠
وفي كلام ابن كثير : انها جعلت في حدود الأربعين وسبعمائة جامعا فيه خطبة ويوم جمعة . ووقفها : نصف حمام بقرية مسنون ، والبستان بقرب جسر كحيل . كذا رأيته مكتوبا على عتبتها . وقال الشيخ محمود العدوي في « زياداته على مختصر تنبيه الطالب » للعلموي : أقول : البدرية المشهورة بين الناس بجامع البدرية ، قد تغيرت أحواله ، ووقع سقفه ، ودثرت عمارته ، وتصرف في آلاته ، وصار خرابة من الخرابات . وأما وقفه ؛　١٥
فاضيف الى وقف الجامع المظفري ، يعني جامع الحنابلة المعروف بجامع الجبل . انتهى .

أقول : وبقرب جسر كحيل الذي على نهر تورا ، موضع يعرف الآن بالشبلي والبدري . وقد وقفت على البدري في بستان هناك يقال له : السنبوسكي ، من جهة طريق عين الكرش ؛ فرأيت هناك قبة مهدومة الأعلى منها ، وبها قبران بجانب نهر تورا . وهناك كان محل المدرسة البدرية .　٢٠

ترجمـة بانيهـا

بدر الدين بن الداية

بناها الأمير بدر الدين حسن بن الداية المعروف بلؤلؤ(١) . وكان أميرا معظما ؛ تولى

---

(١) كذا في الأصل ، وفي « الأعلاق الخطيرة » وردت : « لالا » .

دولة القاهرة ، ومن قبله تولى دولة ابيه مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود ابن زنكي بن آقسنقر . ولما قضى القاهر عز الدين نحبه ، وكان اوصى بالملك لولده نور الدين ارسلان شاه وعمره عشر سنين ، كان المترجم هو الوصي عليه ، والمدبر لدولته . فقام بمهمته احسن قيام ، وضبط المملكة من التزلزل والتغيير ، مع صغر السلطان ، وكثرة طمع اعمام ابيه في الملك . واحسن السيرة ، وجلس لكشف ظلامات الناس ، وانصاف بعضهم من بعض . وارسل الخليفة التقليد لنور الدين بالولاية ، ولبدر الدين بالنظر في امر دولته ، والتشريفات لهما ايضا . وبالجملة فالمترجم موصوف بالعقل والدهاء ، وحسن التدبير والسياسة . ومطول ترجمته يؤخذ من القسم السياسي . ولم اظفر بتحديد وفاته ؛ وقد كانت بعد الستمائة . وقد سكن هذه المدرسة ايام شبابها سبط ابن الجوزي ودرس بها ، ثم زكي الدين بن عقبه ، ثم الصفي بن فرج ، ثم الشمس ابن جبريل . ثم سلبها الزمان شبابها المستعار ، وابدلها منه بالشيخوخة والهرم ، ثم بالفناء ومحو الآثار . ويحسن بي أن ازف الى المطالع ترجمة صاحب مرآة الزمان ، وان لم يكن على شرطي هنا ؛ ليكون هذا القسم مع الذي بعده كمنضج صفيف شواء ، او قدير معجل ؛ فاقول :

صاحب « مرآة الزمان »

شمس الدين سبط ابن الجوزي ٠٠٠-٦٥٤

هو شمس الدين ابو المظفر يوسف ابن الامير حسام الدين قزل بن عبد الله ، عتيق الوزير عز الدين بن هبيرة الحنبلي . وامه بنت جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، الحافظ المشهور ، والواعظ الذي كلامه مأثور . وكان المترجم حسن الصورة ، طيب الصوت ، كثير الفضائل ، والمصنفات . قاله ابن كثير . وقال : وله كتاب « مرآة الزمان » في عشرين مجلدا ، وهو من احسن التواريخ ، اخذه من كتاب جده ابن الجوزي المسمى « بالمنتظم » ، وزاد عليه ، وذيله الى زمنه ؛ فجاء غاية في بابه . وقدم دمشق في حدود الستمائة ، وحظي عند ملوك بني ايوب ، وقدموه ، واحسنوا اليه . وكان له مجلس وعظ كل يوم سبت بكرة النهار ؛ عند باب مشهد علي بن الحسين . فكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع في ايام الصيف ، ويتركون البساتين حتى يسمعوا ميعاده ، ثم يسرعون الى بساتينهم وهم يتذاكرون بما سمعوه من الفوائد والكلام الحسن الذي كان يمليه على طريقة جده . وكان المشايخ يحضرون هذا عند قبة يزيد عند باب البريد ،

ويستهجنون ما يقول ، كما هي عادتهم عند سماعهم ما لا يعرفونه ، واعتقاد كل واحد منهم ان العلم انحصر فيه ، وانه لاعلم الا ما يعرفه من الخزعبلات ، والترهات ، والمقالات الملفقة ، والأساطير المنمقة المزخرفة . ثم تولى تدريس المدرسة العزية البرانية، ومدرسة الشبلية . وفوضت اليه البدرية ، وكان سكنه بها ، وبها توفي سنة أربع وخمسين وستمائة ، وحضر جنازته الملك العزيز . ٥

واثنى ابو شامة على علومه ، وفضائله ، وحسن وعظه ، وطيب صوته ، ونضارة وجهه ، وتواضعه ، وزهده ، وتودده . وكان عالما فاضلا ظريفا ، منقطعا عن الناس ، منكرا على أصحاب الدولة ما هم عليه من المنكرات . وكان مقتصدا في لباسه ، مواظبا على المطالعة ، والاشتغال بالعلم والجمع والتصنيف ، مضيفا لاهل العلم والفضل ، مباينا لاهل الخزي والجهل . تأتي الملوك وارباب الدولة اليه زائرين قاصدين . وقد قضى ١٠ عمره في جاه وافر عند الملوك والحكام والعوام في نحو خمسين سنة . وكان مجلس وعظه مطربا ، وصوته فيما يورده حسنا طيبا . قال ابن كثير : وهو ممن ينشد له بعد موته قول الشاعر :

مازلت تكتب في التاريخ مجتهدا حتى رايتك في التاريخ مذكورا

ومن لطائفه : أن الملك الناصر صاحب حلب ساله يوم عاشوراء ان يذكر للناس ١٥ شيئا من مقتل الحسين رضي الله عنه ؛ فامتثل وصعد المنبر ، وجلس طويلا لايتكلم ، ثم وضع المنديل على وجهه وبكى ، ثم انشا يقول :

ويل لمن شفعــاؤه خصماؤه والصور في نشر الخلائق ينفخ
لا بد ان ترد القيامة فاطـم وقميصها بدم الحسين ملطخ

ثم نزل عن المنبر وهو يبكي ، وصعد الى الصالحية وهو يبكي . ٢٠

وقال الذهبي في « العبر » : ان للمترجم تفسيرا في تسعة وعشرين مجلدا ، وله « شرح الجامع الكبير » ، وجمع مجلداً في « مناقب أبي حنيفة » . وكان في شبيبته حنبليا ، ثم انتقل الى مذهب ابي حنيفة .

المدرسة (البلخيــة)

كان محلها قديما يعرف بخربة الكنيسة ، ثم عرفت بدار ابي الدرداء رضي الله عنه، ٢٥

ثم جعلت مدرسة ، ثم اختلست وصارت بيوتا للسكنى . وكانت عند أيام وجودها ، بابها يفتح الى الصادرية .

قال العلموي : وهي داخل الصادرية ، وكان بابها أولا عند حمام باب البريد ؛ فجعل من الصادرية . انتهى

٥ **أقول** : وعلى البلخية ، والصادرية ، والحمام ، السلام ؛ فقد ذهب الكل وانقضت ايامه !

بانيها

برهان الدين البلخي ٠٠٠-٥٤٨

انشاها كلز(١) الدقاقي بعد سنة خمس وعشرين وخمسمائة للشيخ برهان الدين ابي الحسن علي البلخي الحنفي الواعظ الزاهد . وكان يلقب ببرهان الدين ، واشتهر ١٠ بالزهد ، والاعراض عن الدنيا . وهو الذى قام في ابطال حي على خير العمل ، في الاذان في مدينة حلب . وكان معظما مفخما عند أرباب الدولة . قاله الذهبي في «العبر» . وقال في « الروضتين » : وفي سنة ثمان واربعين وخمسمائة ، توفي الفقيه برهان الدين ابو الحسن علي البلخي رئيس الحنفية ، ودفن في مقابر باب الصغير المجاورة لقبور الشهداء . وكان من التفقه على مذهبه ما هو مشهور شائع ، مع الورع ، والدين ، ١٥ والعفاف ، والتصوف ، وحفظ ناموس العلم ، والتواضع ، والتودد الى الناس على طريقة مرضية ، وسجية محمودة .

حرف التاء

المدرسة (التاجية)

هي بزاوية الجامع الأموي الشرقية ، غربي دار الحديث العروية المتقدم بيانها ٢٠ وتعريفها .

قال عز الدين محمد بن عمر الأنصاري : وفي الأيام المعظمية ، جددت المقصورة

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « كمز » .

الناجية المعروفة قديما بابن سنان ، والآن ، يعني في زمنه ، بالسلارية بتشديد اللام ألف ، في سنة اربع وعشرين وستمائة . انتهى

قلت : وقد خفي اليوم محلها ، واقفلت أبوابها . ولعلها هي التي بجانب المشهد الذي يقال له : مشهد الحسين ، من الجانب الشمالي . وهي الآن منضمة الى دار بني الغزي ، وبابها الى الجامع والله أعلم . ٥

الكلام على بانيها

قال العلموي : لعل واقف هذه البقعة المعروفة بالتاجية ، تاج الدين القديم الذي وقف نصف القاسارية السفرية وما معها على مؤذني الجامع الأموي ، وعلى السبع[1] تجاه مزار سيدنا يحيى يوم الجمعة ، وعلى الدشيشة . وكتاب وقفها موجود . انتهى

وهذه التعريفات غايتها ان واقفها لم يعلم علم اليقين . واما الدشيشة فهي طعام يطبخ بالحنطة ، وقد كان لها وقف ، فانقضت ايامها ، وبقيت اوقافها يأكلها من يكون مفتيا بدمشق ، على وجه حللته بزعمهم الحيل على من يعلم السر واخفى من السر . ١٠

واقول ايضا : لعلها نسبة الى من درس بها ، وهو تاج الدين الكندي زيد بن الحسن ابن زيد بن الحسن البغدادي النحوي الكفوي المقرىء ، شيخ الحنفية والقراء والنحاة بالشام ، ومسند العصر ، فانه درس بها ، وفي ايامه جددت . ١٥

ترجمة الكندي[2]

تاج الدين الكندي ٥٢٠-٦١٣

قال الذهبي في « العبر » : ولد ، يعني المترجم ، سنة عشرين وخمسمائة ، وتوفي سنة ثلاث عشرة وستمائة . واكمل المترجم القراءات العشر وله عشرة اعوام . قاله الذهبي . وقال : وهذا ، ما لا اعلمه تهيا لاحد سواه . **قلت :** ويمكن ان يكون هذا من شواذ العادة والجبلة . واعتنى به سبط ابن الجوزي ؛ فاقرأه وحرص عليه ، واشتغل بفن الحديث على عادة اهله يومئذ ، واتقن العربية ، ونال الجاه الوافر ، وقال الشعر الجيد . وكان الملك المعظم يديم الاشتغال بالعلم عليه ؛ فينزل اليه من القلعة . ٢٠

---

(١) هو بركة الماء التي كانت موجودة بجانب باب الحرم الكبير . والسبع هو اللوّاعة التي يخرج منها الماء ، بتعبير اهل الشام .

(٢) أورد المؤلف كلمة « الكندي » في منتصف الصفحة ، ثم عمد الى وضع كلمة « ترجمة الكندي » على الحاشية ، ولما كانت الكلمتان تهدفان لامر واحد ، حذفنا الاولى وابقينا الثانية في منتصف الصفحة .

قال ابن كثير : كان الكندي حنبليا ، ثم تحنف ، وبرع في النحو واللغة ، وتفنن في بقية الفنون . ووقف سبعمائة وستين مجلدا من الكتب على معتقه النجيب ياقوت ، ثم على ولده من بعده ، ثم على العلماء في الحديث والفقه واللغة ، وغير ذلك . وجعلت في خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان الحنفية المجاورة لمشهد علي . ثم ان هذه الكتب تفرقت ، وبيع اكثرها ، ولم يبق في الخزانة الا القليل .

وترجمه الصلاح الصفدي بترجمة طويلة في خمس ورقات ، وقال : انه حاز الدرجة العليا في الاسناد في القراءات ، وازدحم عليه الطلبة ، ودرس ، وصنف ، وأقرأ القراءات ، والنحو ، واللغة ، والشعر . وكان ثقة ، واستوزره فرخان . ثم اتصل باخيه تقي الدين عمر صاحب حماة واختص به ، وكثرت املاكه . وقرا عليه الملك المعظم عيسى « كتاب سيبويه » ، و « شرحه » ، و « الحماسة » ، و « الايضاح » ، وغير ذلك . انتهى

المدرسة (الناشية)

الناش الدقاقي

قال ابن شداد : مدرسة الناشي(١) وتعرف بمسجد الناشي(٢) ، انشئت سنة نيف وخمسين وخمسمائة ، أنشاها الأمير الناشي(٣) الدقاقي . انتهى . ودرس بها عز الدين الحنفي ، ثم بعده ثمانية من علماء الحنفية .

قال العلموي : قلت : هي مجهولة عندي . انتهى . ولئن كانت مجهولة في القرن التاسع ، فلهي في القرن الرابع عشر أشد جهالة وأكثر خفاء . وربما يأتي لبانيها ذكر في القسم السياسي .

حرف الجيم

المدرسة (الجلالية)

عرفها في « تنبيه الطالب » بانها هي ، والتربة بها ، لصيق البيمارستان النوري . قال : ومن وقفها ، فدان ونصف في قرية الشاعلية .

(١)(٢)(٣) كذا في الاصل ، وفي « الاعلاق الخطيرة لابن شداد » : « الناش » ، بحذف الياء .

وقال العلموي : هي لصيق البيمارستان النوري من الجهة الشمالية ، وبها تربة الواقف ، قاضي القضاة جلال الدين ابو المفاخر احمد ابن قاضي القضاة حسام الدين الرازي . قال : وهي مجهولة أيضا . ثم ذكر لها تعاريف لم تفدنا شيئا ابدا ، جريا على عادته ، فقال : بل تحرر انها التي مقابل بيت مصطفى جلبي ناظر الأموال ، عليها الستاير. ٥
ويقولون : انه خادم نور الدين الشهيد ، وليس كذلك . وداخل بيت عبد العزيز الغرابيلي فيها . انتهى

فكان العلموي جعل « مختصره » لابناء وقته فقط ! والا فمن اين لبيت الغرابيلي ، ومصطفى جلبي ، ان يبقيا الى زمن طويل ببقاء سكانهما ، ولم يغير الزمان اوصافهما ، كما غير المدرسة وأمثال امثالها ؟!

١٠ **أقول :** وقبل البيمارستان النوري من الجهة الشمالية طريق نافذ ، وفي جهته الشمالية مسجد لطيف ، وفيه قبر ينسبه الناس الى الفخر الرازي ، وليس بصحيح ، ولعل هذا المسجد مما تركته ايدي المختلسين من المدرسة . والقبر هو قبر الرازي المذكور ، وباقي المدرسة امسى دورا فسبحان الباقي !

ترجمة واقفها

١٥ تقدم انه احمد بن حسام الدين الرازي . قال العلموي : درس بمدرسته ، وبالخاتونية ، وبالريحانية ، وبالقصاعيتين . توفي سنة خمس وأربعين وسبعمائة[1]. احمد الرازي ٠٠٠-٧٤٥

المدرسة (الجمالية)

بسفح قاسيون ، انشاها الأمير جمال الدين يوسف . قال في « تنبيه الطالب » : ولم اقف على ترجمته ، ولا وقفت لها على وقف. وقال العلموي : لاتعرف هي ، ولاترجمة واقفها ، ولا من درس بها . ورايت على هامش العلموي بخط بعضهم : انها بمحلة السكة ، ثم ذكر اناسا ممن سكنها . ولعلها اصبحت دورا ، وحل بها ما حل بغيرها . ٢٠ جمال الدين يوسف

(١) بعد هذا الكلام يوجد في الأصل بياض قدره ثلاثة أسطر .

المدرسة (الجقمقية)

هي مدرسة معروفة الآن ومشهورة . وهي شرقي الحديقة التي بها قبة صلاح الدين الايوبي ، وعن يمين الداخل الى الجامع الاموي من بابه الشمالي في اول الطريق . وهي مبنية بالحجر الابلق والابيض . والداخل اليها من الباب الاول ، يجد عن يساره

٥ بابا ثانيا ، فيدخل منه الى ساحتها ، فيرى هناك اربع ايوانات ، تعلوهما قبة شاهقة ومسقوفة فلا تدخلها الشمس . ومن نحو خمسين سنة والى الآن ، وهي مكتب لتعليم الشبان والاطفال . وحكى في « تنبيه الطالب » انه كان بها تربة . **قلت :** وقد اندرست ، وعفت آثارها . وحكى ايضا انه كان تجاهها من الشمال ، يعني اتجاه بابها ، خانقاه يفصل بينهما الطريق الآخذ الى المدرستين العادلية والظاهرية من جهة الغرب ، والآخذ

١٠ الى الجامع الاموي من شرقها . ا . هـ **قلت :** وقد درست تلك الخانقاه ، وعفت آثارها ، واتخذها المختلسون لها دورا للسكنى . فانشأت تخاطب غاصبها ، وتلومه بقول ابن الوردي :

ان اهنى عيشة قضيتها ذهبت لذاتها والاثم حل

فيجيبها بقوله :

١٥ دعني بلذاتي اكن طوع الهوى لاابالي بعد موتي اين كنت

وكان من قصة هذه المدرسة ، ان المعلم سنجر الهلالي ، وابنه شمس الدين الصالح قد اسسا التربة اولا ، ثم تقلبت بهما الاحوال ، الى ان غضب عليهما الملك الناصر حسن سنة احدى وستين وسبعمائة . فعاقب سنجر ، واخذ منه مايزيد عن الف الف درهم ؛ وهو في اصطلاح زمننا مليون من الدراهم ، بدعوى انه نمي اليه من انه لايؤدي زكاة

سنجر الهلالي

٢٠ ماله ، وانه يطلق لسانه في ثلب الامراء وذمهم . ثم انه احاط بما له من الحجج والاملاك والحواصل ؛ فكانت تزيد عن ثلاثة آلاف الف درهم ، اي ثلاثة ملايين . ولكنه سلم اليه ذلك بعد مدة . فانظر الى هذا الظلم والبغي الذي كان في تلك الايام . وعاقب ابنه محمدا ايضا ، فاخذ تربته التي انشاها بباب الجامع . ثم امر السلطان بعمارتها ، فلم يغيروا اساساتها ؛ بل بنوا فوقها ، وجعلوا لها شبابيك من شرقيها ، وبنوا حائطها بالحجارة

٢٥ البيض والسود ؛ فجاءت في غاية الحسن . فالباني لهما انما هو السلطان الناصر حسن . وكان قد رسم بان يجعل بها مكتبا للايتام ؛ فشرع في بنائه . لكنه قتل سنة اثنتين وستين وسبعمائة قبل ان يتم . ثم صارت بعد موته خانقاه للصوفية . ولها وقف

يسير جدا . واستمرت على حالتها الى ان احترقت في فتنة تيمورلنك فكانت خاوية على عروشها . الى ان تولى سيف الدين جقمق نيابة دمشق سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ، وكانت دمشق في غاية من الخراب الذي لحقها من حروب تيمورلنك ؛ فتوجهت همته لاعمارها بنفسه ، وبالزام الناس بذلك ، وبنقله من سكن خارجها الى داخلها . وشرع في عمارة الطيورين والقسقار ، وعمر التربة التي بباب الناطفانيين، وهو باب الجامع الشمالي ، وهي تربة الجقمقية ، ورتبها حتى صارت في غاية الحسن والزخرفة . وقيل : انه لم يكن في دمشق ، ولا في مصر نظير لها . ووسعها من جهة القبلة ، وجعل لها شبابيك الى الكلاسة ، وشبابيك الى الجهة الشمالية . وبنى في مقابلها خانقاه الى الصوفية . ورتب بها شيخا وصوفية ، ورتب بالتربة المذكورة ميعادا بعد صلاة الجمعة . وجعل في قبلتها مكتبا للايتام ، وقد كان موجودا قبل الفتنة التيمورية ، ولكنه احياه . ووقف السوق الذي عمره داخل باب الجابية ، والطاحون التي انشاها بالوادي ، والخان شمالي المصلى . وجعل بعضا من ريع ذلك على نفسه واولاده ، وبعضا على التربة ، وبعضا على انواع البر .

قال الاسدي : هذه التربة كان المؤسس لها سنجر ، ثم بناها جقمق، وفرغ من بنائها سنة اربع وعشرين وثمانمائة ؛ فجاءت في غاية الحسن ، وحضر ميعادها الشيخ شرف الدين بن مفلح ، ولكن ظلمة الظلم لائحة عليها .

وقال ايضا : بلغني ان الامير ماماش استقطع وقف جقمق ، واخذ من التربة البسط والقناديل ، ومنع الصوفية والقراء من الحضور فيها . وقيل : انه احضر كتاب وقفها فاتلفه . انتهى

وذكر غيره ان جقمق ابدى العصيان سنة اربع وعشرين ، وحاصر بقلعة صرخد ، ولما سئم من الحصار طلب الامان من السلطان ، ونزل من القلعة ، فقبل الارض بين يدي الملك المظفر ؛ فرسم عليه بقاعة القلعة ، وطلب منه المال الذي اخذه . وفي اليوم الثاني ، قيل : انه عوقب ، وقرر على المال . وفي اليوم الثالث ، ارسل مع الخيالة مقيدا ، ثم حبس ، ثم قتل بعد ان عوقب ، وقرر على ما له من الودائع والذخائر ، وبقي ملقى في قلعة دمشق ، ثم دفن في تربته ؛ ولقي ماقدمته يداه . وكان ذكيا ، عارفا بالناس وتراجمهم ، ومهر في الظلم . قال ابن حجر : وكان ظلوما غشوما ، متطلعا على عورات الناس . انتهى

وقد علم مما تقدم أن الذي بناها سنجر ، ثم نسبت الى جقمق لأنه هو الذي بناها بعد ان احترقت . وقد درس بها كثير من الافاضل : كالعز ابن شيخ السلامية ، والعماد ابن السيد عدنان ، وغيرهما. ثم تقلبت بها الايام كغيرها من المدارس ، الى ان صارت كلها مكتبا في أواخر القرن الثالث عشر . وانا لنحمد ايدي الحدثان التي ابقت بناءها ، ولم
٥ تخف آثارها كما فعلت بغيرها .

ترجمة واقفها

تقدم أن الذي أنشأها اولا انما هو سنجر وولده شمس الدين ، والملك الناصر حسن . ثم جددها ورممها النائب جقمق ؛ فنسبت اليه . وقد علمت ترجمة كل منهم اجمالا ان لم يكن تفصيلا . وبسطها في القسم السياسي .

سيف الدين جقمق ٠٠٠-٨٢٤

١٠ وقد رأيت صاحب «الضوء اللامع» ترجم جقمق بترجمة مختصرة ، فقال : جقمق سيف الدين من ابناء التركمان ، اخذه بعض التجار صغيرا ، واتفق مع رفيق له على أن يبيعاه ويقتسما ثمنه بينهما ، فباعاه . وكان اذا تكلم بالعربية لايشك سامعه في انه من ابناء العرب . ثم تنقل في خدم المؤيد حتى صار دوادارا ، وذلك قبل تملك المؤيد . ولما تملك اقره على منصبه ، ثم جعله نائبا لدمشق سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة .
١٥ ولما مات المؤيد اظهر العصيان ، وآل امره الى ان امسكه ططر ، وعصره ، واخذ منه مالا ؛ ثم امر بقتله ؛ فقتل صبرا سنة اربع وعشرين ، ودفن بمدرسته التي هي بالقرب من شمالي الجامع الاعظم بحضرة الخانقاه السميساطية . وكان شديدا في دواداريته على الناس . ذكره ابن خطيب الناصرية ، والحافظ ابن حجر . انتهى

ومن تأمل أفعال الأمراء في قرون الخمسمائة وما بعدها ، رأى الاستبداد ضاربا
٢٠ اطنابه ، والظلم والبغي ناشرا اجنحته ، مرفرفا على النوع الانساني ؛ بالجور وقلة الانصاف . فان الملك اذ ذاك يرخي العنان لنوابه ومأموريه ؛ فيتفننون بفنون الظلم ، وسلب اموال الرعية ؛ ولايسأله عن اعماله ، ولايفاتحه بها . حتى اذا رأى خزائنه امتلأت ، وثروته امتد رواقها ؛ تناوله بمخالبه ، وانشب فيه اظفاره ؛ فيميته ميتة وحشية ، ويستولي على ما بيده من الاموال والعقار . كان لسان حاله يقول : انا ارسل
٢٥ النائب ليجمع الاموال شيئا فشيئا على مهل ، ثم ابتزها منه على عجل ، ولا ابالي باتلاف

الخلق واهلاك النفوس . وكانوا يتفننون بأنواع العذاب : فبعضه يكون بالقتل صبراً ، وهو ان يحبس الشخص ، ويمنع الطعام والشراب حتى يموت . وتارة يكون بعصر الاعضاء بالمعصار . ومرة يجعل المعذب حجرا في البناء . وآونة بالحرق ، والخنق ، والضرب بالسيف ، الى غير ذلك من الافعال الدالة على وحشية الطبع ؛ وعلى الكبر والجبروت ، وقلة المبالاة بامر الخالق جل شانه . نعم كان يتخلل هذه الظلمات نور من عدل بعض الملوك المؤمنين ، كنور الدين ، وصلاح الدين ، وغيرهما . ثم يسدل الظلام، ويمد رواقه ، ويأتي الناس ما ينسيهم اخبار أولئك الصالحين ولله في خلقه شؤون !

المدرسة (الجهاركسية)

يقال لها : الجهاركسية والجركسية . وهي بالصالحية . ومحلتها مشهورةباسمها، لكن العوام صحفوها ؛ فقالوا عنها : السركسية بسينين مهملتين . وذلك انك اذا سرت في الطريق الذي هو امام الدلامية ، عند الجسر الابيض ، وانتهيت الى آخره عند الطريق العام ؛ قابلتك المدرسة المذكورة .

وقال العلموي : هي بطرف السوق ، فوق نهر يزيد ، عند الجامع الجديد . ومكانها معروف مشهور . انتهى

اقول : وقد وقفت عليها ؛ فرأيتها مندرسة الاطلال ، قد جعلتها ايدي المختلسين دورا للسكنى . ولم يبق منها سوى قبتين عظيمتين قد تهدم اعلاهما ، وتحتهما قبور . وعلى جدارها القبلي كتابة منطمسة الحروف تعسر قراءتها ، تشير الى التعريف بها ، وتاريخ بنائها .

وقال في « تنبيه الطالب » : انها موقوفة على الحنفية والشافعية . وقال بعضهم : انه وقف على كتاب وقفها ، وانها على الحنفية فقط .

وايا ما كانت ، فقد حرمها مختلسها من العلم واهله ، ومنعها عن الطائفتين . فماذا يفيد كونها على الشافعية ، او عليهم وعلى الحنفية !؟

ومن وقفها : النصف والثلث من قرية بيت سوا من قرى دمشق ؛ وكفر العواميد بالزبداني ، واحكار بيوت بالصالحية في جوارها ، والثلث من المزرعة المعروفة بها ، واثنا عشر سهما من قرية بيت سوا ايضا ، وغير ذلك مما لايعلم اي يد تناولته واستباحته.

ترجمة واقفها

فخر الدين
جهاركس
٠٠ –٦٠٨

قال ابن خلكان : ابو منصور جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي الملقب فخر الدين ، كان من كبراء امراء الدولة الصلاحية ، وكان كريما ، نبيل القدر ، عالي الهمة بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة اليه . رايت جماعة من التجار الذين طافوا البلاد يقولون : لم نر في شيء من البلاد مثلها في حسنها ، وعظمها ، واحكام بنائها . وبنى باعلاها مسجدا كبيرا ، وربعا معلقا . وتوفي في بعض شهور سنة ثمان وستمائة بدمشق ، ودفن في جبل الصالحية . وتربته مشهورة هناك ، رحمه الله تعالى .

وجهاركس بكسر الجيم وفتح الهاء وبعد الألف راء ثم كاف مفتوحة ثم سين مهملة، ومعناه بالعربي اربعة انفس . وهو لفظ اعجمي معربه استار[1] والأستار اربعة أواقي، وهو معروف به . وفي « مرآة الزمان » : معناه اشترى باربعمائة دينار . انتهى

قال الذهبي : وكان العادل قد أعطاه بانياس والشقيف ؛ فاقام هناك مدة .

وقال ابن كثير : واليه تنسب قباب شركس بالسفح تجاه تربة خاتون ، وبها قبره.

وقد علم من مدرسي هذه المدرسة : القاضي ابو الفتح محمد بن عبد اللطيف الشكلي الشافعي .

المدرسة (الجوهرية)

قال في « التنبيه » : هي شرقي تربة ام الصالح داخل دمشق ، بحارة بلاطه . انتهى

اقول : اذا مررت امام المدرسة الريحانية ، وسرت مغربا ؛ تجد عن يمينك زقاقا غير نافذ ، فاذا توسطته ، وجدت في الجدار الغربي حجرا مكتوبا قد علاه الطين ، ودورا . واهل تلك المحلة يقولون : ان هناك قبر الجوهري . ولكن بعض هذا التعريف لايفيد ؛ لان الحجر قد يزيله المختلسون ، وقد يطينون فوقه . وعلى كل فان المدرسة هناك ؛ وقد اختلست من عهد قريب ، وجعلت دورا للسكنى ، وبقي القبر بحاله .

قال النعيمي : ورايت مرسوما على عتبة بابها البسملة وهذه الالفاظ وهي :

هذه المدرسة المباركة وقف العبد الفقير الى الله تعالى ، ابو بكر بن محمد ابن أبي

---

(١) قاله ابن خلكان .

طاهر بن عباس ابن ابي المكارم التميمي الجوهري على اتباع مذهب ابي حنيفة رضي‌الله عنه . وكان الفراغ من عمارتها ، والتدريس بها في سنة ست وسبعين وستمائة .انتهى

قال : وانشا واقفها وظيفة تدريس بمحراب الحنفية الجديد بجامع دمشق‌الكبير، ورتبها بالمكان المذكور . درس بالمدرسة حسام الدين الرازي ، ثم خمسة بعده حنفية .

٥

ترجمة واقفها

نجم الدين الجوهري
٠٠٠-٦٩٤

هو نجم الدين ابو بكر المذكور سابقا . توفي سنة اربع وتسعين وستمائة ، ودفن بمدرسته عن سن عالية (١) .

حرف الحاء المهملة

المدرسة (الحاجية)

هي والخانقاه بها كانت بالصالحية بالسفح ، قبلي المدرسة العمرية . والتعريف بمكانها : انك اذا وقفت امام‌المدرسة العمرية ، وسرت متجها الى القبلة في الطريق الآخذ الى الجنوب ، فانك لاتسير الا قليلا الا وتجد عن يمينك ارضا محوطة بجدار من التراب المسمى باصطلاح ديارنا دكا ، وقد كانت هناك المدرسة الحاجبية فتهدمت ؛ واستولى الناس على حجارتها ، وبقيت ارضا قفرا ، ليس بها الا بعض آثار جدران من الحجرات التي كانت بها . والفضل للذين لم يمتلكوا ارضها فيجعلوها بستانا ! ١٠ ١٥

والناس يسمونها الآن الحاجبية ، وبعضهم يسميها الخانقاه . وهي ملاصقة‌لبستان قصر القارة من الجانب الشرقي . واخبرني من اثق به من المعمرين : انه منذ سنة‌سبعين ومائتين والف كانت عامرة ، وبها خلاوي(٢) ، ومنارة قائمة فتهدمت . والله اعلم بما يؤول اليه امرها فيما بعد . وليست هي بأول مدرسة تناولها المختلسون غنيمة‌باردة، ولا وقفها بأول وقف ابتلعه مدعو الايمان ، والعمل بالشرع وهو بريء منهم . ٢٠

---

(١) بعد هذا الكلام في الاصل بياض مقدار اربعة اسطر .

(٢) تقدم بيانها .

ترجمة واقفها

ناصر الدين
ابن مبارك
٨١٠-٨٧٩

انشاها الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير مبارك الاينالي ، دوادار سودون النوروزي ، ويعرف بابن مبارك .

قال السخاوي في « الضوء اللامع » : ولد في حدود عشر وثمانمائة . واول ماعرف
٥ من امره أنه عمل دوادارا عند زوج اخته سودون النوروزي حاجب الحجاب بدمشق .
ثم تنقل بها في الوظائف الى ان صار حاجبا ، ثم صار نائب حماه ، ثم تولى نيابة طرابلس ،
ثم عزل منها وصودر ؛ ثم صولح على خمسة وثلاثين الف دينار ، واستمر على الحجوبة
بدمشق . وكان مذكورا بالخير في الجملة ، مع نوع فضيلة ومذاكرة . وانشا مدرسة
للجمعة والجماعات بصالحية دمشق ، وانشا بها رباطا فيما اظن . ورام من البرهان
١٠ القادري ان يكون شيخ صوفيتها ، فأبى ؛ فقرر ولده . ثم لم يلبث ان مات وهو على
حجوبته ، وذلك سنة تسع وسبعين وثمانمائة . وحضر ولده ؛ فبذل الاموال ، وسلم
من القتل . انتهى

وقال في « تنبيه الطالب » : توجه في حياة سودون الى مصر ، ولم يقم عنده
ثلاثة ايام حتى توفي . فاتصل بالسلطان ، وتقدم عنده . ثم عاد الى دمشق وقد صار
١٥ حاجبا صغيرا بها ، واميرا على التركمان . وشرع في تجهيز الأغنام الشامية من دمشق ،
ومن الشمال الى مصر ؛ فحصل غلاء عظيم في اللحم ؛ حتى صار الرطل يباع في دمشق
بستة دراهم . ثم استقر في نيابة البيرة(١) . ثم صار حاجبا كبيرا بدمشق ، ثم صار
اميرا على التركمان والاكراد .

وقال الجمال ابن عبد الهادي المعروف بابن المبرد في « الرياض » : تولى نيابة
٢٠ طرابلس وحماه ، وتوفي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، ودفن بتربته بالقرب من تربة
السبكيين ، تحت كهف جبريل بسفح قاسيون . فاختلف التاريخ عما قبله في وفاته
اختلافا يسيرا .

وحكى ابن طولون : وكانت المدرسة الحاجبية اولا زقاقا غير نافذ يشتمل على بيوت ،
فاشتراها الأمير ناصر الدين من اصحابها ، وبناها مدرسة . ولما كمل بناؤها ؛ صادره
٢٥ السلطان ، ورسم عليه بها ، حتى باع موجوده ، ورام فكها . وأول من ولي امامتها :

---

(١) تدعى الآن بيره‌جك ، وهي من بلاد الجمهورية التركية ، قريبة من مدينة حلب .

الشيخ ابو الخير الرملي ، ثم الشهاب العسكري ، ثم ولده الزين عبد القادر ؛ وشاركه الشهاب الشويكي . وتولى خطابتها : التاج بن عربشاه الحنفي ، ثم الشمس الطيبي ، ثم النجم بن شكم . واول من ولي تدريسها الشيخ كمال الدين النيسابوري ، ثم صار الى غير اهله . قال : وهذه المدرسة من احاسن الصالحية ؛ بل من احاسن دمشق .
وجميع ابنيتها من الحجر الابيض ، غير مسجدها فانه من الأصفر والاسود . ومحرابها ، وشباكاها القبليان ، وبركتها ، ومئذنتها وارضها من حجر رخام ومعدزي(١) ، وسقوفها عجمية . وكان في نية واقفها ان يجعل سقفها جملونا(٢) ، ويختار له الخشب الموافق؛ فادركته المنية ، ولم يتم له ما قصد .

حرف الخاء المعجمة

المدرسة (الخاتونية البرانية)

رأيت في كتاب « نزهة الانام في محاسن الشام » لابن المزلق ما نصه : المدرسة الخاتونية هي من اعاجيب الدهر ، يمر بصحنها بانياس ، ونهر القنوات على بابها ؛ ولها شبابيك تطل على المرجة ، وبها من الواح الرخام ما لم يسمح الزمان بمثلها ؛ وبها عدة خلاوى(٣) للطلبة . وبجوارها دار الأمير الاصيل ابن منجك . وهذه المحلة من محاسن دمشق . انتهى

ثم انقضت تلك السنون واهلها　　　فكأنها وكأنهم احلام

ومنه يعلم ان تلك الجهات كانت آهلة معمورة . وقد كانت هذه المدرسة والمسجد بها على الشرف القبلي ؛ عند مكان يسمى صنعاء الشام ، المطل على وادي الشقراء ، وهو مشهور بدمشق .

وقال ابن كثير : ويعرف ذلك المكان الذي هي فيه بتل الثعالب .

وقال الصفدي : هذه المدرسة من كبار مدارس الحنفية ، واجودها معلوما ؛ وهي باعلى الشرف القبلي . ا.هـ

---

(١) الظاهر انه الحجر الاحمر .
(٢) اي انه محدب على شكل يشابه سنام الجمل .
(٣) تقدم بيانها .

اقول : صنعا ، كانت قرية بالشرف القبلي ؛ فاختفى اليوم اثرها . ولقد اخبرني بعضهم ان بعض الاغنياء في زمننا ، لما بنى ابنيته التي على طريق المزة ، ظفر بحمام تلك القرية تحت الردم، وظفر بآثار ابنيتها وحجارتها، والابنيةظل زائل . واما الشقراء : فهي من متنزهات دمشق البديعة ؛ وسيأتي الكلام عليها في محلها .

٥ **ونقول** الآن : ان جوانب المرجة الفيحاء تسمى بالشرفين . وقد قال في « نزهة الانام » : وكل شرف ، للبلد فيه عدة من المدارس والمساجد . ولكل واحد منهما من الاوقاف ما يكفيه . وقد استولت عليها ايدي المتشبهين بالفقهاء ؛ فاظهروا فيها انواع المفاسد . وكلا الشرفين يطل على الشقراء ، والميدان ، والقصر الابلق ، والمرجة ذات العيون والغدران . وما الطف ما قاله ابن الشهيد :

١٠ لم يحك جلق في المحاسن بلدة ... قول صحيح ما به بهتان

ولئن غدوت مسابقا في غيرها ... ها بيننا الشقراء والميدان

ومن تحرير القيراطي :

سر بي الى الشقراء من جلق ... وانن الى الخضراء منك العنان

فيها جنان لو راى حسنها ... ابو نواس الهى عن جنان

١٥ وانزل بواديها الذي نثره ... مسك وحصبا(١) النهر منه جمان

قال العلموي : قلت : هذه الخاتونية هي شمالي نهر بانياس ، مطلة على الميدان الاخضر ، وكانت قبلا بمئذنة وبئر . ورايت ذلك الى آخر وقت الجراكسة ، واوائل الدولة العثمانية. واول من خربها واخذ رخامها ؛ ومن جملته رخام المحاريب ، سيباي ؛ ووضع ذلك بمدرسته الكائنة بباب الجابية ، الملقبة بجمع الجوامع . ودرس بها

٢٠ ابو الحسن البلخي ، ثم سبع مدرسين ؛ منهم الجلال عمر الخجندي : كان فقيها زاهدا ، بارعا عاقلا ، عارفا بالمذهب ، صنف في الفقه والاصلين ، ودرس بالعزية بالشرف الشمالي ، ثم جاور بمكة سنة ، ثم رجع الى دمشق ؛ فدرس بهذه الخاتونية ، الى ان توفي في آخر ذي الحجة سنة احدى وتسعين وستمائة ؛ عن اثنتين وستين سنة ؛ ودفن الصوفية . ثم درس بها : الشمس الحريري ، ثم البصروي ، ثم ابن قاضي ملطية ،

٢٥ ثم ابن فويرة ، ثم الآدمي . انتهى كلامه .

---

(١) في الاصل حصباء وحذفنا الهمزة لوزن الشعر .

ترجمة الواقفة

الست خاتون ام شمس الملوك ٠٠٠–٥٥٧

اوقفتها الست خاتون ام شمس الملوك اخت الملك دقاق ، كما قاله ابن شداد .

قال في « العبر » : سمعت الحديث من ابي الحسن علي بن قيس ، واستنسخت الكتب ، وحفظت القرآن ، وبنت المدرسة الخاتونية بصنعاء دمشق ، وجاورت بالمدينة المنورة فماتت بها ، ودفنت بالبقيع . انتهى

وقال العلموي : هي زمرد خاتون ، زوجة تاج الملوك توري . ثم ذكر نحوا مما تقدم ، ثم قال : تزوجها اتابك زنكي ؛ فبقيت معه سبع سنين ، ثم حجت وجاورت بالمدينة ، وتوفيت سنة سبع وخمسين وخمسمائة . وهذه غير خاتون بنت معين الدين التي يأتي ذكرها . فرحمها الله تعالى وعفا عنها .

(الخاتونية الجوانية)

كانت بمحلة حجر الذهب . كذا قاله في «التنبيه ومختصره» . والاسماء في زمننا قد تغيرت ، وبدلت . فلا نعرف تلك المحلة الآن ، ولا في اية جهة هي . ولكن يتضح مما ذكره المؤرخون في ترجمة الواقفة .

ترجمة الواقفة

خاتون بنت معين الدين آنر ٠٠٠–٥٨١

هي خاتون بنت معين الدين انر(١) ، زوجة الشهيد نور الدين محمود بن زنكي ، ثم السلطان صلاح الدين . وليست هي الواقفة . وانما اوقفها عليها اخوها سعد الدين ، ثم من بعدها ، فعلى عقبها ونسلها . وماتت ولم تعقب . وهي التي بنت الخانقاه ظاهر باب النصر ، في اول الشرف القبلي على بانياس .

قال العلموي : هي التي بجانب الطريق ، ويليها جامع تنكز من الغرب ، ومن القبلة الآن الاتون ، ومن الشمال النهر وبابها ، وهي الآن معمل قاشاني .

---

(١) اكثر المصادر المخطوطة القديمة على انه : « آنر » . والمصادر المطبوعة تجعله : « انر » . ولكن النسخة القديمة « ل » المسماة مخطوطة لندن لكتاب « الاعلاق الخطيرة لابن شداد » تجعلها : « انر » كالمطبوعات . وفي العيني نقل عن الذهبي في « العبر » : « وكتب على انر ، على الالف ضمة وفتح النون وسح عليها ، وجعل الراء مهملة ، فليحرر » . اهـ . نقلا عن « الاعلاق الخطيرة » تحقيق الدكتور سامي الدهان .

هذا كلامه. ورايت على هامش «مختصره» بخط غيره : ان التي صارت معمل قيشاني هي المدرسة الخاتونية الجوانية. انتهى. وعلى هذا ان المدرسة كانت بتلك الجهة ، وهي التي سماها حجر الذهب .

قال العلموي : وقد خربها وبنى مكانها بيتا ، فخر الدين القدسي المالكي ، وصارت

٥ نسيا منسيا. ثم ان كيخيا حسن باشا اخذ منه ماعمره قهرا؛ ولم ينله منها الا الاثم. ا. هـ

اقول: قد صرح بان الخاتونية هذه قد اندرست منذ زمن . واما القاشاني فقد اندرست امكنته ، وانقرضت من ايدي الدمشقيين صناعته ، ولم يبق منه الا آثار ملصقة بالبناء ، وهي لبهجتها وجمالها تدهش العقول . فسبحان مغير الاحوال ، ومبيد الامم وصنائعها !

١٠ وقد توفيت خاتون المذكورة سنة احدى وثمانين وخمسمائة ، ودفنت بتربتها التي هي تجاه قبة جركس بالجبل .

قال الاسدي في ترجمة خاتون ، بعد ان ذكر المدرسة والخانقاه : وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد مقابل تربة جركس ، ووقفت على هذه الاماكن اوقافا دارة كثيرة . كذا قال في « مرآة الزمان » .

١٥ قال العماد : وكانت من اغض النساء طرفا ، واعصمهن ، واجلهن صيانة وحزما ، متمسكة من الدين بالعروة الوثقى ، ولها امر نافذ ، ومعروف وصدقات ، ورواتب للفقهاء ، وادرارات . وبنت للفقهاء الصوفية مدرسة ورباطا . قال ابو شامة : وكلاهما ينسبان اليها : فالمدرسة داخل دمشق بمحلة حجر الذهب، بالقرب من الحمام الشركسي. والرباط خارج باب النصر ، راكب على نهر بانياس ، في اول الشرف القبلي . واما

٢٠ مسجد خاتون الذي في آخر الشرف القبلي من الغرب ، فهو منسوب الى زمرد خاتون بنت جاولي ، اخت الملك دقاق لامه . قال العماد : وهذا سوى اوقافها على معتقيها وعوارفها ، واقاربها . فرحمها الله تعالى .

حرف الدال المهملة

المدرسة (الدماغية)

تقدم الكلام عليها ، وانها على الفريقين : الحنفية والشافعية . ومن مدرسيها من الحنفية : عبد الوهاب بن احمد بن سحنون الحنفي ، خطيب النيرب ، وشيخ الاطباء . وكان طبيبا ماهرا حاذقا ، وله شعر وفضائل . توفي سنة اربع وتسعين وستمائة . ٥

حـــرف الراء

المدرسة (الركنية)

اقول : هي بالصالحية بمحلة الاكراد ، قبلي الطريق . ينزل الداخل اليها على درج ؛ فيرى ساحة متوسطة في الانفساح ، وبالجانب الشرقي قبة عظيمة ، وبالجانب الغربي جامع . وكلاهما مبني بالحجارة الضخمة بناء متقنا هائلا . وهي عامرة الى الآن ؛ لم يغير ١٠ الزمان شيئا من رونقها ؛ الا ان يكون بعض المختلسين اخذ قطعة من جانبها الغربي ؛ فاختلسها . وهي الآن برسم جامع للصلوات الخمس . قال النعيمي : اوقف بانيها عليها اوقافا كثيرة ، وكان من شرط مدرسها أن يسكن بها .

ترجمة واقفهـا

ركن الدين منكورس ٠٠٠-٦٣١

١٥ انشاها الامير ركن الدين منكورس الفلكي ، غلام فلك الدين اخي الملك العـادل . وكان من خيار الامراء، مواظبا على الصلوات في المسجد، مع قلة الكلام، وكثرة الصدقات.

وقال الذهبي في « تاريخ الاسلام » : ناب في الديار المصرية للملك العادل ، وكان محتشما عفيفا ؛ يجيء الى الجوامع وحده ، وله بجبل قاسيون تربة ومدرسة ، ووقف عليها اوقافا كثيرة. انتهى

٢٠ توفي بقرية جرود من اعمال دمشق ؛ وحمل الى تربته في هذه المدرسة ؛ فدفن فيها سنة احدى وثلاثين وستمائة . وكان بناء المدرسة سنة احدى وعشرين .

وحكى العلموي له كرامات تركناها هنا اختصارا .

ودرس بالركنية وجيه الدين القاري ، ثم بعده اربعة عشر مدرسا .

المدرسة (الريحانية)

جوار المدرسة النورية من الجانب الغربي . وقد تقلبت عليها الايام ؛ الى ان استقرت في زمننا هذا مكتبا للاطفال . واظن انها لم تسلم من الاستيلاء على شيء من اطرافها . وقد وقف عليها بانيها اوقافا معلومة مشهورة . وقد قرات الحجر المحفور
٥ الموضوع اسكفة(١) لبابها ؛ فاذا فيه بعد البسملة :

وقف هذه المدرسة المباركة جمال الدين ريحان بن عبد الله على المتفقهة بها على مذهب الامام الاعظم سراج الامة ابي حنيفة النعمان بن ثابت ، رضي الله عنه . ووقف عليها جميع البستان الخراجي المعروف بارض الحواري ، والارض المعروفة بدف العناب، والقرماوي بارض القطائع ، والجورتين: البرانية والجوانية بارض الخامس ، والنصف
١٠ والثلث من الريحانية ؛ ومن الاسطبل المعروف بعمارية ببستان بقر الوحش وذلك معروف مشهور؛ فمن بدله» الاية ١٨١/٢ ، سنة خمس وسبعين وخمسمائة. وهي معروفة كما قلنا ، ولكن اوقافها مجهولة لم ندر من اختلسها .

وقد درس بها جماعة منهم: الصاحب محمد بن يعقوب الحلبي المشهور بابن النحاس، وكان من اساطين العلم ، مكبا على الفقه . قال الصفدي :

ترجمة ابن النحاس الحلبي (٢)

١٥ ولد سنة اربع عشرة وستمائة ، واشتغل بالعلم ببغداد ، وكان صدرا معظما ، متبحرا في المذهب وغوامضه ، موصوفا بالذكاء ، وحسن المحاضرة والمناظرة . انتهت اليه رياسة المذهب بدمشق . ودرس بالريحانية والظاهرية . وولي نظر الدواوين ، والاوقاف ، والجامع . وكان معمارا مهندسا ، كاتبا موصوفا بحب الانصاف في البحث . وكان يقول : انا على مذهب ابي حنيفة في الفروع ، وعلى مذهب احمد
٢٠ في الاصول . وكان يحب الحديث والسنة . وفيه يقول علاء الدين الوداعي :

ومن مثل محي الدين دامت حياته ... الى مذهب الدين الحنيفي يرشد
لقد اشبه النعمان وهو حقيقة ... ابو يوسف في علمه ومحمد

توفي في المزة اواخر سنة خمس وتسعين وستمائة ؛ وله احدى وثمانون سنة وشهران . قاله الذهبي .

(١) تقدم بيانها .

(٢) ذكر ذلك المؤلف على الحاشية فاثبتناه للامانة العلمية .

ترجمة واقفها

جمال الدين ريحان ٦١٤-٦٩٥

انشاها ريحان المتقدم ذكره . وكان طواشيا يخدم السلطان محمود بن زنكي ، وجعله واليا على السجن والقلعة ، وبقي على ذلك الى أن توفي السلطان ، ودخل صلاح الدين لاخذ دمشق . ثم راسله حتى استماله : واغزر له نواله ؛ فتملك القلعة منه ، وما زال في الدولة الصلاحية حتى توفي ، رحمه الله تعالى . ٥

المدرسة (الزنجارية)

قال القاضي عز الدين ، والنعيمي : هي خارج باب توما ، وباب السلامة . ويقال لها: الزنجبيلية المسبعة ، تجاه دار الاطعمة . وبها تربة ، وجامع بخطبة بمعلوم على الجامع الاموي . وهي من احسن المدارس . والذي وجد من اوقافها : حانوتان جوارها ، ولها طاحون بالقرب منها ، وبجوار الطاحون حانوت . قال عز الدين : كذا رايته في كشف مسند الاوقاف لمحمد بن منجك الناصري . انتهى ١٠

قال العلموي : وهي التي على بابها هذا الرخام الذي من عجائب الدنيا ؛ وهذه الصناعات التي كانت كانها بين ايديهم كالعجين .

وحكى المصري في « ذيله » على « مختصر العلموي » : ان جامعها خطب به الشيخ ابن التينة ؛ فلما مات انقطعت الخطبة منها . وفي ايام قاضي قضاة الشام عبد الرحمن افندي ، كشف على المكان المذكور ؛ فوجده قد تهدم منه القبو . فامر بعمارته ، وعين خطيبا ، واقيمت الجمعة كما كانت ؛ وذلك في سنة احدى عشرة والف . ١٥

أقول : هذا التعريف بهذه المدرسة فيما مضى . واما الآن فاني نقبت عنها ، حتى علمتها بعلاماتها ، وعرفت ان اسمها تغير ؛ والناس يسمونها جامع السقيفة بالتصغير ، وليس بناؤها على طراز بناء المساجد . وكل من له خبرة بابنية المدارس يحكم بانها مدرسة . وجدارها الغربي من جهة الطريق هو كما وصفه العلموي به من الرخام المعجن الذي يبهر في اتقانه وحسن بنائه . وهي خارج باب توما . والتربة موجودة ، وبها قبر الواقف . والحانوتان والطاحون كذلك . ويمر بجانبها نهر يسمى نهر الزنجاري ؛ فلعل المدرسة نسبت اليه . ٢٠

واما دار الأطعمة ؛ فقد صارت طعام الخراب . واخبرني بعض جيرانها انه قد بقي من اوقافها اسطبل ؛ والناظر يؤجره ، ويعطي اجرته للخطيب ليصلي بها يوم الجمعة فقط . وبقية الاوقات يكون غالبا بابها مؤصدا . وهي لاتسلم من ان بعض المختلسين تناول طرقا من جانبها الشمالي والله اعلم . وفي « تنبيه الطالب » : انه درس بها : حميد الدين السمرقندي ، ثم كمال الدين السنجاري ، ثم بعده عشرة مدرسين حنفية .

اقول : وفي زمننا ، لاتدريس فيها ، ولا صلاة ، الا الجمعة وبعض اوقات للمنفردين .

ترجمة واقفها

عز الدين الزنجيلي

انشأها عز الدين عثمان الزنجيلي صاحب عدن . قال في « الروضتين » نقلا عن العماد الكاتب ما خلاصته : لما توفي الملك المعظم شمس الدين ؛ اشفق السلطان صلاح الدين من نوابه باليمن ، وذكر ما بين ولاتها من الاحن . ووصل الخبر بما يجري بين الأمير عثمان ابن الزنجيلي والي عدن ، وبين الأمير حطان والي زبيد من الفتن . فندب الى زبيد عدة من الامراء لحفظ البلاد ، واصلاح الأمور ، ومن جملتهم والي مصر صارم الدين خطلبا . وبقيت الولاية له في غيبته يقوم بها نوابه . قال ابن ابي طي : وكانت نفس طغتكين ، اخي الملك الصالح ، تميل الى اليمن ، ويرغب في أن يصير واليا عليها . فتوسل الى صلاح الدين بالوسائل الفعالة المستميلة ، حتى ولاه عليها سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وجعله واليا على زبيد وعدن واليمن . ثم سار ؛ ولما وصل الى زبيد ، قاوم حطانا حتى انزله عن رتبته ، ثم سمح له بالخروج بجميع امواله ومن يلوذ به . ولما اخذ جميع ما كان يملكه ، وصار خارج البلد ؛ كر عليه ، فاخذ منه جميع ما بيده . ولما انتهى الخبر الى عثمان ابن الزنجيلي ؛ فر من عدن بأمواله الى الشام ، فنجى بها وبنفسه .

قال ابو شامة : قلت : ولهذا الأمير أوقاف وصدقات بمكة ، واليمن ، ودمشق . واليه تنسب المدرسة والرباط المتقابلان بباب العمرة بمكة ، والمدرسة التي خارج باب توما بدمشق .

قال ابن كثير : وكان قد حصل من اليمن اموالا عظيمة جدا . وحكى ابن الاثير : ان المترجم لما سمع بما جرى على حطان بن منقذ المذكور خاف ، فسار نحو الشام خائفا

يترقب. وسير معظم امواله في البحر ؛ فصادفهم مركب فيها أصحاب طفتكين ، فأخذوا كل ما للمترجم ، ولم يبق له الا ما صحبه في الطريق . وصفت زبيد ، وعدن ، وجميع بلاد اليمن لطفتكين .

حرف السين

المدرسة (السفينية)

هي بجامع دمشق . ولم يذكر النعيمي ، ولا العلموي موضعها . والظن الراجح انها حلقة كانت بالجامع .

قال النعيمي : لم يعلم لها واقف . ودرس بها : اكركن بن سلطان ، ثم الصدر بن عقبة، ثم محي الدين ، ثم التاج السنجاري ، ثم الصدر ، ثم العماد ابن الشماع. وسيأتي الكلام عليها عند الكلام على الجامع .

المدرسة (السيبائية)

عرفها النعيمي بانها خارج باب الجابية ، وشمالي بئر الصارم. والتربة بها ، والزاوية أيضا . كذا قال . ولعل الصحيح ان التربة والبئر شماليها .

قال العلموي : بناها واقفها من سنة خمس عشرة وتسعمائة الى سنة احدى وعشرين . وجعلها جامعا ، ومدرسة ، وزاوية ، وتربة . عمرها بالحجر الابلق ،والرخام. ولم يدع بدمشق مسجدا مهجورا ، ولامدفنا معمورا الا واخذ منه من الاحجار ، والالات ، والرخام ، والعواميد ما احب واراد . وتقلد ذلك ، حتى سماها علماء دمشق جمع الجوامع . ثم انه لم يهنأ بها ، وسافر مع الغوري الى مرج دابق . وتصاف العسكران به . فما احتمل عسكر الجراكسة لحظة حتى انكسر الغوري ، وقتل سيباي؛ ولم يدفن بمدفنه .

ولا يخفى ما في كلام العلموي من التحامل والحط على الباقي ؛ لأنه اخذ انقاض المدارس المتهدمة ، والترب التي كان بناؤها على خلاف امر الشريعة المحمدية ، كما سنوضح ذلك في اول الكلام على الترب ، ان شاء الله تعالى .

هذا وقد نص جمهور من الفقهاء على ان الوقف اذا تعطلت منافعه ؛ يجوز بيعه ، واستبداله بوقف آخر . وعلى انه يجوز نقل حجارة المسجد وترابه اذا خرب الى مسجد آخر . وبعض الفقهاء الجاحدين لايعلمون بان غالب ادلة الفقه ظنية ؛ فيخطئون كل من خالف مشربهم ، بل يدعون انه لاحكم لله الا ما قاله من قلدوه . وهذا من الجهل والبعد

٥ عن العلم ، أنقذنا الله من الغفلة ! واما المدرسة المترجمة، فهي الآن موجودة بباب الجابية. وقد اشتهرت باسم الجامع المعلق ، وباسم الجامع السيباني . والعوام يحرفون اللفظة فيقولون : جامع السباهية . ولها باب من الطريق العام ؛ يصعد اليه بدرج ، وباب آخر من طريق القنوات . وهي واسعة الارجاء ، متقنة البناء ؛ الا انها معطلة لاتقام بها الجماعة، ولاينتفع بها . غير أن قسما منها قد جعل مكتبا للاطفال ، والباقي مقفل . وما حقها

١٠ ان يفعل بها هذا الفعل . لكن حسن موقعها ، واتقان بنائها ينادي على ان يجعل لها شان عظيم . وسيكون ذلك بعونه تعالى .

ترجمة بانيها

سيباي
٠٠٠-٩٢٢

انشاها نائب الشام سيباي الذي كان امير السلاح بمصر . ويعلم من كتاب تحفة الناظرين » انه كان مقربا عند الملك الاشرف قانصوه الغوري . وكان قانصوه شديد

١٥ الطمع ، كثير الظلم والعسف ، يصادر الناس في اموالهم ، واذا مات احد أخذ جميع ماله ؛ فبطل في زمنه الميراث ، وصار وارثا لجميع رعيته . ولم يكف ظلمه حتى اتخذ مماليك يعينونه على ظلم الناس . ثم انه صار بينه وبين السلطان سليم ؛ فقصد كل منهما الآخر ، واجتمعا بعسكرين عظيمين في مرج دابق سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة. فوقع الغوري تحت سنابك الخيل ، وانهزم عسكره ، وقتل سيباي في تلك الواقعة.

٢٠ وكان السلطان سليم هو السيف المسلط على الجراكسة حتى افناهم .

حرف الشين

المدرسة (الشبلية البرانية)

قال ابن شداد في كلامه على المدارس الخارجة عن البلد : المدرسة الشبلية الحسامية بسفح جبل قاسيون ، بالقرب من جسر ثورا . ا.هـ

اقول : وقد ابهم موضعها ، ولم يبين اي جسر ؛ اهو الجسر الابيض ام غيره ؟ والذي يظهر انها بالقرب من البدرية ؛ وقد مر بيانها . ولقد وقفت عند البدرية اسال اطلالها عنها ، وعن الشبلية ؛ فوجدت بستانا يسميه العامة بالشبلي وبستان الشبلية ، وهو على طريق عين الكرش بالقرب من جسر نهر ثورا . فدخلت البستان ؛ فاذا في جانبه بناء له اربعة جدران قائمة ، وبها قنطرتا ايوانين . وبجانب هذا البناء قبة ، تحتها قبر . فناداني ذلك البناء المتداعي للسقوط : تلك آثار المدرسة التي تبحث عنها ؛ وقد حال الحال ، وتغيرت الرسوم ، ولم يبق الا ما نشاهده ، ولربما بعد مدة لاترى شيئا مما تراه الآن ! فقلت عليك ياشبلية السلام عدد ما سكنك من طلاب العلوم . ومن اوقاف هذه المدرسة قرية بيت نائم باواخر الغوطة .

ترجمة واقفها

شبل الدولة كافور ٠٠٠-٦٢٣

اوقفها شبل الدولة كافور الحسامي الرومي ، نسبة الى حسام الدين عمر بن لاجين ولد ست الشام . وهو الذي كان مستحثا على عمارة الشامية البرانية لمولاته ست الشام .

قال ابن كثير : وهو الذي بنى الشبلية الحنفية ، والخانقاه على الصوفية الى جانبها ، وكان محلها منزله . ووقف القناة ، والمصنع ، والساباط ، وفتح للناس طريقا من عند المقبرة التي هي غربي الشامية البرانية ، الى عين الكرش . ولم يكن للناس قبله طريق الى الجبل من هناك ؛ وانما كانوا يسلكون اليه من عند مسجد الصفي بالعقيبة . توفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ودفن في تربته التي انشأها .

ودرس بهذه المدرسة صفي الدين السنجاري ، ثم بعده اثنا عشر مدرسا ، آخرهم شمس الدين ابن الرضي ؛ ومنهم : سعيد بن علي بن سعيد البصروي الحنفي . قال الذهبي : هو مدرس الشبلية ، احد ائمة المذهب ؛ وكان دينا ورعا ، نحويا شاعرا . توفي سنة اربع وثمانين وستمائة وقد قارب الستين . قال ابن كثير : له تصانيف مفيدة ، ونظم حسن منه :

قل لمن يحذر ان تدركه	نكبات الدهر ، ما يغني الحذر
اذهب الحزن اعتقادي انه	كل شيء بقضاء وقدر

وقال الصفدي : كان اماما مفتيا ، مدرسا بصيرا بالمذهب ، جيد العربية ، متين الديانة ، شديد الورع ؛ عرض عليه القضاء ، أو ذكر له ؛ فامتنع . ومن شعره قوله :

استجر دمعك مااستطعت معينا | فعساه يمحو ما جنيت سنينا
انسيت ايام البطالة والهوى | أيام كنت لذي الضلال قرينا

ثم ان الصفدي روى له قصيدة طويلة في هذا المعنى . ٥

(الشبلية الجوانية)

قال ابن شداد : هي مقابل الاكزية الشافعية . انتهى

قلت : قد تقدم فيما مر ان الاكزية غربي الطيبة والتنكزية ؛ وشرقي تربة أم الصالح. وخلاصة القول في أمرها : انها كانت في الجدار القبلي من الطريق المار امام المحكمة الكبرى المسماة بمحكمة الباب . والمار أمام المحكمة سائرا الى الجهة الغربية ، تكون عن يساره . وقد انطمست الآن معالمها ، وعفت آثارها ، وامست دورا للسكنى ؛ ولم يبق من آثارها سوى حجارة من جدارها الشمالي تنشد قول قعنب الفزاري بصوت ضعيف : ١٠

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره | ومن يغو لايعدم على الغي لائما

فيجيبها مختلسها بقول المتلمس :

وما كنت الا مثل قاطع كفه | بكف له أخرى فاصبح اجذما ١٥

شبل الدولة كافور

والذي انشاها شبل الدولة المعظمي[1] صاحب المدرسة التي قبلها، ودرس بها ابن النجاد ثم خمسة مدرسين بعده .

حرف الصاد

المدرسة (الصادرية)

هي داخل دمشق ، بباب البريد على باب الجامع الأموي الغربي . قاله في « تنبيه الطالب » . وقال : وهي أول مدرسة انشئت بدمشق سنة احدى وتسعين وثلاثمائة . ٢٠

(١) هو كافور الحسامي المتقدم ذكره .

وفي بعض نسخ « التنبيه ومختصره » ابدال الثلاثمائة باربعمائة وهو خطأ من الناسخ.

اقول : هذه المدرسة من جملة ماالدرس من المدارس ، واسمها مشهور معلوم . ولم يبق من اطلالها الا بعض من صحنها ، وبه بركة الماء ، وفي جانبها بئر من الماء ، وفي الجانب القبلي تربة في حجرة صغيرة ، والباقي قد اختطفته يد المختلسين ، فصار دورا للسكنى . ومحلها يقال له : الصادرية . وآثارها الباقية تنشد قول ذي الرمة :

اذا غير النأي المحبين لم يكد ... رسيس الهوى من حب مية يبرح

ترجمة واقفهـا

شجاع الدولة صادر

لم ار لمنشئها ترجمة في « تاريخ الحافظ ابن عساكر » . والذي رأيته في غيره كلمات يسيرة وهي : انشأها شجاع الدولة صادر بن عبد الله . وهي اول مدرسة انشئت بدمشق سنة احدى وتسعين واربعمائة . ودرس بها علي بن زنكي الكاساني ، ثم ابو الحسن البلخي صاحب المدرسة البلخية لصيقها ، ثم بعدهما اثنا عشر مدرسا ؛ منهم : رشيد الدين الغزنوي ، وبرهان الدين الغزنوي . انتهى . وعسى ان نظفر باكثر من هذا البيان فنثبته هنا . ومن جملة من درس بها : محمد بن اسعد بن الحكيم العراقي الواعظ ؛ كان له القبول التام في الوعظ بدمشق ؛ وروى المقامات عن الحريري ، وصنف لها شرحا ، وصنف تفسيرا للقرآن الكريم . وتوفي سنة سبع وستين وخمسمائة عن نيف وثمانين سنة . قاله الذهبي .

قال الأسدي في ترجمته : بنى له الامير معين الدين انر مدرسة . وترجمه الحافظ ابن عساكر بنحو ما تقدم .

حرف الطـاء

المدرسة (الطرخـانية)

كانت قبلي المدرسة الباذرائية . وقد عفت رسومها ، ومحيت اطلالها ، واخنى عليها الزمان ، وامست دورا للسكنى تنتقل من يد الى يد .

قال ابن شداد : كان محلها يعرف بدار طرخان ؛ فاشتراها سنقر الموصلي ؛ وجعلها

مدرسة لأصحاب أبي حنيفة . وكان انشاؤها لأجل البرهان علي البلخي سنة خمس وعشرين وخمسمائة . وهو اول من درس بها ، ثم من بعده احد عشر مدرسا ، آخرهم شهاب الدين بن فزارة . وتقدم بعض الكلام على البرهان البلخي في المدرسة البلخية.

ومن أفاضل مدرسي هذه المدرسة : اسماعيل بن ابراهيم بن احمد بن غازي بن محمد

٥ القاضي الشيباني المارداني الدمشقي الحنفي المعروف بابن فلوس . ولد ببصرى سنة اربع واربعين ، واشتغل بالفقه ، وسمع الحديث ، وناب بالحكم بالمدرسة الطرخانية بجيرون ؛ ودرس بها ؛ وكان شيخا دينا لطيفا . قاله الأسدي . وقال : بعث اليه الملك المعظم يأمره بإباحة الانبذة . قال ابن كثير : امره باباحة نبيذ التمر وماء الزمان ؛ فابى ؛ وقال : لا افتح على ابي حنيفة هذا الباب ؛ وانا على مذهب محمد في تحريمها ؛ وقد

١٠ صح عن ابي حنيفة انه ما شربها قط ، وحديث ابن مسعود لايصح ، وما روي فيه عن غيره لايثبت . فغضب الملك المعظم واخرجه من الطرخانية ، واعطاها للزين محمد ابن البقال . فلم يتأثر ، واقام في بيته ، واقبل على التحديث والفتوى والافادة ، الى ان توفي سنة ثلاثين وستمائة .

ترجمة واقفهـا

صنقر الموصلي

١٥ تقدم ان الذي انشاها سنقر الموصلي(١) .

المدرسة (الطومانية)

كانت تجاه دار الحديث الأشرفية بدمشق ، غربي الشريفية والفقاعية . وقد اندرست ، واندرست معها الشريفية ، واجابتهما الفقاعية ؛ فذهب الكل ادراج الرياح ، وامسى مخازن وحوانيت ، ودورا للسكنى .

٢٠ قال في « تنبيه الطالب » : لم اقف على ترجمة واقفها. ووقفها نصف قرية قصيفة، غربي المعوقس ، وقبلي اهه من اللجاه . وجوانب جوارها جراب . وقد احترق بعضها في بعض الفتن . ولعل واقفها طومان النوري بن ملاعب بن ملاعب بن عبد الله الأنصاري الخزرجي ؛ الامير الكبير صاحب الرقة .

طومان النوري
٠٠٠—٥٨٥

(١) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره ستة اسطر .

قال الاسدي : كان شجاعا ، جوادا محبا للخير كثير الصدقات ، ما ئلا الى العلماء والفقهاء . وبنى بحلب مدرسة للحنفية . توفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وقد جاوزت سنه المائة ، ودفن قبل العاصية في صور ؛ وقبره يزار . وقد بنى الخان المعروف بطريق حلب . هذا كلام « التنبيه » . ولا يخلو التعريف بوقفها عن تحريف لم يظهر لي تحريره أثناء الكتابة ؛ لكثرة ما في النسخة التي اطلعت عليها من الاغلاط ، ولكن الأمر سهل لأنه تعريف عن شيء قد تلاشى واندرس .   ٥

حرف الظـاء

المدرسة (الظاهرية الجوانية البيبرسية)

قد تقدم ذكر محلها ، وأنها هي الظاهرية الجوانية بعينها . ولما كانت على الفريقين: الشافعية والحنفية ، كرر ذكرها هنا .   ١٠

وقد درس بها : صدر الدين الأذرعي صاحب الجامع الصغير، ثم بعده ستة مدرسين، منهم : ركن الدين السمرقندي وكان شيخ الحنفية في زمنه . سطا عليه بعض اعدائه فخنقه ، والقاه في بركتها ، واخذ ماله . وبعد التدقيق عن الفاعل ، علم انه بوابها علي الحوراني ؛ فصلب على بابها .

وترجم صاحب « التنبيه » الأذرعي ، فقال : هـو سليمان ابن ابي العز بن وهب ابن عطاء أبو الربيع الحنفي الأذرعي ، صاحب الجامع الصغير ، شيخ الحنفية في زمنه، وعالمهم شرقا وغربا، أقام يدرس مدة في دمشق ، ويفتي ، ثم انتقل الى الديار المصرية . ولد سنة أربع وستين وخمسمائة . وتفقه على الجمال الحصيري ؛ وولي قضاء القاهرة أيام الظاهر بيبرس تولية عامة حيث خلت ركاب السلطان . وكان يحبه ويعظمه ، ولايفارقه في غزواته . ثم استعفاه من قضاء القاهرة ، وعاد الى دمشق . فأقام بها مدة يدرس بالظاهرية . ولما مات ابن العديم عرض عليه منصبه فقبل ، وباشره ثلاثة أشهر . ومات ليلة الجمعة سادس شعبان سنة سبع وستين وستمائة ، ودفن بالقرب من الجامع الافرم . ومن لطيف شعره ما قاله في مملوك تزوج احدى جواري الملك المعظم :   ١٥ ٢٠

يا صاحبي قفا لي وانظرا عجبا — اتى به الدهر فينا من عجائبه
البدر اصبح فوق الشمس منزلة — وما العلو عليها من مراتبه
اضحى يماثلها حسنا يشاركها — كفوا وسار اليها في مواكبه
واشكل الفرق لولا وشي نمنمة — بصدغه واخضرار فوق شاربه

٥ ويوجد بين ما تقدم من سنة ميلاده ، وبين ما حكاه ابن كثير ؛ خلاف واضح . فانه قال : ولد سنة خمس وسبعين . ولعل السبعين تصحيف وانها ستون ، او احدهما مصحف . وحكى ابن كثير في ترجمته : ان السلطان بيبرس ، لما اراد ان يوقع الحيطة على املاك الناس ؛ اراد من الاذرعي ان يحكم بمقتضى مذهبه ؛ فغضب من ذلك ، وقال : هذه الاملاك بيد اربابها ، ولايحل لمسلم ان يتعرض لها ؛ ثم نهض من المجلس
١٠ وذهب . فغضب السلطان من ذلك غضبا شديدا ، ثم سكن غضبه . وكان يثني عليه بعد ذلك ، ويمدحه ويقول : لاتثبتوا كتابا الا عنده . ثم قال ابن كثير : وكان المترجم من العلماء الاخيار ، كثير التواضع ، قليل الرغبة في الدنيا .

الجوبري

الجوبري ٦٥٣-٧٢٨

ترجم الصلاح الصفدي الجوبري ، مدرس الظاهرية الحنفية ، فقال : هو محمد ابن
١٥ عثمان ابن أبي الحسن الجوبري الدمشقي ، قاضي القضاة ، شيخ المذهب . ولد سنة ثلاث وخمسين وستمائة . وتفقه وبرع ، وحفظ الهداية ، وأفتى ، ودرس وتميز ، مع الوقار والسمت الحسن ، وحسن الهدي ، والفتوة والهيبة ، وانطلاق العبارة ، وولي القضاء وكان صارما به ، توفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

حرف العين

٢٠

المدرسة (العذراوية)

تقدم الكلام عليها . وذكرت هنا لأنها على الفريقين : الشافعية والحنفية . وعلم من مدرسي الحنفية بها ثمانية ، آخرهم جلال الدين الدارمي الرازي .

المدرسة (العزيزية)

هي بجوار المعظمية بالصالحية . وسياتي الكلام على ما انتابها وما وصلت اليه في زمننا ، عند الكلام على اختها المعظمية .

وحكى في « تنبيه الطالب » ان المعظمية انشئت سنة احدى وعشرين وستمائة ؛ والعزيزية سنة خمس وثلاثين وستمائة . ودرس بها : صدر الدين ابن برهان الدين مسعود ، ثم اخوه مجد الدين ؛ ثم كمال الدين السنجاري . ثم ظهر كتاب وقفها وفيه : ان مدرسها يكون مدرس المعظمية . فاشتغل بها شمس الدين الاذرعي ؛ ودرس بها شمس الدين بن عزيز ، ثم بدر الدين الحسيني ، ثم الاذرعي ايضا .

ترجمة واقفهـا

الملك العزيز ابن العادل ٠٠٠-٦٣٠

انشاها الملك العزيز عثمان ابن الملك العادل ، شقيق الملك المعظم . وكان صاحب بانياس ، وتلك الحصون التي هناك . وهو الذي بنى قلعة الصبيبة بين بانياس وتبنين وهونين . وكان موته بالناعمة ، وهي بستان له بيت بيت لهيا . ويظهر من تاريخ الاسدي ان قرية الكتيبة وقف على هذه المدرسة . والكلام على بسط ترجمته في القسم السياسي من هذا الكتاب .

المدرسة (العزية البرانية) (١)

كانت فوق عين الوراقة بالشرف الاعلى ، شمالي ميدان القصر خارج دمشق . قاله النعيمي .

اقول : اما عين الوراقة ، فهي مشهورة الآن ، والميدان هو المرج الاخضر غربي التكية . وموضعها كان قصر الملك الظاهر بيبرس . واما المدرسة ، فقد وقفت على رسومها واطلالها ، وخاطبتها ، فأجابتني بقول احد ادباء بغداد من معاصرينا في رثاء المدرسة المستنصرية بدار السلام :

---

(١) ذكرت في « الاعلاق الخطيرة » : « مدرسة الامير عز الدين » .

بكيت بها عهدا مضى في عراصها   كربما قلبت العهد لـم يك ماضيا
بكيت بها المدفون في حجراتهـا   مـن العلم حتى بل دمعـي ردائيا

ومعالمها المندرسة الآن في اول زقاق الصخر ، بالقرب من المكان الذي بني محلا لمجمع الاضواء الكهربائية ، جنوبي الطريق. وقد بقي منها بابها ، ومكتوب على اسكفته[1] كتابة قاربت الانطماس . وهي على حجرين ، والأعلى منهما مكتوب عليه :

لا اله الا الله محمد رسول الله . بسم الله الرحمن الرحيم . « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله » آية ٢/ ١١٠ . وتاريخه سنة ست وعشرين وستمائة .

والاسفل منهما مكتوب عليه :

اوقف هـذه المدرسة المباركة وابدها وحبسها ، الامير الكبير الغازي المجـاهد ابو الفضل عز الدين ايبك ، على الفقهاء والمتفقهة ؛ من أصحاب الامام الاعظم سراج الأمة ابي حنيفة رضي الله عنه ، وعلى المقرئين والمحدثين والمستمعين ؛ تقبل الله منه . وهذا الباب قريب الاندراس . ولما دخلتها ، رأيت ثمار العلوم التي كانت تجتنى منها قد بدلت بثمرات الاشجار ، وجعلت امكنة حجراتها ومسجدها وساحتها بستانا . ولما تتبعت آثار جدرانها ، لم اجد شيئا باقيا منها سوى اساس الجدار الشمالي ؛ وقد اقيم عليه دك البستان ، والباب مسدود . ولاح بخاطري ان اعلم مساحة ارضها ؛ فرأيت طولها من الشرق الى الغرب نحوا من ستين خطوة ، والعرض مقدار النصف من ذلك . وهي تشرف على واد عميق ، وجدارها الجنوبي مؤسس من اسفل ذلك الوادي ؛ وقد بقي سالما الى ما يسامت أرضها . وفي الزاوية الجنوبية منها قبة عظيمة قائمة في الهواء ، صبرت على مر الرياح وكر القرون ؛ فلم تؤثر بها الحوادث شيئا . ومساحة داخلها سبع خطوات في سبع . وفي وسطها قبر عز الدين ، وارتفاعه عن الارض نحو ذراعين . وللقبة شباكان مطلان على ميدان القصر . وكلها مبني بالحجر الاصفر . وهذه المدرسة كانت في ايام سعودها نزهة للابصار ، وملعبا للنسيم اللطيف العليل ؛ تهدي لساكنها ابهج المناظر الدمشقية . يقول لسان حالها : عجبا لمن يسكنني ولم تنفجر من فؤاده ينابيع الحكمة والعلم ؛ فسبحان الباقي !

---

(١) تقدم بيانهـا .

ترجمة واقفها

عز الدين أيبك
٠٠٠-٦٤٦

تقدم ان الذي بناها الأمير عز الدين ايبك استاذ دار[1] المعظمي المعروف بصاحب صرخد ، سنة ست وعشرين وستمائة . وكان من العقلاء الأمجاد .

وقال ابن كثير : استنابه الملك المعظم على صرخد ؛ فظهر منه نهضة وكفاءة . ووقف القريتين : البرانية والجوانية . ثم ان الملك الصالح ايوب اخذ منه صرخد ، وعوضه عنها . فاقام بدمشق على خير وتقى . ثم تناوله الوشاة بالسنتهم ، واتهموه بانه نكاتب الملك الصالح اسماعيل ؛ فاحتيط على جميع امواله وحواصله . فاخذ منه القهر كل ماخذ ؛ فمرض ، وسقط على الارض وقال : هذا آخر عهدي . وكان قد فر الى مصر في مبدأ التهمة ، ومات بها سنة ست وأربعين وستمائة ، ودفن بباب النصر بها . ثم نقل الى دمشق ، ودفن في تربته التي انشاها بمدرسته . كما أفاد ابن كثير ، وصاحب « مرآة الزمان » .

ودرس بهذه المدرسة الشمس ابن قلوس ، ثم بعده نحو احد عشر مدرسا ، آخرهم شهاب الدين ابن الفصيح . وكان بها دار حديث وليها ابن المظفر وغيره .

ابن الفصيح

فخر الدين ابن الفصيح
٦٨٠-٧٥٧

قال عبد الحي اللكنوي في « الفوائد البهية في طبقات الحنفية » مانصه : احمد ابن علي بن احمد فخر الدين ابو طالب الهمذاني المعروف بالفصيح . كان اماما علامة ، جامعا العلوم العقلية والنقلية ، انتهت اليه رئاسة المذهب في زمانه ؛ وكان مدرسا بمشهد ابي حنيفة . اخذ عن الحسن السغناقي صاحب « النهاية » ، عن حافظ الدين الكبير محمد البخاري ، عن الكردي ، عن صاحب الهداية . ودرس ببغداد ودمشق ، وافتى ، وصنف نظم « الكنز » و « الجامع » و « السراجية » في الفرائض ، و « المنار » في الأصول . وكانت وفاته بدمشق سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، ومولده سنة ثمانين وستمائة . وتفقه عليه ابن وهبان . انتهى

وذكره الذهبي في « معجمه المختص » ، وقال : هو الامام الفقيه النحوي ، تفقه وبرع ، وافتى ، وتخرج وافاد ، واقرأ العربية بالمستنصرية .

(1) في « الدارس » : « استادار » ، وفي « مختصره » : « استاذدار المعظم » .

المدرسة (العزية الجوانية)

لم ادر موضعها ، ولكن قال ابن شداد : هي بالكشك ، ويعرف مكانها من قبل بدار ابن منقذ . انشاها الامير عز الدين أيبك المتقدم ذكره . وقال ابن كثير : هي بدرب ابن منقــذ .

٥ وقال العلموي : درس بها المجد قاضي الطور ، وبعده نحو من احد عشر مدرسا ، آخرهم شمس الدين ابن الجوزي ، ثم ولده داود. هذا ما اتصل بي من خبرها ، والظاهر انه اصابها ما اصاب التي قبلها من انطماس الاثر ، والله اعلم .

المدرسة (العزية) أيضا

كانت بجامع دمشق ، وقــد أوقفها عز الدين المتقدم . وكان قــد بنى مدرسة في ١٠ مدينة القدس ، وشرط في كتاب وقفها انه متى كان القدس بيد الكفار ؛ كان حاصل المدرسة عائدا الى المدرسة التي بالجامع. فان عاد الى المسلمين ، عاد حاصل وقف مدرسة القدس اليها ، ولما كانت مدينة القدس بيد الافرنج ؛ درس بالمدرسة العزية هذه ابن قاضي الطور ، وبعده مدرسون ثلاثة . ولما فتح بيت المقدس تعطلت ، وعــاد ما كان يصرف عليها الى المدرسة المقدسية . ومن هنا يعلم انها كانت مدرسة مؤقتة ، وحلقة ١٥ نائبة عن غيرها ، ولم تكن مدرسة مستقلة .

المدرسة (العلمية)

كانت شرقي جبل الصالحية ، وغربي الميطورية . وقد تناولتها ايدي الجفاء ، وحل بها وبالميطورية الخراب ، فكان كل منهما نسيا منسيا . وهي من أبنية الأمير علم الدين سنجر المعظمي في سنة ثمان وعشــرين وستمائة . ودرس بها الصدر ابو الدلالات ، ٢٠ ثم ستة مدرسين ، آخرهم شرف الدين الواني . كذا نسب بناءها الى علم الدين جماعة، منهم عز الدين الحلبي المؤرخ المشهور[١] .

المدرسة (الفتحية)

قال ابن شداد ، وصاحب « التنبيه » : هي برحبة خالد . انشاها الملك الغالب فتح

---

(١) بعد هذا الكلام يوجد في الاصل بياض قدره ستة أسطر ، والحلبي هذا هو المعروف بابن شداد صاحب « الاعلاق الخطيرة » .

الدين صاحب بارين ، نسيب صاحب حماه ، في السنة التي توفي بها ، وجعل لها اوقافا في الديار المصرية . وانشأ مدرسة ثانية وقد مر ذكرها في مدارس الشافعية .

قال الصفدي في « تاريخه » : وذكر ابو الحسين الرازي ان الدار والحمام المعروفين بخالد في رحبة خالد : هو خالد بن اسد .

٥ وقال ابن عساكر : يشبه ان يكون نسبة الى خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد ، بفتح الهمزة وكسر السين ، لانه كان بدمشق مع عبد الملك . وهو من اهل دمشق ، وداره بها، وهي الدار الكبيرة التي في مربعة القبر بقرب القدم ، بدار الشريف الزيدي . واليه ينسب الحمام الذي هو مقابل قنطرة سنان بباب توما . وهو الذي قتل جعيد ابن درهم . وكان جوادا سخيا ، ممدحا فصيحا . الا انه كان رجل سوء ، كان يقع ١٠ في علي رضي الله عنه ، ويذم بئر زمزم وكان نحوا من الحجاج . مات سنة ست وعشرين ومائة بعد ان عصرت قدماه ، ثم ساقاه حتى انقصفتا ، ثم صلب فمات حينئذ .

وقال ابن عساكر ايضا : خالد بن اسيد بن ابي العيص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي له صحبة ، قيل : هو الذي نسبت اليه رحبة خالد بدمشق . ا.هـ

١٥ وايا ما كان ، فان نسبة تلك الرحبة لم تتحقق لرجل بعينه .

قال العلموي : ودرس بالفتحية المذكورة بهاء الدين بن عباس ، ثم ثلاثة انفس بعده . ومن شعره :

اذا شئت أن تعطى الأمور حقوقها وتوقع حكم العدل احسن موقعه
فلا تصنع المعروف مع غير اهله فظلمك وضع الشيء في غير موضعه

٢٠ **أقول** : ولقد خفي علي مكانها ، وسألت عن رحبة خالد كثيرا من اهل دمشق ، فلم يخبرني بها احد لتطاول الزمان ، وانطماس الآثار . ولعلي ان عثرت على محلها الحقه ببحثها .

ولنا مدرسة ثالثة اسمها الفتحية : وهي حديثة العهد ، وهي مشهورة بمحلة القيمرية . حسنة البناء ، ذات حجرات وغرف ومسجد حسن . ويظهر لمن تأملها انه ٢٥ كان لها مطبخ يتناول منه المجاورون بها طعامهم المخصص لهم من وقفها اعانة على طلب

العلم ؛ لكن الناظرين على وقفها اختلسوا أوقافها ، ومنعوا الطلبة من حقهم ، وباعوا جانبا منها . فلم تسلم هي ولا غيرها من المدارس من تعديات المختلسين للأوقاف ؛ بحيث أصبح ذلك الفعل سنة متبعة عند المتأخرين من الدماشقة ؛ وعند قضاتهم . ولقد تأملتها ؛ فرأيت مكتوبا على أسكفة بابها ما صورته :

٥ قد وفق الله من حباه — في كل ما يرتضي مراده
بناه لكسب العلوم دارا — ومسجد أشيد للافاده
فجاء تاريخه ببيت — قد أحكمته يد الاجاده
لله ما قد بنى وأحيا — من مسجد الفتح للعباده

وتاريخ البناء سنة ست وخمسين ومائة بعد الألف . ومكتوب أيضا على أسكفة
١٠ باب المسجد :

من كان للخيرات أهلا نجا — والله كاف من اليه التجا
حسن به الظن تنل بره — فهو ولي النعم المرتجى
يا ناظر أنزل على العين الذي — وفق للمعروف لها الحجى
قد أتوا أرخ طالب الدنا[1] — الواقف الفتح بباب الرجا

١٥

ترجمة واقفها

فتحي الحنفي
٠٠٠-١١٥٩

قال المرادي في تاريخه « سلك الدرر » ما ملخصه : فتحي بن محمد بن محمد ابن محمود الحنفي القلاقنسي الأصل ، الدمشقي المولد ، الدفتري ، الصدر الكبير . كان بدمشق صدر أعيانها ، اشتهر بمحاسن الشيم والشهامة والجراة والاقدام ، وكان ذا نباهة وذكاء وثروة ، وصار دفتريا بدمشق مدة سنوات ، وتولى تولية وقفي السليمانية .
٢٠ وتصدر بدمشق مدبر الامور والملأ والجمهور ، وكان ذا خدم وأتباع واتساع دائرة ؛ يصطحب من العلماء والأفاضل شرذمة أجلاء ، ومن الأدباء زمرا . وكان عنده فئة من الكتاب المتقنين للخطوط ، ومن أرباب المعارف والموسيقي والألحان ، ومن المضحكين . وبالجملة فقد كانت داره متنزه الارواح ، ومنتدى الأفراح . وامتدحه الشعراء من

---

(١) كذا ورد والله أعلم !

البلاد ، واشتهر صيته في الآفاق . وقد جمع مدائحه احد ندمائه الشيخ سعيد السمان ، في كتاب سماه « الروض النافح فيما ورد على الفتح من المدائح » .

قال المرادي : ان المترجم كان ظلمه عاما ؛ واتباعه مشهورون بالفساد والفسوق، وشرب الخمر ، وهتك المحرمات . وهو ايضا متجاهر بالمظالم لايبالي ، ولايتجنب الاذى والتعدي . ومن آثاره في دمشق : المدرسة التي في محلة القيمرية ، والحمام في محلة ميدان الحصى ، وتجديد منارتي السليمانية ، وغير ذلك . ثم أورد له المرادي نظما كثيرا ؛ منه :

بدا مثل بدر ثم يبسم عن در	غزال ومنه الفرق كالكوكب الدري
بقد كخوط البان ونحته الصبا	فاذرى اعتدالا بالمثقفة السمر
اغن كان الله ابدع حسنه	ليستلب الارواح بالنظر الشزر
سقى الله دهراً مر لي بوصاله	ولم يلو جيد الود عني الى الهجر
فكم بات يسقيني المدام عشية	ويمزجها من ريقه العاطر النشر
الى ان به شط المزار وقد محى	سطور الاماني بيننا حادث الدهر
وسرت قلوب الحاسدين وطالما	لعبن بها عند الدنو على الجمر

وله في الشيب :

لاتغضبن لشيب منك حل على	مسك العذار فان الشيب آثار
اما ترى الغصن مذ لاحت ازاهره	زادت نضارة ذاك الغصن انوار

وهو مأخوذ من قول دعبل :

لايرعك المشيب ان زار وهنا	فهو للمرء حلية ووقار
انما تحسن الرياض اذا ما	ضحكت في خلالها الانوار

وللمترجم في طول النهار في الصيام :

ولرب يوم صمته فكأنه	يوم المعاد وليس منه مهرب
وقفت به شمس النهار ولم تغب	فكانما قد سد عنها المغرب

وله :

واغيد قد امال السكر قامته	والليل محتبك بالانجم الزهر
دنا الي وكأس الراح في يده	ممزوجة بلماه الطيب العطر
وقال خذ وارتشف ماء الحياة ولا	تبق للائمك اللاحي سوى الكدر

ولما كان المترجم ذا يد طولى ، وعلو قدر ، يتصدى للاستطالة في اقواله وافعاله ؛ كثر اعداؤه . ولما توفي الوزير سليمان باشا العظم والي الشام وامير الحج ، وجاء الأمر من قبل الدولة بضبط امواله ومتروكاته ؛ تسبب المترجم الى امور في ذلك الوقت ؛ فخرج منها بتولية اسعد باشا العظم واليا على دمشق . ثم ان المترجم كان منتميا الى

٥ اوجاق البرلية ؛ وكانوا على غاية من الاستبداد والشقاء والفساد ؛ الى ان كتب اسعد باشا بافعالهم الى الآستانة ؛ فجاء الامر بقتلهم كلهم ، واستئصالهم ، فقتلوا . الا ان اسعد باشا اخفى المترجم عنده مدة . ثم جرت امور الى ان ورد الامر بقتله ايضا ؛ فجيء به الى سرايا دمشق ، وخنق في احدى جهاتها ، وقطع راسه وارسل للدولة ، وطيف بجثته في دمشق ثلاثة ايام ، في شوارعها وازقتها ، مكشوف البدن عريانا .

١٠ وضبطت الدولة املاكه ؛ فكان شيئا كثيرا . وكان ذلك خامس عشر جمادى الثانية سنة تسع وخمسين ومائة والف . ودفن بتربة الشيخ ارسلان[1].

المدرسة (الفرخشاهية)

تعرف بعز الدين فرخشاه ، والتي اوقفتها والدته خطلخير خاتون بنت ابراهيم ابن عبد الله ، وهي زوجة شاهنشاه بن ايوب اخي صلاح الدين .

١٥ قال ابن كثير : هي بالشرف الشمالي الاعلى ، والى جانبها التربة الامجدية لولده ؛ وهي على الحنفية والشافعية . وقال الاسدي : انها على الحنفية فقط . ا.هـ

لكن صاحب « تنبيه الطالب » وغيره لم يذكروا من درس بها من الشافعية ؛ ولم يتقدم لها ذكر في مدارسهم . وهذا الخلاف لاطائل تحته بعد ما صارت بستانا . ولقد وقفت على ما بقي من آثارها ؛ فقرات كتابة في حائط قبتها الشرقي فوق الشباك ؛

٢٠ فاذا هي ، بعد البسملة :

امر بانشاء هذه التربة المباركة الفقيرة الى الله تعالى خاتون والدة الملك المنصور ، معز الدنيا والدين ، فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب الملكي الناصري . وتوفي مستهل جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

ثم دخلت القبة ؛ فاذا لها باب صغير من الجانب الغربي ، وهي متسعة ، وقد سقط

(١) المعروفة الآن بالشيخ رسلان ظاهر باب توما .

اعلاها ، وبنى بها اصحاب البستان الذي كان مدرسة اسطبلا صغيرا وحجرة ، وجعلوا فوقهما غرفتين . وجدران تلك القبة الاربعة في غاية المتانة ، مبنية بالحجارة الضخمة . وفي جدارها القبلي باب يتوصل منه الى قبة ثانية اصغر منها وهي على حالها لم يتغير شيء من بنائها ، وهي التربة الامجدية ، وبها قبر مبني بالحجارة الكبيرة ، وارتفاعه عن الارض اكثر من ذراع . ولها باب في الجانب الغربي . وامام القبتين الآن من الجانب الغربي ، بركة صغيرة يمر منها الماء . وأما المدرسة فهي الآن بستان ، ولم يبق من آثارها سوى أساس جدارها الذي كان محيطا بها ؛ وقد جعل اساسا لذلك البستان . ولسوف تذهب تلك الآثار ايضا . فلم يبق لها ذكر الا في القرطاس . ٥

ترجمة واقفها

عز الدين فرخشاه ٠٠٠-٥٧٨

١٠ قال شاهنشاه في « تاريخه » : وفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة توفي عزالدين فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب صاحب بعلبك . وكان ينوب عن صلاح الدين بدمشق ؛ وهو ثقته من بين أهله . وكان شجاعا كريما فاضلا ، وله شعر جيد . ووصل خبر موته الى صلاح الدين وهو ببلاد الجزيرة ؛ فارسل الى دمشق شمس الدين بن محمد المقدم ليكون بها ؛ واقر بعلبك على بهرام شاه بن فرخشاه المذكور . انتهى

١٥ وحكي في الروضتين عن ابن ابي طي انه قال : كان فرخشاه من اكرم الناس ، واطهرهم اخلاقا ، واسدهم رايا ، واشجعهم قلبا . ومما يحكى من كرمه انه دخل الحمام يوما ؛ فراى رجلا قد تعد به الزمان ؛ وكان يعرفه من اهل اليسار ، وشاهد عليه ثيابا رثة يبين منها بعض جسده . فاستدعى بجميع ما يحتاج الرجل الى لبسه ، وامر له بغلام وبغلة مسرجة وبالف دينار ، وقال لبعض غلمانه : اجعل هذا كله في موضع ثياب الرجل ، وخذ ثيابه ، واجعل هذا الغلام والبغلة له . ففعل . ولما اغتسل الرجل وخرج ؛ راى موضع ثيابه تلك الثياب ؛ فسال الحمامي عن ثيابه ، فقال : تبدلت بتلك الثياب . فتقدم اليه الغلام ، واخبره بجميع ما صنع عز الدين معه ، واخبره بانه قد صنع له معيشة عشرين دينارا في كل شهر . فلبس الثياب ، وخرج من الحمام غنيا . ٢٠

٢٥ وكان فرخشاه مضافا الى شجاعته كونه عالما متفننا ، كثير الادب ، مطبوع النظم والنثر . فمن شعره قوله :

أنا في أسر السقام	من هوى هذا الغلام
رشا ترشق عينا	ه فؤادي بالسهام
كلما ارشفني فا	ه على حر الاوام
ذقت منه الشهد بالثلـ	ج المصفى في المدام

٥ وكان المترجم يصحب الشيخ أبي اليمن الكندي . وامتدحه الشعراء بقصائد غراء؛ ذكر بعضها صاحب الروضتين ، وذكرها هنا يخرجنا عما قصدناه من الاختصار .

وقد درس في هذه المدرسة من الحنفية : عماد الدين ابن الفخر ، ثم سبعة مدرسين آخرهم شمس الدين بن الصفي . وممن له اثر يذكر منهم :

ابـن الحريري

١٠ هو محمد بن عثمان بن أبي الحسن بن عبد الوهاب الانصاري المعروف بابن الحريري . ولد في دمشق سنة ثلاث وخمسين وستمائة . كذا قاله نجم الدين الطرسوسي في شرحه على منظومته . وتفقه على جماعة ، وشرح « الهداية » ، وعلق فوائد فقهية ، ودرس بعدة مدارس ، وولي القضاء ، وتوفي بمصر سنة ثمان وعشرين وسبعمائة .

وقال صاحب « الفوائد البهية في تراجم الحنفية » : كان المترجم عالما فاضلا ، فقيها

١٥ عارفا بالمذهب ، انتهت اليه الرئاسة في زمانه ، وتولى قضاء دمشق . انتهى

حرف القـاف

المدرسة (القجماسية)

قال في « التنبيه » : هي داخل باب النصر ودار السعادة . انتهى

اقول : اما باب النصر ، فقد كان في السوق المعروف الآن بسوق الاروان[1] . ويظهر

٢٠ من « الروضة الغناء » لنعمان افندي القساطلي ان المتاخرين سموا هذا الباب بباب السرايا ؛ فانه قال : باب السرايا بقي كما كان قبلا الى سنة ثلاث وستين وثمانمائة والف للتاريخ المسيحي ، عندما اصلحت الطرقات في أيام شرواني باشا فهدم . انتهى

اقول : وهذه المدرسة باقية الى الآن مشهورة ومعروفة ، وليس بها من اثر قديم يستحق الذكر .

---

(١) كذا في الاصل وهو المعروف حاليا بسوق الاروام .

ترجمـة بانيهـا

قجماس الاسحاقي
٠٠٠-٨٩٢

انشاها نائب الشام يومئذ ، يعني واليها ، قجماس الاسحاقي الجركسي . كفل دمشق سبع سنين وثمانية اشهر . فعمر هذه المدرسة ، ورتب فيها اربعين مقرئا ؛ بعد عصر كل يوم يقرأ كل منهم جزءا من الربعة ، وجعل لهم شيخا ، ورتب بها ايضا مجاورين ، وعين لهم شيخا ، واوقافا دارة . **قلت** : وقد انقرض كل هذا . توفي المترجم سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ، ودفن بتربته التي انشاها بالمدرسة المذكورة عند بيته .

٥

وترجمه السخاوي في « الضوء اللامع » فقال ما ملخصه : قجماس الاسحاقي الظاهري جقمق ، نائب الشام ، نشأ في خدمة أستاذه ، وكتب الخط الحسن ، وتقدم في المناصب ، واقامه الظاهر خشقدم خازن دار اركيسي . ثم امره بلباي على عشرة بعد ان توجه لنقل المنصور الى دمياط للاذن للمؤيد بالركوب . فلما استقر الأشرف قايتباي، رقاه واسكنه بيته ؛ ثم ارسله الى الشام لما تركها نائبها الشمقدار ودواداره ابو بكر . ثم استقر في نيابة الاسكندرية . واضاف اليه مولاه وهو بها تقدمة ، ثم نقله من النيابة لامرة آخور . وتحول الى الديار المصرية ، وسافر اثناء هذه المدة اميرا على الحاج ، ثم توجه لعمارة برج السلطان في بابل ، وعمر لنفسه جامعا في الاسكندرية ظاهر الباب المسمى بباب رشيد . وجعل هناك تربة وخانا لأبناء السبيل ؛ لان المسافرين كانوا اذا وصلوا الى هناك بعد الغروب ، لايقدرون على الوصول للاسكندرية لعدم امن الطريق ؛ فحصل من الخان نفع كبير . وجعل بجانب التربة بستانا هائلا . وجدد ايضا جامع الصواري ظاهر باب السدرة . وعمر خارجها بالجزيرة ، خارج باب البحر على شاطىء بحر السلسلة هيئة رباط ، واودع به اسبلة ونحوها . وعمر ، وهو امير آخور ، مدرسة هائلة بالقرب من خوخة ايدغمش ، وجعل لها متصدرا وقارئا للبخاري . وبنى تربة ايضا ، وعمل خيرات كثيرة . ثم نقل الى نيابة الشام بعد اسر قانصوه اليحياوي ؛ فبنى بجوار باب السعادة داخل باب النصر منها مدرسة ، وقرر لها صوفية ، وعمل بجانبها مطبخا للدشيشة . وسافر لعدة غزوات ، ومات سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة . انتهى. بحذف اشياء لاطائل تحتها .

١٠

١٥

٢٠

ولا بأس بتقييد أشياء تاريخية هنا لتكون كالشرح لما تقدم وهي :

٢٥

ان الظاهر خشقدم هو الملك الظاهر ابو سعيد الناصري ثم المؤيدي ، وهو السلطان

الأول من الأروام بمصر ان لم يكن المعز ايبك التركماني منهم . وكانت مدة سلطنته ست سنين وخمسة اشهر واياما . وتوفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة .

واما بلباي ، فهو الملك الظاهر ابو سعيد بلباي العلائي. تولى مصر يوم وفاة خشقدم. فاقام سبعة وخمسين يوما ، وخلع ، وجهز الى الاسكندرية ؛ فاقام بها حتى مات .

٥ واما قايتباي ، فهو الملك الاشرف ابو النصر قايتباي الظاهري المحمودي ، نسبة للخواجا محمود الذي اشتراه ، وللظاهر جقمق معتقه ، وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة ، والحادي والاربعون من ملوك الترك . بويع له يوم خلع الظاهر تمربغا سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ؛ فاقام تسعة اشهر واربعة وعشرين يوما . وتوفي سنة احدى وتسعمائة .

١٠ قال الشرقاوي في تاريخه « تحفة الناظرين » : كان قايتباي ملكا جليلا ، له اليد الطولى في الخيرات ، وكانت ايامه كالطراز المذهب ، وهو واسطة عقد ملوك الجراكسة ، وسار في المملكة بشهامة ما سار (بمثلها(١)) احد قبله من عهد الناصر محمد بن قلاوون. وله في مصر العمارات الكثيرة من مساجد ومدارس ورباطات وغيرها . ومن هنا تعلم ان مملكة مصر والشام كانت ميراثا للمماليك يديرونها كيف شاءوا ؛ الى ان كانت سلطنة ١٥ بني عثمان فاخذت الامور في الضبط رويدا رويدا الى الآن .

المدرسة (القصاعية)

خطلشاه بنت كوكجا

هي بحارة القصاعين ، كما في « تنبيه الطالب » . والظاهر ان القصاعين هي محلة الخيضرية او الخضيرية وما والاها . انشأتها خطلشاه(٢) بنت ككجا سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

٢٠ قال عز الدين في « تاريخه » : والذي رايته مكتوبا بنقرة في صخرة فوق بابها ان اسمها فاطمة بنت الامير كوكجا . وكذا هو في كتاب الوقف ، كما اخبرني به عاملها القاضي بهاء الدين الحجيني . وشرط الواقف انه اذا تعذر الحضور بالمدرسة ، فليكن بالجامع الأموي بالرواق الشمالي. وان شرط المدرس بها ان يكون اعلم الحنفية بالاصلين .

(١) لم ترد في الاصل والمعنى لايكتمل بدونها .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « خطلبشي » .

ودرس بها شهاب الدين الكاشي . ثم درس بها سبعة ، آخرهم حسام الدين الرازي ، ثم بعد السبعة اثنا عشر مدرسا ايضا ، آخرهم محب الدين ابن القصيف .

اقول : قد فتشت عن مكانها فلم اظفر به ، ولم اجد سوى جدران تدل على أن هناك كان مدارس . فاصبحت مأوى لريم أو لكبش ؛ فسبحان الباقي بعد فناء خلقه !

المدرسة (القاهرية)[1]

هي بالصالحية على حافة نهر يزيد ، لصيق دار الحديث القلانسية المشهورة الآن بالخانقاه ، يفصل بينهما الطريق ، وغربي المدرسة العمرية . قال النعيمي ولم يزد على هـذا .

اقول : وقفت على اطلالها ؛ فلم اجد باقيا منها سوى الجدار الغربي ، وهو مبني بالحجارة الصفراء ، ولونها فاقع ، ينعي لسان حالها زمنها الماضي ، وعصرها الذاهب. وبها تربة ، قرأت على باب شباك منها ما صورته :

هذه تربة الشهيدة الفقيرة الى رحمة ربها ، الست الجليلة عين الشمس زوجة الشهيد السلطان الملك المعظم ابن الملك العادل ، وابنتها ربيعة بنت السلطان ابن الملك؛ توفيت سنة احدى وثلاثين وستمائة . ولم اظفر بشرح احوال هـذه المدرسة باكثر مما ذكرته .

المدرسة (القليجيـة)

قال ابن شداد : الموصي بوقفها الأمير سيف الدين علي بن قليج النوري الى القاضي صدر الدين ابن سني الدولة الشافعي . وعمرها بعد وفاة الموصي سنة خمس وأربعين وستمائة .

قال الأسدي : وبها قبر الواقف ، توفي سنة ثلاث واربعين وستمائة . وهي قبلي الخضراء ، شمالي الصدرية ، غربي تربة القاضي جمال الدين المصري . درس بهـا : شمس الدين ابن قاضي العسكر ، ثم أولاده ، ثم بعدهما ستة مدرسين .

---

(1) في « القلائد الجوهرية » لابن طولون ان الذي انشأها هو الملك القاهر اسحق ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب .

قال ابن شهبة في «تاريخه» : كان سيف الدين أميرا كبيرا ، صالحا فاضلا ، شاعرا.
وأورد من شعره في « التاريخ » ، ولايحضرني الآن. واحترقت في فتنة تيمورلنك سنة
ست وثمانمائة . واستمرت كوم تراب الى حدود سنة اربع وستين وتسعمائة . قال
ابن شهبة : وتعذرت اعادتها لعدم وقف لها . بلغني ان جميع وقفها كان سقفا داخل
البلد ؛ فاحترق في الفتنة المذكورة . ثم قيض الله لها بمباشرة اهل الخير المرحوم محمد
جلبي قاضي الشام ابن المفتي ابي السعود صاحب « التفسير » ؛ فصرف مائة
سلطاني على نقل تراب ، وضرب لبن واقامة بعض القناطر والعضائد ، ووقف
امرها. ثم سنح للشيخ احمد ابن الشيخ سليمان ان ينتقل من زاوية له كانت
ضيقة ، ومن بيته بمحل الشلاحة اليها ؛ وان يعمرها . فصرف عليها من ماله ماشاءالله؛
ثم ساعده فيها اركان الدولة . وجيء بخشبها من غيضة السلطان وماله . وتمت وكملت
في غاية الحسن والسعة والبركة . واقيمت فيها الاذكار والموالد والجمعيات ؛ وذلك
في حدود سبعين وتسعمائة . وقال المحبي في ترجمة احمد المذكور : انه عزل التراب
الذي كان فيها من بقايا الخراب في فتنة تيمور ، وعمرها ، وانشا سبيلا في جوار
تربتها سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة . وقال مامية الرومي مؤرخا بناء السبيل :

هذا السبيل الاحمدي	لله ما فيه خفا
وقد اتى تاريخه	اشرب هنيئا بل شفا

هذا ما كان من أمرها . وأما حالتها الآن : فقد وقفت على اطلالها اسائلها ؛ فأعيت
جوابا ، وما بالربع من احد ، ما بالربع سوى الجدار القبلي . ومن جهة الغرب منه باب
المدرسة وهو مبني على هندسة جميلة ؛ وقد قسم الآن بابين لدارين ؛ والبناء القديم
يلوح من اعلاهما . وبجانب ذلك الباب من الجانب الشرقي التربة المذكورة ؛ وهي قبة
عظيمة ، وبناؤها قائم الى الآن ، ولها شباكان على الطريق ، ومحفور على صخرة فوق
الشباك الأيمن : قال الامير المجاهد الكبير ، المرابط الاسفهلار ، السعيد الشهيد سيف
الدين ابو الحسن علي بن قليج بن عبد الله هذه الابيات ، وامر ان تكتب على تربته بعد
وفاته . وعلى عتبة الشباك الايسر ما صورته :

هذه دارنا التي نحن فيها	دار حق وما سواها يزول
فاعتمر ماالستطعت دارا اليها	عن قليل يفضي بك التحويل
واعتمد صالحا يؤنسك فيها	مثل ما يؤنس الخليل الخليل

وبعد هذين الشباكين ، شباكان ايضا مسدودان ، يظهران للناظر . والجدار شاهق البناء ، مبني بالاحجار الكبيرة الصفراء ، جمال منظره يقول : ان هناك كان مدرسة كبيرة انفقت الأموال الكثيرة في بنائها . لم يعد رؤيتي لذلك ، دخلت بابا وسرت في زقاق ضيق ؛ فوصلت الى فسحة واحدة في وسطها بركة ماء ، وبعض حجرات معدة للحياكة . فسبحان الباقي ! ٥

ترجمة واقفها

سيف الدين بن قليج ٠٠٠–٦٤٣

هو الأمير سيف الدين علي بن قليج النوري ، توفي سنة ثلاث واربعين وستمائة . قال ابن كثير : ودفن بتربته التي بمدرسته المذكورة التي كانت سكنه بدار الفلوس . قال ابن قاضي شهبة في « تاريخ الاسلام » : علي بن قليج بن عبد الله الظاهري الاميري الكبير الفاضل سيف الدين ابو الحسن ، كان اميرا جليلا ، وعنده فضيلة . قال الشهاب ١٠ القوصي : جمع بين الامرة والسيادة وجزالة الراي ، وما قدم على جيش الا ولم شعثه . انشد لنفسه في التحذير من احتقار العدو :

لاتحقرن عدوا لان جانبه	وان تراه ضعيف البطش والجلد
فللذبابة في الجرح المديد يد	تنال ما قصرت عنه يد الأسد

وقال : ان دار الفلوس التي كانت داره ، سميت في ايام تنكز بدار الذهب ، وهي ١٥ دار خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وهي قبلي المدرسة .

ترجمة القاضي محمد جلبي

قال الغزي في « الكواكب السائرة » : هو محمد بن محمد بن محمد احد الموالي الرومية وابن مفتيها الملا ابي السعود ، كان فاضلا بارعا ، ترقى في المناصب حتى اعطي قضاء القضاة بدمشق في سنة خمس وستين وتسعمائة . وكان سخيا ، ما أتانا من ٢٠ الروم اسخى منه ، وكان ودودا . قال : واجتمعت الخصال المحمودة فيه . ومر يوما بسوق الاساكفة غربي باب البريد ؛ فوقفوا وشكوا اليه ما هم فيه من هم العوارض من الصفين الغربي والشرقي ؛ فازالها ، ولم يسال عن غنيهم ولا عن فقيرهم . ا.هـ . وما ذكرت هذه الحكاية الا لأبين أن وظيفة البلدية في ذلك الزمان كان بعضها الى القضاة . ٢٥

ترجمة مرممها الأخير

احمد بن الصواف
٩٢٥-١٠٠٥

هو الشيخ احمد بن الشيخ سليمان . قال في « الكواكب » ما خلاصته : كان المترجم يعرف بابن الصواف ، وكان شافعيا على طريقة القادرية ؛ معتقدا بين الناس ، وله مريدون يداخل الناس في الاصلاح بينهم ؛ فيترددون عليه . وكان وقورا حسن الخلق بشوشا . يتردد على الحكام ، ويعتقدون فيه ؛ ويكتب للناس الحروز فيقبلون عليه . ٥ توفي سنة خمس بعد الألف عن ثمانين سنة ؛ ودفن بزاويته جوار سيف الدين . ومات له ولد قبله ؛ فدفن بجواره . وقد قام الناس عليه لذلك ؛ ثم اطمأن .

المدرسة (القيمازية)

كانت داخل بابي النصر والفرج ؛ فاختفت آثارها ، كما اختفى باب النصر . وربما يؤخذ من كلام العماد الكاتب شيء من التعريف بها ، فانه قال في ترجمة واقفها ما نصه: ١٠ وداره بدمشق هي التي بناها الملك الأشرف أبو الفتح موسى ابن العادل دارا للحديث في سنة ثلاثين وستمائة . وخرب الحمام الذي كان مجاورا لها ، وادخله في ربعها ؛ وذلك في جوار قلعة دمشق ، بينهما الخندق والطريق . وهناك مدرسته المعروفة بالقيمازية .

وقال ابن كثير نحوا من هذا ، ومنه : والمدرسة شرقي القلعة المنصورة . ولما خرب الأشرف الحمام ؛ بناه مسكنا للشيخ المدرس بمدرسة دار الحديث . فالمدرسة تحقق ١٥ انها كانت بالقرب من دار الحديث الأشرفية، ولكنها اختفى عليها الزمان ، ولم يعلم لها اثر . وهناك الآن مسجد لطيف ولعله باق من آثارها والله اعلم !

ترجمة واقفها

صارم الدين قايماز
٠٠٠-٥٩٦

بناها صارم الدين قايماز النجمي . قال في « الروضتين » نقلا عن العماد الكاتب في حوادث سنة ست وتسعين وخمسمائة : وفي هذه السنة توفي في داره في دمشق ٢٠ الأمير صارم الدين قايماز النجمي ، وكان متولي أسباب صلاح الدين في مخيمه وبيوته ، وعمل عمل استاذ الدار . وكان صلاح الدين اذا فتح بلدا سلمه اليه ، واستأمنه عليه ؛ فيكون اول من افتض عذرته ، وشام ديمته . وحصل له من بلد آمد عند فتحه ، ومن ديار مصر عند موت عاضدها اموال عظيمة . وتصدق في يوم واحد بسبعة آلاف

دينار مصرية عينا ؛ واظهر انه قضى ما في ذمته من حقوق الله . وهو بالعرف معروف ، وبالخير موصوف . يحب اقتناء المفاخر ببناء الربط والقناطر ، ومن جملتها : رباط خسفين ، ورباط نوى . وله مدرسة مجاورة داره . ولما كفى الله دمشق الحصر ؛ نهض وراء العادل الى مصر ؛ فرده الى دمشق ليلازم خدمة الملك ولد المعظم ، ويكون من أنوى عدده وأوفى عدده . وكان في خلقه ذعارة[1] ، وكان خسافته[2] مستعارة . ٥
قال : ولما دفن ؛ نبشت امواله ، وفتشت رحاله ، وحضر امناء القاضي وضمناءالوالي؛ واخرجوا خبايا الزوايا ، وسموط النقود ، وخطوط النسايا ؛ وغيروا رسوم المنزل ومعالمه ، واستنبطوا دنانيره ودراهمه ، وحفروا اماكن في الدار ، وبركة الحمام في الجوار ، فحملوا اوقارا من النضار . وظهروا على الكنوز المخفية ، والدفائن الالفية؛ فقيل : زادت على مائة الف دينار . وهو قليل في جنب ما يحرز به من كذا وكذا قنطارا . ١٠
واستقل ماطواه الحزن[3] واخفاه الدفن . وقيل : كان يكنز في صحارى ضياعه ، ومغارات اقطاعه . قلت : واتهم بعده جماعة بان له عندهم ودائع ؛ وتأذى بذلك المثاني منهم والطائع . انتهى

قلت : وايا ما كان ، فان تلك العصور هي العصور السود ، فما هذه الاعمال ؛ عامل يترك وشأنه حتى ينهب الأمة ، ويفرق اموالها في جوف الارض ؛ ثم تأتيه النكبات والبليات في حياته او بعد مماته ؛ فلا تستريح الأمة منه في حياته ولا بعد مماته !؟ وما هذه العقول التي تحب المال حبا جما ، ثم تجعل بطن الارض مأواها !! ولله في خلقه شؤون ! ١٥

ودرس بهذه المدرسة حميد الدين السمرقندي ، ثم بعده سبعة ؛ آخرهم عمادالدين الطرسوسي . ٢٠

عماد الدين الطرسوسي

عماد الدين الطرسوسي ٠٠٠-٧٣٢

هو علي بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد ، قاضي القضاة عماد الدين الطرسوسي . تولي القضاء بدمشق سنة سبع وعشرين وسبعمائة ؛ ثم تركه

(١) عيوب وخبث .
(٢) اجتهاده في تكلف ما ليس عنده .
(٣) ما تلفظ من الارض .

لولده . ودرس بعدة مدارس . وذكر القاري انه مات سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة.
وفي« الشقائق النعمانية » : ان المترجم هو صاحب« الافتتاح شرح المصباح » في النحو ،
وشرح « مراح الارواح » في الصرف .

حرف الميم

المدرسة (المرشدية)

٥

هي على نهر يزيد بصالحية دمشق ، جوار دار الحديث الاشرفية . وهي الآن
مفقودة في صورة موجودة ، ينشد لسان حالها :

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم	فيها صدور مراتب ومجالس
وتفقهوا حتى ينالوا فرصة	من اخذ مال مساجد ومدارس

١٠

ولقد وقفت عليها ؛ فرايت بابها بابا عظيما ، والجدار الشمالي منها عجيب البناء
جدا ، الا ان داخلها خراب . وقد اختلسها قوم فاتخذوها للسكنى . واذا وفق الله لها
من يلم شعثها ؛ اصبحت مدرسة بديعة زاهرة .

ودرس بها ايام عزها : شمس الدين بن عطاء الله الاذرعي ، ثم اربعة آخرهم شمس
الدين الحريري .

١٥

ترجمة البانية

خديجة بنت الملك المعظم ٠٠٠-٦٦٠

انشأتها بنت الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل سنة اربع وخمسين
وستمائة . قال ابن قاضي شهبة : واسمها خديجة . توفيت ببستان الماردانية سنة
ستين وستمائة ، ودفنت بتربتها التي انشأتها جوار تربة الشيخ الفرنتي بالجبل .

اقول : والتربة مشهورة . ولما وقفت على تلك المدرسة مرة ثانية ؛ وجدت منقوشا
على حجر باعلى بابها ما صورته بعد البسملة :

٢٠

هذا ما اوقفت الست الجليلة عصمة الدين خاتون بنت السلطان الملك المعظم شرف
الدين عيسى ابن السلطان الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب . وذلك حصة من
الحمام الكائن اسهمه خمسة وثلاثين ، وخمس وسبع سهم من طاحون الطرف الخميس؛

ودار بجبل الصالحية ، وحصة بقصر تقي الدين سبعة أسهم ونصف سهم وربع سهم وثمن سهم وثلث عشر سهم ، وحصة بقرية الطره ثلثا سهم وثلث وسبع سهم ، وحصة بخان ثمانية أسهم ونصف ، وحصة بجبة عسال من قصير معلولا ثلاثة أسهم ، ومن الجبة سهم ونصف ، ومن القربانية سبعة أسهم ، وبستان المردانية بكماله . وذلك في سنة خمسين وستمائة . هذا ما وجدته مكتوبا ؛ ولعل في بعضه تصحيفا لعسر قراءة حروفه من الحجر . ٥

المدرسة (المعظمية)

هي بالصالحية بسفح قاسيون الغربي ، جوار المدرسة العزيزية . وقد درس بها مجد الدين قاضي الطور ، ثم درس بها عشرة بعده آخرهم شرف الدين الأذرعي .

أقول : ولم يتيسر لي الآن معرفة مكانها ؛ ولئن عرفته الحقته هنا [1] . ١٠

ترجمة واقفها

الملك المعظم عيسى ٥٧٦-٦٢٤

أنشأها الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . قال الذهبي في « العبر » في حوادث سنة أربع وعشرين وستمائة : وفي هذه السنة توفي الملك المعظم صاحب دمشق . وكان مولده بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمسمائة . وكان أديبا فقيها على مذهب النعمان بن ثابت . حفظ القرآن ، وبرع في الفقه ، وشرح « الجامع الكبير » في عدة مجلدات باعانة غيره ، ولازم الاشتغال زمانا ، وسمع « مسند الامام أحمد بن حنبل » كله . وله شعر كثير . وكان عديم الالتفات الى النواميس[2] وانفة الملوك . ويركب وحده مرارا ؛ ثم يتلاحق به مماليكه بعده . وكان فيه خير وشر كثير . ١٥

وقال ابن الأثير في « تاريخه الكامل » في حوادث السنة المذكورة : توفي المعظم بمرض الدوسنطاريا وكان ملكه لمدينة دمشق من حين وفاة والده الملك العادل ، عشر ٢٠

---

(١) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره أربعة أسطر .

(٢) الشماموس .

ستين وخمسة اشهر وثلاثة وعشرين يوما . وكان عالما بعدة علوم فاضلا ، منها : الفقه على مذهب ابي حنيفة؛ فانه كان قد اشتغل به كثيرا، وصار من المتميزين فيه . ومنها : علم النحو ؛ فانه اشتغل به ايضا اشتغالا زائدا ، وصار به فاضلا ، وكذلك اللغة وغيرها؛ وكان قد امر ان يجمع له كتاب في اللغة جامع كبير فيه كتاب « الصحاح » للجوهري؛

٥ ويضاف اليه ما فات « الصحاح » من « التهذيب » للازهري و « الجمهرة » لابن دريد وغيرهما . وكذلك ايضا ، امر بان يرتب «مسند الامام احمد بن حنبل» على الابواب ، ويرد كل حديث الى الباب الذي يقتضيه معناه . مثاله ان يجمع احاديث الطهارة ، وكذلك يفعل في الصلاة وغيرها من الرقائق والتفسير والغزوات ؛ فيكون كتابا جامعا . وكان قد سمع « المسند » من اصحاب ابن الحصين . ونفق العلم في سوقه ، وقصده العلماء

١٠ من الآفاق ؛ فاكرمهم ، وأجرى عليهم الجرايات الوافرة ، وقربهم ، وكان يجالسهم ، ويستفيد منهم ويفيدهم . وكان يرجع الى علم وصبر على سماع ما يكره ؛ لم يسمع احد ممن يصحبه منه كلمة سوء . وكان حسن الاعتقاد ، يقول كثيرا : ان اعتقادي في الاصول ما سطره ابو جعفر الطحاوي . ووصى عند موته بان يكفن في البياض، ولا يجعل في اكفانه ثوب فيه ذهب ، وان يدفن في لحد ولا يبنى عليه بناء ، بل يكون قبره في

١٥ الصحراء تحت السماء . ويقول في مرضه : لي عند الله تعالى في امر دمياط ما ارجو ان يرحمني به . ولما توفي ، ولي بعده ابنه داود ولقب بالملك الناصر ، وكان عمره عشرين سنة .

وترجمه ابن كثير بنحو ما ذكره ابن الاثير ؛ وقال : كان شجاعا عاقلا فاضلا ، وكان محفوظه « مفصل الزمخشري » ، وكان يصل من يحفظه بثلاثين دينارا . وقد جمع

٢٠ الله له بين الشجاعة والسماحة والبراعة والعلم ومحبة اهله .

وترجمه الاسدي في « تاريخه » فقال : تفقه الملك المعظم على الحصيري ، ولازم التاج الكندي مدة . وكان ينزل الى داره بدرب العجم من القلعة ، والكتاب تحت ابطه، فيقرا عليه «كتاب سيبويه» و«شرحه» للسيرافي . واخذ عنه الحجة في «القراءات» لابي علي الفارسي ، و « الحماسة » وغير ذلك من الكتب المطولة . وحفظ « الايضاح » في

٢٥ النحو ، و «المسند»، وصنف في العروض . وله ديوان شعر مشهور . وكان يحب «كتاب سيبويه» وطالعه مرارا . وكان يحب الفضيلة ؛ جعل لمن يحفظ « المفصل » مائة دينار، ولمن يحفظ « الجامع الكبير » مائتي دينار ، ولمن يحفظ «الايضاح» ثلاثين دينارا ،

سوى الخلع . وحج سنة احدى عشرة وستمائة . وجدد البرك والمصانع ، واحسن الى الحجاج . **قلت** : وبركة المعظم في طريق الحجاز تنسب اليه. قال : وبنى سور دمشق، والطارمة التي على باب الحديد . وبنى بالقدس مدرسة ، وبنى عند قبر جعفر الطيار مسجدا .

٥ قال ابو المظفر ابن الجوزي : بنى بمعان دار مضيف وحمامين . وكان قد عزم على تسهيل طريق الحجاز ، وان يبني في كل منزلة مكانا . وكان يتكلم مع العلماء ويناظر ويبحث . واعتمد للجواسيس والقصاد ؛ فان الافرنج كانوا على كتفه ؛ فلذلك كان يظلم ويعسف ويصادر . وخرب القدس لعجزه عن حفظها من الافرنج . وكان يملك من العريش الى حمص والكرك .

١٠ قال ابن الاثير : وكان جنده ثلاثة آلاف فارس ؛ ومع ذلك كان يقاوم اخوته . ولما مات ، دفن بالقلعة . ثم اخرجه الملك الاشرف لما قدم دمشق ، ودفنه مع والدته بالقبة بالمدرسة المعظمية ، وفيها اخوه المغيث .

وترجمه ابن خلكان بنحو ما تقدم ، وقال : وكانت له رغبة في الادب . وسمعت اشعارا منسوبة اليه ولم استثبتها .

١٥ وترجمه القاري في « طبقات الحنفية » ، وذكر انه حفظ « المسعودي » ، وصنف كتابا سماه « السهم المصيب في الرد على الخطيب » وهو ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي ، فيما تكلم به في حق ابي حنيفة في « تاريخ بغداد » . وقد كان امر الفقهاء ان يجردوا له مذهب ابي حنيفة دون صاحبيه ؛ فجردوه ، فحفظه .

ويمكن أن يكون لسان العرب هو كتاب اللغة الذي امر بجمعه الملك المعظم .

المدرسة (المعينية) ٢٠

هي بالطريق الآخذ الى باب المدرسة العصرونية الشافعية بحصن الثقفيين . قاله في « تنبيه الطالب » وغيره .

اقول : وقد انمحت آثارها ورأيت في كتاب وقف فضل الله العمري مايدل على انها كانت مقابل باب الفرج . وتاريخ الكتاب المذكور سنة ٧٣٢ . وشاهدت بعيني آثار مدرسة وراء الحوانيت المقابلة لباب الفرج . فيمكن أن تكون هي . ٢٥

وأيام حياتها درس بها رشيد الدين الفزنوي ، ثم بعده أحد عشر مدرسا ، آخرهم نجم الدين النعماني .

وحصن الثقفيين قد بقي جداره الشرقي ، وهو في أول الطريق الذي يمر شرقي المدرسة العادلية الصغرى .

٥ ## ترجمة بانيها

معين الدين أنر ٠٠٠-٥٤٤

انشاها معين الدين آنر ، اتابك محب الدين أو مجير الدين صاحب دمشق ، في سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

قال الذهبي في « العبر » : الأمير معين الدين بن عبد الله الطغتكيني مقدم عسكر ١٠ دمشق ، مدبر الدولة ، كان عاقلا سائسا مدبرا حسن السياسة ، ظاهر الشجاعة ، كثير الصدقات ، وله مدرسة بالبلد .

وقال في « مختصر تاريخ الاسلام » : والأتابك ملك الامراء معين الدين انر واقف المعينية ، وبنته خاتون هي واقفة الخاتونية . وضبط الذهبي أنر بضم الهمزة وفتح النون وبعدها راء .

١٥ وترجمه في « الروضتين » فقال ما حاصله : قال ابو يعلى التميمي : فصل معين الدين بعسكره من حوران ، ووصل الى دمشق لأمر أوجب ذلك ودعا اليه ؛ فامعن في الاكل ؛ فلحقه عقيب ذلك انطلاق اودى به . ثم حمله اجتهاده فيما يدبره على العود الى عسكره بحوران ، وهو بهذه الحالة . فضعفت قوته ، واصابه مرض في الكبد ، فعاد الى دمشق في محفة ، فمات بها ، ودفن في ايوان الدار الأتابكية التي كان يسكنها؛ ٢٠ ثم نقل بعد ذلك الى المدرسة التي عمرها .

قال ابو شامة : قلت : قبره في قبة بمقابر العونية ، شمالي دار البطيخ الآن ، واسمه مكتوب على بابها . فلعله نقل من ثم اليها . وفيه يقول مؤيد الدولة اسامة ابن منقذ ، لما لقي المترجم الافرنج في أرض بصرى وصرخد مع نور الدين :

كل يوم فتح مبين ونصر ... واعتلاء على الأعادي وقهر
٢٥ صدق النعت فيك انك معين الدين ان النعوت فأل وزجر

أنت سيف الاسلام حقا فلا كـل غراريك أيها السيد دهر
لم تزل تضمر الجهاد مسرا ثم اعلنت حين امكن جهر
كل ذخر الملوك يفنى وذخرا ك هما الباقيان اجر وشكر

وقال ايضا : ان انر كان مملوكا لطغتكين ، لكنه كان الحاكم والمدبر لدمشق وللعسكر ايام ولايته مجير الدين آبق بن محمد بن بوري بن طغتكين على دمشق . وكان عاقلا دينا خيرا حسن السيرة . وقال اسامة بن منقذ في كتاب « الاعتبار » : ابلى الامير معين الدين في حرب الالمان ، لما اتوا دمشق ، بلاء حسنا ، وظهر من شجاعته وصبره وبسالته ما لم يشاهد في غيره .

المدرسة (الماردانية)

على حافة نهر ثورا لضيق الجسر الابيض بالصالحية ، وهي معروفة مشهورة . والذي وجد من وقفها سنة عشرين وستمائة بكشف محمد بن منجك الناصري : بستان بجوار الجسر الأبيض ، وبستان آخر جوار المدرسة المذكورة ، وثلاثة حوانيت بالجسر المذكور ، والأحكار جوارها ايضا . ومن شرط مدرسها الا يكون مدرسا بغيرها . وممن دفن بها اسنك ، بالسين المهملة والنون ، ابن ازدمر ، مات سنة ست عشرة وثمانمائة . واشترى أخوه الأمير اسبك ، بالباء الموحدة ، وقفا ، ووقفه على مقرئين يقرؤون على تربته . واشترى للمدرسة بسطا .

ودرس بها الصدر الخلاصي ، ثم درس بها نحو عشرة ، آخرهم تاج الدين المارداني .

ثم رايت فيما زاده محمود بن محمد العمري على « مختصر العلموي » ان وقف المدرسة الآن اعني في القرن الحادي عشر : بستان المحمديات الفوقاني ، وبستان المحمديات التحتاني ، وحكر أرض من الجسر الأبيض ، وأرض الجنائن التي بالجسر الأبيض ، المعلوم ذلك من دفتر المحاسبة . انتهى

ترجمة البانية

عزيزة الدين أخشا خاتون

أنشأتها عزيزة الدين اخشا[1] خاتون بنت الملك قطب الدين[2] صاحب ماردين ، زوجة الملك المعظم سنة عشر وستمائة . ووقفها كان سنة أربع وعشرين بعد الستمائة .

(١) كذا في الاصل وذكرها ابن شداد : « اخشاو » .

(٢) يظن ابن طولون في كتابه « القلائد الجوهرية » أن والدها هو قطب الدين مودود ابن اتابك زكي، اخو نور الدين الشهيد .

وواقفة المكان لم تدفن فيه ؛ لانها رجعت بعد موت المعظم الى ماردين . كما قاله ابن قاضي شهبة . وقيل : انها حجت ، واستمرت مقيمة بمكة حتى افتقرت ، ولم يبق معها شيء من المال ، وصارت تسقى الماء . فمر بها من كان يعرفها وهي بدمشق ، ورآها على هذه الحالة . فلما رجع الى دمشق ، أخبر من كان متوليا على أوقافها ومصالحها ؛ نجمع لها شيئا من المال ، ثم ارسله اليها . فقالت : اي شيء هذا ؟! فقالوا : هذا من وقفك . فقالت : الذي خرجت عنه لله لا اعود فيه . وقالت : اعطوا كل ذي حق حقه . فرحمها الله رحمة واسعة .

المدرسة (المقدمية الجوانية)

داخل باب الفراديس ، وهو الباب الحديدي الذي في محلة العمارة المسماة قديما بالقباقيبة . ومكانها معروف ، وهي مشهورة . لكن استولى عليها بنو السفرجلاني ؛ فسكنوا البيت الذي بها ، وتصرفوا بمسجدها . ولم يبق منها الا ساحتها الواسعة ، وايوان في الجانب الشمالي للصلاة ، وبركة ماء واسعة .

قال الصفدي في « تحفة ذوي الالباب » في ترجمة واقف المقدمية : وله الدار الكبيرة التي داخل باب الفراديس ، والى جانبها المدرسة المقدمية ؛ وله تربة ومسجد وخان . كل ذلك داخل باب الفراديس .

قال العلموي : قلت : صارت الدار الكبيرة دورا متعددة ، وهي المعروفة الآن ببوابة خونذالان . ثم تملك بعضها ، وتعطل الآخر .

وقال العدوي الدمشقي : اقول : ثم في حدود سنة تسعين وتسعمائة ، خرب غالب المدرسة الشيخ احمد بن الأكرم ؛ وغير صيغة الواقف ، وتصرف فيها تصرف الملاك . فلما فعل ذلك منعه قاضي الشام ، وارسل نائبه مصطفى چلبي ؛ فكشف عليها ؛ ومنع المتعدي ، وهدم ما بناه ، وامر باعادته كما كان . فلم يزل يكابر ويعمر ما احب واراد حتى توفاه الله سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ؛ ولم يكمل العمارة ، ولم يفرح بها ولم يهنا ؛ وانما تممها أولاده من بعده .

وحكى القصة النجم الغزي في « الكواكب » بنحو هذا ؛ فانه قال في ترجمة ابن الأكرم : هو أحمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن الأكرم الحنفي ؛ كان من الرؤساء

بدمشق ، وكان في زي العلماء ، ولم يكن في العلم بذلك . ولي تدريس المقدمية الجوانية بدمشق ، وانتسب الى واقفها ، وعمر له فيها سكنا . فانكر عليه ذلك قاضي القضاة منلا أحمد الكردي الأنصاري ، وكشف عليها بنفسه فوجده قد غير فيها وبدل، وحصل لصاحب الترجمة منه تعزير ومشقة بسبب ذلك . ثم ان المترجم تزهد وتعمم بالصوف ، وربى شعر راسه ، وسكن الحجرة الحلبية لصيق الجامع الأموي الى أن ٥
توفي سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة . انتهى

أقول : ثم دار دورها الى ان تصرف بها وباوقافها بنو السفرجلاني ، واغتصبوها بلا منازع ولا مدافع . ولم أدر باية وسيلة وصلوا اليها ! والدهر كشاف المخبآت .

والوقف على هذه المدرسة كل من قريتي المحمدية وجسرين بغوطة دمشق .

ترجمة واقفها ١٠

شمس الدين ابن المقدم ...-٥٨٣

هو شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم . كان من اكبر الأمراء في دولة السلطان صلاح الدين . وله وقائع واخبار ننشرها في القسم السياسي عند الكلام على الدولتين الصلاحية والنورية . وهو الذي سلم سنجار لنور الدين ، ثم امتلك بعلبك أيام صلاح الدين ، بأمر منه ، سنة اربع وسبعين وخمسمائة . ولم يمض على امتلاكه لها مدة حتى طلبها توران شاه من اخيه صلاح الدين . فلم يمكنه منع اخيه ١٥
عنها ؛ فارسل للمترجم يامره بتسليمها ؛ فعصى بها ، ولم يسلمها . فارسل اليه عسكرا ، وحاصره بها وطال الحصار ، الى ان اجاب المترجم لتسليمها على عوض ؛ فعوض عنها ، وتسلمها السلطان ، وأقطعها أخاه . قاله صاحب حماة في « تاريخه » . ولما توفي السلطان نور الدين ، وقام ابنه الملك الصالح اسماعيل بالملك بعده وعمره احدى عشرة سنة ، وحلف له العسكر بدمشق ، واقام بها ، واطاعه صلاح الدين بمصر ، وخطب ٢٠
له بها ؛ كان المترجم هو المتولي لتدبير الملك الصالح ، وتدبير دولته . ولما راى صلاح الدين وهو بمصر ان الملك الصالح طفل لايقدر على النهضة بأعباء الملك ، ولايستقل بدفاع الأعداء عن البلاد ؛ تجهز للخروج الى الشام ، وكاتب المترجم . ووصل البلاد مطالبا بالملك الصالح ليكون هو الذي يتولى امره ، ويربي حاله ؛ فيقوم له ما اعوج من امره . فأجابه المترجم لذلك . فوصل دمشق ، ولم يشق عليه عصى . ودخلها بالتسليم ٢٥
في سنة سبعين وخمسمائة ؛ وتسلم قلعتها . ثم آل امر المترجم الى ان مات قتيلا .

وسببه على ما رواه ابن الأثير في « الكامل » انه لما فتح المسلمون البيت المقدس أيام صلاح الدين ، وكان ابن المقدم مع العساكر ؛ طلب من السلطان الاذن بالحج والاحرام من القدس ليجمع بين الجهاد والحج ، وزيارة سيدنا ابراهيم الخليل وزيارة سيدالمرسلين؛ فاذن له بذلك . وكان قد اجتمع في تلك السنة في الشام ، من حجاجها وحجاج البلاد والعراق والموصل والجزيرة وخلاط وبلاد الروم وغيرها ، خلق كثير . فجعل السلطان الأمير عليهم المترجم ؛ فسار بهم حتى اوصلهم سالمين الى عرفات . ولما كانت عشية عرفة ؛ تجهز هو واصحابه ليسيروا من عرفات . فامر بضرب كؤوساته التي هي علامة الرحيل ؛ فضربها اصحابه فسمعها امير الحاج العراقي مجير الدين طاشتكين ؛ فنهاه عن الافاضة من عرفات قبله ، وامره بان يكف اصحابه عن ضرب الكؤوسات . فارسل اليه يقول : اني ليس لي معك تعلق ؛ انت امير الحاج العراقي ، وانا امير الحاج الشامي؛ وكل منا يفعل ما يراه ويختاره . ثم سار ولم يقف ، ولم يسمع قوله . فلما راى طاشتكين اصراره على مخالفته ؛ ركب في اصحابه واجناده ، وتبعه من غوغاء الحاج العراقي وبطاطيهم وطماعتهم العالم الكثير والجم الغفير . وقصدوا الحاج الشامي مهولين عليهم . فلما قربوا منهم ؛ خرج الأمر عن الضبط ، وعجزوا عن تلافيه . فهجم اهل العراق على الركب الشامي ، وقتلوا ، وفتكوا ، ونهبوا ، وسبوا النساء الا انهن رددن بعد ذلك . وجرح ابن المقدم عدة جروح ، وكان يكف اصحابه عن القتال ؛ ولو اذن لهم به لانتصفوا منهم وزادوا ؛ ولكنه راقب الله وحرمة المكان . فلما اثخن بالجراحات؛ اخذه طاشتكين الى خيمته ، وانزله عنده ليمرضه ويستدرك الفارط في حقه . وساروا تلك الليلة من عرفات . فلما كان الغد مات بمنى ، ودفن بمقبرة المعلى ، ورزق الشهادة وذلك سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، فرحمه الله تعالى .

المدرسة (المقدمية البرانية)

قال في «تنبيه الطالب» : هي تجاه الركنيةبسفح قاسيون، شرقي الصالحية.انتهى. **اقول** : اخبرني الثقات ان هناك لم توجد مدرسة . ويمكن ان يكون الزمان قد اخنى عليها ، فسلمها لأيدي المختلسين ، فجعلوها كامثالها دورا للسكنى .

وقد انشا هذه المدرسة ابن المقدم الذي مرت ترجمته سابقا ، ووقف عليها ازوارا بارض حماة معروفة .

ودرس بها نجم الدين بن فخر الدين الغازي . ثم تغلب عليهـا أولاد الواقف ؛ فتعطل الدرس مدة . ثم بعد ذلك درس بها الصفي البصروي ، ثم بعده اربعة ، آخرهم فخر الدين بن الوليد . ثم سارت سيرا كان آخره ما علمت من انطماس آثارهـا ، وانمحاق هلال النفع بها .

ولنا مقدمية ثالثة ، وهي تربة بمرج الدحداح تعرف بتربة ابن المقدم . انشأها ولد المترجم سابقا ابراهيم بن محمد بن عبد الملك ، ودفن بها سنة سبع وتسعين وخمسمائة . قال الأسدي : كان ابراهيم شجاعا عاقلا ؛ ولي القلعة بماردين ، وعدة حصون وله بهـا نواب . فمد عينه اليها الملك الظاهر غازي ؛ فاخذها . وبقيت له ماردين . انتهى

ابراهيم بن عبد الملك
٠٠٠–٥٩٧

المدرسة (المنجكية)

هي المنجكية الحنفيـة بالخلخال قبلي الصوفيـة الى الغرب كذا في « التنبيه » و « مختصره » . والوقف عليها حمام منجك المشهور ، والفرن الى جانبه ، والربع فوقهما.

ودرس بها جمال الدين ابن القطب ، ثم شرف الدين الأنطاكي ، ثم ولده ، ثم قوام الدين العجمي .

اقول: لم يبق لهذه المدرسة اثر يتعين .

وقد رأيت في آخر « مختصر العلموي » ما لفظه : ان هذه المدرسة اندرست ، وانخربت تلك البنايات المؤسسة ، وصار مكانها بستانا . كان الذي خربها وحرثها اخذ من الله ثم من الدهر امانا . وصار وقفها الحمام والفرن والطباق ، على بلاعة البرش موقوفا ، ومنفقا عليهم كالراتب لهم مصروفا .

فالله تعالى غيور وبيده مقاليد الأمور

واما الخلخال فهو متنزه غربي مرجة دمشق . وكان به سويقة وحوانيت وفرن وحمام . وكان في الأزمان السالفة ، هو والمنيبع ، مسكن الاتراك ، وبه تدق طبلخاناتهم . وبالخلخال كانت زاوية الادهمية والهنود ؛ تحف بهما الناس والاعيان .

وفيه يقول جمال الدين ابن نباتة :

يا حبذا يومي بـوادي جلق   وفرجتي مع الغزال الحـالي
من أول الجبهـة قد قبلته   مرتشفـا لآخـر الخلخـالي

فارتشف حلاوة تلك التـورية ؛ فان الجبهة والخلخال متنزهان بـين نهر بردى ونهري القنوات وبانياس ، واسمان لجبهة المحبوب وخلخاله ، على قاعدة الزمن الماضي
٥ من أن الغلمان كانوا يلبسون الخلخال . او انه اطلق الحال وهو الخلخال ، واراد المحل، على طريقة المجاز المرسل بعلاقة الحالية والمحلية ؛ وقد تاتى له مـع حسن التـورية الانسجام .

ترجمـة واقفهـا

سيف الدين منجك
٠٠٠-٧٧٦

انشاها الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري . اصله من مماليك الناصر
١٠ محمد بن قلاوون . نشأ مملوكا ؛ ثم تنقلت به الاحوال الى ان صار اميرا بمصر . ثم ولي حجوبة الحجاب بدمشق سنة ثمان واربعين وسبعمائة ؛ فظل بها مدة يسيرة . ثم توجه الى مصر ، وصار مقدما ، وولي الوزارة . ثم قبض عليه وسجن . ثم اطلق عند زوال دولة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون . ثم ولي نيـابة طرابلس سنة خمس وخمسين . ثم صار نائبا على حلب سنة سبع وخمسين ، ثم بصفد ، ثم طلب الى
١٥ مصر ؛ فاكرم هناك اكراما عظيما واطلق . واقام بالقدس ، فعمر بها خانقاه ومدرسة . ولما اظهر نائب الشام بيدمر العصيان ؛ كان المترجم متوليا قتاله . فقبض عليه وسجنه، ثم اطلقه . ثم صار نائبا في طرسوس سنة ست وستين . ثم نقل الى طرابلس ، ومنها الى نيابة دمشق عوضا عن بيدمر بعد قتل يلبغا ؛ فاستمر بها سبع سنين . ثم طلب الى مصر سنة خمس وسبعين ؛ فولي نيابتها . واستمر بها الى ان توفي سنة ست
٢٠ وسبعين وسبعمائة ، ودفن بتربته التي انشاها بالقرب من الجبل .

وقال ابن حجي : عمر الأمير منجك المدارس والخوانق والخانات ، واصلح القناطر، ومهد السبل والطرقات ، واقام بالاماكن المخوفة الخفراء .

وقال العلموي : كان من الأكابر المعتبرين المعتمدين ، له ذكر قديم ، وفضل جسيم، ومآثر وصدقات ، وكان حسن الملتقى خصوصا لأهل العلم . وقال النعيمي : جمعت
٢٥ في ترجمته كراسة ، **قلت :** ولم ارها .

شرف الدين الأنطاكي

ومن مدرسي هذه المدرسة شرف الدين محمود الانطاكي الحنفي ، شيخ وقته في النحو والتصريف . اشتغل عليه أعيان البلد ، وتنبهوا وفضلوا . جلس في اول الأمر لنفع الناس . وكان يتردد على الاكابر ويقرئهم بالاجرة ، ويشهد ، ويكتب خطا حسنا؛ ولايزال فقيرا يضرب به المثل في الفقر ، وازداد فقره بعد الفتنة ، الى ان كان يلبس عدلا . وكانت له اليد الطولى في النظم والنثر والتكلم ، وكلما ازداد فضلا ازداد تأخرا، وكان رث الهيئة والملبس ، وقل نفعه في آخر عمره ، وكان في غاية الظرف ، له كلمات مأثورة ، وتنديدات حسنة . توفي سنة خمس عشرة وثمانمائة ، ودفن بالصالحية .

المدرسة (الميطورية)

كانت بالجانب الشرقي من جبل الصالحية ، بينها وبين القابون . والميطور الشرقي في وقفها . ثم هدمت ؛ واشتري بدلا عنها مكان امام الجامع المظفري بالقرب من التربة الصارمية ، وجعل مدرسة . وقد أقفرت المدرسة أيضا ، وبقيت الآن خاوية على عروشها مثل غيرها .

وقال الأسدي : كان الميطور مزرعة ليحيى بن احمد بن يزيد بن الحكم ؛ وكان له به روزنا[1] يسكنه ؛ وهناك كان موضع المدرسة الميطورية . ثم انها في سنة احدى وعشرين وثمانمائة هدمت ، واخذت انقاضها وآلاتها ؛ وحصل بسببها تشنيع كثير على الفقهاء . قال النعيمي : ثم اشتري مكانها موضع امام باب الجامع المظفري . انتهى .

قلت : وقد شاهدتها فوجدتها خرابا يبابا . وجدارها الشرقي باق ، لكنه يريد أن ينقض . وبستان الميطور معروف بأرض الصالحية الى يومنا هذا . وواقفة الميطورية هي الست فاطمة خاتون بنت السلار سنة تسع وعشرين وستمائة . والسلار كلمة فارسية معناها قائد الجيش .

فاطمة خاتون بنت السلار

ودرس بها : حميد الدين السمرقندي ، ثم ولده محي الدين ، ثم محي الدين بن عقبة .

---

(1) كذا في الأصل وذكره ابن شداد : « ارزونا وهو الميطور الشرقي » .

المقصورة (الحنفيـة)

كانت هذه المقصورة بالجانب الغربي من الجامع الأموي . وكان محراب الحنفيـة فيما سلف بين باب الزيادة وهذه المقصورة . ثم تغيرت واوقف بها درسا القاضي فخر الدين كاتب الممالك ، وهو محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بمصـر ، اصله قبطي ثم اسلم ، واوقف أوقافا كثيرة ، وجعل جهات احسان وبر الى اهل العلم ؛ واليه تنسب المدرسة الفخرية بالقدس . توفي سنة ثلاثين وسبعمائة .

حـرف النون

المدرسة (النورية الكبرى)

موضعها كان يسمى بالخواصين . وهي معروفة الآن مشهورة ؛ فلا نطيل الكلام على وصفها . قال النعيمي : كان موضعها قديما دارا لمعاوية بن ابي سفيان . وكانت لمعاوية دار ثانية بباب الفراديس تحت السقيفة، يقال : انها الدار المعروفة الآن بابن المقدم . انتهى. يعني المحلة التي بها المدرسة المقدمية . ويؤخذ من كلام الذهبي ان دار معاوية بالخواصين صارت لهشام . وفي « الكواكب الدرية » : انها صارت بعده لسليمان بن عبد الملك . ولم تزل تنتقل من يد الى يد ، الى ان بنى بعضها الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي ، المدرسة المعروفة الآن بالنورية . بناها لأصحاب الامام ابي حنيفة . ثم نقل والده اليها ، فدفنه في قبر معروف به ، بعد ان كان مدفنه في القلعة . وفي المدرسة يقول عرقلة الشاعر المشهور :

ومدرسة سيدرس كل شيء — وتبـقى في حمى علـم ونسك
تضوع ذكرهـا شـرقا وغربا — بنـور الدين محمود بن زنكي
يقـول وقـوله حق وصدق — بغـير كناية وبغـير شـك
دمشق في المدائن بيت ملكي — وهذي في المدارس بيت ملكي

اقول : صورة ما هو مكتوب على اسكفة بابها بعد البسملة :

انشا هذه المدرسة المباركة الملك العادل الزاهد نور الدين ابو القاسم محمود بن زنكي ابن آق سنقر ضاعف الله ثوابه . ووقفها على اصحاب الامام سراج الامة ابي حنيفـة

رضي الله عنه . ووقف عليها ، وعلى الفقهاء والمتفقهة بها جميع الحمام المستجد بسوق القمح ، والحمامين المستجدين بالوراقة ظاهر باب السلامة ، والدار المجاورة لهما ، والوراقة بعونية الحمى ، وجسر الوزير ، والنصف والربع من بستان الجوزة بالارزة ، والاحدى والعشرين حانوتا خارج باب الجابية ، والساحة الملاصقة لها من الشرق ، والستة حقول بداريا ، على ما نص وشرط . فكتب الوقف رغبة في الآخرة والثواب ؛ وتقدمة بين يديه يوم الحساب . « فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم » ٢/١٨١ وذلك في مدة آخرها شعبان سنة سبع وستين وخمسمائة. ٥

وعلى تلك المدرسة الرونق والبهاء ؛ ولكن بعض جيرانها اختلس بعض حجراتها . وهي الآن كبقية المدارس خالية من طلبة العلوم الحقيقيين . فلعل الزمان يساعدها فتصبح روضة زاهرة بالعلم واهله ؛ فانها تستحق ذلك . ١٠

ودرس بها في أول أمرها : بهاء الدين ابن العقاد ؛ ثم ثلاثة بعده ؛ ثم وليها جمال الدين الحصيري ؛ ثم ولده قوام الدين ؛ ثم اخوه نظام الدين ؛ ثم خمسة آخرهم شمس الدين الصفدي .

ترجمة بانيها

نور الدين بن زنكي ٥١١-٥٦٩

اختلف المؤرخون في تعيين بانيها ؛ فقال في « الروضتين » : بنى نور الدين المدرسة النورية لأصحاب ابي حنيفة بجوار الخواصين ، في الشارع الغربي . وقال ابن شداد : انشاها الملك نور الدين . قال النعيمي : وفيه نظر ! انما الذي انشاها الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين محمود بن زنكي في سنة ثلاث وستين وخمسمائة . انتهى . والذي في « العبر » للذهبي : أن الذي بناها نور الدين . ١٥

ويلوح لي أن بانيها الأول انما هو نور الدين . ولعل ولده بنى التربة التي بها ، وتمم بعض ما كان ناقصا منها ، فنسبت اليه . وايا ما كان فعلى روح منشئها الرحمة والرضوان . ٢٠

الملك الصالح اسماعيل

قال تاج الدين شاهنشاه بن أيوب في «تاريخه» في سنة ست وسبعين وخمسمائة:

الملك الصالح اسماعيل ٥٥٧-٥٧٦

توفي الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر صاحب حلب وعمره نحو تسع عشرة سنة . ولما اشتد به مرض القولنج ، وصف له الاطباء الخمر ؛ فمات ولم يستعملها . وكان حليما ، عفيف اليد والفرج واللسان ، ملازما لامور الدين ، لايعرف شيئاً مما يتعاطاه الشباب . واوصى بملك حلب الى ابن عمه عز الدين مسعود ٥ صاحب الموصل . فلما مات ؛ سار مسعود ومجاهد الدين قيماز من الموصل الى حلب ، واستقر بملكها . ثم كاتبه اخوه عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار في ان يعطيه حلب ، ويأخذ منه سنجار . فاشار عليه قيماز بذلك ؛ فلم يمكن مسعود الا موافقته ؛ فاجاب الى ذلك . فسار عماد الدين الى حلب ، وتسلمها ، وسلم سنجار الى اخيه مسعود ، وعاد مسعود الى الموصل .

١٠ نور الدين

نور الدين بن زنكي ٥١١-٥٦٩

قال الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : محمود بن زنكي بن آق سنقر ابن ابي سعيد قسيم الدولة الذكي الملك العادل نور الدين وناصر امير المؤمنين ، كان جده آق سنقر قد ولاه السلطان ابو الفتح ملك شاه بن الب ارسلان حلب ؛ وولي غيرها من بلاد الشام . ونشا ابوه قسيم الدولة بعده بالعراق . وندبه السلطان محمود بن محمد ١٥ ابن ملكشاه بن الب ارسلان ، برأي الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين ، لولاية ديار الموصل والبلاد الشامية ، بعد قتل آقسنقر البرسقي وموت ابنه مسعود ؛ فظهرت كفايته ، وظهرت شهامته في مقابلة العدو ، وثبوته عند ظهور متملك الروم ونزوله على شيزر ، حتى رجع الى بلاده خائبا . وحاصر ابوه قسيم الدولة دمشق مرتين ؛ فلم يتيسر له فتحها . وفتح الرها والمعرة وكفر طاب وغيرها من الحصون الشامية ، واستنقذها من ٢٠ ايدي الكفار .

فلما انقضى اجله ؛ قام ابنه نور الدين مقامه في ولاية الاسلام . ومولده ، على ما ذكر لي كاتبه ابو اليسر شاكر بن عبد الله التنوخي المعري ، وقت طلوع الشمس من يوم الأحد سابع عشر شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة . ولما راهق لزم خدمة والده الى ان انتهت مدته ليلة الأحد السادس من شهر ربيع الآخر سنة احدى واربعين ٢٥ وخمسمائة على قلعة جعبر ؛ وكان محاصرا لها . ونقل تابوته الى مشهد الرقة ، فدفن بها . وسير صبحة الأحد الملك الب ارسلان ابن السلطان محمود بن محمد الى الموصل مع

جماعة من اكابر دولة ابيه ، وقال لهم : ان وصل اخي سيف الدين غازي الى الموصل ، فهي له وانتم في خدمته . وان تاخرنا اقرر امور الشام واتوجه اليكم . ثم قصد حلب ، ودخل قلعتها المحروسة على اسعد طائر وايمن بركة يوم الاثنين سابع ربيع الآخر .

ورتب في القلعة والمدينة النواب ، وانعم على الأمراء وخلع عليهم . وكان بعض الامراء قد عمل على اخذ الرها ، وحصل في البلد ؛ فوجه اليه امراء دولته حتى استنقذها منه ، وخرج هاربا منها . ٥

ولما استتب له الامر ؛ ظهر منه بذل الاجتهاد في القيام بامر الجهاد والقمع لاهل الكفر والعناد ، والقيام بمصالح العباد . وخرج غازيا في اعمال تاشر ؛ فافتتح حصونا كثيرة . وافتتح قلعة عليم ، وقلعة عزاز وتل ناشر ودلوك ومرعش ، وقلعة عينتاب ونهر الجوز وغير ذلك ، وحصن البارة ، وقلعة الدلوندان ، وقلعة تل خالد ، وحصن كفرلاثا وحصن سرتوب بجبل بني قامية . وغزا حصن انب ؛ فقصده الابرنس متملك إنطاليه ، وكان من ابطال العدو وشياطينهم ؛ فرحل عنها ، ولقيهم دونها ؛ فكسره وقتله وثلاثة آلاف افرنجي معه . وبقي ابنه صغيرا مع امه بانطاكية . وتزوجت بابرنس[1] آخر . فخرج نور الدين في بعض غزواته ؛ فاسر الابرنس الثاني ، وتملك انطاكية . ووقع في اسره ابن الابرنس الأول في نوبة حارم ؛ وباعه نفسه بمال عظيم انفقه في الجهاد . ١٠ ١٥

واظهر بحلب السنة ، حتى اقام شعائر الدين ، وغير البدعة التي كانت لهم في الاذان ، وقمع بها الرافضة المبتدعة ، ونشر بها مذاهب اهل السنة الاربعة ، واسقط عنهم جميع المؤن ، ومنعهم من التشوب في الفتن . وبنى بها المدارس ، ووقف الاوقاف ، واظهر بها العدل والانصاف . وقد كان صالح المعين الذي كان بدمشق ، وصاهره ؛ واجتمعت كلمتهما على العدو . ولما وازره ، وحاصر دمشق مرتين ؛ فلم يتيسر له فتحها . ثم قصدها الثالثة ؛ فتم له صلحها ، وسلم اليه اهلها البلد لغلاء الاسعار ، والخوف من استعلاء كلمة الكفار ؛ فضبط امورها ، وحسن سورها ، وبنى بها المدارس والمساجد ، وافاض على اهلها الفوائد ، واصلح طرقها ، ووسع اسواقها . وادر الله على رعيته ببركته ارزاقها . وبطل منها الانزال ، ودفع عن اهلها الاثقال . ومنع ما كان يومئذ منهم من المغارم كدار البطيخ ، وسوق البقل ، وضمان النهر ، والكيالة ، وسوق الغنم ، وغير ٢٠ ٢٥

(١) كلمة اعجمية معربها الامير .

ذلك من المظالم . وامر بترك ما كان يؤخذ على الخمر من المكس ، ونهى عن شربها وعاقب عليه باقامة الحد والحبس . واستنقذ من العدو ثغر بانياس ، وغيره من المعاقل المنيعة كالمنيطرة وغيرها بعد الاياس .

وبلغني انه في الحرب رابط الجاش ، ثابت القدم ، شديد الانكماش ، حسن الرمي بالسهام ، صليب الضرب عند ضيق المقام . يقدم أصحابه عند الكرة ، ويحمي منهزمهم عند الفرة ، ويتعرض بجهده للشهادة لما يرجو بها من كمال السعادة . ولقد حكى عنه من خدمه مدة ، ووازره على فعل الخيرات انه سمعه يسأل الله تعالى ان يحشره من بطون السباع وحواصل الطير .

ولقد أحسن الى العلماء واكرمهم ، وقرب المتدينين واحترمهم ، وتوخى العدل في الاحكام والقضايا ، والان كنفه ، واظهر رأفته بالرعية . وبنى في اكثر مملكته دور العدل ، واحضر لها القضاة والفقهاء للفصل . وحضرها بنفسه في اكثر الاوقات ، واستمع من المتظلمين الدعاوى والبينات ، طلبا للانصاف والفصل ، وحرصا على اقامة العدل .

وادر على الضعفاء والايتام الصدقات ، وتعهد ذوي الحاجة من اولي التعفف بالصلات ، حتى وقف وقوفا على المرضى والمجانين ، واقام لهم الأطباء والمعالجين ، وكذلك على جماعة العميان ، ومعلمي الخط والقرآن ، وعلى ساكني الحرمين ، ومجاوري المسجدين .

واكرم امير المدينة الحسين ، واحسن اليه ، واجرى عليه الضيافة لما قدم عليه ، وجهز معه عسكرا لحفظ المدينة ، وقام لهم بما يحتاجون اليه من المؤونة . واقطع امير مكة اقطاعا سنيا ، واعطى كلا منهما ما يأكله هنيا مريا . ورفع عن الحجاج ما كان يؤخذ منهم من المكس ، واقطع امراء العرب الاقطاعات لئلا يتعرضوا للحجاج بالنحس . وامر باكمال سور المدينة ، واستخراج العين التي باحد وكانت قد دفنتها السيول . ودعي له بالحرمين ، واشتهر صيته في الخافقين . وعمر الربط ، والخانقاهات ، والبيمارستانات . وبنى الجسور في الطرق والخانات .

ونصب جماعة من المعلمين لتعليم يتامى المسلمين ، واجرى الأرزاق على معلميهم بقدر مايكفيهم . وكذلك صنع لما ملك سنجار ، وحران ، والرها ، والرقة ، ومنبج ، وشيزر ، وحماة ، وحمص ، وبعلبك ، وصرخد ، وتدمر . فما من بلد منها الا وله فيه حسن اثر ، وما من اهلها احد الا نظر له احسن نظر .

وحصل الكثير من كتب العلوم ، ووقفها على طلابها ، واقام عليها الحفظة من اهلها وارباها . وجدد كثيرا من فني السبيل ، وهدى بجهده الى سواء السبيل .

واجهد نفسه في جهاد اعداء الله ، وبالغ في حربهم . وتحصل في اسرة جماعة من امراء الافرنج كجوسلين وابنه ، وابن القنس ، وقومش اطرابلس ، وجماعة من حزبهم .
وكان متملك الروم قد خرج من قسطنطينية ، وتوجه الى الشام طامعا في تسلم انطاكية . فشغله عن مرامه الذي رامه بالمراسلة ، الى ان وصل اخوه قطب الدين في جنده من المواصلة . وجمع له الجيوش والعساكر ، وانفق فيهم الأموال والذخائر . فأيس الرومي من بلوغ ما كان يرجو ، وتمنى منه المصالحة عساه ينجو . فاستقر رجوعه الى بلاده ذاهبا ، فرجع من حيث جاء خائبا . ولم يقتل بالشام مع كثرة عسكره مقتله ، ولم يرع فيها من زرع خادم او امير سنبله . وحمل الى بيت مال المسلمين من التحف ما حمل ، ولم يبلغ وفل ما عمل . وغزا معه اخوه قطب الدين في عسكر الموصل وغيرهم من المجاهدين . فكسر الافرنج والروم والأرمن على حارم ، واذاقهم كؤوس المنية بالاسنة والصوارم ؛ فأبادهم حتى لم يفلت منهم غير الشديد الذاهل ، وكانت عدتهم ثلاثين الفا بين فارس وراجل . ثم نزل على قلعة حارم ، فافتتحها ثانية وحواها . واخذ اكثر قرى انطاكية ، وسبى اهلها . وكان قبل ذلك قد كسرهم بقرب بانياس ، وقتل جماعة من ابطالهم ، واسر كثيرا من فرسانهم .

وقد كان شاور السعدي امير جيوش مصر ، فوصل الى جانبه مستجيرا لما عاين الذعر . فأحسن جواره واكرمه ، واظهر بره واحترمه ، وبعث معه جيشا كثيفا ليرده الى درجته ؛ فقتلوا خصمه . ولم يقع منه الوفاء بما قرر من جهته ؛ فاستجاش جيش العدو طلبا للبقاء في السمو . ثم وجه اليه بعد ذلك جيشا آخر . فأصر على المسابقة له ، واستنجد بالعدو فانجدوه ، وضمن لهم الأموال الخطيرة حتى عاضدوه . وانكفا جيش المسلمين الى الشام راجعا ، وحدث متملك الافرنج نفسه بملك مصر طامعا ؛ فتوجه اليها بعد عامين راغبا في انتهاز الفرصة ؛ فأخذ بلبيس ، وخيم من مصر بالعرصة . فلما بلغه ذلك تدخل جهده في توجيه الجيش اليها ، وخاف من تسلط عدو الدين عليها . فلما سمع العدو بتوجه جيشه ، رجعوا خائبين ، واصبح اصحابه بمصر لمن عاندهم غالبين . وامن اهل اعمالها بحصول جيشه عندهم ؛ وزال عنهم ما كانوا قد خشوا . واطلع من شاور على المخامرة ؛ وانه قد راسل العدو طمعا منه في المظافرة ، وارسل

اليهم ليردهم ليدفع جيش المسلمين بجيشهم . فلما خيف من شره ومكره لما عرف من غدره وختره ، واتضح الامر في ذلك واستبان ؛ تمارض الاسد ليقتنص الثعلبان فجاة ، قاصدا لعيادته ؛ جاريا في خدمته على عادته . فوثب جرديك وبرحش موليا نورالدين فقتلا شاورا ، واراحا البلاد والعباد من شره . واما شاور فانه اول من تولى القبض عليه ، ومد يده الكريمة اليه بالمكروه . وصفي الامر لاسد الدين ، وملك ، وخلعت عليه الخلع ، وحل . واستولى اصحابه على البلاد ، وجرت أموره على السداد ، وظهرت منه حميد السيرة وحسن الاثار ؛ وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار .

وظهرت كلمة اهل السنة بالديار المصرية ، وخطب فيها للدولة العباسية بعد الياس . واراح الله من بها من الفتنة ، ورفع عنهم المحنة . ومع ما ذكرت من هذه المناقب كلها ، وشرحت من دقها وجلها ؛ فانه كان رحمه الله حسن الخط والبنان متانيا لمعرفة العلوم بالفهم والبيان ، كثير المطالعة ، مائلا الى نقل الكتب ، مواظبا وحريصا على تحصيل كتب « الصحاح » و «السنن» ، مشتريا لها باوفر الاعواض والثمن ، كثير المطالعة للعلوم الدينية ، متبعا للاثار النبوية ، مواظبا على الصلوات في الجماعات ، مراعيا لادائها في الاوقات ، مؤديا لفروضها ومسنوناتها ، معظما لها في جميع حالاتها ، عاكفا على تلاوة القرآن على الايام ، حريصا على فعل الخير من الصدقة والصيام ، كثير الدعاء والتسبيح ، راغبا في صلاة التراويح ، عفيف البطن والفرج ، مقتصدا في الانفاق والخرج ، متحريا في المطاعم والمشارب والملابس ، متبرئا من التباهي والتمادي والتنافس ، عريا عن التكبر والتجبر ، بريئا من التطير ؛ مع ما جمع الله له من العقل المتين ، والراي الصواب الرصين ، والاقتداء بسيرة السلف الماضين ، والتشبه بالعلماء والصالحين ، والاقتفاء لسيرة من سلف منهم في خير سمتهم ، والاتباع لهم في حفظ حالهم ووقتهم . حتى روى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، واسمعه . وكان قد استجيز له ممن سمعه وجمعه حرصا منه على الخير في نشر السنة والتحديث ، ورجاء أن يكون ممن حفظ على الامة اربعين حديثا لما جاء في الحديث .

فمن رآه شاهد من جلال السلطنة ، وهيبة الملك ما يبهره ؛ فاذا فاوضه ، راى من لطافته وتواضعه ما يحيره . وقد حكى عنه من صحبه في سفره وحضره ، انه لم يسمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره ، وان اشهى ما يكون اليه كلمة حق يسمعها ، او ارشاد الى سنة يتبعها . يحب الصالحين ويؤاخيهم ، ويزور مساكنهم لحسن ظنه

فيهم . فاذا احتلم مماليكه ؛ اعتقهم ، وزوج ذكرانهم باناثهم ، ورزقهم . ومتى تكررت الشكاية اليه من احد ولاته ؛ امر بالكف من اذى من تكلم بشكاية . فمن لم يرجع منهم الى العدل ؛ قابله باسقاط المرتبة والعزل . وقد جمع الله له من شريف الخصال ، مايسر له جميع ما يقصده من الأعمال ، وسهل على يديه فتح الحصون والقلاع ، ومكن له في البلدان والبقاع ؛ حتى ملك حصن شيزر ، وقلعة دوسر وهما من احصن المعاقل والحصون ، واحتوى على ما فيهما من الذخر المصون ، من غير سفك محجمة من دم عليهما ، ولا قتل احد من المسلمين بسببهما . واكثر ما اخذه من البلدان ، تسلمه من اهله بالامان ، ووفى لهم بالعهود والأيمان؛ فأوصلهم الى مامنهم من المكان . واذا استشهد احد من اجناده ؛ حفظه في اهله واولاده ، واجرى عليهم الجرايات ، وولى من كان اهلا منهم للولايات . وكلما فتح الله عليه فتحا ، وزاده ولاية؛ اسقط عن رعيته قسطا ، وزادهم رعاية ؛ حتى ارتفعت عنهم الظلامات والمكوس ، واتضعت في جميع ممالكه الغرامات والنحوس . ودرت على رعاياه الأرزاق ، ونفقت عندهم الاسواق ، وحصل بينهم بيمينه الاتفاق ، وزال ببركته العناء والشقاق . فان فتكت شرذمة من الملاعين ؛ فانها لما علمت منه من الرأفة واللين . ولو خلط لهم شدته بلينه لخاف سطوته الأسد في عرينه ؛ فالله يحقن به الدماء ، ويسكن به الدهماء .

ثم قال ابن عساكر بعد ان دعا الله له : ومناقبه خطيرة ، وممادحه كثيرة ؛ ذكرت منها غيضا من فيض ، وقليلا من كثير . وقد مدحه جماعة من الشعراء ؛ فاكثروا وان لم يبلغوا وصف الائه ، بل قصروا . وهو قليل الابتهاج بالشعر زيادة في تواضعه لعلو القدر .

انتهى ما قاله الحافظ ابن عساكر بحذف بعض جمل يسيرة . وقد حكى في خطبة « تاريخه » انه جمع منه اولا شيئا كثيرا ، ثم تركه . فاقبل الناس يشوقونه على الاتمام، الى ان وصل خبره الى نور الدين ؛ فحينئذ اهتم باكماله .

وقال ابن الجوزي في « تاريخه » : ولي الشام سنين ، وجاهد الثغور ، وانتزع من الصليبيين نيفا وخمسين مدينة وحصنا ، وبنى بيمارستان بالشام . وعاهد صاحب طرابلس بعد ان قبض عليه على ان يطلقه بشرط ان يدفع ثلاثمائة الف دينار ، وخمسمائة حصان ، وخمسمائة زردية ، ومثلها اتراس ، ومثلها قنطاريات ، وخمسمائة اسير مسلم،

وبان لايغير على بلاد المسلمين سبع سنين وسبعة اشهر ؛ واخذ بناته رهنا على الوفاء مع بعض أولاد الافرنج وبطارقتهم ؛ وان نكث اراق دماءهم . وعزم على فتح بيت المقدس فتوفي .

وقال الفيلسوف عبد اللطيف البغدادي : كان نور الدين يأكل من عمل يده ؛ ينسج تارة ، ويعمل غلبا تارة ثانية . ويلبس الصوف ، ويلازم السجادة والمصحف . وكان حنفيا ، ويراعي مذهبي الشافعي ومالك .

وقال ابن الاثير : كان نور الدين كثير اللعب بالكرة ؛ فكتب اليه رجل يدعي الصلاح ينكر عليه ، ويقول : تتعب الخيل في غير فائدة . فكتب اليه بخطه : والله ما اقصد اللعب، وانما نحن في ثغر، فربما وقع الصوت فتكون الخيل قد امنت . ا.هـ

قلت : ولم يخل وقت من اعتراض بعض من يدعي الصلاح على ما لا يعرفونه ولا يعنيهم ؛ بل يعترضون على الذرة ويبتلعون الجبل . ومما يسطر في تاريخ نورالدين مع الفخر ما ذكره ابن الاثير : انه كان يوما يلعب في ميدان دمشق ؛ فجاءه رجل وطلبه الى الشرع ؛ فجاء معه الى مجلس الشريعة وكان به القاضي مجد الدين الشهرزوري ، فارسل اليه السلطان حاجبه يقول للقاضي : لاتنزعج ، واسلك معه ما تسلكه مع آحاد الناس . فلما حضر ؛ سوى بينه وبين خصمه ، فتحاكما . فلم يثبت للرجل عليه حق، وكان يدعي ملكا في يد نور الدين . فلما فرغت المحاكمة قال : هل ثبت له حق ؟ قالوا : لا ! قال : فاشهدوا علي اني قد وهبت له ما ادعى به ؛ وانما حضرت معه لئلا يقال عني : اني دعيت الى الشرع فابيت . ودخل بيته يوما فرأى مالا كثيرا ، فسأل عنه ، فقالوا له : بعث به القاضي كمال الدين من فائض الاوقاف ؛ فقال : ردوه وقولوا له : ان رقبتي رقيقة لا اقدر على حمله غدا، وانت رقبتك غليظة تقدر على حمله . ولما قدم امراؤه دمشق، اقتنوا الاموال واستطالوا على الناس ؛ وكان اعظمهم استطالة شيركوه ؛ فبنى السلطان دار العدل ، وكان يحضرها في الاسبوع اربع مرات ، ويحضر معه العلماء والفقهاء ، ويأمر بازالة الحجاب والبوابين . فانتصف امراؤه من انفسهم خوفا من دار العدل والسلطان . ولما وقع ملك الافرنج في اسره ؛ اطلقه على ثلاثمائة الف ؛ وبنى بها البيمارستان المشهور في دمشق ، وجعله على كافة الناس من غني وفقير . وبنى بها ايضا المدرسة النورية ، ودار الحديث المار ذكرها .

قال ابن واصل : كان السلطان من أقوى الناس بدنا وقلبا ؛ وانه لم ير على ظهر فرس اشد منه ، كانما خلق عليه فلا يتحرك . وكان اذا حضر القتال اخذ قوسين وتركاشين وباشر القتال بنفسه ، وكان يقول : طالما تعرضت للشهادة فلم ادركها . قال الذهبي : قلت : وقد ادركها على فراشه . وبقي ذلك في افواه الناس تراهم يقولون : نور الدين الشهيد ، وما شهادته الا بالخوانيق ! ٥

قال ابن الجوزي : كان السلطان يخيط الكوافي ، ويعمل السكاكر ويعطيها للعجائز تبيعها له سرا ، وكان يوم يصوم يفطر على اثمانها .

قال ابن كثير : وكان يجلس يوم الثلاثاء بالمسجد المعلق الذي بالكشك ، ليصل اليه كل احد من المسلمين واهل الذمة . وقد عمد الى الاوقاف التي لايعرف واقفها ؛ ولاتعرف شروطهم فيها ؛ فاضافها الى اوقاف الجامع ، وجعلها قلما واحدا سماه قلم المصالح ؛ ١٠ ورتب منه مرتبا لذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والارامل والايتام ، وما اشبه ذلك .

قال الصلاح الكتبي في « تاريخه » : كان نور الدين يحلف بالله ان جميع ما بناه من المدارس والاوقاف والربط وغيره ، انما هو من مال المفاداة يوم قارم ، وليس فيها من بيت المال الدرهم الفرد . ١٥

هذا ما قصدناه من ترجمة نور الدين ومن اراد الزيادة فعليه « بالبرق الشامي » وغيره من مؤلفات العماد الكاتب ، و « بالروضتين » لأبي شامة ، و « الدر الثمين » و « الكواكب الدرية » للأسدي . ويجدر بي الآن ان اذكر حكاية قد تداولتها السن الناس ، فزادوا بها واكثروا ، وغيروا وبدلوا ، وكثيرا ما كنت اسمعها من والدي مغيرة مبدلة ، واداب في التنقيب عنها حتى ظفرت بها في كتاب « تحفة الأنام » للبصروي ، ٢٠ فنقلتها كما رايتها ، والعهدة على الراوي .

قال : ان السلطان نور الدين راى ليلة النبي صلى الله عليه وسلم في منامه يقول له : يا محمود ! الي من هذين ، واشار الى اثنين في زي العجم ؛ فاستيقظ من منامه فزعا مرعوبا . ثم تكررت الرؤيا ثلاثا ؛ فتحركت همته للسفر ، فاحضر الهجن وركبها مع فرقة قليلة من العسكر ، وسار مسرعا حتى وافى المدينة ، واظهر انه يريد الزيارة ؛ ٢٥ فزار المسجد وجلس لايدري ما ذا يصنع . فقال له وزيره : اتعرف الشخصين اذا

رأيتهما ؟ قال : نعم ! فطلب الناس للصدقة ، وفرق عليهم الذهب والفضة ، ثم قال : لايتخلف احد من أهل المدينة . فجاؤوا كلهم ، وقالوا له : لم يبق الا رجلان مجاوران من اهل الأندلس ، نازلان في الناحية التي تلي قبلي الحجرة ، خارج راس عمر بن الخطاب ، التي تعرف اليوم بدار العشرة . فطلبهما للصدقة ، فامتنعا ، وقالا : نحن على كفاية ما نقبل شيئا ! فجد في طلبهما ، فجيء بهما . فلما رآهما عرفهما ، وقال للوزير : هذان هما ! فسألهما عن حالهما ، وما جاء بهما ؟ فقالا : لمجاورة النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : اصدقاني ! وتكرر السؤال حتى افضى الحال الى معاقبتهما . فأقرا انهما من النصارى ، وانهما اتيا لكي ينقلا النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الحجرة الشريفة بالاتفاق مع ملوكهما . ووجدهما قد نقبا نقبا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي ، وهما واصلان الى جهة الحجرة ، وقد جعلا التراب في بئر عندهما في البيت الذي هما فيه . فضرب عنقيهما عند الشباك الذي في حجرة النبي صلى الله عليه وسلم خارج المسجد ؛ ثم احرقهما بالنار آخر النهار ، ثم ركب متوجها الى الشام . فصاح من كان نازلا خارج السور ، واستغاثوا ، وطلبوا ان يبني لهم سورا يحفظ ابناءهم ومواشيهم ؛ فامر ببناء هذا السور المجدد اليوم ؛ فبني سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وكتب اسمه على باب البقيع ؛ فهو باق الى اليوم . هذا ما قاله البصروي في « تحفته » والله اعلم .

المدرسة (النورية الصغرى)

هي بجامع قلعة دمشق . كذا في « تنبيه الطالب » . وقال العلموي : هي تجاه **قلعة دمشق** ، بناها السلطان نور الدين المتقدم . درس بها بهاء الدين بن عياش ، ثم بعده تسعة انفس ، آخرهم عماد الدين الطرسوسي .

اقول : أيا ما كانت ؛ فلم ار لمكانها اثرا ! فان كانت في جامع القلعة ، فلعلها كانت حلقة أو هي مقام الصحابي الجليل ابي الدرداء . وان كانت تجاه القلعة ؛ فاما ان يعني بها مدرسة دار الحديث النورية المتقدم ذكرها ، واما ان تكون ادخلت في الجامع المسمى الآن بسيدي خليل ؛ لأن بناءه يدل على انه مدرسة . واما ان تكون أيدي الزمان تلاعبت بها كما تلاعبت بغيرها ، فجعلتها دارا او دكانا او غير ذلك ، والله اعلم !

حرف اليـاء

المدرسة (اليغمورية)

قال في « تنبيه الطالب » : هي بالصالحية للحنفية ؛ ولم اقف على ترجمة بانيها . ولكن قال في « العبر » في حوادث سنة ثلاث وستين وستمائة : جمال الدين بن يغمور البارومي[1] ، ولد بالصعيد سنة تسع وتسعين وخمسمائة . وكان من اعيان الامراء ؛ ولي نيابة مصر ، ونيابة دمشق .

جمال الدين ابن يغمور ٥٦٩-٦٦٣

قال ابن كثير : دخل ابن يغمور دمشق من جهة الملك الصالح ايوب ؛ فنزل داخل باب الجابية ، وامر النائب بتخريب الدكاكين[2] المحدثة في وسط باب البريد ، وامر أن لايبقى فيه دكاكين سوى ما في جانبيه الى جانب الحائطين القبلي والشمالي ، وأن يهدم ما في وسط الطريق فهدم . ا.هـ

قال العدوي فيما كتبه زيادة على العلموي : اليغمورية هي بالسكة غربي الصالحية، بالقرب من خان السبيل من جهة الغرب بقبلة .

وقال ابن كثير أيضا : وفي السنة المذكورة أرسل الصالح ايوب الى نائبه ابن يغمور بدمشق أن يخرب دار اسامة المنسوبة الى الناصر ، وان يأتي بستانا بالقابون ، وهو بستان القصر ؛ فيقطع اشجاره، ويهدم القصر . ورأيت في «زيادات العدوي»: ان المدرسة اليغمورية تشتمل على حرم بشباكين مطلين على نهر يزيد ، وباب يفتح الى الشمال ، قدامه ثلاث قناطر ، وبشرقها ايوانان لطيفان ، وبئر ماء ينتفع الناس به ايام انقطاع النهر، وشمالي هذه القناطر الطريق السالك . وكانت لم تزل مغلوقة ، الى ان سكن الشيخ محمد بن رمضان الحنفي تلك المحلة ففتحها ودرس بها . انتهى

اقول : اما الآن فقد اندرست آثارها ، ولم يبق من اطلالها الا حجارة ضخمة في اساس ابنية بنيت على انقاضها ، قال لها المختلسون : كوني دورا ، فكانت ! واما خان السبيل ، فلم يزل موجودا الى الآن فسبحان الدائم الباقي ! وهذا آخر الكلام على مدارس الحنفية .

---

(1) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « البارومي » نقلا عن الذهبي في العبر .

(2) كذا في الاصل والاصح دكاكين .

الباب الخامس في مدارس المالكية

من الهمزة الى الراء مهمل

حـرف الزاي

(الزاويـة)

هي ملاصقة للمقصورة الحنفية في الجامع(1)الغربي من الجامع الاموي . والمقاصير قد تغيرت ، والاوضاع تلاشت ، وقد جاء زمن غير ذلك الزمن ؛ فلا حاجـة الى كثرة التنقيب عن امثال هذه المواضع بعد ما احترق الجامع مرارا ؛ واعتراه الهدم والحريق ايام تيمورلنك وغيره .

واقفهـا

صلاح الدين الأيوبي ٥٣٢-٥٨٩

اوقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب المشهور . ودرس بهـا جمال الدين ابن الحاجب ، وجماعة كثيرون .

ابـن الحاجب

هو ابو عمرو عثمان بن عمر بن ابي بكر بن يونس الرولي ، ثم المصري . قال ابن كثير في « تاريخه » في حوادث سنة ست واربعين وستمائة : كان ابوه حاجبا للامير عز الدين موسك الصلاحي ، وكان كرديا. واشتغل هو بالعلم ، وقرا القرآن ، وحرر النحو تحريرا بليغا ، وتفقه ، وساد اهل عصره ، وكان رأسا في علوم كثيـرة منهـا : الاصول ، والفروع ، والعربية ، والنحو ، والتصريف ، والعروض ، والتفسير ، وغير ذلك . وكان قد استوطن دمشق سنة سبع عشرة وستمائة ، ودرس بها للمالكية في الجامع ؛ حتى كان خروجه صحبة الشيخ عز الدين بن عبد السلام سنة ثمان وثلاثين فسار الى الديار المصرية ؛ فتوفي بالاسكندرية ، ودفن بالمقبرة التي بين المنارة والبلد .

(1) كذا في الاصل ، ولعلها الجانب .

قال ابو شامة : وكان من اذكى الأمة قريحة ، ثقة حجة ، متواضعا ، عفيفا ، كثير الحياء ، منصفا ، محبا للعلم واهله ناشرا له ، محتملا للأذى ، صبورا على البلوى ، وله « مختصر » في فقه مالك من احسن المختصرات ، و « مختصر » في أصوله استوعب فيه عامة فوائد الأحكام لسيف الدين الآمدي ، وله « الاماني في الحديث وفي النحو » ، وله « شرح المفصل للزمخشري » ، و « المقدمة » المشهورة في النحو اختصر فيها « المفصل وشرحه » ، وله « الشافعية وشرحها » ، وقصيدة في العروض على وزن «الشاطبية». ٥

وقال ابن خلكان في تاريخه : كان ابن الحاجب مالكيا ، واتقن علوم القرآن غاية الاتقان . ولما درس بجامع دمشق في زاوية المالكية ؛ اكب الخلق على الاشتغال عليه ، والتزم لهم الدروس . وتبحر في الفنون ، وكان الاغلب علم العربية . قال : وكل تصانيفه في غاية الحسن والافادة . وخالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم اشكالات والزامات تبعد الاجابة عنها . وكان من احسن خلق الله ذهنا . ثم عاد الى القاهرة واقام بها ، والناس ملازمون للاشتغال عليه . ثم انتقل للاسكندرية للاقامة بها ؛ فلم تطل مدته هناك ، وتوفي بها سنة ست واربعين وستمائة . وكان مولده في آخر سنة سبعين وخمسمائة باسنا وهي ، بفتح الهمزة وسكون السين المهملة ، بليدة صغيرة من اعمال القوصية بالصعيد الأعلى من مصر . ١٠ ١٥

حرف الشين

من الزاي الى الشين مهمل

المدرسة (الشرابيشية)

شهاب الدين الشرابيشي ٠٠٠–٧٣٤

عرف النعيمي مكانها بانها بدرب الشعارين لصيق حمام صالح ، شمالي الطوريين داخل باب الجابية . انشاها شهاب الدين ابن نور الدولة بن محاسن الشرابيشي التاجر السفار سنة اربع وثلاثين وسبعمائة . ٢٠

درس بها : تاج الدين الزواوي ، ثم صدر الدين البارزي .

قال البرزالي : وفي السنة المذكورة توفي احمد ابن نور الدولة المذكور ، ودفن بالمكان الذي أوقفه والده خارج الباب الصغير ، قبالة جامع جراح .

حـرف الصـاد

المدرسة (الصلاحية)

صلاح الدين الأيوبي

انشاها السلطان صلاح الدين بالقرب من البيمارستان النوري ؛ وسماها ابن قاضي شهبة بالنورية . وهي اليوم دور ومساكن ؛ وبابها يظهر في جدارها الجنوبي ، لكنه خفي ولسوف يزول .

ودرس بها أيام حياتها : جمال الدين المعروف بحمار المالكية ، ثم العلامة ابن الحاجب، ثم زين الدين الزواوي ؛ ثم جمال الدين الزواوي .

المدرسة (الصمصامية)

بمحلة حجر الذهب ؛ شرقي دار القرآن الوجيهية ، وقبلي المسرورية الشافعية ، وشمالي الخاتونية العصمية الحنفية . قال العلموي : وهي التي وضع يده عليها سنان الرومي ناظر البيمارستان في حدود ثماني وستين وتسعمائة . والآن لايعرف مكان الصمصامية . وقال المحبي في « تاريخه » في ترجمة احمد بن سنان صاحب التاريخ المشهور « بالقرماني » : قدم ابوه سنان الى دمشق ؛ وولي نظارة البيمارستان ، ونظارة الجامع الاموي . وانتقد عليه انه باع بسطا للجامع الاموي وحصراً ، وانه خرب مدرسة المالكية بالقرب من البيمارستان النوري وتعرف بالصمصامية وحصل به الضرر في مدرسة النورية ببعلبك ؛ فقتل بسبب هذه الامور هو وناظر السليمية حسين في يوم الخميس رابع عشر شوال سنة ست وستين وتسعمائة جميعا معا بدار السعادة بشاشيهما وعمامتهما على رأسهما . انتهى . فقول العلموي : سنة ثماني وستين سهو أو غلط من الناسخ . واما حجر الذهب فهو اسم لمحلة بالقرب من البيمارستان النوري كما في المحبي .

ووقف درسا عليها الصاحب شمس الدين غبريال سنة سبع عشرة وسبعمائة ؛ وتوفي سنة اربع وثلاثين وسبعمائة . ولم يذكر النعيمي ولا العلموي اسم بانيها .

قلت : والوجيهية ، والمسرورية ، والخاتونية ، والصمصامية صارت دورا ، وانمحت آثارها . فالتطويل في تراجمها لايجدي نفعا . وهذا آخر الكلام على مدارس المالكية .

الباب السادس في مدارس الحنابلة
حرف الجيم وما قبله مهمل

المدرسة (الجوزية)

هي بالبزورية المسمى قديما بسوق القمح . وقد اختلس جيرانها معظمها ، وبقي منها الى الآن بقية ؛ ثم صارت محكمة الى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الالف . ٥
وهي الآن مقفلة لا ندري ما يصنع بها الزمان فيما بعد .

ودرس بها : ابن المنجا ، والجمال المرداوي ، وابن قاضي الجبل ، والبرهان ابن مفلح وغيرهم .

قرات كتابة على حجر موضوع في اسكفة احدى حجراتها ؛ فاذا فيه : فرغ من عمل هذه المدرسة المباركة سنة اثنتين وخمسين وستمائة . تقبل الله من منشئها ١٠
الصاحب محي الدين رحمه الله تعالى .

ترجمة واقفها

محي الدين ابن الجوزي ٥٨٠–٦٥٦

يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله الجوزي القرشي البكري البغدادي ، الفقيه الاصولي ، الواعظ الشهيد . قرا بالروايات واشتغل بالفقه والخلاف والاصول ، وبرع في ذلك ، وكان امهر من ابيه فيه ، وابوه ابن الجوزي ١٥
المشهور . ووعظ في صغره على قاعدة ابيه ، وعلا امره ، وعظم شانه ، وولي الولايات الجليلة .

قال الذهبي : كان اماما كبيرا ، وصدرا معظما ، عارفا بالمذهب ، كثير المحفوظ ، ذا سمت ووقار ، درس وافتى وصنف . واما رياسته وعقله فمنقولان بالتواتر ، حتى ان الملك الكامل مع عظم سلطانه قال : كل احد يعوز زيادة عقل الا محي الدين ابن الجوزي ٢٠
فانه يعوز نقص عقل . وله تصانيف : منها « معادن الابريز في تفسير الكتاب العزيز » ، ومنها « المذهب الاحمد في مذهب احمد » .

قال برهان الدين بن مفلح في « المقصد الارشد » : ولما دخل هولاكو ملك التتار الى بغداد ، فقتل الخليفة المستعصم وغالب أولاده ، وقتل معه أعيان الدولة والامراء

وشيخ الشيوخ ، وقتل المترجم وأولاده الثلاثة ، وذلك في صفر سنة ست وخمسين وستمائة بظاهر سور كلواذا .

وقال ابن كثير : كان المترجم انجب أولاد الحافظ ابن الجوزي ، واصغرهم . وعظ بعد ابيه ، واشتغل وحرر واتقن ، وساد اقرانه ؛ وباشر حسبة بغداد ، وكان رسول الخليفة الى الملوك باطراف البلاد ولاسيما الى بني أيوب بالشام ؛ فحصل منهم من الاموال والكرامات ما ابتنى منها المدرسة الجوزية التي بدمشق . ثم صار أستاذ دار الخليفة المستعصم سنة اربعين وستمائة ؛ واستمر مباشرها الى أن قتل مع الخليفة . وله نظم حسن . ومدرسته التي في دمشق من احسن المدارس ، وقد احترقت في سنة عشرين وثمانمائة على ما ذكره ابن قاضي شهبة ؛ ثم اعاد عمارتها القاضي شمس الدين النابلسي ، وبها اعادة ، وقراءة حديث ، وامامة .

والذي علم من وقفها : نصف دير أبي عصرون، قرية عند القصير ، وفدانان بقرية بالا، وارض بقرية بلدا .

وترجمه الحافظ ابن رجب وأطال في مدحه بالعلم والفضل ، واورد شيئا من اشعاره في الغزل ، وقال : ولي تدريس المستنصرية . وذكر من مؤلفاته زيادة عما تقدم ، كتاب « الايضاح في الجدل » .

حادثة بغداد

هي الحادثة الفظيعة ، وان كان محلها القسم السياسي ؛ فاننا نذكرها هنا مختصرة حسبما رواها عبد الرحيم بن شقدة في « مختصر شذرات الذهب » لتعلقها بترجمة ابن الجوزي ، ونترك بسطها وايضاحها الى محلها فنقول : ان الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء بالعراق كان قد استوزر ابن العلقمي ، وكان على ما ذكره المؤرخون رافضيا . وفي ايامه اهينت الرافضة بالنهب وضياع الحقوق . فحقد ابن العلقمي لذلك ، واضمر في نفسه ان يبدل الخلافة العباسية بخلافة علوية ؛ فجعل يرسل اخاه ومملوكه الى هولاكو ، ويشوقه الى امتلاك بغداد ، على ان يكون نائبا له عليها . ففطن لذلك لؤلؤ صاحب الموصل ، فاخذ يهيء للتتار الاقامات والمقابلة ، ويراسل الخليفة سرا . فكان ابن العلقمي يخفي المكاتبات ، ولا يطلع الخليفة عليها . وعلى فرض اطلاعه عليها ، فانه لايجدي نفعا لقلة رايه وتغفله ، ورد جميع اموره الى وزيره . ولما نجحت حيلة ابن العلقمي ؛ بعث ولد محي الدين ابن الخوارزمي رسولا الى هولاكو يعده بالاموال والغنائم .

فركب في مائتي الف من التتار والكرج ، ومدد من صاحب الموصل مع ولده الصالح اسماعيل . فخرج ركن الدين الدوادار وتقابلا ، فكانت الكسرة للعساكر البغدادية . ونزل جيش هولاكو في شرقي بغداد ، فاضطرب الخليفة لذلك ، واستشار ابن العلقمي ؛ فاشار عليه بان يرسله اليهم لتقرير الصلح . فخرج ، وتوثق لنفسه ، ورجع فقال : ان الملك قد رغب في أن يزوج ابنته بابنك الامير أبي بكر ، وان تكون الطاعة له ، كما كان أجدادك مع الملوك السلجوقية ، ثم يترحل . فراجت المكيدة على المستعصم ، وخرج في اعيان الدولة . ثم استدعى الوزير العلماء والرؤساء ليحضروا العقد ، فخرجوا ؛ فضربت رقاب الجميع ، وصار كلما خرجت طائفة تضرب اعناقهم ، حتى بقيت الرعية بلا راع . فلما خلا الجو للتتار ، دخلوا بغداد ، وبذلوا السيف في اهلها ؛ فاستمر القتل والسبي نحو اربعين يوما ، ولم يسلم الا من اختفى في بئر او قناة . وقتل الخليفة رفسا . ويقال : ان هولاكو امر بعدّ القتلى ؛ فبلغ عددهم الف الف وثمانمائة الف وزيادة . وبعد هذه المقتلة ، نودي بالامان . وقال سبط التعاويذي في بعض مراثي بغداد :

بادت واهلوها معا فبيوتهم ببقاء مولانا الوزير خراب

وما ينفع الندب بعد فقد الميت ، والعويل بعد الخراب والدمار ! ولما فرغ هولاكو من فناء اهل بغداد ، اقام نوابا على العراق . وكان ابن العلقمي حسن لهم أن يجعلوا خليفة علويا ، فلم يوافقوه ، واطّرحوه ، وعاملوه معاملة بعض الغلمان ، الى ان مات حزنا واسفا ، وتلك عاقبة الخيانة . ثم ان هولاكو ارسل الى الناصر كتابا يتهدده فيه ، ويقول له : اجب ملك البسيطة ، ولا تقولن : قلاعي المانعات، ورجالي المقاتلات ! وجرت امور طويلة نستوفيها في القسم السياسي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

الجمال المرداوي

الجمال المرداوي ٧٠٠-٧٦٩

من مدرسي الجوزية يوسف بن محمد بن عبدالله بن محمد بن محمود المرداوي . قال في «المقصد الأرشد» : كان اماما عالما علامة ، صالحا خاشعا ، اشتغل بالحديث والفقه والعلوم ، وباشر وظيفة قضاء الحنابلة بالشام سبع عشرة سنة .

قال الذهبي في « المعجم المختص » : هو الامام المفتي الصالح ، امام في المذهب ،

وله اعتناء بالمتن والاسناد . وقال ابن حجي : كان عفيفا ورعا ، صالحا ناسكا خاشعا ، ذا سمت ووقار ، ولم يغير ملبسه وهيئته ، يركب الحمار ، ويفصل الحكومات بسكون ولا يحابي احدا ، ولايحضر مع النائب يعني الوالي الا يوم دار العدل ، واما في العيد والمحمل فلا يركب . وكان مع ذلك عارفا بالمذهب ، لم يكن في الحنابلة في وقته مثله، مع فهم وكلام جيد في النظر والبحث ، ومشاركة في اصول وعربية . وجمع كتابا في احاديث الاحكام حسنا سماه « الانتصار » ، وبوبه على ابواب « المقنع » . توفي سنة تسع وستين وسبعمائة . وحكى في « مختصر الشذرات » ان له كتابا سماه « الواضح الجلي في نقض حكم ابن قاضي الجبل الحنبلي » وذلك انه اختار جواز بيع الوقف لمصلحة ، وحكم به .

وترجمه ابن حبيب في « تاريخه » فقال : هو عالم ، علمه زاهر وبرهان على الدين ، ورعه ظاهر ، وامام تتبع طرائقه ، وتغتنم ساعاته ودقائقه ، الى ان قال : صنف ، وناظر وافاد ، وكان ذا حظ من زهد وتعفف ، مع صيانة وورع ودين متين .

ابن قاضي الجبل

ابن قاضي الجبل ٦٩٣-٧٧١

من مدرسي الجوزية ايضا احمد بن الحسن بن عبد الله بن ابي عمر محمد بن احمد ابن قدامة . قال البرهان ابن مفلح في « المقصد الارشد » : هو الشيخ العلامة جمال الاسلام صدر الأئمة الأعلام ، شيخ الحنابلة ، المقدسي الاصل ، ثم الدمشقي المعروف بابن قاضي الجبل ، كان مولده على ما كتب بخطه يوم الاثنين تاسع شعبان سنة ثلاث وتسعين وستمائة . كان من اهل البراعة والفهم ، متقنا عالما بالحديث وعلله ، والنحو واللغة ، والاصلين ، والمنطق ، وكان له في الفروع القدم العالي . قرا على الشيخ تقي الدين شيخ الاسلام احمد بن تيمية عدة مصنفات في علوم شتى ، منها « المحصل » للرازي ، واذن له الشيخ بالافتاء وهو شاب ، ودرس بعدة مدارس في مصر والشام ، وصار رئيسا على اقرانه ، انتهى ملخصا . وقال ابن كثير : ولي القضاء ، ولم تحمد مباشرته ، ولافرح به صديقه ، بل شمت به عدوه . وباشر القضاء دون الاربع سنين الى ان مات وهو قاض . وقال ابن مفلح : كان عنده مداراة وحب للتعصب . وذكره الذهبي في « معجمه » فقال فيه : هو مفتي الفرق ، سيف المناظرين . وبالغ ابن رافع وابن حبيب في مدحه . وكان فيه مزح ، وانكاء في البحث ، ومن انشاده وهو في القاهرة :

الصالحية جنة		والصالحون بها اقاموا
فعلى الديار واهلها		مني التحية والسلام

وله ايضا :

نبي أحمد وكذا امامي		وشيخي احمد كالبحر طامي
واسمي أحمد وبذاك ارجو		شفاعة سيد الرسل الكرام	٥

وكان يقول : أحفظ عشرين الف بيت من الشعر . وله اختيارات في مذهب احمد، والف كتابا فيه سماه « الفائق » ، وشرح « المنتقى » للمجد ابن تيمية ، ولم يتمه . والف كتابا في الأصول لم يتمه ايضا . توفي بمنزله بالصالحية رابع عشر رجب سنة احدى وسبعين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة جده أبي عمر .

١٠	وترجمه في « شذرات الذهب » بنحو ما تقدم ، ثم قال : وله عدة مصنفات، منها كتاب « المناقلة في الأوقاف وما في ذلك من النزاع والخلاف » . وتبعه على ذلك جماعة، وكلهم تبعوا الشيخ تقي الدين بن تيمية .

شمس الدين النابلسي

شمس الدين النابلسي
٠٠٠-٨٠٥

ومن مدرسيها محمد بن احمد بن محمود النابلسي . قال في « المقصد الارشد »: ١٥ قرا العربية واحكمها ، والفقه ، وجد في طلب العلم ؛ واشتهر امره ، وعلا صيته ، وكان له معرفة تامة ، وكتابة حسنة . ولم يزل يترقى حتى عزل قاضي القضاة ابن المنجا ، وجلس مكانه . وكانت له حلقة لاقراء العربية يحضرها الفضلاء . درس بدار الحديث الاشرفية والحنبلية ، وله حرمة عظيمة ، وأبهة زائدة . لكن باع من الأوقاف كثيرا . توفي خمس وثمانمائة ، ودفن بالصالحية . انتهى ملخصا .

٢٠	وقال ابن حجي : ولم يكن بالرضي في شهاداته ، ولا في قضائه ، وباع كثيرا من الاوقاف بدمشق . قيل : انه ما بيع من الاوقاف في الاسلام مثل ما بيع في ايامه ، وقل ما وقع منها شيء صحيح في الباطن ، وفتح على الناس بابا لاينسد ابدا . ولما جاء تيمورلنك ؛ دخل مع أعوانه في أمور منكرة ؛ ونسب اليه اشياء قبيحة من السعي في اذى الناس واخذ اموالهم .

عز الدين الخطيب

عز الدين الخطيب
٠٠٠–٨٢٠

من مدرسيها ، محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد الخطيب . قال ابن مفلح : هو الشيخ الامام العلامة ، قاضي القضاة ، خطيب الجامع المظفري ، تفقه في مذهب احمد ، وكان خطيبا بليغا ، له مؤلفات حسنة ، وله كتاب « النظم المفيد الأحمد في مفردات ٥ مذهب الامام احمد » . ناب في القضاء عن ابن المنجا ، وتوفي سنة عشرين وثمانمائة .

وقال ابن شقدة في « مختصر الشذرات » : حفظ المترجم « المقنع » ، وبرع في الفقه والحديث ، واخذ عن الحافظ ابن رجب ، وكان له النظم الرائق ، والف مؤلفات حسنة .

القاضي عز الدين

القاضي عز الدين
٠٠٠–٨٤٦

من مدرسيها ، عبد العزيز بن علي بن العز بن عبد العزيز بن عبد المحمود ، العالم ١٠ المفسر ، قاضي القضاة عز الدين ، البغدادي الأصل ثم المقدسي . اعتنى بالوعظ ، وكان يستحضر كثيرا من « تفسير البغوي » ، واعتنى بعلم الحديث ، وله مشاركة في الفقه والحديث . اشتغل ودرس وكتب على الفتاوى يسيرا ، وله مصنفات منها : انه اختصر « المغني » ، وشرح « الشاطبية » ، وصنف في المعاني والبيان ، وجمع كتابا سماه « القمر المنير في احاديث البشير النذير » . ولي بعد الفتنة قضاء بيت المقدس ، وطالت مدته ١٥ وجرى له فصول . ثم ولي قضاء دمشق مدة مديدة ، ثم صرف عنه ، وولي تدريس المؤيدية . ثم ولي قضاء مصر مدة ، ثم ولي قضاء دمشق ، وكان منظورا لم تحمد سيرته في القضاء . توفي سنة ست واربعين وثمانمائة . قاله ابن مفلح .

وقال عنه ابن شقدة : قاضي الاقاليم ، وسمي بذلك لانه تولى قضاء بغداد ، والعراق ، وبيت المقدس ، ومصر ، والشام . قال : وكان فقيها دينا ، عديم التكلف في ٢٠ ملبسه ومركبه ، له معرفة تامة . ولما ولي قضاء مصر ، صار يمشي لحاجته في الاسواق ويردف عبده على بغلته ، وأشياء من هذا النسق . وكان جميع ولاياته من غير سعي . قاله العليمي .

برهان الدين ابن مفلح

برهان الدين ابن مفلح
٨١٠–٨٨٤

من مدرسيها ، صاحب « المقصد الأرشد » ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ٢٥ ابن مفلح بن محمد بن مفلح . بالغ عبد الحي بن العماد في « شذرات الذهب » في مدحه ،

فقال عنه : الشيخ الامام ، البحر الهمام ، العلامة القدوة الرحلة ، الحافظ مجتهد الامة، شيخ الاسلام ، سيد العلماء والحكام ، الى غير ذلك من القاب المدح ؛ الى ان قال : باشر قضاء دمشق مرارا ، وصنف « المبدع شرح المقنع » في الفقه ، و « المقصد الارشد في طبقات أصحاب الامام احمد » مرتبة على حروف المعجم ، وصنف كتابا في الأصول . توفي سنة اربع وثمانين وثمانمائة . انتهى . ٥

ورايت بخط حفيده محمد بن ابراهيم بن عمر ابن المترجم ، ترجمته في آخر « الطبقات » ، فقال ما ملخصه : مولده سنة عشرة وثمانمائة في دار الحديث العالمة قبالة الجامع الافرم ، وحفظ القرآن و « المقنع » و « الغيتي ابن مالك والعراقي » و « الانتصار » و « مختصر ابن الحاجب » الاصولي . ومن مشايخه : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وابن نصر الله . وصار اليه المرجع ، وسلم اليه العلماء من اصحاب المذاهب، وكان المعول عليه . لم ذكر من مؤلفاته : « المبدع » و « الطبقات » و « مرقاة الوصول الى علم الأصول » . وسود في الفروع والاصول ، والنحو وغيرها شيئا كثيرا . مات قبل تبييضها . انتهى . ١٠

وقال الأسدي في « تاريخه » : هو افضل اهل مذهبه في عصره ؛ ودرس بمدرسة ابي عمر ، وبدار الحديث الأشرفية وكان بها منزلة ؛ وبمدارس كثيرة . ١٥

حـرف الجيـم

المدرسة (الجاموسية)

قال النعيمي : هي غربي العقيبة بدمشق ، لم اعرف واقفها . وحكى نظام الدين ابن مفلح ان وقفها على الحنابلة . وقال يوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد : ان الاخبار تواترت بذلك ، وان الوقف عليها : الثلث من الحانوت بالعقيبة الكبرى ؛ والبستان المعروف بالطبرزية ، وجنينة الرصاص ، ومحاكرة الجنينة بمساطب الطرق ؛ ومحاكرة البستان بقرية جسرين ، ومحاكرة تمر ابن الامير وابن الرملي جوار المدرسة ؛ والمحاكرة جوارها باسم ابن نور الدين؛والبستان فوق حمام الورد . انتهى. قال العلموي : قلت : قد تسلط عليها محمود ولد تاج الدين السلطي ، وفكها تطعـمها ! ٢٠

حـرف الشين

المدرسة (الشريفية الحنبلية)

كانت عند القباقبية العتيقة المعروفة اليوم بالعمارة ، بالقرب من الجامع الاموي. وقرات بهامش « طبقات الحنابلة لابن رجب » ، عند ترجمة بانيها ما صورته :

٥ وهذا عبد الواحد هو باني المدرسة الحنبلية داخل باب الفراديس ، وهي سكن الشيخ محمد الاسطواني يومئذ وهي سنة ٩٧١ مع سبق سكناه بها من حدود ٩٤٥ . انتهى . وهي الآن لا اثر بها ولعلها صارت دورا للسكنى . قال النعيمي : والوقف عليها : البستان والحصة في الحولة ، وارض في جهة حلبون وعسال . ثم ان الشيخ شعيب ابن ميكاليل التركماني الجاكيري كان رجلا حنبليا مباركا صالحا ، اتجر بالكتب مدة ، ١٠ ثم ضعف وعجز عن الحركة ، فاشترى بما كان معه ملكا ووقفه على نفسه ، ثم على المدرسة الحنبلية ، وتوفي سنة سبعمائة واثنين وثلاثين . قال : ولا تغتر بقول ابن شداد حيث قال : مدرسة شيخ الاسلام اخي صلاح الدين يوسف بن ايوب بالقرب من مدرسة الرواحية داخل باب الفراديس . انتهى . فانه نسب الحنبلية لغير اهلها !

ترجمة واقفهـا

شرف الاسلام الشيرازي ...–٥٣٦

١٥ قال في « شذرات الذهب » ما مختصره : وفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة توفي شرف الاسلام عبد الوهاب ابن الشيخ ابي الفرج الحنبلي عبد الواحد بن محمد الانصاري الشيرازي ثم الدمشقي ، الفقيه الواعظ ، شيخ الحنابلة بالشام بعد والده ، ورئيسهم ، وهو باني المدرسة الحنبلية داخل باب الفراديس .

وقال ابن رجب في « الطبقات » : توفي والد عبد الوهاب وهو صغير ، فاشتغل ٢٠ بنفسه ، وتفقه وبرع ، وناظر وافتى ، ودرس الفقه والتفسير ، ووعظ ، واشتغل عليه خلق كثير . وكان فقيها بارعا ، وواعظا نافعا ، وصدرا معظما ، ذا حشمة وحرمة ، وسؤدد ورياسة ووجاهة ، وهيبة وجلالة ، كان ينشد على الكرسي في جامع دمشق اذا طاب وقته :

سيدي علل الفؤاد العليلا ... واحيني قبل ان تراني قتيلا

٢٥ ان تكن عازما على قبض روحي ... فترفق بها قليلا قليلا

وله تصانيف في الفقه والأصول ، منها « المنتخب في الفقه » مجلدان ، و« المفردات » و « البرهان » وغير ذلك. انتهى

ولما بنى مدرسته الحنبلية ، جرى له امور في بنائها . ووالده هو الذي نشر مذهب احمد في القدس والشام . قال ابن مفلح : والاشهر انه من ولد سعد بن عبادة رضي الله عنه . ٥

ابن المنجـا

ابن المنجا ٠٠٠-٦٤١

من مدرسيها ، عثمان بن اسعد بن المنجا بن بركات بن الموصل التنوخي الفقيه . اخذ عنه ابن الحاجب وغيره ، وكان تاجرا ذا مال وثروة ، توفي سنة احدى واربعين وستمائة[1] . وقال الحسيني في « الذيل » : برع في علوم كثيرة اصولا وفروعا وعربية وتفسيرا ، وصنف في الأصول ، وشرح « المقنع » ، وله تعاليق في التفسير . ١٠ انتهى .

وقال غيره : انتهت اليه رياسة مذهب أحمد ، مع التبحر في العربية وغيرها من العلوم ، واخذ النحو عن ابن مالك ؛ وسئل ابن مالك شرح كتابه « الخلاصة » فقال : شرحها لكم ابن المنجا . وجلس في الجامع للفتوى نحو ثلاثين سنة . .

ابن شيخ السلامية ١٥

ابن شيخ السلامية ٧١٦-٧٦٩

من مدرسيها ، حمزة بن موسى بن احمد بن الحسين بن بدران . قال في « المقصد الأرشد » : هو العلامة المعروف بابن شيخ السلامية ، درس بالحنبلية وبمدرسة السلطان حسن ، وافتى ، وصنف تصانيف عدة ، منها كتاب « الاستدراك على اجماع ابن حزم » وشرح « منتقى الأحكام » للمجد ابن تيمية ، ولم يكمل . وكان له اطلاع جيد ، ونقل مفيد على مذاهب العلماء المعتبرين ، واعتناء جيد بمنصوص احمد ، ٢٠ وفتاوى تقي الدين بن تيمية ، وله فيه اعتقاد صحيح ، وقبول لما يقوله ، وينصره ويوالي عليه ، ويعادي فيه .

---

(١) ذكر النعيمي في « الدارس » نقلا عن السيد الحسيني رحمه الله في « ذيل العبر » ان زين الدين عثمان بن المنجا ولد سنة احدى وثلاثين وستمائة ، وتوفي سنة خمس وتسعين وستمائة .

قال ابن قاضي شهبة : ووقف درسا بتربته بالصالحية ، وكتبا ، وعين لذلك الحافظ ابن رجب . توفي سنة تسع وستين وسبعمائة ، ودفن عند جامع الأقرم بتربته .

وقال الصلاح الصفدي في « تاريخه » : ان المترجم ينسب الى الفتح بن خاقان وزير المتوكل ، توفي والده وهو في الجيش يباشر مشارفته بدمشق . ثم ان الأمير تنكز اخذ منه مبلغ مائة الف درهم فيما اظن من غير ذنب ولا جناية ، لكن نقم على والده . فترك المترجم المناصب ، وزهد فيها ، واقبل على العلم الى ان صار علامة في المنقول ومذاهب الناس ، وشرح « مراتب الاجماع » لابن حزم في عشرة اسفار ، واستدرك عليه قيودا اهملها ، وحسبك بمن يستدرك على ابن حزم ! وشرح « احكام مجد الدين » في مجلدات كثيرة .

الحافظ ابن رجب

الحافظ ابن رجب ٧١٦–٧٦٩

من مدرسيها ، عبد الرحمن بن احمد بن رجب ، العلامة الحافظ الزاهد ، شيخ الحنابلة ، البغدادي ، قدم به والده من بغداد الى دمشق وهو صغير ، ولازم ابن النقيب والنووي وغيرهم ، واشتغل بسماع الحديث ، وشرح « الترمذي » و « الاربعين النووية » وزادها الى الخمسين ، وشرح مازاده ، وشرع في كتاب سماه « فتح الباري شرح البخاري » ، ونقل فيه كثيرا من كلام المتقدمين ولم يتمه . وله كتاب « اللطائف في الوعظ » وكتاب « اهوال القبور » وكتاب « التخويف من النار والتعريف بدار البوار » و « القواعد الفقهية » و « اختيار الاولى شرح حديث اختصام الملا الأعلى » و « نور الاقتباس من مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس » وله « الذيل على طبقات القاضي ابي يعلى » و « غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع » وغير ذلك . وكان لايعرف شيئا من امور الناس ، ولايتردد على احد من ارباب الولايات ، وكان يسكن المدرسة السكرية بالقصاعين . توفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة بأرض الحميرية ببستان كان استاجره ، ودفن بباب الصغير .

وقال في « شذرات الذهب » : كانت مجالس تذكيره للقلوب صادعة ، وللناس نافعة ، اجتمعت الفرق عليه ، ومالت القلوب بالمحبة اليه .

وقال ابن حجي : اتقن المترجم فن الحديث ، وصار اعرف عصره بالعلل وتتبع الطرق، تخرج به غالب الحنابلة بدمشق .

حرف الصاد

مدرسة (الصاحبة)

هي بسفح قاسيون من الشرق ، وهي الآن معروفة مشهورة في حارة الأكراد ، وبناؤها عظيم يدل على الابهة والجلالة ، وهي من الآثار التي تدل على ارتقاء الفن المعماري في ذلك الزمن . ٥

قال النعيمي : والذي علم من وقفها : غالب قرية جبة عسال ، والبستان الذي تحت المدرسة ، والطاحون ، وحكورة غالب تلك الحارة في جوارها .

قال ابن كثير : وكان في خدمة الواقفة الشيخة الصالحة العالمة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي ، وكانت فاضلة لها تصانيف ، وهي التي ارشدتها الى وقف المدرسة الصاحبة على الحنابلة ، ثم صودرت لأجلها . ١٠

وقال الصفدي بعد أن ذكر ما تقدم : حصلت منها اموالا عظيمة ، واشارت عليها ببناء المدرسة ؛ فبنتها ، ووقفتها على الناصح والحنابلة ، ودفنت بمدرستها تحت القبو . ولقيت العالمة شدائد ؛ فحبست ثلاث سنين بالقلعة . انتهى . وتزوجها الاشرف صاحب حمص ؛ فسافرت معه الى الرحبة وتل ناشر ، ثم توفيت ، ووجد لها بدمشق جواهر وذخائر نفيسة تقارب ستمائة الف درهم غير الأملاك والاوقاف . ١٥

وقال ابن مفلح في ترجمة الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد الشيرازي الأنصاري : ان الصاحبة ربيعة خاتون لما بنت له المدرسة درس بها ، وكان يوما مشهودا ، وحضرت الواقفة من وراء ستر . وقال ايضا : كان الناصح فقيها واعظا ، شرع في الاشتغال بالعلم ، ورحل الى بغداد واصبهان والموصل وبلاد كثيرة لاخذ العلم ، وحضر فتح بيت المقدس مع السلطان صلاح الدين ، وانتهت اليه رئاسة المذهب بعد الشيخ موفق الدين عبد الله بن قدامة ، وكان يساميه في حياته ، وبينهما ٢٠

مراسلات ، وله مصنفات . توفي سنة أربع وثلاثين وستمائة بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون . ومن مصنفاته ، كما في « طبقات ابن رجب » و « شذرات الذهب » : كتاب « أسباب الحديث » في مجلدين ، وكتاب « الاستغفار بعن لقيهم من صالحي العباد في البلاد » وكتاب « الانجاد في الجهاد » . وقال الدبيثي في « تاريخه » : له خطب ، ٥ ومقامات ، وكتاب « تاريخ الوعاظ » ، وكان حلو الكلام ، جيد الايراد ، مهيبا صارما ، وكان رئيس المذهب في زمنه في دمشق .

العالمة امة اللطيف

العالمة امة اللطيف ٠٠٠-٦٤٠

من الأسف أن مؤرخينا لم يعتنوا بتراجم النساء الفاضلات ، ولم اظفر من ترجمة هذه الفاضلة الا بما ذكره ابن شقدة في « مختصر الشذرات » ؛ فانه قال : وفي تربة ١٠ بني الشيرازي دفنت أمة اللطيف صاحبة التصانيف ، من جملتها : كتاب « التسديد في شهادة التوحيد » ، وكتاب « بر الوالدين » . وانشات دارا بالقرب من هذه التربة ، بالصف القبلي من الطريق الآخذ لجامع الافرم قبل أن تصل الى مدرسة الناصرية بشيء يسير ، ومنقوش اسمها واسم والدها الشيخ عبد الرحمن على اسكفة احد ابوابها ، وجعلت هذه الدار دار حديث ، وتوفيت في رجب سنة نيف واربعين وستمائة . وقيل : ١٥ دفنت بالمدفن المواجه لخان السبيل ، بالقرب من التربة ، وعلى مدفنها قبة عظيمة العمارة ، ملاصق ذلك للطريق الآخذ الى نهر يزيد لمن ورد النهر وهو الأصح .

ترجمة الواقفة

ربيعة خاتون ٠٠٠-٦٤٣

انشأتها ربيعة خاتون الصاحبة اخت صلاح الدين والعادل . قال ابن شقدة : توفيت وقد نيفت على الثمانين ، ودفنت بمدرستها ، وكانت وفاتها سنة ثلاث واربعين ٢٠ وستمائة .

ابن عبد القوي

ابن عبد القوي ٠٠٠-٦٩٩

من جملة المدرسين في الصاحبة ، محمد بن عبد القوي بن بدران المقدسي الفقيه المحدث . كان من العلماء الاعلام ، درس وأفتى وصنف ، وتخرج به جماعة ، وقرأ عليه

العربية شيخ الاسلام ابن تيمية ، وله مؤلفات اكثرها منظومة ، منها : « منظومة الآداب كبرى وصغرى » ؛ وله كتاب « النعمة في الفقه » جزآن ، و « الفرائد في الفقة » على حرف الدال في خمسة آلاف بيت ، وكتاب « المفردات » نظم فيه المسائل التي انفرد بها الامام احمد عن سائر الائمة ، وتبلغ الف مسألة ؛ توفي سنة سبع وتسعين وستمائة

٥

المدرسة (الصدرية)

كانت بدرب يقال له : درب الريحان ، بجوار تربة القاضي جمال الدين المصري . ويؤخذ من كلام الذهبي ان محلها كان دارا للواقف ، فجعلها مدرسة ، ووقف لها اوقافا ، ودفن بها .

قلت : وتربة الجمال المصري هي عند القبور التي يزعم الناس ان من جملتها قبر معاوية ، ولا مدرسة هناك اليوم . والمحقق ان الصدرية محيت آثارها وصارت دورا ! ١٠

ترجمة واقفها

صدر الدين ابن المنجا
٥٩٨–٦٥٧

انشاها اسعد بن عثمان بن اسعد بن المنجا التنوخي ثم الدمشقي .

قال الذهبي : كان رئيسا محتشما متمولا ، ووقف داره مدرسة تسمى الصدرية على الحنابلة ، ووقف عليها ، ودفن بها . اعتنى بالحديث . ولي نظر جامع بني امية ، وثمر له اموالا كثيرة ؛ وله آثار حسنة . توفي سنة سبع وخمسين وستمائة . ١٥

افاضل مدرسيها :

ابن عبد الهادي

ابن عبد الهادي
٧٠٥–٧٤٤

من مدرسيها ، محمد بن احمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي ابن يوسف بن محمد بن قدامة الجماعيلي ثم الصالحي ؛ الفقيه المقرىء الحافظ ، النحوي المتفنن . ٢٠

قال ابن مفلح : عني بالحديث وفنونه ، ومعرفة الرجال والعلل ، وبرع في أصل الدين

وأصل الفقه ، ولازم شيخ الاسلام ابن تيمية ، واخذ عن الذهبي ، وله مصنفات كثيرة في فنون شتى . توفي سنة اربع واربعين وسبعمائة .

قال الحسيني في « ذيل العبر » : كان المترجم من اجل اصحاب ابن تيمية . وسمعت شيخنا الذهبي يقول : والله ما اجتمعت به قط الا استفدت منه . انتهى .

٥ ومن مؤلفاته : « تنقيح التحقيق في احاديث التعليق » مجلدان ، « الاحكام الكبرى » سبع مجلدات ، « الرد على الخطيب » مجلد ، « المحرر في الأحكام » مجلد ، « فصل النزاع بين الخصوم في الكلام على حديث أفطر الحاجم والمحجوم » ، « شرح الفية ابن مالك » ، وله غير ذلك من الأجزاء يطول سردها ، وقد استوفاها الحافظ ابن رجب في ترجمته من « الطبقات » .

ابن ابن القيم ١٠

ابن ابن القيم ٧١٩-٧٦٧

من مدرسيها ، ابراهيم بن محمد بن ابي بكر بن ايوب ابن الامام المعروف بابن القيم . اشتغل في انواع العلوم ، وافتى ، ودرس ، وناظر ، ودرس بالصدرية والتدمرية ، وله كتاب « ارشاد السالك الى حل الفية ابن مالك » ، وكان له اجوبة مسكتة . توفي سنة سبع وستين وسبعمائة .

ابن القيم ١٥

ابن القيم ٦٩١-٧٥١

محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد بن جرير الزرعي ثم الدمشقي ، الفقيه الأصولي المفسر ، النحوي العارف ، الشهير بابن قيم الجوزية . ولد سنة احدى وتسعين وستمائة .

قال ابن رجب ما حاصله : تفقه في المذهب وبرع ، وافتى ، ولازم شيخ الاسلام ٢٠ ابن تيمية واخذ عنه ، وتفنن في علوم الاسلام ، وكان عارفا بالتفسير لايجارى فيه ، وباصول الدين ، واليه فيهما المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لايلحق في ذلك ، وبالفقه واصوله ، وبالعربية وله فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام وغير ذلك ، وعالما بعلم السلوك ، وكلام اهل التصوف واشاراتهم ودقائقهم ، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى .

قال الذهبي في « المختص » : عني بالحديث ومتونه وبعض رجاله ، وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره ، وفي النحو ويدريه ، وفي الأصلين . وقد حبس مدة لانكاره شد الرحيل الى قبر الخليل ، وتصدر للاشتغال ونشر العلم .
قلت : وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة الى الغاية القصوى ، وتأله ولهج بالذكر ، وشغف بالمحبة والانابة ، والافتقار الى الله والانكسار له ، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته . لم اشاهد مثله في ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علما ، ولا اعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق القرآن منه ، وليس هو بالمعصوم ، ولكن لم ار في معناه مثله . وقد امتحن وأوذي مرات ، وحبس مع شيخ الاسلام في المرة الأخيرة بالقلعة منفردا عنه ، ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ . وكان في مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ، ففتح الله عليه من ذلك خيرا كثيرا ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم اهل المعارف ، والدخول في غوامضهم ، وتآليفه ممتلئة بذلك .

وقال برهان الدين الزرعي عنه : ما تحت اديم السماء أوسع علما منه ، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره ، فمن تصانيفه : « تهذيب سنن ابي داود » وايضاح مشكلاته والكلام على ما فيه من الأحاديث المعلولة مجلد ، كتاب « سفر الهجرتين وباب السعادتين » مجلد ضخم ، كتاب « مراحل السائرين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين » مجلدان وهو شرح منازل السائرين ، كتاب « الكلم الطيب والعمل الصالح » ، كتاب « شرح اسماء الكتاب العزيز » ، كتاب « رد المسافرين الى منازل السعداء » ، كتاب « زاد المعاد في هدي خير العباد » اربع مجلدات ، كتاب « حلي الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام » ، كتاب « بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل » ، كتاب « نقد المنقول والمحل المميز بين المردود والمقبول » ، كتاب « أعلام الموقعين عن رب العالمين » ثلاث مجلدات ، كتاب « بدائع الفوائد » مجلدان ، « الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية » وهي النونية مجلد ، كتاب « الصواعق المنزلة على الجهمية المعطلة » مجلدان ، كتاب « حادي الارواح » مجلد ، كتاب « نزهة المشتاق وروضة المحبين » مجلد ، كتاب « الداء والدواء » ، كتاب « تحفة المودود في احكام المولود » ، كتاب « مفتاح دار السعادة » ، كتاب « اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو الفرقة الجهمية » ، كتاب « مصايد الشيطان[1] » ، كتاب

(1) كذا ذكره ، والصحيح « اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان » في ثلاث مجلدات .

« الطرق الحكمية » ، كتاب « رفع اليدين في الصلاة » مجلد ، « نكاح المحرم » مجلد ، « تفضيل مكة على المدينة » ، كتاب « فضل العلم » ، كتاب « عدة الصابرين » ، كتاب « الكبائر » ، كتاب « حكم تارك الصلاة » ، كتاب « نور المؤمن وحياته » ، « حكم اغمام هلال رمضان »، « التحرير فيما يحل ويحرم من لباس الحرير » ، « جوابات عابدي الصلبان وان ما هم عليه دين الشيطان » ، كتاب « بطلان الكيمياء من اربعين وجها » ، « الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه » ، كتاب « عقد محكم الاحقاء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع الى رب السماء » ، « الفتح القدسي » ، « التحفة المكية » ، كتاب « امثال القرآن » ، « شرح الاسماء الحسنى » ، « ايمان القرآن » ، « المسائل الطرابلسية » مجلدان ، « الصراط المستقيم في احكام القرآن » مجلدان ، كتاب « الطاعون » مجلد لطيف ، كتاب « الفروسية » .

توفي ثالث عشر رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير . وترجمه العدوي فقال : هو المجتهد المطلق ، المفسر المتفنن في علوم عديدة. انتهى .

حرف الضاد

المدرسة (الضيائية) [1]

هي بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري ، بناها واقفها من ماله ، واعانه عليها بعض اهل الخير ، وجعلها دار حديث ، وأن يسمع فيها جماعة من الصبيان ، وأوقف عليها كتبه واجزاءه . وفيها من وقف موفق الدين بن قدامة ، والبهاء عبد الرحمن ، والحافظ عبد العزيز ، وابن الحاجب ، وابن سلام ، وابن هامل ، والشيخ علي الموصلي. وقد نهبت في نكبة الصالح ايام قازان ، وذهب منها شيء كثير ، ثم تماثلت وتراجعت . قاله الذهبي .

وقال غيره : بناها للمحدثين ، والغرباء الواردين مع الفقر والقلة ، وكان يبني منها جانبا ويصبر الى ان يجتمع معه ما يبتني به غيره ، ويعمل فيها بنفسه ، ولم يقبل من احد شيئا تورعا . انتهى .

---

(1) كذا في الأصل ، وذكرها النعيمي في « الدارس » : « الضيائية المحمدية » ، وكذلك ابن شداد في « الاعلاق » .

قلت : رأيت شرقي الجامع المظفري جداراً عظيما ، وفيه اربعة شبابيك الى القبلة، وفيه الباب ، ويفصل الطريق بين هذا البناء وبين الجامع ، ولعل هذه المدرسة المذكورة.

ترجمة واقفها

ضياء الدين المقدسي ٥٦٧-٦٤٣

انشأها محمد بن عبد الواحد بن احمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن منصور السعدي المقدسي ، الحافظ الكبير ، محدث عصره ، ووحيد دهره ، وشهرته تغني عن الاطناب في مدحه . يقال : انه كتب الحديث عن ازيد من خمسمائة شيخ .

وقال ابن النجار : هو حافظ متقن ثبت صدوق نبيل حجة ، عالم بالحديث واحوال الرجال ، له مجموعات وتخريجات ، وهو ورع تقي زاهد مجاهد في سبيل الله ، وله مؤلفات ، منها كتاب للأحاديث المختارة وهي الاحاديث التي تصلح ان يحتج بها سوى ما في الصحيحين ، خرجها من مسموعاته ، قال بعضهم : هي خير من صحيح الحاكم ، وله مؤلفات كثيرة ذكرها ابن رجب . توفي سنة ثلاث واربعين وستمائة ، واثنى عليه ابن الحاجب والذهبي والمزي . ومن مصنفاته كتاب « فضائل الاعمال » .
وكان الوقف على المدرسة الضيائية : غالب دكاكين السوق الفوقاني ، وحوانيت وجنينة في الشرب ، وارض بسقبا ويؤخذ لأهلها ثلث قمح ضياع وقف دار الحديث الاشرفية، وبالجبل الدير والدوير والمنصورة والتليل والشرقية .

قال العلموي : كان الضياء عابداً زاهداً ، ما اكل من وقف قط ، ولا دخل حماما ، وكان يعمل بمدرسته بنفسه ، ولما فرغ من بنائها درس بها ، ودرس بعده بها جماعة منهم : تقي الدين بن غرس الدين ، وعز الدين التقي ، وشمس الدين خطيب الجبل ، والقباقيبي المرداوي .

المدرسة (الضيائية المحاسنية)

ضياء الدين محاسن

هذه المدرسة ذكرها النعيمي ، ولم يبين محلها ، ولم يذكر الا قول ابن شداد ، واليك ما حكاه :

قال ابن شداد : مدرسة ضياء الدين محاسن، كان رجلا صالحا، بنى هذه المدرسة، وجعلها موقوفة على من يكون امير الحنابلة يذكر فيها الدرس ؛ ثم قال : قلت : ولعله

الشرابيشي والد نور الدولة واقف الشرابيشية المالكية ، وواقف التربة قبالة جامع جراح فليحرر . ثم نقل عن « المقصد الارشد » ترجمتين لاعلاقة لهما بالمدرسة .
هذا ما وقفت عليه في شانها ؛ وقد اضرب العلموي عن ذكر تلك المدرسة !

حـرف العـين

المدرسة (العمرية الشيخية)

٥

هي موجودة بالصالحية ، مشهورة معمورة الجدران ، لاظل للعلم فيها ولا أثر ، يسكنها قوم من ذوي المتربة ، ويمر بها نهر يزيد ، وداخلها مدرسةلطيفة، وبهما مايقرب من تسعين خلوة . وقد كان بها خزانة كتب لانظير لها ، فلعبت بها ايدي المختلسين ، الى ان اتى بعض الطلبة التجديين فسرق منها خمسة احمال جمل من الكتب وفر بها ؛
١٠ ثم نقل ما بقي ، وهو شيء لايذكر بالنسبة لما كان بها ، الى خزانة الكتب في قبة الملك الظاهر في مدرسته . وكذلك لعبت أيدي المختلسين في اوقافها فابتلعوها . هذه حالتها اليوم .

واما حالتها في ابان صباها وشبابها ، فقال عز الدين : هي بالجبل في وسط دير الحنابلة . وقال ابن كثير : وقف عليها سيف الدين بكتمر درسا . وقال ابن الزملكاني :
١٥ ان احمد بن زريق المعروف بابن الديوان وسع مدرسة ابي عمر من الجهة الشرقية، ويمكن ان تكون هي المدرسة الصغيرة داخلها . انتهى .

وعمر ناصر الدين محمد بن منجك الجانب الشرقي من المدرسة فجاء في غاية الحسن . قال الشيخ جمال الدين بن عبد الهادي : هذه المدرسة عظيمة لم يكن في بلاد الاسلام اعظم منها . والشيخ ابو عمر بنى بها المسجد ، وعشر خلاوي فقط . وقد
٢٠ زاد الناس فيها ؛ ولم يزالوا يوقفون عليها من زمنها الى اليوم ؛ قل سنة من السنين تمضي الا ويصير اليها فيها وقف ، فوقفها لايمكن حصره ، فمن جملته : العشر من البقاع ، والمرتب على داريا من القمح ستين غرارة ، ومن الدراهم خمسة آلاف للغنم في شهر رمضان . ومما رايناه وسمعنا به من مصالحها : الخبز ؛ لكل واحد من المنزلين بها رغيفان ، والشيخ الذي يقرىء او يدرس ثلاثة وهو مستمر طول السنة ؛ والقمصان

في كل سنة لكل منزل فيها قميص ، وقد رأيناه ؛ والسراويل لكل واحد سروال(١) ؛
سمعنا به ولم نره ؛ وطعام شهر رمضان بلحم ، وكان الشيخ عبد الرحمن ينوع لهم
ذلك ، ويوم الجمعة العدس ، ثم انقطع التنوع ؛ واستمرت القمحية وزبيب وقضامة
ليلة الجمعة ، يفرق عليهم بعد قراءة ما تيسر ، رأيناه ، ووقفه دكانان تحت القلعة ؛
وكل سنة مرة زبيب ، وقفها خارج عن وقف المدرسة ؛ وفراء وبشوت(٢) في كل سنة ، ٥
ووقفها خارج عنها ايضا ؛ ودراهم ، لها وقف ، تفرق على من يقرأ في السبع في كل
شهر ، وهو خارج عن وقفها ايضا ؛ وحلاوة دهنية من وقفها ؛ سمعنا به ولم نره ؛
وحصر لبيوت المجاورين ، مستمرة ؛ وصابون ، سمعنا به ولم نره ؛ وختان من لم يكن
مختونا ، في كل سنة من المجاورين بها الفقراء والايتام ، رأيناه ثم انقطع ؛ وسخانة
يسخن بها الماء في الشتاء لغسل من احتلم ؛ وكعك ، سمعنا به ولم نره ؛ ومشبك بعسل ١٠
في ليلة العشرين من شهر رمضان ، ثم نقلت الى النصف ، مستمرة ؛ وقنديل يشعل طول
الليل في المقصورة المدرس ، مستمر ؛ وحلاوة في الموسم في شهر رجب لوزية وجوزية
وغيرهما ، مستمرة في نصف شعبان ؛ واضحية في عيد الأضحى ، مستمرة ؛ وطعام
في عيد الفطر حامض ولحم وهريسة وارز حلو ، مستمر الى الآن . انتهى . وكان بها
حلقة الثلاثاء ، والوقف عليها نصف حمام الشبلية ثم خرب فعمر بالنصف فبقي الربع ، ١٥
والجنينة خلفه ، والبيت فوقه .

وفي تاريخ الأسدي : أن ابن حجي استجد لخطاب العجلوني الشافعي درسا
بالعمرية ، وجعل له في الشهر مائة وخمسين درهما ، فتوقف الناظر في ذلك ، ثم
اتفق الحال على أن قرر له في الشهر سبعين درهما ، فشق ذلك على الحنابلة .

قال يوسف بن عبد الهادي : وفي مدرسة ابي عمر وقف على الحنابلة لم يدخل ٢٠
فيه غيرهم قط ؛ واخبرت انه في ايام القاضي ابن قاضي الجبل اراد غيرهم الدخول ،
فقال : لا والله لاتنزلوا فيها احدا الا انزلنا في الشامية الكبرى مثله ! فلما كان في ايام
عبد الرحمن بن داود ، ووقع بينه وبين الحنابلة ، ادخل فيها غيرهم من المذاهب ؛ فشق
ذلك على الحنابلة ؛ واما انا فرأيته حسنا ؛ فان فضل الشيخ كان على الحنابلة فقط ،
فصار على الأربعة مذاهب . وكان شهاب الدين بن عبد الرزاق قصد اخراج غيرهم ٢٥
منها ، وارسل الى مصر ليخرج مراسيم بذلك ؛ فادركته المنية . ودرس للشافعية بها :

---

(١) كذا في الاصل وصحيحها سراويل .

(٢) جمع بشت وهو العباءة الرقيقة تلبس في الصيف .

الشيخ خطاب ، ثم ابن قاضي عجلون ، ثم اخوه تقي الدين ، وللحنفية : عيسى البغدادي، ثم الزين ابن العيني في الايوان الشمالي ؛ وجدد القاضي المالكي درسا بها ثم انقطع . انتهى .

واما شيوخ اقراء القرآن بها ، فكان داخلها سبعة اماكن معدة لذلك : احدها على الخزانة الغربية استجده ابن مبارك واقف الحاجبية ، والآخر على الشرقية ، وآخر بينهما ، وشيخ المدرسة في المحراب ، وآخر شرقيه ، واثنان غربيه ، وحلقة ابن الحبال لاقراء القرآن والعلم بين بابي المدرسة والسلم الشرقيين .

قلت : وجميع هذه المرتبات درست وانقرضت وماتت بموت اهلها . وكان يقال : لم يكن شيء من انواع البر الا وهو موضوع في العمرية . ثم لم تزل الايام تأتي على اوقافها ومرتباتها بالنقصان الى ان تولى نظرها الشهاب احمد المتيني ، ثم صارت في زمننا الى توفيق المتيني من ذريته ، فابتلع الوشل[1] الذي بقي من أوقافها ، واهلكها هلاكا لايرجى له برء .

ترجمة واقفها

اختلف في بانيها ، فقال النعيمي : الظاهر ان هذه المدرسة اصلها من بناية نورالدين محمود بن زنكي ، لما حكاه في « مرآة الزمان » عن الشيخ ابي عمر انه قال : كان نورالدين يزور والدي أحمد في المدرسة الصغيرة التي على نهر يزيد المجاورة للدير ، ونور الدين بنى هذه المدرسة والمصنع والفرن . قال : فجاء نور الدين لزيارة والدي ، وكان في سقف المسجد خشبة مكسورة ، فقال له : يانور الدين ، لو كشفت السقف وجددته ! فنظر الى الخشبة وسكت، فلما كان من الغد جاء معماره ومعه خشبة صحيحة، فوضعها موضع المكسورة ومضى . قال : فعجب الجماعة . فلما جاء الى الزيارة ، قال بعض الحاضرين : يا نور الدين ، فاكرتنا في كشف سقف واعادته ! فقال : لا والله ، وانما هذا الشيخ احمد رجل صالح ، وانا ازوره لانتفع به ، وما اردت ان ازخرف له المسجد ، وانقض ما هو صحيح ، وهذه الخشبة يحصل بها المقصود ؛ فدعوني مع حسن ظني فيه ؛ فلعل الله ينفعني به .

ولكن التحقيق والصواب ان هذه المدرسة التي بناها نور الدين هي المسجد

---

(1) الوشل : الماء القليل

المسمى بمسجد ناصر الدين غربي المدرسة العمرية، يفصل بينهما الطريق، وهي صغيرة بالنسبة الى العمرية ، ومرتب فيها عشرون من الطلبة . والدير المذكور يعرف بدير الحنابلة ايضا ، وعليه اوقاف ، منها قرية الهامة فقيل : انها وقف على الدير ، وقيل : على اهله من الحنابلة، وعليه غير ذلك . والمصنع المذكور قبلي الدير ؛ يفصل بينهما النهر . والحاصل ان باني المدرسة هو ابو عمر . ٥

الشيخ ابو عمر

الشيخ أبو عمر المقدسي ٥٢٨-٦٠٧

هو محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي . ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بجماعيل ، ثم هاجر به والده وبأخيه الموفق وباهليهم الى دمشق لاستيلاء الافرنج على الأرض المقدسة ، فنزلوا بمسجد ابي صالح ظاهر باب شرقي ، فاقاموا به نحوا من سنتين ؛ ثم انتقلوا منه الى ١٠ سفح الجبل وليس به من العمارة سوى دير الحوراني . قال ابو عمر : فقال الناس : الصالحية الصالحية ! ينسبوننا الى مسجد ابي صالح لاننا صالحون . ذكره ابن رجب وابن مفلح . ثم ان ابا عمر حفظ القرآن ، وقراه بحرف ابي عمرو ، واعتنى بالحديث ورحل لاجله الى مصر، وحفظ «مختصر الخرقي» ، وتفقه في مذهب احمد ، واخذ النحو عن ابن بري صاحب «حواشي الصحاح» . وكان سريع الكتابة وربما كتب في اليوم كراسين ١٥ بالقطع الكبير . وكتب « الحلية » لابي نعيم و « تفسير البغوي » و « المغني » لأخيه الموفق ، و « الابانة » لابن بطة ، وكتب مصاحف كثيرة لاهله ، وكتب الخرقي للناس ، والكل بغير اجرة . فانظر الى هذه الهمة والغيرة على العلم . وكان له معرفة في الفقه والفرائض والنحو ، مع الزهد والعمل وقضاء حوائج الناس . وترجمه ابن رجب بترجمة مطولة كلها ثناء وذكر مناقب . وقال سبط ابن الجوزي : كان المترجم على ٢٠ مذهب السلف الصالح ، حسن العقيدة ، متمسكا بالكتاب والسنة والآثار المروية ، ويمرها كما جاءت من غير طعن على ائمة الدين وعلماء المسلمين . قال : وانشدنا لنفسه، نفعنا الله ببركاته :

اوصيكم في القول بالقرآن — بقول اهل الحق والايقان
ليس بمخلوق ولا بفان — لكن كلام الملك الديان ٢٥
آياته مشرقة المعاني — متلوة في اللفظ باللسان
محفوظة في الصدر والجنان — مكتوبة في الصحف بالبنان

والقول في الصفات يا اخواني	كالذات والعلم مع البيان
امرارها من غير ما كفران	من غير تشبيه ولا عدوان

قلت: وهذه الابيات جمعت سائر عقيدة السلف . وبالجملة فان المترجم كان من العباد الصالحين ، والاولياء المتقين . توفي ثامن عشر ربيع الاول سنة سبع وستمائة.

٥ **المدرسة (العالمة)**

شرقي الرباط الناصري، غربي سفح قاسيون، تحت جامع الأفرم . قاله النعيمي[١].

أقول: اما جامع الافرم فهو حديث مضى وانقضى فانه لم يبق منه اثر ، والمدرسة تبعته فصارت بستانا . ولقد وقفت تحت جامع الافرم ، وسرت في الطريق الى جهة الغرب ، فرايت بناء في الجانب القبلي شاهقا مبنيا بالحجر الاحمر ، وله باب شاهق ١٠ لطيف الصنع والهندسة ، وداخله قبة عالية . فتاملت الجدار ، فلم ار فيه كتابة ، وسالت بعض اهل الصالحية عنه ، فقال لي : اسمه خاتون . وبالجملة فقد ضاعت العالمة وغيرها ، وسيلحقها هذا الاثر .

والوقف عليها : بستان بجسر البطة ، والغيضة الثانية ، وحكر ابن صبح عند الشامية . وحكى القاضي برهان الدين انها محصورة في عشرين من اعيان الطلبة . وكان بهذه ١٥ المدرسة دار حديث ، درس بها محمد بن هامل الحراني ، وكان له عناية كلية بالحديث ، وكتب الكثير ، وتعب وحصل ، ووقف اجزاءه بالضيائية . وفي «شذرات الذهب» ما ملخصه: محمد بن عبد المنعم بن عمار بن هامل بن موهوب الحراني الحنبلي نزيل دمشق . قال الذهبي : عني بالحديث عناية كلية ، وكتب وحصل ، واسمع الحديث ، وفيه دين وحسن عشرة . وقال الدمياطي : هو الامام الحافظ ، سمع منه جماعة من الاكابر ، ٢٠ توفي سنة احدى وسبعين وستمائة . ودرس بها ايضا يوسف بن يحيى ابن الناسخ عبد الرحمن الشيرازي الاصل ثم الصالحي الحنبلي ، وهو من بيت مشهور بالعلماء والفضلاء . قال ابن قاضي شهبة : ولي مشيخة العالمة ، والنظر عليها وعلى الصاحبة ، ودرس بها ،

---

(١) كما قال أيضا : « ان واقفتها الشيخة الصالحة العالمة امة اللطيف بنت الشيخ ناصح الحنبلي ». انتهى . وقد تقدمت ترجمتها .

وكان محدثا فاضلا ، توفي سنة احدى وخمسين وسبعمائة بالصالحية ، ودفن بسفح قاسيون .

حـرف الميـم

المدرسة (المسمارية)

قبلي القيمرية الكبرى ، داخل دمشق ، قرب مئذنة فيروز . قال العلموي : مئذنة ٥
فيروز هي التي جددت الآن مع المدرسة مسجدا ، جددها علي جلبي الدفتردار ، ووقف
لها وقفا ، وجعل لها امامين ومؤذنا . ورأيت بخطه على هامش « طبقات ابن رجب »:

المسمارية هي التي بمحلة القيمرية ، جددها علي جلبي دفتردار التمار ، وجعل لها
منارة في سنة سبعين وتسعمائة ، وتسمى مدرسة شرف الاسلام . انتهى .

قلت : والمدرسة اليوم معلومة ، ولكنها خربة ، والوقف عليها : الحكر المعروف بها ١٠
وحده من طريق جامع تنكز الى مقابر الصوفية الى الطريق الذي فيه القنوات الى الطريق
الاخذ الى مدرسة شادي بك ويعرف قديما ببستانها ، وحكر الزقاق وهو المعروف
بالساقية بارض مسجد القصب .

ترجمـة واقفهـا

الحسن الهلالي ٠٠٠-٥٤٦

انشأها الحسن بن مسمار الهلالي الحوراني المقرىء التاجر . قال ابن عساكر : ١٥
قرا بالروايات ، وسمع الحديث ، ورحل الى بغداد ، وكان يصلي بجامع دمشق
التراويح بحلقة الحنابلة ، ويقرا فيها بعدة روايات يخلطها ويردد الحرف المختلف فيه؛
فانكروا ذلك عليه ، وقالوا : هذا مذهب يغير ترتيب النظم من القرآن الكريم . وكان
مثريا ، مقترا على نفسه . بلغني انه اوصى عند موته باخراج جملة من زكاة ماله اجتمعت
عليه من سنين كثيرة حتى امر باخراجها . توفي سنة ست واربعين وخمسمائة . قال ٢٠
الذهبي : وقد بنى الشيخ هذه المدرسة لاجل الشيخ أسعد بن المنجا ، ووقفها عليه .

ابن المنجا

اسعد ويسمى محمد بن المنجا بركات بن المؤمل التنوخي المعري ثم الدمشقي القاضي وجيه الدين ابو المعالي . قال الذهبي : ارتحل الى بغداد ، وتفقه بها على مذهب احمد ، واخذ الفقه عن الشيخ عبد القادر الجيلاني ، وتفقه واخذ عنه الشيخ موفق الدين المقدسي ، وروى عنه المنذري وابن خليل وابن النجار . توفي سنة ست وستمائة .

قال في « الشذرات » : وهو واقف الوجيهية التي بباب البريد ، وهي مدرسة قريبة من مدرسة الخاتونية الجوانية ، وبها خلاوي كثيرة ؛ ولها وقف كثير اختلس.

قال الناصح ابن الحنبلي : درس ابن المنجا بالمسمارية ، وكان له اتصال بالدولة وخدمة السلاطين ، واسن وكبر ، وكف بصره في آخر عمره ، وله تصانيف منها : كتاب « الخلاصة في الفقه » مجلد ، و « النهاية في شرح الهداية » في بضعة عشر مجلدا ، قال ابن رجب :وفيها فروع ومسائل كثيرة غير معروفة في المذهب ، والظاهر انه كان ينقلها من كتب غير الاصحاب ، ويخرجها على ما يقتضيه المذهب عنده ، وله « العمدة في الفقه » . وقال الأسدي : ولي قضاء حران في آخر دولة نور الدين. قال ابن رجب : قرات بخط السيف بن المجد الحافظ ، قال : حدثني الشيخ الموفق ، حدثني القاضي ابو المعالي اسعد بن المنجا ، قال كنت يوما عند الشيخ ابي البقاء وقد جاء ابن تميم ، فقال له : ويحك ! الحنابلة اذا قيل لهم : من اين لكم ان القرآن بحرف وصوت ؟ قالوا : قال الله تعالى : الم ، حم ، كهيعص ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « من قرا القرآن فاعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات » ، وقال صلى الله عليه وسلم: « يجمع الله الخلائق فيناديهم بصوت » الحديث . وانتم اذا قيل لكم : من اين قلتم : ان القرآن معنى في النفس قلتم : قال الاخطل : ان الكلام لفي الفؤاد . فالحنابلة اتوا بالكتاب والسنة ، وقالوا : قال الله ، قال رسوله . وانتم قلتم : قال الاخطل ، وهوشاعر نصراني ، وخالفتم قول الله وقول رسوله. وقال ابو محمد ابن الخشاب : فتشت دواوين الاخطل ، فوجدت البيت : ان البيان من الفؤاد ، فحرفوه وقالوا : ان الكلام . انتهى .

(المنجـاية) [1]

زاوية بالجامع الاموي كانت تعرف بابن المنجا ، ووقفها ينسب للعلامة عثمان ابن اسعد بن المنجا المترجم سابقا . قال العلموي : ووقفها يبلغ ارتفاعه نحو مائة سلطاني كل سنة . انتهى . **قلت** : والسلطاني لم نعرف ما يساوي اليوم .

تتمـة

قد عرفنا من مدارس اصحاب المذاهب الاربعة المذكورة فيما وقفنا عليه من كتب التاريخ الى سنة التسعمائة ، والتقطنا أثناء المطالعة مواضع لم تذكر سابقا ، وسنسردها هنا اتماما للفائدة ، فنقول :

ذكر الأسدي في ترجمة القاضي نظام الدين ابن مفلح انه اشترى بيت ابن الشهيد ، وبناه دار قرآن ، وكان يأخذ على القضاء على وجه شنيع ، ويصرفه في العمارة . ثم قال : وبنى مدرسة شرقي الصالحية ، جوار حمام العلائي ، ورتب فيها مشيخة للحديث . توفي سنة سبعين وثمانمائة .

وللحنابلة أوقاف كثيرة . قال النعيمي : منها وقف التزويج ، يعطى منه كل من تزوج من فقراء الحنابلة ، وكان بيد القاضي علاء الدين المرداوي .

ووقف الاعراض بكسر الهمزة ، يعطى منه كل من حفظ كتابا على مذهب احمد وعرضه على احد شيوخ المذهب .

ووقف المراودة من أولاد العجوز وفقراء جماعيل من الحنابلة ، وهو قرية الكتيبة من بلاد حوران . فرق هذا الوقف زمنا ، ثم تغلب عليه بنو عبد الملك ، ثم حكم بانتزاعه منهم القاضي محب الدين ، وكان النظر عليه لخطباء الجامع المظفري ، وفرق منه سنة ثمان وسبعين وسبعمائة .

وقال الأسدي عندما عد مدارس الحنابلة : وللحنفية والحنابلة حلقة الأوزاعي ، وللحنابلة حلقة السقيفية وحلقة المحراب ، وكلها بالجامع الاموي .

---

(1) ذكرها النعيمي في « الدارس » باسم « المدرسة المنجائية » .

البـاب السابع

في مدارس الطب

المدارس المختصة بعلم الطب القديمة في دمشق كلها مندرسة ، ولم يبق لها الآن اثر ، وتبعها فن الطب في الاندراس حتى صار بيـد الدجالين والمحرفين والعجائز والعطارين ، اللهم الا افرادا كان لهم به المام ؛ الى ان اشتهر في زمننا اشتهارا كبيرا ، واخذ في الرقي ، وبنيت لاجله المدارس . ونحن ذاكرون تراجم المدارس وان كانت مندرسة ، ليعلم القوم ما كان عليه سلفهم من الاعتناء بالعلم وترقيه ، وبذل الأموال فيه ؛ وبه تعالى العون :

المدرسة (الدخوارية)

كانت بالصاغة العتيقة قرب الخضراء بدرب العميد ، قبلي الجامع الأموي . قال العلموي : وبستان الدخوار عند اراضي الجامع الأموي من قصر اللباد شماليها ، وحده شمالا نهر ثورا . ا.هـ .

ترجمـة واقفهـا

المهذب الدخوار ٥٦٥-٦٢٨

قال ابن شقدة في «منتخب شذرات الذهب» : المهذب الدخوار عبد الرحيم بن علي ابن حامد الدمشقي ؛ شيخ الطب ، وواقف المدرسة التي بالصاغة العتيقة على الاطباء . ولد سنة خمس وستين وخمسمائة ، واخذ عن الموفق ابن المطران والرضي الرحبي ؛ واخذ الادب عن الكندي ؛ وانتهت اليه معرفة الطب ، وصنف التصانيف فيه ، وحظي عند الملوك . ولما تجاوز سن الكهولة ؛ عرض له خرس حتى بقي لايكاد يفهم كلامه ، واجتهد في علاج نفسـه ؛ فما افاد بل ولد له امراضا ، وكان دخله في الشهر مـائة وخمسـين دينارا ؛ وله اقطاع تعدل ستة آلاف وخمسمائة دينار . ولما ثقل لسانه ، كان الجماعة يبحثون بين يديه ، فيكتب لهم ما اشكل عليهم في اللوح . واستعمل

المعاجين الحادة ؛ فعرضت له حمى قوية اضعفت قوته ، وزادت الى ان سالت عينه .

وترجمه احمد بن ابي اصيبعة في « عيون الانباء في طبقات الأطباء » ترجمة مطولة، واثنى عليه ثناء عظيما ، وبالغ في مدحه ، وقال : اتعب نفسه في الاشتغال ، وكد خاطره في تحصيل العلم حتى فاق اهل زمانه في صناعة الطب ، وحظي عند الملوك ، ونال من جهتهم من المال والجاه ما لم ينله غيره من الاطباء الى ان توفي ، واشتغل بالعربية، وحصل العلوم ، وخدم الملك العادل ابا بكر بن ايوب في صناعة الطب ، ثم صار رئيسا على اطباء مصر والشام ، وتولى التدريس بالبيمارستان النوري الكبير ، واشتغل بالتدريس ؛ قال : وكان يظهر من ملح صناعة الطب ، ومن غرائب المداواة ، والتقصي في المعالجة ، والاقدام بصفات الادوية التي تبرىء في اسرع وقت ، ما يفوق به اهل زمانه ؛ ويحصل من تاثيرها شيء كانه سحر . ولازم سيف الدين الآمدي في الاشتغال عليه بالعلوم الحكمية ، وحفظ شيئا من كتبه ، وحصل معظم مصنفاته ليشتغل بها ، ونظر في علم الهيئة والنجوم ، واقتنى من الاتهما ما لم يكن عند غيره ، وتوفي سنة ثمان وعشرين وستمائة . قال : ووقف داره التي بدمشق عند الصاغة العتيقة، شرقي سوق المناخليين، وجعلها مدرسة يدرس فيها من بعده فن الطب ، ووقف لها ضياعا وعدة اماكن يستغل منها ما ينصرف في مصالحها ؛ وفي جامكية المدرس ، وجامكية المشتغلين بها . ووصى ان يكون المدرس بها الحكيم شرف الدين علي ابن الرحبي ؛ ثم درس بها المظفر ابن قاضي بعلبك . والف الدخوار كتبا منها : « اختصار الحاوي في الطب للرازي » ، و « اختصار كتاب الاغاني الكبير لأبي الفرج الاصبهاني » ؛ ومقالة في « الاستفراغ » ؛ وكتاب « الجنينة في الطب » ومسائل وتعاليق وشكوك طبية رد اجوبتها له ؛ وكتاب « الرد على شرح ابن صادق لمسائل حنين » ؛ ومقالة يرد بها على رسالة ابي الحجاج يوسف الاسرائيلي في ترتيب الاغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها . انتهى منتخبا من « طبقات الاطباء » .

الرحْبي

من المدرسين بهذه المدرسة ، يوسف بن حيدرة ، شيخ الطب بالشام ، واحد من انتهت اليه معرفة الفن ، ويقال له : الرحْبي بتشديد الخاء المعجمة نسبة الى الرحناحية

بنيسابور . قال ابن شقدة : قدم دمشق مع أبيه حيدرة الكحال في سنة خمسين وخمسمائة ، ولازم الاشتغال على المهذب ابن النقاش ، فنوه باسمه ، ونبه على علمه ، وصار من اطباء صلاح الدين ، وامتدت ايامه ، وصارت اطباء البلد تلامذته حتى ان من جملة اصحابه المهذب الدخوار ، وعاش سبعا وتسعين سنة ممتعا بالسمع والبصر . توفي سنة اثنتين وثلاثين وستمائة . قاله في « العبر » .

الموصلي

ومن مدرسيها ، علي بن احمد بن مقبل الموصلي . قال ابن كثير : كان شيخ الحديث ، واعلم اهل زمانه بالطب ، وله فيه تصنيف حسن ، وكان كثير الصدقة ، حسن الاخلاق ، توفي سنة عشر وستمائة .

السويدي

ومن مدرسيها ، ابراهيم بن محمد بن طرخان الانصاري الدمشقي ، ولد سنة ستمائة . سمع من الشمس العطار وابن ملاعب وطائفة ، وتأدب على ابن معطي ، واخذ الطب عن المهذب الدخوار وبرع فيه ، وصنف ، وفاق الاقران ، وكتب الكثير بخطه المليح ، ونظر في العقليات ، والف كتاب « الباهر في الجواهر » ، وكتاب « التذكرة في الطب » ، وتوفي سنة تسعين وستمائة . قاله في « منتخب الشذرات » نقلا عن « العبر » ؛ وقال عنه : السويدي الحكيم ، شيخ الاطباء ، وهو منسوب الى السويداء بلدة بحوران(١) .

ابن النفيس

هو العلامة علاء الدين علي ابن ابي الحزم القرشي ابن النفيس الدمشقي ، شيخ الطب بالديار المصرية ، وصاحب التصانيف ، من انتهت اليه معرفة الطب مع الذكاء المفرط ، والذهن الخارق ، والمشار اليه في الفقه والاصول والعربية والمنطق . قال الذهبي : الف في الطب كتاب « الشامل » وهو كتاب عظيم ، تدل فهرسته على ان يكون ثلاثمائة مجلدة ، بيض منها ثمانين مجلدة ، وكانت تصانيفه يمليها من حفظه ولا يحتاج الى مراجعة لتجرده في الفن .

---

(١) كذا في الاصل ، والسويداء كما هو معروف الآن مركز لمحافظة السويداء التي كانت تسمى قبلا جبل الدروز .

وقال السبكي في « الطبقات » : هو امام الأطباء ، ذو التصانيف الفائقة ، ذكر أنه كان يكتب تصانيفه من صدره من غير مراجعة كتاب حال التصنيف . وبالجملة أجمع الناس على أن الاعين لم تر مثله في الطب ، ولا من بدانيه لا في زمانه ولا قبله بمائتي سنة ، وكان اشتغاله بالطب بدمشق على مهذب الدين الدخوار ، وقد صنف في اصول الفقه ، وفي الفقه والحديث ، والعربية والبيان ، ومات سنة سبع وثمانين وستمائة ٥ بالقاهرة .

وقال الأسنوي في « طبقات الشافعية » : كان ابن النفيس امام وقته في فنه شرقا وغربا بلا مدافعة ، اعجوبة زمانه ، وصنف في الفقه ، وفي اصوله ، وفي العربية والجدل والبيان ، وانتشرت عنه التلامذة .

١٠ وقال : في « العبر » : ووقف املاكه وكتبه على المارستان المنصوري ، ولم يخلف بعده مثله .

وقال ابن كثير : شرح القانون لابن سينا ، وصنف « الموجز في الطب » .

الدنيسرية

كانت غربي باب المارستان النوري والصلاحية ، بآخر الطريق من قبله . ويظهر من ١٥ كلام العلموي انها تهدمت ، وتغيرت صورتها ، قال : وهي المسجد الذي بناه محمد بك قاضي القضاة بدمشق ، وجعل به مكتبا فليحرر . ا.هـ. **قلت :** وحررت ؛ فلم اقف له على اثر ، والله أعلم بما صار اليه !

ترجمة واقفها

محمد الدنيسري ٦٠٥-٦٨٦

ترجمه ابن أبي أصيبعة في « طبقات الأطباء » بترجمة حافلة ذكر فيها كثيراً من ٢٠ نظمه ، وقال : محمد بن عباس بن احمد بن عبيد الربعي الدنيسري ، ذو النفس الفاضلة ، والمروءة الكاملة ، والاريحية التامة ، والعوارف العامة ، والذكاء الوافر ، والعلم الباهر ، ولد بمدينة دنيسر سنة خمس وستمائة ، واشتغل بصناعة الطب الى أن برع فيه ، وتفقه على مذهب الشافعي ، واقام بدمشق ، وخدم البيمارستان النوري ، ثم أورد له شعراً كثيراً منه :

عذارك المخضر يا منيتي لما بدا الخد ثم استدار
اقام عذري عند اهل الهوى وصح ماقيل عن الاعتذار
وكان في ذاك لنا آية اذ جمع الليل مع النهار

وله من الكتب : « المقالة المرشدة في درج الادوية المفردة » ؛ وكتاب « نظم الترياق الفاروقي » ، كتاب في « المترود يطوس » ، كتاب في « تقدمة المعرفة لابقراط » ارجوزة ؛ وله ديوان شعر . وقال في « الشذرات » : صحب المترجم البهاء زهير مدة، وتادب به ؛ وصنف ؛ وقال الشعر ؛ وبرع في الطب والادب ؛ ومن شعره :

فيما التعلل بالالحاظ والمقل وكم اشير الى الغزلان والغزل
وكم اعرض من فرط الغرام به عن قده بغصون البان في الميل
ما لذة العيش الا ان اكون كما قد قيل فيما مضى من سالف المثل
صرحت باسمك يا من لاشبيه له انا الغريق فما خوفي من البلل
يا عاذلي كف عن عذلي فبي قمر قد حجبوه عن الابصار بالاسل
معقرب الصدغ في تكوين صورته معنى يجل عن الادراك بالمقل

ولـه :

من يكن شافعي الى حنبلي وهو والله مالكي لا محالة
حنفي بوصله عن كئيب وعلى قتله اقام الدلالة
بثقات من الجمال شهود حسن القول فيهم والعدالة
ناظر فاتن وطرف كحيل وجبين هاد ودمع اساله
قد تذللت اذ تدلل حتى صرت اهوى تذللي ودلاله
وطلبت الوصال منه فنادى مت بدا الهوى على كل حاله
قمر تخجل البدور لديه وغزال تغار منه الغزاله
رشا بالجمال نبيء فينا ثم اوحى الى القلوب رساله
اهيف بالجفون اسهر جفني كيف صبري وقد رايت جماله
قد امال القلوب قسرا لديه واذا مال فالنسيم اماله
لامني فيه عاذلي وتعدى انا مالي وللعذول وماله

توفي سنة ست وثمانين وستمائة .

المدرسة (اللبودية) (١)

هي مدرسة كانت خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك المشيري . قال العلموي : هذه المدرسة شرقي بستان الشموليات وبستان اللبودي(٢) وكلاهما وقف الجامع الأموي عند جسر النهر الصغير الخارج من حمام الفلك مقابل بابه ، وهي الآن رحبة خراب ، ورسم بابها موجود ، ورسم شباكها بل ودمنة المقبرة بالمدرسة موجودة الى الآن . ا.هـ. ٥

قلت : وهذا كان في زمنه ، واما الآن فلا رسم ولا طلل لها ولا للحمام « وان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده » آية ١٢٧/٧ .

ترجمة واقفها

نجم الدين ابن اللبودي ٦٠٧-٦٧٠

١٠ يحيى بن محمد بن عبدان الدمشقي اللبودي هو واقف اللبودية التي عند حمام الفلك ؛ المبرز على الاطباء ولديه فضيلة بمعرفة الطب ، وقد ولي نظر الدواوين بدمشق .

وقال العلموي : كان علامة وقته في العلوم الحكمية ، مفرط الذكاء والفطنة ، توفي سنة احدى وستين وسبعمائة(٣) عن سبع وخمسين سنة ، وشرح « محصل الرازي » ، و « فصول ابقراط » ، ودفن بتربته بطريق المزة .

١٥ وقال في « عيون الانباء » : هو الحكيم السيد العالم الصاحب نجم الدين ابوزكريا يحيى ابن الحكيم محمد بن عبدان بن عبد الواحد ، اوحد في الصناعة الطبية ، قدوة في العلوم الحكمية ، مفرط الذكاء ، فصيح اللفظ ، شديد الحرص في العلوم ، متفنن في الآداب ، قد تميز في الحكمة على الأوائل ؛ وفي البلاغة على سحبان وائل ، له النظم البديع ، مولده بحلب سنة سبع وستمائة ، واتى به ابوه الى دمشق وهو صغير ، ولازم

---

(١) كذا في الاصل ووردت في « الدارس » : « المدرسة اللبودية النجمية » .

(٢) « ان المدرسة اللبودية مجهولة ، وفي أراضي باب السريجة بستان يعرف ببستان اللبودي » كذا ذكره الامير جعفر الحسني في تحقيقه « للدارس » .

(٣) كذا في الاصل وقد ذكر ابن شداد ان هذه المدرسة انشأها ابن اللبودي في سنة أربع وستين وستمائة . وذكر ابن ابي أصيبعة أن وفاته كانت سنة سبعين وستمائة . وقال في « عيون الانباء » : ان مولده كان سنة سبع وستمائة .

المهذب عبد الرحيم الدخوار بصناعة الطب ، وتميز في العلوم حتى صار أوحد زمانه ، وخدم الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه بن شاذي صاحب حمص ، ولم تزل احواله تنمو عنده حتى استوزره وفوض اليه امور دولته ، وكان لايفارقه لافي سفر ولا في حضر . ولما توفي الملك المنصور اتصل بخدمة الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل وهو
٥ بالديار المصرية ؛ فجعله ناظرا على الديوان بالاسكندرية ، وجعل مقرره في كل شهر ثلاثة آلاف درهم ، وبقي على ذلك مدة ، ثم توجه الى الشام وصار ناظرا على الديوان بجميع الاعمال الشامية . واورد له في « عيون الأنباء » نثرا وقصائد في مدح سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ؛ ومن كلامه :

اذا ضاق امر فاصبر سوف ينجلي ... فكم حر نار اعقبت بسلام
١٠ ولا تسأل الأيام دفع ملمة ... فلست ترى امرا حليف دوام

ومن مؤلفاته : « مختصر الكليات من كتاب القانون لابن سينا » ، « مختصر كتاب المسائل لحنين بن اسحاق » ، « مختصر كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا » ، « مختصر كتاب عيون الحكمة لابن سينا » ، « مختصر كتاب الملخص ابن خطيب الري »،
١٥ « مختصر كتاب المعاملين في الاصولين » ، « مختصر كتاب أوقليدس » ، « مختصر مصادرات أوقليدس » ، كتاب « اللمعات في الحكمة » ، كتاب « آفاق الاشراق في الحكمة » ، كتاب « المناهج القدسية في العلوم الحكمية » ، « كافية الحساب في علم الحساب » ، « غاية الغايات في المحتاج اليه من اقليدوس والمتوسطات » ، « تدقيق المباحث الطبية في تحقيق المسائل الخلافية على طريق مسائل خلاف الفقهاء » ، «مقالة
٢٠ « في البر شبعنا » ، كتاب « ايضاح الرأي السخيف من كلام الموفق عبد اللطيف » والف هذا الكتاب وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، « غاية الاحكام في صناعة الاحكام»، « الرسالة السنية في شرح المقدمة المطرزية » ، « الانوار الساطعات في شرح الآيات البينات » ، كتاب « نزهة الناظر في المثل السائر » ، « الرسالة الكاملة في علم الجبر والمقابلة » ، « الرسالة المنصورية في الاعداد الوفقية » ، « الزاهي في اختصار الزيج
٢٥ الشاهي » ، « الزيج المقرب المبني على الرصد المجرب » . هذا كلام « عيون الأنباء » ملخصا ، ولكنه لم يذكر انه بنى مدرسة .

تتمة في ذكر البيمارستانات

يحسن بنا ان نردف الكلام على مدارس الطب بما كان في دمشق من البيمارستانات[1]؛ لانها بنيت للغاية التي بنيت لأجلها مدارس الطب وزيادة وهي انها كانت مأوى المرضى ومجتمع العقاقير ، فنقول :

البيمارستان (الصغير) ٥

قال ابن شقدة في « منتخب شذرات الذهب » : البيمارستان الصغير بدمشق اقدم من البيمارستان النوري ، وكان محله قبلي مطهرة الجامع الاموي . واول من عمره بينا ، وخرب رسوم البيمارستان منه ابو الفضل الاختائي ؛ ثم ملكه بعده اخوه البرهان الاختائي ، وهو تحت المئذنة الغربية بالجامع الاموي من جهة الغرب ، وينسب الى انه عمارة معاوية وابنه . انتهى . **قلت** : ولا رسم له الآن ولا طلل ! ١٠

البيمارستان (النوري)

نور الدين بن زنكي

بناه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، واوقف عليه جملة كبيرة من الكتب الطبية ، وكانت في الخزانتين اللتين في صدر الايوان . وقد تقدم الكلام عليه في ترجمته ، وهو مشهور لم يزل الى الآن . وقد كان الاطباء يردون اليه ، وينام فيه المرضى الى قرب الثلاثمائة بعد الألف ، الى ان عمرت الحكومة مستشفى الغرباء بمحلة البرامكة ، وتناوبته الأطباء ، وقصده المرضى من الفقراء والغرباء ؛ فاتخذته الحكومة مدرسة للأناث فلم ينقطع منه النفع ؛ فرحم الله بانيه واسكن روحه فراديس الجنان . ١٥

البيمارستان (القيمري)

هو بالصالحية بدمشق بالقرب من جامع الشيخ محي الدين محمد بن عربي الطائي الحاتمي الاندلسي ، وهو باق الى الآن ، ولكنه قد تناولته يد المختلسين ، وعلى بابه مكتوبة اوقافه واسم بانيه ، وهو يدعو أهل الهمة والغيرة لترميمه والانتفاع به ولو بجعله مدرسة ؛ وسأتشبث بذلك ان اعانني الله تعالى . ٢٠

---

(١) في الأصل المارستانات .

والذي مكتوب على بابه :

١ ـ خان التونة بحكر السماق بكماله . ٢ ـ وحصة بطاحونة بـاب توما أربـع قراريط . ٣ ـ وخان شمالي البيمارستان يشتمل على بيوت جماعة . ٤ ـ وقاعـة شرقي البيمارستان . ٥ ـ وحوانيت ومسلخ بباب البيمارستان حانوت ١٧ . ٦ ـ وقاعة وحجر واصطبل تحت وقف أمير الدين بذا .

ترجمة بانيه

سيف الدين القيمري ٠٠٠-٦٥٣

قال ابن شقدة : هو سيف الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابي الفوارس القيمري صاحب البيمارستان بصالحية دمشق ، كان من أجلة الأمراء وابطالهم المذكورين وصلحائهم المشهورين ، وهو ابن اخت صاحب قيمر ، توفي بنابلس ، ونقل فدفن بقبته التي بقرب مارستانه بالصالحية سنة ثلاث وخمسين وستمائة . وتقدمت ترجمته عند الكلام على مدرسته .

هذا هو المكتوب على الاحجار كل حجر بمفرده ، والباقي سطران وهما :

هذا ما اوقفه وحبسه وابده الأمير سيف الدين القيمري رحمه الله تعالى على هذا البيمارستان :

فمن المرج نصف قرية البحدلية ، وكذلك قرية المسعودية بكمالها ، وايضا قرية المضادية ، وايضا من قرية بالا تسعة قراريط ، ونصف الحصص من الاضاع الحولانية، دير ايوب عليه السلام بكمالها ، دير الهرير وطواحينها بكمالها ، ودير السوح بطواحينها، والحصة النصف والربع منها ، ومن قرية عترة الربع ، ومن قرية فادا النصف والثمن سرية ، ثلاثة قراريط ونصف من المسقف ، حصة برامخشي ، بقيسارية فراطين ، وحانوت بالفقار مضمونة ، برستم الشوى وصفة نوح سبعة عشر حانوتا، الحصة من اللط وربع قيراط .

اوابد وضم شوارد تليق بالمقام في أولية فن الطب

حكى الوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي في كتابه « اخبار العلماء باخبار

الحكماء » في ترجمة اسقليبوس الحكيم كلاما طويلا في شان اولية الطب ؛ فمخضنا زبدته واثبتنا نتيجته ، واليك ذلك :

ان الكلام في الاوليات عموما ، وفي اولية الطب ومن احدثه وفي اي زمن وجد ، عسر جدا ؛ وذلك ان الذين يقولون بقدم العالم يقولون : ان الطب قديم بقدم العالم ؛ لان الطب ملازم للانسان في حالة وجوده والانسان قديم ؛ فالطب قديم . والفرقة الاخرى التي تعتقد حدوث الاجسام تقول : الطب محدث ؛ لان الاجسام التي يستعمل فيها الطب محدثة . واصحاب الحدوث ينقسمون في القول الى قسمين : فالقسم الواحد يقول : ان الطب خلق مع الانسان اذ كان من الاشياء التي بها صلاحه ؛ وبعضهم يقول : ان الطب خلق بعد خلق الانسان . واجاب هؤلاء عن قول بعض الحكماء : ان اسقليبوس هو مخترع الطب ؛ بأن حديثه ليس الا على سبيل السمر ، هذا مع اجماع الاطباء الاول على انه اول من استخرج الطب واستنبطه ، وقالوا : جاءه الطب على لسان الوحي . فاما حصر زمانه وزمان من جاء بعده ، فقد ذكروا من عدة السنين مما بينه وبين جالينوس ما يزيد على خمسة آلاف سنة ، فهذا يدل على انه كان قبل الطوفان ، وكل ما هو قبل الطوفان لم تعلم حقيقته لعدم المخبر به على الوجه الصحيح . على ان جالينوس قال في تفسير كتاب « العهود لابقراط » : الذي يتناهى الينا من قصة اسقليبوس قولان : احدهما لغز ، والآخر طبيعي . اما اللغز فيذهب فيه الى انه قوة من قوى الله تعالى ، واشتق لهذا الاسم من فعلها وهو منع اليبس . وزعم ابن جلجل انه كان تلميذا لهرمس المصري . وذكر ابقراط في كتاب « ايمانه وعهده » ان هذا الاسم في لسان اليونانيين مشتق من البهاء والنور ، والطب صناعة اسقليبوس ، يعني لايجب تعاطيها الا لمن كان على الطهارة والعفاف والتقى ، وانه لايجب ان يعلم للاشرار ولا لذي الانفس الخبيثة ، وانما يجب ان يتعلمها الاشراف والمتالهون العارفون بالله . ثم ان الاولين منذ نشاة الطب كان بينهم العهود والمواثيق ان لايعلموا صناعة الطب غريبا . وحكى القفطي في ترجمة بقراط او ابقراط ان الطب كان استنباطه بالتجربة ؛ وذلك ان امراة ابتليت بضعف المعدة وامتلاء الصدر بالاخلاط ، فاتفق ان اكلت الراس بشهوة منهالة ، فذهب وجعها ، ورجعت الى صحتها ، وكانت من اهل مصر ؛ فانتبهوا لذلك ، واقبلوا على فن الطب بالتجارب . وذكر هذا اسحاق بن حنين في « تاريخه » . انتهى .

قلت : ومثل هذا هو الصواب ؛ لان فن الطب الى الآن ولم يزل يتقدم بالتجربة

والاكتشاف والاختراع ، وثم اقوال كثيرة في كتب الاطباء . وتقدم ان الاطبـاء الذين
كانوا قبل ابقراط كانوا يبخلون بتعليم هذا الفن ، ولا يعلمونه للغرباء حتى جاء ابقراط ؛
فكان اول من علمه الغرباء وجعلهم كاولاده لما خاف على الطب ان يفنى من العالم ، كما
ذكر ذلك عن نفسه في كتاب عهده الى الاطباء الغرباء ، والف التآليف الغريبة النافعة
٥ فيه ، وشاع ذلك الفن . ثم جاء بعده جالينوس ، ولكن بنحو ستمائة سنة ، فاستنبط
علم التشريح ولم يسبقه اليه احد ، والف فيه سبع عشرة مقالة ؛ وكانت له بمدينة
رومية مجالس مقامية يخطب فيها ، ويظهر من علمه بالتشريح ما يعرف به فضله ؛ وكان
لايقنع من علم الاشياء بالتقليد دون المباشرة ؛ ولولاه ما بقي علم الطب ولكان مندرسا
واثرا من العالم جملة ؛ ولكنه اقام اوده ، وشرح غامضه ، وبسط مستصعبه ؛ وكان
١٠ متصفحا لجميع كلام المؤلفين فلم يسلم احد من القدماء منه الا مشدوخا ؛ وكانت وفاته
قبل المسيح بسبع وخمسين سنة .

وقال عبيد الله بن بختيشوع : ظهر جالينوس أيام الملك انطونيوس بـاني مدينة
ايليوبوليس المسماة ببعلبك ، وهو الذي استخدم جالينوس .

وقال اسحاق : ان بين وفاة جالينوس الى سنة تسعين ومائتين للهجرة ثمانمائة
١٥ وخمس عشرة سنة . وعاش جالينوس ، على ما ذكره اسحاق بن حنين في «تاريخه»
ونسبه الى يحي النحوي ، سبعا وثمانين سنة ، وهذا اعدل ما يمكن علمه .

وفي كتاب « التوضيح في اصول التشريح » ليوحنا ورتبات : ان صناعة التشريح
كانت معدومة في الازمنة القديمة ، الى ان قامت مدرسة الاسكندرية الشهيرة التي
انشاها بطليموس الاول الذي تولى مصر بعد الاسكندر الكبير قبل التاريخ المسيحي
٢٠ بنحو ثلاثمائة سنة ، وهي اول مدارس العالم في ذلك الوقت ؛ فجمعت فيها مكتبة
عظيمة ، وادوات التعليم في الهيئة والطب ، ودعي اليها المعلمون ، وامرت الحكومة
بدفع جثث المقتولين بسبب جرائمهم الى المدرسة الطبية لاجل التشريح ، وبقي الاسم
الاول لهذه المدرسة الى ما بعد التاريخ المسيحي بنحو ثلاثمائة سنة . ويظهر ان معارف
الرومانيين كانت منقولة عنها بالتدريج .

٢٥ ثم اضمحلت العلوم في المغرب من القرن السابع بعد المسيح الى القرن الثاني عشر؛
فاخذها الاسلام في المشرق ، وازدهرت بينهم الى ان بلغوا فيها الرتبة الاولى ، الا انهم لم

يتقدموا على من سبقهم في علم التشريح ، بل اكتفوا بما نقلوه من الكتب اليونانية لانهم كانوا يأبون تشريح الموتى .

ومن القرن الثاني عشر الى القرن الخامس عشر بنيت عدة من المدارس الكلية في اوربا ، واضيف لكل واحدة منها مدرسة طبية . وكان اول من شرح الجثة البشرية فيها تشريحا مشتهرا المعلم موندبني مدرس التشريح في مدرسة بولونيا وذلك نحو سنة ٥ خمس عشرة وثلاثمائة والف مسيحية . ومن ذلك الوقت اخذ علم التشريح في التقدم، لكنه خاصا بالمدارس الى بداية القرن الثامن عشر ؛ فظهر ظهورا عاما الى ان وصل لدرجة لايكاد يكون عليها مزيد ؛ وكثرت فيه المؤلفات الى ان صار الآن أوضح واثبت العلوم الطبية . هذا ما قيل عن التشريح .

١٠ واما الطب فانه تأخر في القرون الاولى الى ان صارت له شعشعة في مدرسة الاسكندرية ، ثم تضاءل وصغر الى ايام الخلفاء العباسيين ؛ فاقبل الملوك على احياء آثاره ، وترجمت كتبه ايام المأمون ؛ فبرع المسلمون وغيرهم فيه براعة زائدة ، كما يعلم من «طبقات الأطباء» الى ان بنيت مدرسة بولونيا ؛ فصار ظله يتقلص من الشرق ، ويظهر نوره في الغرب ، الى ان انتقضت قواعده الاولى ، وظهر في طور جديد .

١٥ وفي نصف القرن الثالث عشر للهجرة بدأ الشرق يسترد ما سلب منه شيئا فشيئا، الى ان رد اليه بعض شبابه في زمننا هذا ، واكثرت الدولة العثمانية من بناء مدارسه ، وبنيت بدمشق مدرسة الطب على الطراز الجديد في نحو الألف وثلاثمائة وعشرين ، وقد قضى الله انه لايسلب من احد شيء الا ويرد اليه بعد حين .

خاتمة في ذكر ما أنشىء في دمشق من المعاهد العلمية وذكر

٢٠ ما هو موجود منها الآن مما تقدم ذكره

يعلم المطالع لهذا الكتاب ان الزمان اخنى على معظم ما مر ذكره من المدارس والمعاهد العلمية ، ولم نذكر ما اباده الا للتذكار ولتنبيه القوم على ما اسسه اسلافهم من المجد، ثم قام من بعدهم خلف اضاعوا العلم ودياره ، وطمسوا معالمه وآثاره ، حتى اصبح العلم عندهم جبة وعمامة كبيرة ، واحتفاظا برسوم ابتدعوها وتداولوها ، وحفظ خرافات ٢٥ يأخذونها عن العوام وعجائز البيوت ، وتخفخة وانسابا ما انزل الله بها من سلطان، واختراع

كرامات للعظام الرفات ، وعقولا جامدة وافهاما كاسدة . هذا وقد بنى جماعة بعض مدارس لم يذكرها من تصدر لجمع هذا النوع في كتاب مستقل وانما ذكرت في غضون التراجم ؛ وقد احببت ان افرد لها في كتابي هذا موضعا خاصا بها لتتم الفائدة ، فاقول:

المدرسة (المرادية)

٥ هي في باب البريد مشهورة معروفة . ذات مدرستين صغرى وكبرى ، والثانية ذات حجرات سفلى ووسطى وعليا ، والاولى ذات حجرات ايضا سفلى وعليا . وكانت محط رحال الافاضل ، معمورة بالعلماء وطلاب العلم ولهم من أوقافها ما يكفيهم ، وكان بها مكتبة عظيمة حتى كانت يقال لها : أزهر دمشق . ثم ان نظارها باعوا جانبا من اوقافها ، وقطعوا راتب الطلبة ، وامست في عصرنا هذا كأمثالها خالية من دراسة العلم ،
١٠ معطلة عن الانتفاع بها ، يسكنها بعض الفقراء وبعض من لاشغل له . وكان انشاء هذه المدرسة سنة ثمان ومائة والف . وحكى المرادي في ترجمة الشيخ أحمد المنيني أن جده باني هذه المدرسة لما بناها اقام الشيخ عبد الرحمن اخا الشيخ احمد ناظرا على العمال والصناع بها ، وجعله على اوقافها كاتبا واميناً على كتبها وعلى وظائفها ، وبقي الأمر على اولادهم اعني اولاد عبد الرحمن واحمد .

١٥ ## ترجمة واقفها

مراد الحسيني ١٠٥٠–١١٣٢

قال خليل افندي المرادي في تاريخه « سلك الدرر » : هو مراد بن علي بن داود ابن كمال الدين بن صالح بن محمد الحسيني الحنفي البخاري النقشبندي نزيل دمشق وقسطنطينية ؛ كان آية في العلوم العقلية والنقلية خصوصا في التفسير والحديث والفقه ، وكان معظما مبجلا ، يتقن الفارسية والتركية والعربية ، قيل : كان يحفظ
٢٠ اكثر من عشرة آلاف حديث ، وكان دائما مكشوف الرأس . ولد سنة خمسين وألف ، وكان والده نقيب الاشراف في سمرقند ، ولما تم له من العمر ثلاث سنين حصلت له نزلة على قدميه وساقيه فعطلتهما وبقي مقعدا ، ثم اجتهد في اكتساب العلوم والكمالات ، وقرا العلوم العربية والفنون العلمية ، ورحل الى بلاد الهند وتلقى بها الطريقة النقشبندية عن الشيخ محمد معصوم الفاروقي ، ثم قدم الى بلاد الحجاز حاجا ، ثم عاد الى بغداد
٢٥ واستقام بها مدة ، ثم رحل الى مصر ، ثم منها الى دمشق وقطن بها . وفي سنة اثنتين

وتسعين والف قصد التوجه لبلاد الروم ؛ فارتحل الى القسطنطينية ، فاقبل عليه الناس واخذوا عنه الطريق ، فاقام بها خمس سنين . واخذ من السلطان مصطفى خان قرى بدمشق اقطاعا بمال يدفعه للخزينة الأميرية في كل سنة ، وهو الآن المعروف بالمالكانات.
ومن آثاره بدمشق المدرسة المعروفة به ، وكانت قبل ذلك خانا يسكنه أهل الفسق والفجور ، وشرط في كتاب وقفه انه لايسكنها امرد ولا متزوج ولا شارب للتتن[1]. ٥
وكذلك بنى مدرسة في داره بمحلة سوق صاروجا وتعرف بالنقشبندية البرانية ، مع مسجد كذلك هناك . وله من التآليف « المفردات القرآنية » في مجلدين تفسير للآيات، وجعله بالعربية ثم بالفارسية ثم بالتركية ، وله رسائل كثيرة في الطريقة النقشبندية ، وتحريرات ومكاتبات . وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين ومائة والف في القسطنطينية، ودفن في المدرسة المعروفة في محلة نيشانجي باشا . انتهى ملخصا [2]. ١٠

الزاوية (الخلوتيـة)

منصور الخلوتي
١١٣٦-٠٠٠

رايت بخط خليل افندي المرادي اثناء ترجمته لمنصور بن مصطفى بن منصور السرميني الحلبي الخلوتي ما صورته :

ان الشيخ منصور المذكور اختلى على عادة مشايخ الطرائق ، ولزمه جماعة واخذوا عنه ، واقبل عليه الناس واشتهر ، واستقام بدمشق بعياله قدر عشرين سنة ، قال : ١٥
وكان والدي اشترى المكان المبني تجاه باب جيرون بالجامع الاموي ، واوقفه على المترجم، وبعده على من يصير خليفة بعده من المشايخ البكرية الخلوتية ، وكان القاضي بالحكم سليمان بن احمد الخطيب المحاسني الحنفي .

وحكى المرادي ما خلاصته : ان الشيخ المذكور كان مولده سنة ست وثلاثين ومائة والف بسرمين ، ونشا بحلب ، وطلب العلم وقرا على اساتذة زمنه في حلب ومصر ، ٢٠
واخذ الطريق عن الشيخ مصطفى البكري ، والف رسالة في البسملة سماها « كشف الستور المسدلة عن الف وجه من اسرار البسملة ، وكشف اللثام والستور عن مخدرات ارباب الصدور » .

---

(١) التبغ .

(٢) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره سبعة اسطر .

المدرسة (السليمانية)

سليمان العظم

هي بمحلة نور الدين بالقرب من باب البريد معروفة هناك ومشهورة . اوقفها بعد
ان بناها الحاج سليمان باشا ابن ابراهيم بك العظم محافظ مدينة الشام يومئذ وامير
الحاج ؛ وكان برتبة مشير على ما هو اصطلاح الدولة العثمانية . ورأيت تاريخ وقفها انه
٥ كان في سابع عشر جمادى الاولى سنة خمسين ومائة والف . وحكى في كتاب وقفها
انه جعل بها بركة ماء يجري ماؤها من نهر القنوات ، ومسجدا ، وستعشرة خلوة سفلية
وعلوية ؛ فالسفليات قبو ، والعلويات مسقفة بالخشب ، وبها مطبخ وبيت لأدوات المطبخ .
وجعل لها خزانة كتب واوقف عليها كتبا كثيرة ؛ وسرد في كتاب وقفها اسماءها ولم
نذكرها هنا لشيئين : اولهما ان تلك الكتب قد فقدت بالكلية فلم يبق منها في خزانتها ولا
١٠ ورقة ؛ فقسم منها الله اعلم بما صار اليه ، وقسم آخر اودع في خزانة الكتب التي انشئت
في قبة الملك الظاهر بدمشق . وثانيهما ان تلك الكتب ليس فيها ما هو نادر سوى
« حاشية الجاربردي على الكشاف » و « معالم التنزيل للبغوي » و « فتاوى مؤيد زاده »
و « حاشية عزمي على الدرر » وحصة من « تفسير ابن كمال باشا » ، وكتاب « الابحر
السبعة في اللغة » و « منتخب مجمع الزوائد » و « بهجة الناظرين للشيخ مرعي الكرمي
١٥ الحنبلي » و « شرح ديوان أبي العلاء المعري لابن الدرة » ؛ وباقي الكتب على كثرتها كلها
مطبوع « كاحياء علوم الدين » و « الشفاء للقاضي عياض » وشروحه ، وامثال ذلك .

اوقافها

اوقف عليها الدار التي هي لصيقها وهي دار كبيرة بها حمام ، والدار الصغرى وهي
جنوبي الدار الكبرى ، ودارا ثالثة تجاه الدار الثانية ، ودارا بمحلة الخراب بالشارع
٢٠ السلطاني تجاه قناة الفضة ، وحماما عند طالع الفضة ، وفرنا لصيق الحمام من الجانب
الشآمي ؛ والمصبغة الملاصقة لذلك ، والطباق التي على الاقميم والحاصل والمصبغة
وعدتها ثلاثة طباق ، ومشرقة ، ومرتفقا ، وقاعة نشاء داخل باب الشاغور الجواني
بزقاق بني المزلق وما يتبع القاعة ، وطاحونا بالصالحية بزقاق جري باشي ، وطاحونا
بمحلة سوق صاروجا لصيق المدرسة الشامية ، وطاحونا بالشرف الأدنى بمرجة دمشق ،
٢٥ وطاحونا بقرب المزاز المعروف بالشيخ ارسلان ، وطاحونا بالقرب من قرية الدوير وتعرف
بطاحون العشبية ، وطاحونا بارض قرية الدوير وتعرف بطاحون البيدر ، وطاحون دارة

الرحى الكائنة بقرية القصير العتيقة بالقرب من الخان وتعرف بالمكيسرة (تنبيه : هذه الطواحين الثلاث موجودة الى الآن ، وهي راكبة على النهر الذي يسقي أرض قرية عذرا، وهذا النهر يخرج من سفح الجبل المطل على الدوير من الجانب الشمالي ، وفي محل نبعه ثلاث عيون : احدها من الجانب الشرقي هذا النهر ، وبجانبه الى القرب النهر الذي يسقي مزارع قرية الدوير ، وبالقرب منه نهر ثالث مشترك بين قريتي القصير والريحان: الثلثان منه للاولى ، والباقي للثانية . ومن خصائص هذه الانهر ان ماءها على مقدار معين لاينقص لافي الصيف ولا في الشتاء ، وانه يخرج من ينبوعه معتدل الحرارةدائما، ففيه دليل على انه ماء معدني ؛ ويقال لهذه العيون : عيون فاس ويا) . وأما الدوير فقد كانت زمن هذا الوقف قرية عامرة ، واما الآن فلا اثر لها . واما القصير فالذي يظهر من كتاب وقف هذه المدرسة انها كانت قرية عامرة بالقرب من الخان على جانب نهر عذرا من الجهة الجنوبية ، ثم خربت وعمر بدلا عنها قرية اخرى تبعد عنها الى الشمال بنحو خمس عشرة دقيقة مقابل طاحون القصير ، ثم خربت ايضا وانتقل اهلها الى قصبة دوما وبقيت مزارعها في ايديهم . وذكر ياقوت في « معجم البلدان » البلدة العتيقة فقال : القصير ضيعة أول منزل لمن يريد حمص من دمشق ، ولم يزد على هذا ، ومنه يظهر انها قرية قديمة كانت مشهورة . وقال في « القاموس » وشرحه « تاج العروس » : القصير بلدة بدمشق على فرسخ منها . انتهى . وليس بصواب بل بينها وبين دمشق نحو من اربع ساعات بسير الابل . واخبرني بعض الثقات ممن آباؤه من القصير أن الجيش العثماني لما توجه من طريق البر الى طرد الفرنسويين من مصر سنة اربع عشرة ومائتين والف ، جعل معسكره عند ثنية العقاب بالقرب من نهر عذرا ؛ فجعلت العساكر تأتي قرية القصير ، وينهبون اهلها ويتعدون عليهم ؛ فسار كبراء القرية وشكوا امرهم الى القائد ؛ فارسل لهم من يحفظهم مدة وجود الجيش هناك . ولما رحل القائدبعسكره عنهم ؛ اغتنم الاعراب الفرصة فغاروا على القرى ؛ وجعلوا ياخذون من اهلها الخفارة ويظلمون وينهبون ؛ فسئم اهل القرى الصغيرة واخذوا ينضمون الى القرى الكبيرة المجاورةلهم ليقدروا على مقاومةالاعراب ودفع شرورهم؛ فانضم اهل القصير الى اهل دوما وسكنوا معهم؛ وكذلك اهل قرية بتوانه والدوير وغيرهما ؛ فكبرت دوما حينئذ ، وضمت الى ارضها ارض اهل القرى المنضم اهلها اليها ، وهذا هو سبب خراب القرى الصغيرة في الغالب .

رجعنا الى سر اوقاف المدرسة ، ومن وقفها : الدار بدمشق بزقاق الوزير شمالها المدرسة الجوهرية ، وجميع غراس المقسم الغربي المغروس من بستان القصير البكروجي بالقرب من قرية القدم ويعرف بنصبة حمزة ، وجميع غراس قطعتين من الأرض لصيق البستان المذكور تعرف الاولى ببني قيصر والثانية بجليلة ، وبستان بأرض قرية المزة ارضا وغراسا وماء ويعرف بالعتيقة ، وجميع جنينة الحبراصي بالمزة وتعرف بالحبراصيات ، وبستان الصابوني بالمزة ارضا وماء وغراسا ، وغراس مزرعة القصير البكروجي ، واربع قطع سلايخ بأرض القطايع معروفة بالقرنة ، وجميع غراس بستان بأرض الشاغور البراني بالقرب من مزار شمعون وبستان الحاجبية والعبّارة بأرض الشاغور البراني ارضاً وماء وغراساً ، وبستان الدولابي كذلك ، وقطعتا ارض تعرف اولاهما بالعوجاء والثانية بالقويصات تابع الدولابي . ثم بين في كتاب انه اوقف على هذه المدرسة ارض النحاسية ، واشار ذلك الكتاب الى ان هذه الارض كانت مواتا من مدة تقرب من مائتي سنة ، وهي من ارض بلاد المرج ؛ فاحياها الواقف ، وحفر لها قناة لسقيها واصلحها ، ثم اوقفها مع قناتها ، واوقف ذلك على طلبة العلم المجاورين بالمدرسة وعلى الواردين اليها لطلب العلم ، وجعل المدرس الشيخ محمد التدمري ، وعين له في كل يوم خمسة عشر درهما عثمانيا ، وعين للامام ستة دراهم كل يوم ، واقام بها شيخ قراء وخازن كتب ولهما كل يوم ستة قروش ، ومعيدا وقارىء عشر ولهما اربعة دراهم كل يوم ، وجعل وظيفة الامامة ومشيخة القراء ووظيفة خزانة الكتب وقراءة العشر للشيخ ابراهيم ابن الشيخ عباس ، وجعل طبخ طعام للمجاورين ، وعين للطباخ والشعال كل يوم اربعة دراهم ، وللكناس والبواب كل واحد درهمين في اليوم ، ولخادم ماء المدرسة درهمين .

تنبيـه : قد مر ذكر شمعون آنفا . قال الشيخ جلال الدين عبد الرحمن ابن علاء الدين البصروي في كتابه « تحفة الانام » : شمعون بن زيد الأزدي حليف الانصار ابو ريحانة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبره بدمشق خارج باب الصغير ، وبأرض الشاغور ضريح يعرف بشمعون ؛ فيحتمل ان يكون هو وان يكون قبره . انتهى . وحكى الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » خلافا في سكنى شمعون ؛ فحكى عن خليفة ابن خياط انه قال : هو من ساكني مصر . وقال البرقي : كان يسكن بيت المقدس . واكثر الروايات على انه كان يسكن الشام . ولم يذكر الحفاظ : ابن عساكر في « تاريخه »

وابن عبد البر في « الاستيعاب » ، وابن حجر في « الاصابة » موضع قبره .

وشرط الواقف ان لايسكن المدرسة الا طلبة العلم المتجردون عن التزويج ، وان يكونوا من اهل الدين والصلاح ، ومتى تزوج أحدهم يخرجه الناظر ويسكن غيره في حجرته . وعين لساكني حجراتها الست عشرة الذين هم ستة عشر طالبا كل يوم اربعة ارطال من الخبز بالوزن بالرطل الدمشقي ، ورطلين من الارز يطبخ لهم شوربة[1] يوما ارز ويوما نصف مد من العدس يطبخ برطل من اللحم . هذا في سائر الايام ما عدا شهر رمضان ، واما في الشهر المذكور ؛ ففي كل يوم منه يطبخ لهم رطلان من الأرز في اربع اواق من السمن ، ورطل من اللحم يطبخ بنصف مد من الحنطة شوربة ، ولكل واحد من الطلبة في الشهر ثماني اواق من الزيت ، وللمدرسة ثلاثة ارطال من الزيت لشعل ثلاثة قناديل ، وفي شهر رمضان يشعل كل يوم ثلاثون قنديلا وشمعتان بجانبي المحراب زنتهما رطلان . وعلى المجاورين قراءة ختم قرآن في صباح يوم الجمعة ، ويهدون ثواب القراءة لروح الواقف وروح والديه . واشترط ان يكون توجيه الوظائف والاسكان في الحجرات بيد الناظر لايشاركه غيره في ذلك . هذا ما رأيناه في كتاب وقف المدرسة ثم رايت في كتاب وقف آخر اوقفه على ذريته بعد الكتاب الأول انه جعل من وقف الذرية لكل طالب مقيم في مدرسته قرشا لكل واحد منهم ، وجعل الطلبة ستة عشر ، وجعل لهم كل يوم رطلا من الخبز زيادة على الأربعة ارطال المار ذكرها ، وعين كل يوم مصرية يشترى بهار للطبخ ؛ وثلاثة قروش كل يوم لمن يقرأ دلائل الخيرات ، وقرشين كذلك لمن يقرأ القرآن في الشهر مرتين ويهدي ثواب قراءته لروح الواقف . هذا ما قرأته في كتاب وقفها .

ورايت مكتوبا على اسكفة بابها نقشا على حجر ما صورته :

للخير والعلم والطلاب مدرسة	قد شادها اوحد الدنيا سليمان
اعني الوزير امير الحج سيدنا	من كل افعاله بر واحسان
بالقرب من داره الزهراء اوقفها	وشيد منها على الاخلاص بنيان
اثابه الله في الدارين صالحة	كذا له السعد والتوفيق أعوان
وهاتف البشر بالاخلاص ارخها	اس القبول على الاشراق عنوان

(١) الكلمة من العامية وصوابها الحساء .

مكتوب على أسكفة بابها(١) :

احسن بمدرسة زهت بلباسها	وتفاخرت عزا على أجناسها
قد شادها المولى الوزير محمد	شمس المعارف من اجل أناسها
لله وقفا والقبول مؤرخ	ناش على التقوى مجيد لباسها
	١١٩٣

٥ مدرسة عبد الله باشا العظم

اننا نذكر هنا ما قرأناه في كتاب وقفها المحفوظ في سجل أوقاف سورية الجديد في عدد ١٧٦ ، فنقول : واقف هذه المدرسة عبد الله بك ابن الوزير محمد باشا محافظ الشام وامير الحاج ابن مصطفى بك العظم ، اوقفها عن والده بالوكالة عنه ، وكانت قبل ذلك قاعة غربية من دار الواقف الوكيل مع مساكن تابعة لها من داخلها وخارجها ؛

١٠ فهدم تلك المساكن ، وبنى مكانها المدرسة المذكورة من ماله ، وجعل لها بابا خاصا بها بقنطرة من حجر ، وجعل الباب مصفحا بالنحاس ، وجعل لها شبابيك مطلة على الزقاق ، وجعل في الأسفل حجرات وجامعا وبنى فوقه حجرات أيضا بقبو ، وجعل في الأعلى حجرات أيضا ، وجعل القصر الذي بين الطبقة الثانية والثالثة الراكب على الطريق خاصا بالمدرس الذي يكون في المدرسة ، وجعل للمدرس ستين غرشا عن كل شهر خمسة غروش ؛

١٥ وللامام ثمانية عشر غرشا في السنة عن كل شهر غرش ونصف ؛ ولخازن الكتب خمسة عشر غرشا عن كل شهر غرش وربع ، وتسعة وثلاثين غرشا لمن يكون شيخا للربعة وقراءة جزء شريف في السنة ، وستة غروش في السنة لمن يكون معيدا للمدرس ، واربعة وعشرين غرشا لمن يقرأ دلائل الخيرات ، وجعل للساكنين في الخلاوي لكل خلوة في السنة خمسة عشر قرشا(٢) ، ولمن يكون في المدرسة اربعة وعشرين غرشا في

٢٠ السنة ، وجعل للطباخ كل شهر غرشين ؛ ورتب للمطبخ مدا من الارز كل يوم ؛ ويزاد عليه مد آخر من الارز كل يوم للشوربا ، وخمسة ارطال من الخبز كل يوم للمجاورين بها ، وجعل مائة وثمانين غرشا ليشترى منها كل يوم نصف رطل من اللحم للشوربا وغرارتان وربع حنطه للشوربا ، وجعل اثنى عشر رطلا وربع رطل من الزيت في كل شهر لايقاد قناديل المدرسة وخلاويها ، وزاد عليها في رمضان خمسة ارطال من الزيت

---

(١) كذا رتب المؤلف ، وهذه الابيات تعود الى المدرسة المذكورة بعدها (اي مدرسة عبدالله باشا العظم) .

(٢) هو القرش وهو من نقود العثمانيين .

توقد في حرم المدرسة ، وعشرة ارطال من السمن لأجل الأرز في رمضان ، وسبعة ارطال من الحطب كل يوم لأجل طبخ ذلك ، وخمسة عشر قرشا في كل سنة ثمن بهار ولوازم لأجل دق الحنطة ، ومائة وخمسين غرشا مرتبة لجهة الحرمين توزع على المقيمين فيهما . وجعل تولية النظر على وقفه لنفسه مدة حياته ، ثم على عقبه من بعده ، واشترط على المتولي ان يبدا بتعمير المدرسة وترميمها واصلاح المحال الموقوفة ، وان لاتؤجر أوقافها اكثر من ثلاث سنين ، وانه تجوز الزيادة والنقصان في الوظائف والمبرات ، وشرط في سكان المدرسة أن يكونوا ممن له رغبة في طلب العلم وتحصيله ، وان يكون من اهل الصلاح والتقوى ، وأن لايكون متزوجا ولا امرد ولا محترفا بحرفة ولا ذا سفه ، وأن يكون مقيما في المدرسة لايغيب عنها غيبة غير شرعية كالحج وصلة الرحم ، واذا تزوج يخرجه المتولي ويسكن غيره مكانه[1] .

التكية (الأحمدية)

رأيت في بعض المجاميع ما نصه : تاريخ تكية أحمد باشا بن تزل الخالدي التي تجاه قلعة دمشق :

رب بالاحسان جازي من بنى	للفقرا تكية سالدة
وانظر بعين اللطف في تاريخه	وأنزل علينا ربنا مائدة[2]
	سنة ٩٦٣

---

(١) بعد هذا الكلام في الاصل بياض قدره سبعة أسطر .

(٢) بعد هذا الكلام يوجد ثماني ورقات بيضاء ، يظن ان المؤلف كان يريد ان يذكر فيها اضافات جديدة ولم يفعل . وقد قارنا مخطوطتنا على مصورة مخطوطة الاوقاف الموجودة حاليا في المجمع العلمي بدمشق فوجدنا أنه لازيادة في تلك على نسختنا هذه .

الباب الثامن في الخوانق

الخانقاه ، ويقال : الخانكاه بالقاف والكاف ، وهي كلمة أعجمية : دار الصوفية . قاله النعيمي . وقال الخفاجي في كتابه « شفاء الغليل » : خانقاه بالقاف : رباط الصوفية ، معرب مولد استعمله المتأخرون . ا.هـ. وجمعه الناس على خوائق .

٥

حرف الهمزة

الخانقاه (الأسدية)

اسد الدين شيركوه

قال ابن شداد : هي بدرب الوزير . وقال في « الروضتين » : هي داخل باب الجابية بدرب الهاشميين المعروف بدرب الوزير ، أنشأها اسد الدين شيركوه منشيء المدرسة الأسدية بالشرف القبلي ظاهر دمشق المطلة على الميدان الأخضر ، وقد تقدمت ترجمته في مدرسته .

١٠

تنبيه : ليعلم الواقف على هذا المكان اني لم انقب عن محال تلك الخوانق لعلمي بان غالبها قد اندرس ; فلا يمكن الوقوف على محله ، ولا على تراجم أصحابها في الغالب لعدم الجدوى وصعوبة المنال ، اللهم اذا كان ثمة نفع فاني لا أتأخر كما تعلمه مما يأتي .

الخانقاه (الاسكافية)

١٥

شرف الدين ابن الاسكاف

قال ابن شداد : انشأها شرف الدين محمد بن الاسكاف على نهر يزيد بسفح قاسيون .

الخانقاه (الأندلسية)

هي من المفقودات ، كانت شرقي العزيزية والأشرفية ، وخلاء[1] الكلاسة لصيق الجقمقية ، وغربي السميساطية قبالتها .

---

(1) كذا في الاصل ، وذكر الأمير جعفر الحسني في الطبعة المحققة « للدارس » أن الصواب فيهما : « داخل الكلاسة » .

قال بعضهم : وقفها مختلط مع السميساطية ، وهي تعرف بابي عبد الله محمد ابن احمد بن يوسف الأندلسي ، ولم يذكر النعيمي سنة وفاته . **قلت** : وهي الآن موجودة يجلس بها متولي الجامع الأموي .

حرف البـاء

الخـانقاه (الباسطية)

بالجسر الأبيض غربي المدرسة الأسعردية ، وشمالي الخانقاه العزية ، انشأها القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش الاسلامية في زمنه والخوانق والكسوة ، وكانت هذه الخانقاه دارا له ؛ فلما توجه السلطان الملك الأشرف برسباي الى آمد سنة ست وثلاثين وثمانمائة خاف من نزول العسكر بها ؛ فجدد لها محرابا واوقفها . ثم اجتمع ببرسباي واتصل به ، وصار له به علاقة عظيمة حتى صار الحل والعقد بيده فلا يبرم الأشرف أمرا الا برأيه . وشرع في عمارة بلاد السلطان فزاد متحصلها بذلك، وكان سعيد الحركة ، عمّر المدارس بالحرمين والقدس ومصر ودمشق ، واوقف عليها اوقافا حسنة ، ورتب في ركبي الحج المصري والشامي سحابتين وما يحتاج اليه فيهما من الجمال والرجال للفقراء والمساكين ، والسحابتان : خيمتان كبيرتان على صفة الجملون ؛ وجعل لكل سحابة خمسة وعشرين قنطارا من البقسماط(١) وما يكفيهما من احمال الماء ، توفي بمصر سنة أربع وخمسين وثمانمائة . كذا ترجمه النعيمي .

وقال العلموي : والوقف الخاص بالباسطية : بستان الشياح بقرية كفر بطنا من غوطة دمشق ، والجنات الثلاث الملاصقات والمقابلات لها من الجانب القبلي ، وحكر طاحون الدورة ، وحكر طاحون ثانية بأرض المرجة، وحكر بستان الناعمة ، وحكر طاحون ابن الجاموس التي في مقابلة طاحون الأنصار ، وقاعة بباب البريد ؛ ونصف الدكاكين في مقابلة المؤيدية في دمشق : ستة عشر دكانا ، وحكر بجانب الجنينة التحتانية لصيق الخانقاه العزية ، وتاريخ كتاب وقفها سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة .

وكتب قاضي القضاة برهان الدين الباعوني الى شرف الدين كاشف ثغر صيدا يوصيه بجهات الخانقاه الباسطية قائلا : اوصيك به ، وبالاحسان الى اهل بلادك عموما ، والى اهل يسيل خصوصا فانه من جملة اوقاف الخانقاه المذكورة .

(١) هو الكعك الناشف .

وأول من ولي مشيخة هذه الخانقاه ابراهيم بن احمد بن ناصر بن خليفة المقدسي الشافعي الناصري الباعوني الدمشقي ، سمع من العراقي ، ولازم البلقيني ، واشتغل بالعلم كثيرا ، وبرع في الادب ، وكان خطه حسنا ، وولي خطابة الجامع الأموي ، وانشا ديوان خطب ، وله ديوان شعر ، واختصر « صحاح الجوهري » اختصارا حسنا ، توفي
٥ سنة سبعين وثمانمائة .

ثم تنقلت هذه الخانقاه جماعة منهم : الشيخ اسماعيل النابلسي والد الشيخ عبد الغني ، ثم الى اخيه الشيخ يوسف ، ثم الى الشيخ محمود العدوي ، ثم الى اناس اكلوا اوقافها واهلكوها .

حـرف الحاء المهملة

١٠ ### الخانقاه (الحسامية)

شمالي المدرسة الشبلية البرانية عند جسر كحيل ، ينسب بناؤها لأم حسام الدين لاجين المشهورة بست الشام اخت السلطان الناصر . ودفن حسام الدين بالتربة التي انشاها بمحلة العونية بالشامية البرانية بالقبر الأوسط على والدة صلاح الدين ؛ وتوفي في الليلة التي توفي بها تقي الدين عمر سنة سبع وثمانين وخمسمائة . وتولى مشيختها
١٥ جماعة منهم الشيخ شرف الدين نعمان .

حـرف الخـاء

الخانقاه (الخاتونية)

عصمة الدين خاتون
٠٠٠–٥٨١

ظاهر باب السعادة ، اول الشرف القبلي على بانياس ، شرقي جامع تنكز ولصيقه ، وبابها يفتح الى القبلة . قاله في « تنبيه الطالب » . ورايت على هامشه ما صورته :
٢٠ هي التي يقال لها : اللطفية . انتهى . واليوم لم نعرف الخاتونية ولا اللطفية . وبناؤها ينسب الى خاتون بنت معين الدين ، زوجة نور الدين الشهيد . قال ابن شقدة في حوادث سنة احدى وثمانين وخمسمائة : وفيها توفيت عصمة الدين خاتون بنت الأمير معين الدين انر ، زوجة نور الدين ، ثم صلاح الدين ، وواقفة المدرسة التي بدمشق للحنفية .

وبنت خانقاه للصوفية على الشرف القبلي خارج باب النصر ، وبنت تربة بقاسيون على نهر يزيد تجاه قبة جركس ، ودفنت بها ، وهي في يومنا هذا داخل الجامع الجديد بالصالحية ، واوقفت على هذه الاماكن اوقافا كثيرة . انتهى . قال النعيمي : ولي مشيخة الخاتونية ونظرها الشهاب الدلجي المصري ، فباشرها مباشرة مذمومة . وقال ابن قاضي شهبة في حوادث سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة : في هذه السنة نزل الشهاب الدلجي الزنديق عن مشيخة خانقاه خاتون ونظرها لابن قاضي عجلون بعوض اخذه ، وكان وقع له قضية بسببها ، وقام معه ابن حجي وساعده ، ووقع بينه وبين علاء الدين البخاري بسبب ذلك ، فكتب الشيخ في القاضي الى مصر فعزل ، ثم بعد ايام وقعت له قضية قبيحة صار بها من أبين الناس ، وبعد مدة يسيرة اشهد عليه ابن قاضي عجلون ان الوظيفة المذكورة يختص بها اخوه ولي الدين دونه .

حرف الدال

الخانقاه (الدويرية)

ابو الفرج حد ٢٠٠-٤٠١

لاشك في أن الزمان سلمها ليد المختلسين فجعلوها دورا للسكنى ، وكانت بدرب السلسلة بباب البريد ، وتعرف بدويرة حمد نسبة لصاحبها حمد بن عبد الله بن علي ابي الفرج الدمشقي المقرىء المعدل . حكى الذهبي في « تاريخه » انه وجد هو وزوجته وصبي من أقربائه مذبوحين بباب البريد سنة احدى واربعمائة .

ولها اوقاف كثيرة ذكرها في « تنبيه الطالب » نقلا عن حجة وقف اطلع عليها وحكم بها عبد الله بن مفلح ، ولاباس بسردها وان لم يكن به فائدة سوى الاستبصار ، فمنه النصف شائعا من جنينة بني وهبان بالطريق الوسطاني الاخذ الى المزة ، ونصف البستان المعروف بالصوفية من ارض اللوان ، ونصف البستان المعروف بدفوف الاصابع ، وجميع ارض البستان المعروف بحسين الامدي ، والربع والسدس ونصف الثمن من مزرعة العصامية بزقاق الماء ، وسهم من اربعة وعشرين سهما من بستان القاطوع ، ومثله من جنينة قريبة من القاطوع يفصل بينهما نهر داريا والمزة ، ومثله من الجنينة الملاصقة لحمام العوافي ، ومثله من ارض بستان الخرار ، وجميع ذلك بأرض المزة ، وعلى البستان حكر يساوي ستين درهما ، ونصف سهم من اصل اربعة وعشرين من

دار كانت تسمى الشهابية بوادي التيرب قبلي بردى، وقطعة سليخة في ارض قصور داريا من اراضي كفرئوتا . والنصف من قطعتي الدورة والطويلة بأرض الشافور ، ونصف جنينة الوتار ، وربع حقل الفرس ، وربع المكان المعروف بالمطبخ شمالي وقف الشامية البرانية ، وسهم من ثمانية واربعين سهما من مزرعة الصفوانية شمالي بردى وطاحون الشيخ ، وسهم من اثنى عشر سهما من قرية البويضةبوادي العجم ، والسدس من حقل قافية ، ومن حقل محفوظ ، ومن حقل عبيد ، والثلاثة بأرض داعية ، وسهم من أربعة وعشرين سهما من وقف القاطوع بارض بيت رانس وهي سبعة خراجيات : الكرم الصغير ، وحقل الزيتون ، والماحل اثنتان ، والتوكية ، والقطنية ، والبرانس ، وحصة من ارض حوانيت بالبزورية ، وجميع قرار ارض الاسطبل بدرب السلسلة بجوار الخانقاه ، والطباق التي فوقه ، وحكر الاقرع بسوق ساروجا وبحارة السودان بالقرب من تربة يونس ، وحصة من حجة . انتهى . هذا وقفها ولا يستفاد من ذكره الا الاصطلاحات والأسماء .

حرف الراء

الخانقاه (الروزنهارية)

أبو الحسن الروزنهاري ...ـ٦٥٠

كانت بالبرج المجدد خارج باب الفراديس الأول والتربة ، أنشأها أبو الحسن علي الروزنهاري المتوفى سنة عشرين وستمائة ، ودفن بالمكان المنسوب اليه بين السورين عند باب الفراديس. قاله ابن كثير . وقال الذهبي : دفن بالبرج الذي عن يمين باب الفراديس بالخانقاه التي انشاها .

حرف السين

الخانقاه (السميساطية)

بسيئين وطاء مهملات ، وهي معروفة مشهورة عند باب الجامع الأموي الشمالي ، وكان هذا الباب يسمى بباب الناطفيين(١) . وحكى النعيمي انها كانت في مبدا امرها دارا لعبد العزيز بن مروان بن الحكم ، ثم انتقلت الى ابنه عمر بن عبد العزيز ، وكان ذلك

(١) في الأصل الناطقانين .

مكتوبا على عتبة بابها ، ولم تزل الايدي تتناولها الى ان قدم ابو القاسم السميساطي دمشق وسكن بدرب الخزاعية واليه كان يفتح باب هـذه الدار ، وعرف الدرب به ، فاشترى الدار المذكورة ، وبنى بها الصفة القبلية وجنبها لاغير ، وبقي باقيها ساحة . قال ابن شداد : ولما ملك تاج الدولة تتش ، سألوه أن يفتح لها بابا في دهليز الجامع فاذن لهم ، ففتح حيث هوالآن . ثم عمرت،وكان اولمن ابتدا في عمارتها الوزير الفلكي، فبنى البركة والصفة الغربية والطباق على دهليزها ، ثم مجد الدين ابن الداية وكان مدرسا بها ، فاخذ يجمع ما ياخذه من راتبه من وقفها ويبني بها حتى عمر الصفة الشرقية .

وقال ابن عساكر : ان السميساطي وقف هذه الخانقاه على الفقراء الصوفية ، ووقف علوها على الجامع ، ووقف اكثر نعمته على وجوه البر . انتهى .

وقرات الحجر المكتوب في اسكفتها ؛ فاذا فيه بعد البسملة :

هذه الدار وقف على الفقراء المتجردين من الصوفية ، اثاب الله من وقفها.

ثم انها لم تزل مقررة على الصوفية ، والنظر فيها لمن يلقب بشيخ الشيوخ الى سنة اربع وعشرين وثمانمائة . قال الأسدي : وفي هذه السنة اسقط القاضي نجم الدين ابن حجي المتزوجين من الخانقاه السميساطية ، واهل البلد ، وقرر فيها عزابا وغرباء ، وكان قد تقرر فيها الفقهاء وصارت مدرسة ، وقل الحاصل ثم انقطع اخيرا ، ثم أعيد الحضور سنة خمس وعشرين الى ما كان عليه قبل فتنة تيمورلنك في أول النهار ، وكان الحضور في هذه المدة لسماع القراء والمداح ، وكل من يرد من البلاد يعمل فيها ويسمعه الناس . انتهى .

ثم انها صارت مدرسة ايضا . وفي نحو الالف ومائة هجرية سكن في احد حجراتها احمد بن علي المنيني ، وكان فيما بعد مدرسا بها الى أن توجه عليه تدريس العادلية الكبرى ؛ فانتقل اليها ودرس بها ، ثم صارت عليه توليتها وتولية العمرية ، ولم تزل التوليتان تنتقلان في نسله الى يومنا هذا ؛ فضاعت أوقاف المدرستين !

ومن كلام الوداعي يمدح الأمير سنجر التركي لما اتخذ هذه المدرسة بيتاً له :

لدويرة الشيخ السميساطي من   دون البقاع فضيلة لاتبخل [1]
هي موطن للاولياء ونزهة   في الدين والدنيا لمن يتأمل
كملت معاني فضلها مذ حلها ال   فرد الغياث العالم المتبتل [2]
اني لانشد كلما شاهدتها   ما مثل منزلة الدويرة منزل

٥ وتقدم عند الكلام على المدرسة الغزالية ان الامام حجة الاسلام الغزالي لما دخل دمشق قصد الخانقاه السميساطية ليدخل فيها ، فمنعه الصوفية من الدخول لعدم معرفتهم به ؛ فعدل عنها واقام بزاوية الشيخ نصر الى ان علم مكانه وعرفت منزلته ، فحضر الصوفية باسرهم اليه واعتذروا له ، وتلطفوا به الى ان ادخلوه الخانقاه .

ترجمة واقفها

أبو القاسم السميساطي ٣٧٧-٤٥٣

١٠ قال ابن عساكر في «تاريخه» : علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن عبدالله بن محمد ابن زكريا ابو القاسم السلمي الحبيشي المعروف بالسميساطي، صاحب دويرة الصوفية، روى عن أبيه وعن عبد الوهاب بن الحسن ، وكان جده يحيى بن محمد قد كتب الحديث عن عثمان بن محمد بن علان الذهبي ، روى عنه ابو بكر الخطيب وجماعة ، وخرج ابن عساكر لصاحب الترجمة حديثا . وحكى ابو محمد بن صابر عن ابي القاسم ١٥ النسيب انه سال ابا القاسم السميساطي عن مولده فقال : في شهر رمضان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة . وقال الاكفاني : سنة ثمان وسبعين ، يعني وثلاثمائة . وكان متقدما في علم الهيئة والهندسة ، مطلعا على علوم الشريعة وعلى اقاويل الأوائل . قال ابن طاهر : وان كان ما علمناه قائلا بشيء سوى الاسلام والسنة ، وذكر عنه كلاما بالتكذيب باحكام المنجمين . قال الاكفاني : توفي في العاشر من ربيع الاخر سنة ثلاث ٢٠ وخمسين واربعمائة ، ودفن من الغد في داره في باب الناطفانيين ، يعني في الخانقاه المذكورة . انتهى ملخصا من ابن عساكر .

وسميساط قلعة على الفرات بين قلعة الروم وملطية . وقال الذهبي : كان المترجم صاحب حشمة واسعة ومروءة وافرة . وقال الوافي : كان مذهب ابيه محمد الاعتزال.

---

(١) كذا في الاصل ووردت في « الدارس » : « لاتحل » .
(٢) كذا في الاصل ورواه النعيمي : « العالم الفرد الغياث المتبل » .

مشاهير صوفيتها

الفلكي

هو سعيد بن سهل بن محمد بن عبد الله ابو المظفر المعروف بالفلكي النيسابوري ، سكن خوارزم وولي الوزارة لاميرها ، ودخل بغداد مرارا وحدث بها وكان محدثا فاضلا، ثم سافر الى دمشق لزيارة القدس ، فوردها في ايام نور الدين فاكرم مورده ، ولما طلب العود الى بلاده لم يسمح له ، وامسكه وانزله الخانقاه السميساطية ؛ فبنى بها الايوان الشمالي والسقاية وذلك من نصيبه من وقفها ، ولم يزل بها الى ان توفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة فيما اظن .

ثم خلفه ابو الفتح بن حمويه، ثم بدر الدين بن جماعة ، ثم ناصر الدين بن عبد السلام، ثم صفي الدين الهندي ، ثم عبد الكريم ابن الذكي ، ثم الشهاب الكاشغري ، ثم ابن صصري ، ثم الجمال الزرعي ، ثم الصدر المالكي ، ثم العماد القونوي ، ثم التقي العثماني ، ثم الناصر الشرقي ، ثم القلانسي ، ثم الجمال ابن الاثير ، ثم الفتح ابن الشهيد ، ثم بعده بمدة وليها محمد بن ابي بكر الأيكي ، ثم جماعة لم يحصر التاريخ اسماءهم .

المراغي

علي بن عبد القادر المراغي ثم الدمشقي الصوفي المعتزلي . قال ابن حجي : كان فاضلا في العلوم العقلية ، ويعرف العربية ، ويقرىء «المنهاج» في الاصول ، وكان بارعا في الطب ، ويدري النجوم وما يتعلق بها ، ويقرىء «الكشاف» ؛ وكان معتزليا ، وينسب الى التشيع والرفض ، وكان اولا صوفيا بالسميساطية ؛ فقام جماعة وشهدوا عليه بالاعتزال ، واخرجوه ورفعوه الى بعض الحكام فعزره واستتابه ، ثم قرره بخانقاه خاتون فنزل بها الى ان مات . وحصل له استيحاش من الفقهاء ، وربما كان يقرأ عليه من يانس به . اخذ عنه التقي ابن مفلح ، والتقي ابن حجي . توفي سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .

حرف الشين

الخانقاه (الشومانية)

ظهير الدين شومان

انشاها شومان ظهير الدين ، وهو احد مماليك بني ايوب . هذا ما ذكره النعيمي ولم يزد عليه . وضرب العلموي عنها صفحا ، ولعلها بعض المدرسة الشومانية المار ذكرها .

٥

الخانقاه (الشهابية)

كانت داخل باب الفرج غربي العادلية الكبرى ، وشمالي المعينية واللاقية ، وقد صارت الآن دورا ، وبابها يدل عليها ، وهي تقابل المار في الطريق النافذ الى العصرونية شرقي العادلية الصغرى للسائر الى الشمال .

١٠

وقال ابن الجابي : خربت هذه الخانقاه في ايام تيمورلنك وكانت بيد بني العدوي ، وهي تجاه الطريق الآخذ الى العصرونية في نفس المفارق الثلاثة ، وهي الرابع لجهة الشمال .

ترجمة بانيها

أيدكين الشهابي
٠٠٠–٦٩٧

انشاها ايدكين بن عبد الله الشهابي . قال يوسف بن تغري بردي في « الذيل الشافي على المنهل الصافي » : كان المترجم مملوكا للامير الطواشي شهاب الدين رشيد النجمي الصالحي ، تنقل بعد استاذه الى ان ولي نيابة حلب ، وتوفي سنة سبع وتسعين وستمائة . انتهى . وقال ابن كثير : كان من خيار الأمراء بدمشق ، ولاه الظاهر نيابة حلب ، وكان شجاعا وله احسان الى الفقراء .

١٥

الخانقاه (الشبلية)

شبل الدولة كافور
٠٠٠–٦٢٣

٢٠

انشاها شبل الدولة كافور المعظمي ، تقدمت ترجمته في مدارس الحنفية . وقال ابن شقدة في حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمائة : وفيها توفي شبل الدولة كافور الحسامي طواشي حسام الدين محمد ولد ست الشام ، له فوق جسر ثورا من صالحية

دمشق المدرسة والتربة والخانقاه ، واوقف عليها الأوقاف ، ونقل لها الكتب الكثيرة ، وفتح للناس طريقا من الجبل قريبة من عين الكرش ، وبنى المصنع الذي على راس الرقاق ، والخانقاه للصوفية الى جانب مدرسته ، ومصنعا آخر عند مدرسته ، وكان دينا صالحا وافر الحشمة ، روى عن الخشوعي ، ودفن بتربته الى جانب مدرسته .

الخانقاه (الشنباشية) ٥

أبو عبد الله الشنباشي

هي بحارة بلاطة ، تعرف بأبي عبد الله الشنباشي . قاله ابن شداد في كتابه « الاعلاق الخطيرة » .

قلت : لقد وقفت عليها ؛ فاذا محلتها الآن تعرف بحارة الشماعين من ثمن الشاغور ، وهي بالجانب الغربي من الطريق ، لها مئذنة من الحجر ، وبها مسجد ، وبجانبها الشمالي ايوان وحجرة وفوقهما غرفتان . وقد تقلبت بها الأيام الى ان صارت مكتبا للاناث من ١٠ سنة سبع وتسعين ومائتين والف الى سنة تسع عشرة بعد الثلاثمائة والألف ، ثم صارت مكتبا للاطفال ، ونظرها بيد بني ركاب .

الخانقاه (الشريفية)

كانت تجاه العروية ، شرقي دار الحديث الأشرفية ، لصيق الطومانية ، شرقي باب القلعة ، وغربي العادلية الصغرى ، بها تربة ، والآن لم نجد لها اثرا ولا للعروية ولا للطومانية ، ١٥ وذكرها النعيمي في الخوانق . ويظهر من كلام ابن شداد انها مدرسة حيث قال : واول من درس بها رشيد الدين الفارقي . ويحتمل ان تكون خانقاه وبها تدريس ، وكانت الفقراء الافاقية تتردد اليها ، انشأها شهاب الدين احمد بن شمس الدين الفقاعي .

شهاب الدين الفقاعي

قال النعيمي : لم ار لها كتاب وقف ، ولم اعلم متى بنيت ، ولها دار قرآن وزاوية . انتهى . ووقفها : بمدينة حمص عدة حوانيت ، ومزرعة بحوران ، ووقف عليها ولد الواقف محمد ٢٠ ثلث قرية عربيل ، وولده احمد قراءة بخاري على من له اهلية ، ونسب وقفها الى شهاب الدين احمد بن محمد الفقاعي .

الخانقاه المعروفة بخانقاه (الطاحون)

نور الدين بن زنكي

كانت خارج البلد وهي بالوادي ؛ وينسب بناؤها الى نور الدين محمود بن زنكي . ومن مشائخها الشيخ سعيد القاشاني الفرغاني تلميذ الصدر القونوي . قال الذهبي : كان من القائلين بوحدة الوجود ، شرح « تائية ابن الفارض » في مجلدين ، ومات في ٥ ذي الحجة سنة تسع وتسعين وستمائة عن نحو سبعين سنة .

حـرف الطـاء

الخانقـاه (الطواويسية)

هي الآن معروفة مشهورة بمحلة البحصة ، وجدرانها الغربية الى طريق الصالحية ، وبها قبة شاهقة ، والى جانبها الغربي مسجد ، ولها فسحة كبيرة ، وهي غنية بمالها ١٠ فقيرة مما بنيت لاجله .

قال ابن شداد اثناء كلامه على المساجد التي هي خارج البلد : الطواويسية مسجد كبير فيه قبر الملك دقاق في قبة معروفة بقبة الطواويس في الشرف الأعلى ، وفي الرباط دفنت ام دقاق ، وهي منسوبة لدقاق او لابنه . وقال في « الروضتين » : دقاق كان سلطان دمشق ، وقبره بقبة الطواويس ، وبها بنته ، وبالمشهد والدته .

١٥ تتش

هو بتائين معجمتين وشين معجمة . قال ابن عساكر في « تاريخه » : تتش بن الب ارسلان ابو شجاع محمد بن داود بن ميكال ابو سعيد الملك المعروف بتاج الدولة التركي السلجوقي ؛ استنجده اتز بن أوق التركي صاحب دمشق على جيش قدم من مصر ؛ فقدم دمشق سنة اثنتين وسبعين واربعمائة ، فقتل اتز وغلب على البلد ؛ وامتدت ٢٠ ولايته الى أن قتل ثامن صفر سنة ثمان وثمانين واربعمائة بنواحي الري وكان قد توجه الى خراسان عند موت اخيه ابي الفتح ملكشاه بن الب ارسلان لطلب الملك ؛ فلقيه ابن اخيه ؛ فقتل في المعركة ، وصار الامر بعده بدمشق لابنه دقاق بن تتش ؛ ودخلها سنة اثنتين وسبعين واربعمائة وحسنت السيرة بها . قال ابن خلكان : وخلف تتش ولدين :

احدهما فخر الملوك رضوان ، والثاني دقاق ؛ فاستقل رضوان بمملكة حلب ، ودقاق بمملكة دمشق ، وتوفي رضوان سنة سبع وخمسمائة . ومن نوايبه اخذ الافرنج انطاكية سنة اثنتين وتسعين واربعمائة . وتوفي دقاق في ثامن عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين واربعمائة ، ودفن في مسجد في حكر الفهادين بظاهر دمشق الذي على نهر بردى ، وكان قد حصل له مرض متطاول ، وقيل : ان امه سمته بعنقود عنب . فلما مات ، قام بالملك ظهير الدين طغتكين وكان اتابكه ، ولم يزل مالكا دمشق الى ان توفي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، وتولى الامر بعده ولده تاج الملوك أبو سعيد بوري الى ان توفي سنة ست وعشرين وخمسمائة من جراحة اصابته من الباطنية ، وتولى بعده ولده شمس الملوك اسماعيل الى ان قتل سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، قتلته امه خاتون زمرد بنت جاولي ، واجلست اخاه شهاب الدين ابا القاسم محمود بن بوري ؛ فتولى الامر بعده بدمشق الى ان قتل سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ؛ فملك بعده اخوه محمد بن بوري الى ان توفي سنة اربع وثلاثين وخمسمائة ، ثم تولى بعده ولده آبق ابن محمد بن بوري الى ان نزل على دمشق نور الدين محمود بن زنكي واخذها منه ، وعوضه عنها حمص ؛ فاقام بها يسيرا ، ثم انتقل الى بالس التي على الفرات بامر نور الدين واقام بها مدة ، واقبل عليه الامام المقتفي ، ولا اعلم متى مات . انتهى ملخصا .

حرف العين

الخانقاه (العزية)

هي بالجسر الأبيض قبلي الباسطية ، وغربي الماردانية ومدرسة الخواجة ابراهيم الأسعردي . قال ابن كثير : هي خانقاه على نهر ثورا . انتهى .

وحاصل كتاب وقفها : ان التربة العزية بصالحية دمشق بالجسر الأبيض والمسجد بها والرباط ، يكون على ذلك : احدى وعشرون قيراطا وربع قيراط من اصل اربعة وعشرين قيراطا من قرية دسيا بضم الدال وفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية وهي من قرى وادي بردى ، وجميع الخان بمحلة باب الجابية المعروف بخان العميان ، وجميع الفرن المعروف قديما بوقف التربة المذكورة بالقرب من حمام المقدم ، وغير ذلك . وتاريخ وقفها سنة ست وتسعين وستمائة ، وسجل سنة اربع وثمانين وثمانمائة .

ترجمة واقفها

عز الدين أيدمر ٠٠٠-٧٠٠

هو الأمير عز الدين ايدمر الظاهري . قال في « منتخب الشذرات » : هو الذي كان نائب دمشق في دولة مخدومه ، حبس مرة ثم اطلق ؛ فلبس عمامة مدورة ، وسكن بمدرسته عند الجسر الأبيض ، توفي في ربيع الاول سنة سبعمائة ، ودفن بتربته ؛ وكان أبيض الرأس واللحية . قاله في « العبر » . وقال العلموي في « مختصره » : كان السلطان قد خرج من مصر ودخل الكرك سنة سبعين وستمائة، فلما خرج منها استصحب الأمير عز الدين ايدمر معه الى دمشق ؛ فولاه النيابة بها ، وعزل الأمير جمال الدين النجيبي . ولم يزل بدمشق نائبا الى ان مات الظاهر وولي ابنه السعيد ، فاستمر ايدمر في دمشق ولما جاءها السعيد ، وتغيرت خواطر الأمراء عليه ؛ وطلبوا منه ابعاد الخاصكية فلم يجبهم خوفا من سوء العاقبة ، وساروا الى مرج الصفراء ، وترددت الرسل بينهم ، وعاد الأمير المذكور ومعه العسكر الى دمشق ، وطلع يتلقى النائب ايدمر؛ قبض عليه اقوش عند المصلى وافرده عن الركب ، ودخلوا به من باب الجابية وحبسوه بالقلعة ، ولم يزل معتقلا مدة الدولة المنصورية الى أن افرج عنه الملك الأشرف خليل ابن قلاوون .

قال الذهبي : رأيته بالجامع وعليه قباء أبيض وتخفيفة وهو لائق به ؛ وعليه سكون ووقار فاعجبني شكله . قال الصلاح الصفدي : لما اقام برباطه كان يأتي بالخضر بنفسه، ويمسك فرسه عند البيطار بيده بعد ذلك الحال والنيابة بدمشق .

حرف القاف

خانقاه (القصر)

شمس الملوك دقا

كانت مطلة على الميدان الأخضر المعروف الآن بالمرجة ، وهي ظاهر دمشق ، وقد انمحت آثارها ، انشاتها(١) شمس الملوك . قاله ابن شداد .

الخانقاه (القصاعية)

الخاتون فاطمة

هي بالقصاعين والله أعلم بمكانها ، أنشأتها الخاتون فاطمة بنت الخطليجي(٢) وولي

(١) كذا في الاصل ، والصواب « انشاها » لان شمس الملوك هو دقاق بن تتش كما ذكر ذلك الصلاح الصفدي في « أمراء دمشق في الاسلام » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الاعلاق الخطيرة » : « ابنة خطلجي » ، وفي « الدارس » نسخة المجمع العلمي بدمشق : « ابنة خطلبلي » .

مشيختها محمد بن أبي الفتح البعلي الدمشقي الحنبلي صاحب « المطلع » . قال في « المقصد الأرشد » : هو الفقيه المحدث النحوي ، سمع من اليونيني وابن عبد الهادي وغيرهما ، وعني بالحديث ، وبرع في الفقه وافتى ، وقرا العربية واللغة على ابن مالك ولازمه ، وصنف كتبا منها : « الفاخر في شرح جمل عبد القاهر » و « شرح الفية ابن مالك » ، وله « المطلع على ابواب المقنع » شرح به غريب الفاظه ولغاته ، وله تعاليق . درس بعدة مدارس ، وافتى وتصدر للاشتغال ، وتخرج به جماعة وانتفعوا به ، توفي سنة تسع وسبعمائة .

حـرف الكـاف

الخـانقاه (الكججانية)

كانت بالشرف الاعلى بين الطاوسية[1] والمدرسة العزية ، وقد هدمت واندرست ولم يبق منها اليوم الا قبة مهدومة الاعلى امام مجتمع الكهرباء ، وعلى بابها كتابة بالخط الكوفي ، وقد كان موضعها دارا للامير بلاط ، فتهدمت وخربت ، فاوقفها ابراهيم الكججاني خانقاه سنة اربع واربعين وسبعمائة . قاله الذهبي في موضع ، وقال في موضع آخر : انشئت سنة احدى وستين وسبعمائة . ولعل الاول تاريخ الابتداء بها ، والثاني عام فتحها ونهاية بنائها .

ابراهيم الكججاني

قال العلموي : كان بهذه التربة مشيخة وفقراء وغير ذلك مما هو مفصل في كتاب وقفها وعلى بابها .

حـرف الميم

الخـانقاه (المجاهدية)

كانت على الشرف القبلي ولم اعلم محلها ، وقد اندرست بيقين . قال ابن شقدة في « منتخب الشذرات » في حوادث سنة اربع وخمسين وستمائة : وفيها توفي

(1) كذا في الاصل وتقدم ذكرها : « الطواويسية » .

مجاهد الدين ابن أرتبا ٠٠٠-٦٥٤

الامير مجاهد الدين ابراهيم بن اونبا(١) الذي بنى الخانقاه المجاهدية بدمشق على الشرف القبلي ، وكان واليا على دمشق عاقلاً فاضلا ، ومن نظمه :

اشبهت الغصن في خصال | القد واللين والتثني
لكن تجنيك ما حكاه | الغصن يجنى وانت تجني

٥ وله في مليح :

ومليح قلت مالا | سم حبيبي قال مالك
قلت صف لي وجهك الزا | هي وسف حسن اعتدالك
قال كالغصن وكالبد | ر وما اشبه ذلك

توفي بدمشق ، ودفن بخانقاته المذكورة . انتهى . وقال يوسف بن تغري بردي
١٠ في «ذيل المنهل الصافي» له : ابراهيم بن اونبا الامير مجاهد الدين ابو اسحق امير جندار الملك الصالح ، مات سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، ودفن بخانقاته التي انشاها على شرف الميدان القبلي ظاهر دمشق . انتهى . وفي «تاريخ الاسدي» انه قرر في تلك الخانقاه عشرين صوفيا وهو مستمرض . ومن مشايخها علي الاسفندار(٢) الواعظ . قال ابن كثير : كان يعظ في كل سبت من الاشهر الثلاثة ، وكان فاضلا بارعا ، وكان
١٥ جده يكتب الانشاء للخليفة الناصر . ومن شعر المترجم :

اذا زار بالجثمان غيري فانني | ازور مع الساعات ربعك بالقلب
وما كل ناء عن ديار بنازح | ولا كل دان في الحقيقة ذو قرب

توفي سنة ست وسبعين وسبعمائة .

حرف النون

٢٠ ### الخانقاه (النجيبية)

قال النعيمي : يقال لها النجيبية البرانية ، وخانقاه القصر ، يعني لمجاورتها للقصر الابلق ، وهي مطلة على الميدان . انتهى .

قلت اراد بالميدان المرجه . وكان ذلك القصر قصرا للملك الظاهر ، ولما عمرت التكية

(١) كذا في الاصل، وفي «تاريخ الاسدي» : «ابن أرتبا» ، وفي «الشذرات» : «ابن أدينا» و«ابن أدنباه» .
(٢) كذا في الاصل ، وفي «الدارس» : «الاسفنديار» .

السليمانية خرب واقيمت مكانه ؛ فلم يبق أثر للتجيبية ولا للقصر اللهم الا ان تكون ادخلت في خانقاه المولوية . وفي هذه الخانقاه اعتقل ابن خلكان ، اعتقله الأمير سنجر، واقام مقامه ابن سني الدولة قاضيا ، وامره ان يتحول من المدرسة العادلية الكبرى ليسكنها خلفه ، والح عليه في ذلك ؛ فاستدعى جمالا لينقل اهله الى الصالحية ، فجاء العفو عنه من السلطان بمصر وتقريره على القضاء . وقد كانت الخانقاه مع أوقافها تحت الحيطة . وينسب بناؤها الى جمال الدين أقوش ، وتقدمت ترجمته في مدرسته . ٥

جمال الدين أقوش

الخانقاه (النحاسية)

هي والتربة بها غربي الذهبية ، وشمالي حمام شجاع بطريق مقبرة الفراديس ، وهي الآن موجودة وتسميها العامة مدرسة النحاسين ، وقد وضع على أوقافها يد جماعة ادعوا انهم من نسل الواقف يقال لهم : بنو النحاس ؛ ورجل يدعي العلم يقال له : الشيخ احمد رمضان ؛ فاختلسوا وقفها ، ثم تحيلوا الى جعلها بيتا للسكنى . ولعل رجلا فيه خير يرفع تلك اليد الاثيمة عنها . ١٠

قال النعيمي : انشأها الخواجة الكبير شمس الدين ابن النحاس الدمشقي ، توفي بمدينة جدة من اعمال الحجاز سنة اثنين وستين وستمائة ، وخلف اموالا واولادا .

شمس الدين ابن النحاس ٠٠٠–٦٦٢

الخانقـاه (النجميـة) ١٥

كانت بنواحي باب البريد ، ثم اختفى عليها الذي اختفى على لبد ، وطمست آثارها .

قال ابو شامة : هي داخل الدرب الذي بقرب المئذنة بباب البريد .

ترجمـة واقفهـا

اوقفها الامير نجم الدين ايوب بن شاذي بالذال المعجمة الدويني ، وهو والد الملوك : صلاح الدين ، وسيف الدين ، وشمس الدولة ، وسيف الاسلام ، وتاج الملوك بوري ، وست الشام ، وربيعة خاتون ، واخو الملك اسد الدين ؛ شب به فرسه فحمل الى داره ، ومات بعد أيام في ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وكان يلقب بالأجل الافضل . ولي بعلبك فبنى فيها خانقاه الصوفية وهي المعروفة بالنجمية ، وكان صالحا ٢٠

نجم الدين أيوب ٠٠٠–٥٦٨

حسن السيرة كريم السريرة ، ولما تولى ولده صلاح الدين مصر استدعاه وكان في دمشق في خدمة نور الدين محمود ؛ فاستأذنه فاذن له ، فلما قدم على ولده اراد ان يخلع الامر اليه فكره ، ولما مات نجم الدين دفن عند اخيه بالقاهرة ، ثم نقلا سنة تسع وسبعين الى المدينة المنورة . قاله في « شذرات الذهب » . وقال الاسدي : اوقف نجم الدين بمصر خانقاه ومسجدا وقناة بباب النصر ، وكان ابوه من اهل دوين بضم الدال المهملة وكسر الواو بلدة بآخر اذربيجان تجاور بلاد الكرج ؛ وشاذي اسم اعجمي معناه فرحان ، وكان من ابناء اعيانها ، وكان صديقا لكمال الدولة فاستصحبه معه لما ولي نيابة بغداد ، واعطى السلطان اباه شاذي قلعة تكريت فلم يزل بها الى ان توفي ؛ فتولاها ولده ايوب فقام بها حق القيام ، فشكره بهروز واحسن اليه ، وفي القلعة ولد صلاح الدين ، ثم خرج الى الموصل فاكرمه زنكي والد نور الدين ، ثم استنابه على بعلبك ، ثم استدعاه ولده صلاح الدين الى مصر كما مر . قال الاسدي : وكان وجلا دينا مباركا كثير الصدقات ، سمحا كريما ، وافر العقل قليل الكلام جدا لايتكلم الا للضرورة .

الخانقـاه (الناصرية الاولى)

الملك الناصر صلاح الدين ٦٢٧-٦٥٩

انشاها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد غازي بن ايوب بسفح قاسيون بجوار تربته على نهر يزيد . قاله ابن شداد . وتقدم الكلام عليها في دور الحديث ، ولا باس هنا بايراد ترجمته مختصرة عن « شذرات الذهب » :

الملك النـاصـر

هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العـزيز محمد ابن الظاهر غـازي ابن السلطان صلاح الدين صاحب الشام ، ولد سنة سبع وعشرين وستمائة ، وسلطنوه بعد ابيه سنة اربع وثلاثين ؛ وذبر المملكة شمس الدين لولو ، والامر كله راجع الى جدته صفية ابنة العادل . فلما ماتت سنة اربعين اشتد الناصـر ؛ ففتح له عسكره حمص ، وتملك دمشق بلا قتال سنة ثمان واربعين فوليها عشر سنين ، وكان حليما جـوادا حسن الاخلاق محببا الى الرعية ، فيه عدل في الجملة وقلة جور وصفح ، وكان الناس معه في بلهنية من العيش لكن مع ادارة الخمر والفواحش ، وكان للشعراء دولة في ايامه

لأنه كان يقول الشعر ويجيز عليه ، ومجلسه مجلس ندماء وادباء ، ولكنه خدع وعمل عليه حتى وقع في قبضة التتار ، فذهبوا به الى هولاكو ، فاكرمه ، ثم غضب عليه فقتله سنة تسع وخمسين وستمائة .

قال ابن قاضي شهبة في « تاريخه » : بنى الناصر بدمشق داخل باب الفراديس مدرسة في غاية الحسن ، ووقف عليها أوقافا جليلة ، وبنى بجبل الصالحية رباطا وتربة ومدرسة ، وهي عمارة عظيمة ما عمر مثلها ، احضر لها من الرخام والاحجار شيئا كثيرا ، وغرم عليها اموالا عظيمة ، ونهر يزيد جار فيها . ٥

الخانقاه (الناصرية الثانية)

كانت بدرب خلف قاسارية الصرف ، وكانت دارا للسلطان صلاح الدين لما كان واليا على دمشق . وهذه القاسارية عمرها الملك المؤيد بالحجارة ، وجعل فيها مخازن وطباقا ، وجعل بعضها للجهة التي كانت موقوفة عليها . قاله ابن قاضي شهبة . ١٠

ترجمة واقفها

صلاح الدين الأيوبي ٥٣٢-٥٨٩

هو السلطان صلاح الدين الملك الناصر ابو المظفر يوسف بن ايوب بن شاذي بن مروان ابن يعقوب ، الدويني الأصل ، اول دولة الاكراد وملوكهم ، وقد الف العلماء المؤلفات في سيرته وتاريخه ، وطرز المؤرخون بذكره مؤلفاتهم فما نذكره هنا شذرة يسيرة من مناقبه ، وسنبسط الكلام في القسم السياسي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى . ونلخص هنا من « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد » ؛ ومن « شذرات الذهب لعبد الحي بن العماد » ، ومن « تاريخ ابن خلكان » ، ومن « تاريخي الذهبي وابن كثير » ، ومن كلام ابن الاثير ، شذرات تليق بذلك السلطان العادل والكوكب المنير فنقول : ١٥

قال ابن كثير : اصل هذه الطائفة من الأكراد ، ولكن بني ايوب ينكرون هذه النسبة ، ويقولون : انما نحن عرب نزلنا عند الأكراد وتزوجنا منهم . انتهى . ويمكن ان يكون هذا صحيحا لأن العرب تفرقت في الاقطار بعد الفتح الاسلامي . ٢٠

وقال ابن خلكان : اتفق اهل التاريخ على أن اباه واهله من دوين ، بضم الدال المهملة

وكسر الواو ، وهي بلدة في آخر عمل اذربيجان من جهة ارال وبلاد الكرد ، وانهم اكراد
راودية قبيلة كبيرة من الاكراد . انتهى .

ولد صلاح الدين سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بقلعة تكريت ، وكان والده ايوب
واليا بها ثم اتفق له الانتقال منها الى الموصل ، فكان بها مع والده الى ان ترعرع . واتفق
٥ لوالده الانتقال الى الشام ، واعطي بعلبك واقام بها مدة وصلاح الدين يتربى تحت حجر
والده ويرتضع ثدي محاسن اخلاقه،حتى بدت منه امارات السعادة ولاحت لوائح التقدم
والسيادة ؛ فقدمه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، وعول عليه ونظر اليه وقربه.
ولم يزل كلما تقدم قدما تبدو منه اسباب تقضي تقديمه الى ما هو اعلى منه ، حتى
تعمد اسد الدين الحركة الى مصر وذهابه اليها ؛ فاستصحبه معه عن كراهية منه لمكان
١٠ افتقاره اليه ، وجعله مقدم عسكره وصاحب رايه وذلك سنة ثمان وخمسين وخمسمائة؛
فقام بما عهد اليه احسن قيام ، ثم قفل راجعا الى الشام بعد ان عرف اسد الدين ان
مصر بلاد بغير رجال تمشي الامور فيها بمجرد الايهام والمحال. ثم في سنة اثنتين وستين
وخمسمائة عاد اسد الدين الى مصر ، وسير السلطان نور الدين معه صلاح الدين على
كره منه ؛ ولم تزل مصر بيد اسد الدين حتى مات بعلة الخوانيق سنة اربع وستين
١٥ وخمسمائة فتولاها الملك صلاح الدين . ولما استتب له امر مصر جعل يشن الغارات
على الافرنج الى الكرك والشوبك وبلادها ، وغشي الناس من سحائب الافضال والنعم
ما لم يؤرخ من غير تلك الايام . هذا كله وهو وزير متابع القوم، ولكنه مقو لمذهب السنة،
غارس في اهل البلاد العلم والفقه والتصوف والدين، والناس يهرعون اليه من كل صوب
ويفدون عليه من كل حدب وهو لايخيب قاصدا ولايعدم وافدا. وفي سنة تسع وستين
٢٠ وخمسمائة توفي السلطان نور الدين بعلة الخوانيق ، وخلفه في الملك ولده الصالح
اسماعيل . فلما تحقق صلاح الدين موت نور الدين ، وان ولده الصالح
طفل لاينهض باعباء الملك ولايستقل بدفع الاعداء عن البلاد ؛ تجهز للخروج الى الشام
مصاحبا جمعا كثيرا من العساكر ، واقام بمصر من يقوم بحفظها ، وسار مع جمع من
اهله واقاربه الى ان دخل دمشق بالتسليم سنة سبعين ولم يشق عليه عصا ، وتسلم
٢٥ قلعتها . قال في « شذرات الذهب » في حوادث سنة سبعين : وفيها قدم صلاح الدين
فاخذ دمشق بلا ضربة ولاطعنة ، وسار الصالح اسماعيل بن نور الدين مع حاشيته الى
حلب ، ثم سار صلاح الدين فحاصر حمص بالمجانيق ، ثم سار فاخذ حماه وحاصر

حلب ، وأساء العشرة في حق آل نور الدين ، ثم ورد وتسلم حمص ، ثم عطف الى بعلبك وتسلمها .

وقال الذهبي في «تاريخه» : ملك صلاح الدين البلاد ودانت له العباد ، واكثر من الغزو وكسر الافرنج مرات ، وكان شديد الهيبة محببا الى الامة عالي الهمة . انتهى .
واعظم ما ابتهجت به الامة من فتوحاته ، فتح بيت المقدس بعد أن مكث بيد الافرنج نيفا وتسعين سنة . وقال ابن قاضي شهبة في « تاريخ الاسلام » : كان شجاعا سمحا جوادا مجاهدا في سبيل الله ، يجود بالمال قبل الوصول اليه ، وكان مغرما بالانفاق في سبيل الله ، وكان لايلبس الا ما يحل له لبسه ، ومن جالسه لايعلم انه جليس سلطان ، وكان شديد الرغبة في سماع الحديث ، ما شتم احدا قط ، ولا كتب بيده ما فيه اذى مسلم . فتح الديار المصرية ، والحجاز ومكة والمدينة ، واليمن من زبيد الى حضرموت متصلا بالهند ، ومن الشام : دمشق وبعلبك وحمص وبانياس وحلب وحماه ؛ ومن الساحل : بلاد القدس وغزة وتل الصافية وعسقلان ويافا وقيسارية وحيفا وعكا وطبرية والشقيف وصفد وكوكب والكرك والشوبك وصيدا وبيروت وجبلة واللاذقية والشغر وصهيون وبلاطنس ؛ ومن الشرق : حران والرها والرقة ورأس عين وسنجار ونصيبين وسروج وديار بكر وميافارقين وآمد وحصونها وشهر زور . ويقال : انه فتح ستين حصنا ، وزاد على نور الدين بمصر والمغرب والحجاز واليمن والقدس والساحل وديار بكر وبلاد الافرنج ، ولو عاش عمرا طويلا لفتح الدنيا شرقا وغربا وبعدا وقربا ، ولكنه لم يبلغ ستين سنة .

قال ابن الاثير : ويكفي دليلا على كرمه أنه لما مات لم يخلف في خزائنه غير دينار واحد صوري واربعين درهما ناصرية ، وقال في آخر ترجمته : وبالجملة فقد كان نادرا في عصره ، كثير المحاسن والأفعال الجميلة ، عظيم الجهاد في الكفار وفتوحه تدل على ذلك ، وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا . انتهى .

وقال الفيلسوف عبد اللطيف البغدادي في « رحلته » : اتيت الشام وكان السلطان صلاح الدين بالقدس ؛ فاتيته فرايت ملكا عظيما يملأ العيون روعة والقلوب محبة ، قريبا بعيدا محببا ، واصحابه يتشبهون به ويتسابقون الى المعروف . واول ليلة حضرته ، وجدت مجلسا محفوفا باهل العلم يتذاكرون في اصناف العلوم وهو يحسن الاستماع

والمشاركة ، ويأخذ في كيفية بناء الاسوار وحفر الخنادق ، ويأتي في ذلك بكل معنى بديع ، وكان مهتما ببناء سور بيت المقدس ، وحفر خندقه يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ، ويتاسى به جميع الناس : الاغنياء والفقراء والأقوياء والضعفاء حتى الكاتب والقاضي الفاضل ، ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ؛ فيأتي داره ويمد السماط ثم انه يستريح ، ويركب وقت العصر ويأتي على ضوء المشاعل ، ويصرف اكثر الليل فيما يعمل نهارا ، وكان يحفظ «ديوان الحماسة» . واطال البغدادي في الكلام عليه ، وسيرته افردت بالتاليف واكثرها مطبوع « كالروضتين لابي شامة » و « سيرته للغزي » و « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية للقاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد(١) » و « سيرته للعماد الكاتب » وغيرهم مما هو معروف ومشهور .

قال ابن شداد في « النوادر » ما خلاصته : ان السلطان لما دنا وقت رحيله الى دار البقاء ، وجد في جسمه كسلا عظيما ؛ فما انتصف الليل حتى غشيته حمى صفراوية كانت في باطنه اكثر من ظاهره ، واصبح الصباح وهو متكاسل عليه اثر الحمى ولم يظهر ذلك للناس ، ثم اخذ المرض يتزايد الى ان انتهى لغاية الضعف ، ولما مضى على مرضه احد عشر يوما ، وتحقق الناس موته؛ اسرع ولده الافضل في تحليف الناس ، واستحضر القضاة ، وعمل له نسخة يمين مختصرة محصلة للمقاصد ، هذا ولم يزل الحال يشتد بالسلطان صلاح الدين الى ان توفي الى رحمة الله وغفرانه بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وكان يوما شديدا على الاسلام والمسلمين .

وقال صاحب حماة في « تاريخه » : لما مات السلطان غسله الفقيه الدولعي خطيب دمشق ، واخرج بعد صلاة الظهر في تابوت مسجى بثوب ، وجميع ما احتاجه من الثياب في تكفينه احضره القاضي الفاضل من جهة حل عرفها ، وصلى الناس عليه ، ودفن في قلعة دمشق في الدار التي كان مريضا فيها . ثم ان الملك الافضل عمل لوالده تربة قرب الجامع ، ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فدفنه بها . انتهى . ويقال : انه دفن معه سيفه الذي كان يحضر به الجهاد ، وتقدم بعض من سيرته فيما مضى من هذا الكتاب . قرات في « تاريخ المحبي » ما صورته : ان ابراهيم باشا ابن عبد المنان المعروف بالدفتردار نزيل دمشق بنى حماما بالقرب من تربة

(١) وهو غير عز الدين الحلبي المعروف بابن شداد صاحب « الاعلاق الخطيرة » .

السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأوقفه وجملة من املاكه على تدريس فقه واجزاء رتبها في التربة المذكورة ، فقال ابو بكر العمري في « تاريخه » :

بنى وأوقف ابراهيم دام لنه   منجنزا لصلاح الدين حماما

وهذا من التواريخ البديعة بين فيه المراد من غير حشو ، توفي الباني سنة ثلاث واربعين والف . انتهى . **قلت :** وهذا الحمام بالقرب من دهليز الجامع الاموي من الجهة الشمالية ، وهو الآن خراب .

الخانقاه (النهرية)

كانت بأول شارع نهر القنوات . قال النعيمي : وهي المشهورة بخانقاه عمر شاه ، وكانت مشيختها والنظر عليها[1] لمحمد ابن الحسيني الحنبلي المصري الدمشقي سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، وللقاضي محمد الحموي المعروف بابن اللبودي . انتهى . **قلت :** وهي موجودة في صورة مفقودة !

حرف الياء

الخانقاه (اليونسية)

كانت بأول الشرف الشمالي ، شرقي الخانقاه الطاووسية[2] . قال النعيمي : انشأها الامير الكبير يونس دوادار الظاهر برقوق سنة اربع وثمانين وسبعمائة كما هو مكتوب على بابها ، وفي شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وسبعمائة كما هو مكتوب في الدائر داخلها ؛ ولعل الأول كان ابتداء الشروع في عمارتها ، والثاني كان تاريخ انتهائها ، وذلك بنظر الكافلي بيدمر الظاهر . وشرط في كتاب وقفها الأصلي للشيخ بها وللامام والصوفية ان يكونوا حنفية آفاقية ، ولم يشترط في المختصر كونهم آفاقية ، وشرط ان يكون الامام بها حنفيا ، وان يكون بها عشرة من القراء . ووقف عليها الدكاكين خارج باب الفرج ، ثم احترقت في أيام المؤيد شيخ ؛ فعمرها وادخلها في وقفه ؛ وعوض

(1) في الاصل اليها .

(2) كذا في الاصل وقد تقدم ذكرها « الطواويسية » .

عنها الحمام العلاني خارج بابي الفرج والفراديس ، والحمام بكفر عامر ، وآل من ذريته اليها قطعة ارض مسلة[1] الحمام ، والقاعة لصيق الخانقاه . وولي مشيختها شمس الدين عزيز ، ثم شمس الدين ابن عوض . انتهى . وهذه الخانقاه خفي مكانها عني اللهم الا ان تكون هي الزاوية التي هي قبل الطاووسية من الجانب الشرقي التي تسميها ٥ العوام زاوية السلطان ابو يزيد والله اعلم .

خانقــاه (مجهولة)

حكى في « العبر » في حوادث سنة تسع وستين وستمائة ان ابن السقار امير الحاج عماد الدين يوسف بن ابي النصر بن ابي الفرج الدمشقي توفي في زمن التتار ووضع في تابوت ؛ فلما امن الناس نقل الى التيرب ، ودفن بقبته التي في الخانقاه . ١٠ انتهى . فتراه ذكر خانقاه ، ولم تر من شرح محلها ولا من بناها ، وهي الآن بستان بلا شك !

(1) كذا في الاصل . وفي « الدارس » : « بسكة » ، وهو الاصح .

الباب التاسع في الربط التي كانت بدمشق

رباط (ابي البيـــان)

داخل باب شرقي بحارة درب الحجر ، واوقف عليه مكان بجسرين .

ترجمـة البـاني

ابو البيان ابن الحوراني ٥٥١-٠٠٠

٥ قال في « منتخب الشذرات » ما خلاصته : ابو البيان نبـا[1] بن محمد بن محفوظ القرشي الشافعي اللغوي الدمشقي الزاهد ، شيخ الطائفة البيانية بدمشق ، ويعرف بابن الحوراني ، كان كبير القدر عالما زاهدا تقيا خاشعا ، ملازما للعلم والعمل والمطالعة ، كثير العبادة والمراقبة ، كبير الشأن بعيد الصيت ، مـلازما للسنة ، صاحب احـوال ومقامات ، سمع ابا الحسـن علي ابن الموازيني وغيره ، وله تاليف ومجاميع ورد على ١٠ المتكلمين ، واذكار مسجوعة واشعار مطبوعة ، واصحـاب ومريدون وفقراء بهـديه يقتدون ، وكان هو والشيخ ارسلان شيخي دمشق في عصرهما وناهيك بهما . قاله في « العبر » . دخل يوما الى الجامع الأموي فرأى جماعة في الحائط الشمالي يثلبون اعراض الناس ؛ فقال : اللهم كما انسيتهم ذكرك فانسهم ذكري .

قال السـخاوي : قبره يزار بباب الصغير . ولم يذكره ابن عسـاكر في « تاريخه » ٢٠ ولا ابن خلكان في « وفيات الأعيان » . وقال السبكي في « الطبقات الوسطى » : الشيخ ابو البيان شيخ الطائفة البيانية بدمشق ، كان شيخا زاهدا ورعا عابدا ، اماما في اللغة ، فقيها ، له شعر كثير ، وتاليف حسان ، توفي يوم الثلاثاء ثاني شهر ربيع الاول سنة احدى وخمسين وخمسمائة . وقال البصروي في « تحفة الانام » بعد ان ترجمه بمثل ترجمة السبكي : والرباط المنسوب اليه انشيء بعد موته بأربع سنين ، اجتمع اصحابه على بنائه ، ٢٥ وقد اعانهم عليه السلطان نور الدين ، واوقف عليه مكانا بجسرين .

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » نقلا عن الذهبي في « العبر » : « بنا » .

وجيه الدين التكريتي ...-٦٧٠

رباط (التكريتي)

بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون ، بناه وجيه الدين محمد بن علي بن سويد التكريتي الناصري ، كان معظما عند الملوك ، وصاحب أموال كثيرة ، توفي سنة سبعين وستمائة ، ودفن بتربته برباطه .

٥

رباط (زهرة)

بالقرب من حمام جاروخ ، وهو مقابل الفرن المعروف بفرن خليفة . وهذه تعريفات ذكرها النعيمي والعلموي ، ولم نعلم الآن منهما شيئا .

رباط (صفية)

قال البرزالي في حوادث سنة ثلاث وثلاثين وستمائة : رباط صفية القلعية بالقرب من المدرسة الظاهرية . ١٠

قال ابن شداد بعد ان ذكر هذه الربط المتقدمة : وثم رباطات أخر ; فعدها ، واليك بيانها حسبما ذكرها :

رباط طومان ، من امراء بني سلجوق ، تحت القلعة .

رباط جاروخ التركماني .

١٥ **رباط غرس الدين خليل** ، كان واليا بدمشق .

رباط المهراني ، **اقول** : في جادة سوق صاروجا بيت كبير ، وعند بابه شباك فوقه حجر مكتوب عليه بعد البسملة :

هذه تربة الأمير شمس الدين شروة بن حسين المهراني المعروف بالسبع المجانين الحاجي الغازي المجاهد في سبيل الله تعالى ، توفي الى رحمة الله تعالى سنة اثنتين ٢٠ واربعين وستمائة .

فالظاهر ان الرباط كان هنا ، ومن العجب ان العوام وطلبة العلم يعتقدون ان هذا

قبر الشيخ مجاهد المفسر التابعي المشهور ؛ والكتابة المذكورة محفورة في الحجر بخط واضح ولا يقرؤونه ، وهذا من التقليد الاعمى نعوذ بالله منه .

رباط البخاري عند باب الجابية .

رباط السقلاطوني(1) .

رباط الفلكي .　　٥

رباط داخل باب السلام(2) .

رباط عذراء خاتون داخل باب النصر .

رباط بدر الدين عمر .

رباط الحبشة ، بمحلة قصر الثقفيين يعني بمحلة المعيتية .

رباط اسد الدين شيركوه بدرب زرعة .　　١٠

رباط القصاعين .

رباط بنت عز الدين مسعود صاحب الموصل .

رباط بنت الدفين داخل المدرسة الفلكية .

رباط الدوادار داخل باب الفرج .

رباط الفقاعي في السفح .　　١٥

ذكر هذين الرباطين الاخيرين البرزالي في حوادث خمس وثلاثين وستمائة . وقال العلموي :

رباط الوزراء ، بمحلة سويقة ساروجا ، داخل الدخلة التي بها برسباي الحاجب ، شمالي حمامه ؛ قال : وهو الى الآن موجود . انتهى .

وهذه الربط قد عسر علي معرفة محالها ، ولم ادر من الذي بناها ؛ فنقلتها كما　　٢٠

---

(1) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « السقلاطوني » .

(2) ذكر هذا الرباط في « الدارس » منسوبا الى « بنت السلار » .

وجدتها في « تنبيه الطالب ومختصريه » .

اطلعت على كتاب وقف علاء الدين يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري المؤرخ سنة ٧٦٣ ؛ فاستفدت منه ما أذكره :

رباط الفرس بين السورين من حي العمارة وهو علوي ، وقد صار اليوم مسجدا .
سوق المناخلية كان يسمى سوق البقلي . بيت الآبار قرية بالغوطة . بيت لهيا كانت عند ماصية العادل بالقرب من جسر نهر ثورا من طريق القابون . البحرة المشهورة كانت يقال لها بالو وهي بحرة الهيجانة . تل بني بسيابه بالهيجانة . الملاحة بجهة اراضي بالا . قرية ....[1] والقرية السوداء كانتا عند تلفيتا وصيدنايا . الغار المعروف بالمنقب ، والحقاب هو ما يلي جبل الغار المطل على دوما وارض معرونية . وقد ذكرت ذلك هنا استطرادا ولا يخلو من فائدة. وبرتنايا كانت قرية بالقرب من عربيل ، ويقال لارضها اليوم : أرض برتنايا .

(١) كذا في الأصل وقد سها المؤلف عن ذكر اسمها .

الباب العاشر في الزوايا [1]

حرف الهمزة

الزاوية (الأرموية)

عبد الله الأرموي
٠٠٠-٦٣١

أقول : الزاوية هي المكان المعد للأفعال الصالحة وللعبادة . وهذه الزاوية كانت فوق الروضة بسفح قاسيون ، انشاها عبد الله بن يونس الارموي . قال ابن شقدة : هو الزاهد القدوة صاحب الزاوية بجبل قاسيون ، كان صالحا متواضعا مطرحا للتكلف ؛ يمشي وحده ويشتري الحاجة لنفسه ، وله أحوال ومجاهدات وقدم راسخ في العبادة، سافر الاقطار وكان في بدايته لا ياوي الا الى القفار ، قرا القران وتفقه على مذهب ابي حنيفة وحفظ «القدوري» ، وبالجملة فقد كان من عباد الله الصالحين ، وكانت زاويته مطلة على قبر الشيخ موفق الدين ، توفي سنة احدى وثلاثين وستمائة .

حرف الحاء

الزاوية (الحريرية)

كانت بظاهر دمشق بالشرف الأعلى القبلي ، وكان الناس يجتمعون بها للسماعات ، انشاها أبو محمد علي بن أبي الحسن بن منصور الدمشقي الفقير .

قال الذهبي في « العبر » : ولد بقرية بصرى[2] من حوران، ونشا بدمشق وتعلم بها نسج العتابي[3] ، ثم تمفقر ، وعظم امره وكثر اتباعه، واقبل على المطيبة والراحة والسماعات والملاح ، وبالغ في ذلك ؛ فمن يحسن الظن به يقول : هو كان صحيحا في نفسه صاحب حال ووصول، ومن خبر امره رماه بالكفر والضلال، وهو احد من لا يقطع له بجنة او بنار؛ فانا لا نعلم بما يختم له به ، لكنه توفي في يوم شريف يوم الجمعة قبل العصر السادس

(١) لم يتقيد المؤلف في ذكره الزوايا بالتسلسل الابجدي فاضطررنا الى ترتيبها ابجديا مراعاة لنسق الكتاب .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « بسر » .

(٣) نوع من النسيج الحريري .

والعشرين من رمضان سنة خمس واربعين وستمائة وقد نيف على التسعين ، مات فجاة . وقال ابن قاضي شهبة في « تاريخه » : وقف على زاويته التي يقال لها : زاوية الحريري ، دراهم في اول امره فحبسه اصحاب الديون ؛ فأقام ستة اشهر محبوسا ، ثم جبوا له واخرجوه ؛ فصار كل يوم يتجدد له اتباع الى ان آل امره الى ما آل اليه .

٥ قال شرف الدين خطيب عقربا : خرج الفلك المشيري بقسم قرية له واخذ معه جماعة ؛ فلما قسموا ووصلوا الى زارع قالوا : نمشي الى عند الشيخ الحريري ؛ فقال احدهم : ان كان صالحا يطعمنا حلوى ساخنة بعسل وسمن وفستق وسكر ، وقال الآخر : يطعمنا بطيخا اخضر ، وقال الآخر : يسقينا فقاعا عليه الثلج . فلما وصلوا تلقاهم بالرحب ، واحضر شيئا كثيرا من جملته حلوى كما قال ذلك الرجل ، فامر بوضعها بين يدي

١٠ مشتهيها ، ثم احضر بطيخا اخضر واشار الى مشتهيه بالاكل . فلما فرغوا نظر الى صاحب شهوة الفقاع فقال : يا اخي ، كان عندي تحت الساعات او باب البريد ، ثم صاح: يا فلان ادخل ؛ فدخل فقير وعلى راسه دست فقاع وعليه الثلج متحرت ، وقال : بسم الله اشرب ! انتهى . وقد نقلت هذه القصة كما رايتها ، وهي خبر والعهدة على الراوي الأول . ولما مات كانت ليلة مثلجة ؛ فانشدهم نجم الدين بن اسرائيل :

١٥ بكت السماء عليه ساعة دفنه	بمدامع كاللؤلؤ المنثور
واظنها فرحت بمصعد روحه	لما سمت وتعلقت بالنور
أوليس دمع الغيث يهمي باردا	وكذا تكون مدامع المسرور

وقال ابن كثير في « تاريخه » : اقام الحريري بدمشق مدة يعمل صنعة الحرير ، ثم ترك ذلك واقبل على صنعة الفقيري على يد الشيخ علي المغربل تلميذ الشيخ ارسلان ؛

٢٠ فاتبعه طائفة من الناس يقال لهم : الحريرية ، وابتنى لهم زاوية على الشرف القبلي ، وبدت منه افعال انكرها عليه الفقهاء كالعز بن عبد السلام ، وابن الصلاح ، وابن الحاجب وغيرهم ؛ فلما كانت مدة الأشرف سجنه بالقلعة مدة سنتين ، ثم اطلقه الصالح اسماعيل واشترط عليه ان لايقيم بدمشق ؛ فلزم بلده قرية بصرى الى ان توفي .

قال ابو شامة في « الذيل » : تبعه طائفة من الفقراء المعروفين بالحريرية اصحاب

٢٥ الزي المنافي للشريعة . قال : وكان عند الحريري من الاستهزاء بالشريعة والتهاون بها ، وعنده من شعار اهل الفسوق والعصيان شيء كثير ، وانفسد بسببه جماعة كثيرة من اولاد كبراء الدماشقة ، وصاروا على زي اصحابه بسبب انه خلع العذار ، وجمع في

مجلسه الغناء الدائم والرقص والمردان ، وترك الصلوات ، وكثرة النفقات ، واضل خلقا كثيرا وافسد جمعا غفيرا ، وافتى بقتله جماعة من علماء الشريعة مرارا . انتهى .

وممن انكر عليه ولده محمد ، وكان صالحا دينا خيرا يامر اصحاب ابيه باتباع الشريعة . فلما مات ابوه ؛ طلب منه الجلوس في المشيخة فلم يقبل وانعزل عنهم ؛ توفي سنة احدى وخمسين وستمائة ، ودفن عند الشيخ ارسلان عن سبع واربعين سنة . ٥

الزاوية (الحريرية الأعقفية)

احمد الحريري ٦٤٤-٧٢٣

كانت بقرية المزة ، والظاهر ان منشئها الشيخ احمد بن حامد بن سعيد التنوخي الاعقف الحريري لأن ابن كثير قال في ترجمته : انه توفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة بزاويته بالمزة ، ودفن بمقبرتها . قال : واشتغل بشبيبته على التاج الفزاري ، ثم صحب الحريرية ، واخذ عنهم طريقتهم ، ولزم صاحبه الشيخ نجم الدين بن اسرائيل ، وسمع الحديث ، وحج مرارا ، وكان مليح الشكل ، كثير التودد الى الناس ، حسن الأخلاق . ١٠

الزاوية (الحصنية)

تقي الدين الحصني ٧٥٢-٨٢٩

هي بحي الشاغور ، اوقفها الشيخ تقي الدين ابو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الشهير بالحصني الشافعي نسبة الى الحصن قرية من قرى حوران . وقد انهى نسبه في « شذرات الذهب » الى سيدنا الحسين رضي الله عنه ، وقال : ولد سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ، وتفقه بالشريشي والزهري وابن الجابي والغزي والصرخدي وابن غنوم ، واخذ عن الصدر الياسوفي ، ثم انحرف عن طريقته ، وحط على ابن تيمية وبالغ في الحط ، وتلقى عنه الطلبة بدمشق وثارت بسبب ذلك فتن كثيرة ، وكان يميل الى التقشف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والناس فيه اعتقاد زائد ، ولخص «المهمات» في مجلد ، وكتب على « التنبيه » . وقال الأسدي : كان الحصني خفيف الروح منبسطا له نوادر ، ويخرج الى المتنزه ، ويبعث الطلبة على ذلك ، مع الدين المتين والتحري في اقواله وافعاله ، قال : ومال الى التقشف ، ولاسيما بعد الفتنة التيمورلنكية فانه تقشف وانجمع ، وكثرت مع ذلك اتباعه حتى امتنع من مكالمة الناس ، وكان يطلق لسانه ١٥ ٢٠

في القضاة واصحاب الولايات ، وله في الزهد والتقلل من الدنيا حكايات تضاهي ما نقل عن الاقدمين ، وكان يتعصب للاشاعرة ، واصيب بسمعه وبصره فضعف ، وشرع في عمارة رباط داخل باب الصغير فساعده الناس باموالهم وانفسهم ، ثم شرع في عمارة خان السبيل ففرغ في مدة قريبة ، وكان قد جمع تاليف كثيرة قبل الفتنة ، وكتب كثيرا بخطه في الفقه والزهد . وقال السخاوي في « الضوء اللامع » : شرح « التنبيه » و « المنهاج » وشرح « مسلم » في ثلاث مجلدات ، ولخص « المهمات » في مجلدين ، وشرح احاديث « الاحياء » مجلد ، وشرح « الاربعين النووية » في مجلد ، و « اهوال القيامة » مجلد ، وجمع سير نساء السلف في مجلد ، وله « قواعد الفقه » مجلد ، و « تفسير القرآن الى الأنعام » « آيات متفرقة » مجلد ، و « تأديب القوم » مجلد ، و « سير السالك » مجلد ، و « تنبيه السالك على مظان المهالك » ست مجلدات ، وشرح « الغاية » مجلد ، وشرح « النهاية » مجلد ، و « قمع النفوس » مجلد ، و « دفع الشبه » مجلد ، « وشرح اسماء الله الحسنى » مجلد ، و « المولد » مجلد ، وتوفي بخلوته بجامع المزار بالشاغور في نصف جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة ، ودفن في القبيبات في أطراف العمارة على جادة الطريق عند والدته . وقال ابن قاضي شهبة في آخر ترجمته : والحاصل انه ممن جمع بين العلم والعمل . انتهى . واوقف على الزاوية الحصنية الامير سودون اوقافا ، واشرك فيها الشيخ محمد ابن اخي الشيخ . ومن كلام تقي الدين الحصني كما ذكره العدوي :

اذا مالت بنا النفس	الى الدنيا تركناها
تخادعنا ونخدعها	وبالصبر غلبناها
لها قوت من الفقر	وفيه قد انخناها

حرف الدال

الزاوية (الداودية)

عبد الرحمن ابن أبي داود ٧٧٣-٨٥٦

بسفح قاسيون تحت كهف جبريل ، انشاها عبد الرحمن ابن ابي داود ، وترجمه البرهان بن مفلح في « المقصد الارشد » فقال : هو عبد الرحمن بن ابي بكر بن داود ، الشيخ العالم الناسك مجيد الطريقة وعلم الحقيقة ، تخرج بجماعة من الشيوخ منهم والده ، ونشا على طريقة حسنة ملازما للذكر وقراءة الأوراد التي رتبها والده ، وكان محببا للناس يتردد عليه النواب والقضاة والفقهاء من كل مذهب ، اشتغل في فنون

كثيرة . واخذ العلم عن جماعة ، منهم برهان الدين بن مفلح ، وكتب بخطه كثيرا وكان له قلم حسن مع جودة الخط ، الف كتبا كثيرة ، منها « الكنز الاكبر في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهو اجلها ، وكان بشوشا متصدرا لقضاء الحوائج ، وكانت كلمته مسموعة في الدولة الشرقية والظاهرية ، والزم بالكلام على مدرسة الشيخ ابي عمر والبيمارستان القيمري ؛ فحصل به غاية النفع من عمارة جهاتهما وعمل مصالحهما ، وكان يرغب الناس في نفع الفقراء بكل طريق ، توفي آخر ربيع الأول سنة ست وخمسين وثمانمائة ، ودفن بالتربة التي انشاها عند باب الزاوية . وحصل في امر الزاوية امور ، وتولاها من لا يستحقها شرعا . انتهى .

وقال في « شذرات الذهب » ما ملخصه : هو الصوفي القادري شيخ الطريقة ، ومن مؤلفاته : « نزهة النفوس والافكار في خواص النبات والحيوان والاحجار » ، وكتاب « الدر المنتقى المرفوع في أوراد اليوم والليلة والاسبوع » و « المولد الشريف » . وقال جمال الدين ابن المبرد : اعظم زوايا الصالحية زاوية ابن داود ، وهي كان قد بناها والده الشيخ ابو بكر ؛ فزادها ولده الشيخ عبد الرحمن ووسعها ، وجعل لها الاوقاف والمرتبات ، وجعل لها مدارا للماء وصهريجا ومنارة جيدة ومسجدا وخلاوي وميضاة وبيتا للكتب الموقوفة ومساكن للنساء ، ورتب بها اماما ومؤذنا وقيما وواعظا حتى صارت من محال الدنيا الغريبة ؛ يقام فيها الذكر ليلة الثلاثاء ، ويقصدها الناس من كل جهة ، ويجعل لهم الوان الاطعمة ، ورتب فيها الاوراد كل يوم وليلة وله ورد المساء والصباح الذي يقرأ في غالب بلاد الاسلام ، وعمر خانا بقرب الحسينية من وادي بردى على طريق بعلبك ، وعزل عقبة دمر وغيرها من الطرق ، وعمر مدرسة الشيخ ابي عمر لما كان متوليا عليها ، وكذا البيمارستان القيمري ، وكان نفعه عاما خصوصا في خلاص المظلومين من الظالمين ، توفي عن ثلاث وسبعين سنة ، وقبره مشهور مقصود للزيارة . انتهى .

وقال العلموي : تولى هذه الزاوية بعد موت منشئها الشيخ قاسم الديري الصوفي وكان رجلا جيدا ، ثم تولاها بعده ابن بنته علي بن عمر الصالحي البانياسي وكان قد ركبته ديون ، فجعل يطالب بها ويضيق عليه ؛ فيتسلم اوقافها اصحاب الديون والاواجير[1] منه ؛ فتلاشى امرها وامر وقفها ، ثم اضمحل حالها بعد ذلك جدا .

(1) كذا في الاصل .

ابو بكر ابن داود (١)

ابو بكر ابن ابي داود ٠٠٠-٦٠٨

هو الباني الاول للزاوية ترجمه ولده عبد الرحمن في شرحه « تحفة الأوراد » ، وابن العماد في « شذرات الذهب » ، فقال في « الشذرات » : هو الشيخ الكبير الولي العارف الشيخ ابو بكر ابن ابي داوود الصالحي ، الحنبلي المسلك ، المخلص الفقيه المتين.
٥ قال الشهاب ابن حجي : كان معدودا في الصالحين وهو على طريقة السنة ، وله زاوية حسنة بسفح قاسيون فوق جامع الحنابلة ، وله المام بالعلم ، ومات في سابع عشر رمضان سنة ست وثمانمائة . انتهى . ودفن بحوش تربته من جهة الشمال قريبا من الطريق . قال الشيخ ابراهيم ابن الاحدب : له التصانيف النافعة، منها « قاعدة السفر »؛ ومنها « الوصية الناصحة » لم يسبق الى مثلها ، ومنها « النصيحة الخالصة » وغير
١٠ ذلك من التصانيف النافعة الدالة على تفقه وعلمه وبركته؛ له مغارة في زاويته انقطع عن الخلق فيها . انتهى . وقال ولده في ترجمته : كان متمسكا بأحكام الشريعة ، مائلا الى سد الذريعة ، واطنب في مدحه ، وذكر ان له كتاب « ادب المريد والمراد » .

الزاوية (الدهستانية)

كانت عند سوق الخيل ولم ادر مكانها، انشاها الشيخ الدهستاني، وفي بعض نسخ
١٥ « مختصر العلموي » : الدهيناني . قال ابن كثير : توفي سنة عشرين وسبعمائة ، وكان قد أسن وعمر ، وكان يحضر هو واصحابه تحت قبة النسر ، قال : ودفن لما توفي بزاويته وله من العمر مائة وأربع سنين .

الزاوية (الدينورية)

عمر الدينوري ٠٠٠-٦٢٩

هي بسفح قاسيون ، انشاها عمر بن عبد الملك الدينوري الزاهد نزيل قاسيون .
٢٠ قال في « الشذرات » : كان صاحب أحوال ومجاهدات وأتباع . انتهى . توفي سنة تسع وعشرين وستمائة . وقال الذهبي : قدم من الدينور الى دمشق ، وسمع الكثير ، ونسخ الاجزاء ، وحصل ، وكان دينا فاضلا عالما . انتهى . وقال العلموي : كان له مريدون وأتباع يذكرون بأصوات حسنة .

---

(١) كذا ذكره وقد اورده في عرض الكلام « ابو بكر ابن ابي داود » .

الزاوية (الدينورية الشيخية)

هي بالصالحية ، بناها ابو بكر الدينوري . قال في « العبر » : وكان له فيها جماعة مريدون يذكرون الله بأصوات حسنة طيبة ، توفي سنة احدى وستين وستمائة . انتهى . **قلت :** وليس هذا هو الدينوري المشهور ؛ فان ذاك احمد بن محمد بن احمد الدينوري البغدادي ابو بكر ، احد الفقهاء الأعيان ، واحد ائمة مذهب أحمد ؛ كان محدثا فقيها ، وتقدم في المناظرة على ابناء جنسه ، وصنف « التحقيق في مسائل التعليق » ، واخذ عنه الأئمة كالحافظ ابن الجوزي ، وابي الفتح ابن المنى ، والوزير ابن هبيرة ، وتخرجوا به . ومن كلامه :

أبو بكر الدينوري ٠٠٠-٦٦١

تمنيت أن تمسي فقيها مناظرا	بغير عناء فالجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة	تلقيتها فالعلم كيف يكون ؟ !

توفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ببغداد ، ودفن بالقرب من قبر الامام احمد .

حرف الراء

الزاوية (الرفاعية)

ذكرها المحبي في « تاريخه » في ترجمة محمد بن حسن الشهير بابن عجلان ، فقال: وبنو عجلان طائفة بالشام مشهورون بصحة النسب ، واسلافهم كانوا قدموا من مصر ، وسكنوا بزاوية الرفاعية وهي الزاوية المعروفة بزاوية شيخ المشايخ عند مزار سيدي حسن ابن الرفاعي ؛ وهي زاوية كبيرة فسيحة ، وكانت خربت بسبب فتنة صدرت في اواخر دولة الجراكسة في سنة عشرين وتسعمائة ، وذلك ان السلطان الغوري ارسل حاكما الى دمشق يقال له : النائب، وكان بها حاكم غيره فما اراد تسليمه؛ فتحصن النائب المذكور في زاوية ابن الرفاعي المذكور ؛ فرمى نائب القلعة على الزاوية باحجار المدافع الكبيرة فهد إيوان الزاوية . قاله البوريني . انتهى .

الزاوية (الرومية الشرقية)

شرف الدين الرومي ٠٠٠-٦٨٤

بسفح قاسيون ؛ أنشأها محمد بن الشيخ الكبير عثمان بن علي . قال في «الشذرات»: هو الرومي الزاهد شرف الدين ، صاحب الزاوية التي بسفح قاسيون ، كان عجبا في

الكرم والتواضع ومحبة السماع ، توفي في جمادى الآخرة سنة اربع وثمانين وستمائة وقد نيف على التسعين . قاله الذهبي في « العبر » .

حرف السين

الزاوية (السراجية)

٥ كانت بالصاغة العتيقة داخل دمشق . لم يترجم النعيمي بانيها ، ولكنه نقل عن « ذيل العبر » للحسيني ترجمة الأخميمي وانه دفن بزاوية ابن السراج ، فقال : عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن عبد الولي الأخميمي المراغي المصري ثم الدمشقي الشافعي ، كان عارفا بالمعقولات ، تخرج بالعلاء القونوي ، والف أشياء ، منها كتاب « المنقذ من الزلل في القول والعمل » ، توفي سنة اربع وستين وسبعمائة . انتهى .

١٠ **قلت :** وفي آخر سوق السلاح من الجانب القبلي مسجد لطيف وفيه قبر ، فلعل هذا هو الزاوية المذكورة .

زاوية الشيخ (ابي السعود)

أبو السعود ابن هنفري ٠٠٠–٦٠٥

كانت بسفح قاسيون بجانب الروضة من جهة الشرق ، وبها قبر صاحبها . قال العلموي : هو الشيخ الصالح ابو السعود ابن هنفرى الجعفري البدوي ، توفي سابع ١٥ رمضان سنة خمس وستمائة ، وقيل : كان بينه وبين الشيخ ارسلان اخوة ، وخلف قبره قبر يقال : انه قبر الشيخ يوسف الدسوقي . انتهى ملخصا .

الزاوية (السيوفية)

نجم الدين السيوفي ٠٠٠–٧١٠

بسفح قاسيون على نهر يزيد ، غربي دار الحديث الناصرية والعالمة ، بناها نجم الدين ابن شاه أرمن الرومي السيوفي ، توفي سنة عشر وسبعمائة[1] . قاله الذهبي . ٢٠ واوقف عليها وعلى ذرية الشيخ نجم الدين الملك الناصر قريتي عين الفيجة ودير مقرن بوادي بردى ، الثلث للزاوية والثلثان للذرية ، وبنى له ولجماعته بيوتا حولها .

(١) لم يذكر المؤلف سنة وفاته وأثبتناها نقلا عن « الدارس » .

حـرف الشين

الزاوية (الشريفـة) [1]

هي الشريفية ، كانت شرقي الناصرية الجوانية . قال العلموي : أنشأها السيد محمد الحسيني ، وكان يقيم الوقت بها ليلة الاربعاء ، ودفن بها . قال : قلت : رأيت قبره بها ، وكان قبلا مسكنا للجلال المصري الشاهد ، ثم للشيخ المعتقد عبد الأحد العجمي ، وهي ظاهرة غير انها مسكن . انتهى .

محمد الحسيني

٥

أقول : لم يبق لها الآن أثر ، ولم أقف على ترجمة بانيها ولا على مكانها .

حـرف الطـاء

الزاوية (الطـالبيـة)

هي الطالبية الرفاعية ، كانت بقصر حجاج . قال ابن كثير في حوادث سنة ثلاث وثمانين وستمائة : بها توفي الشيخ طالب الرفاعي بقصر حجاج ، وله زاوية مشهورة به ، وكان يزور بعض المريدين فمات .

١٠

طالب الرفاعي
٠٠٠-٦٨٣

الزاوية (الطيبة)

كانت ، كما قاله النعيمي ، شمالي القيمرية الكبرى عند الرحبة التي كانت الصناديق تباع بها عند دار بني القلانسي ، شرقي حمام سامة . انتهى . **قلت :** وكل هذه التعاريف تغيرت وانقرضت ، والقيمرية الكبرى موجودة باول القيمرية ، والناس يسمونها بالمدرسة العتيقة وبمدرسة القطاط ، وحمام سامة أمام المدرسة الباذرائية معروف . قال العلموي : ولعل الزاوية المذكورة هي المشهورة بالشيخ فرج . انتهى . والواقف لها الشيخ طه[2] المصري ، وكان كبيرا زاهدا ، يتردد عليه الأكابر ، توفي سنة احدى وثلاثين وستمائة ، ودفن بزاويته .

١٥

طه المصري
٠٠٠-٦٣١

٢٠

---

(١) في « الدارس » : « الشريفية النقارالية » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « طي » .

حـرف العـين

الزاوية (العمادية المقدسية)

العماد المقدسي ٦٠٨-٦٨٨

عند كهف جبريل بالسفح : انشاها الشيخ العمـاد احمد بن العمـاد بن ابراهيم ابن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الصالحي . قال الذهبي في « العبر » : ولد سنة ثمان وستمائة ، وسمع من ابي القاسم ابن الحرستاني وجماعة ، واشتغل وتفقه، ثم تمفقر وتجرد ، وصار له اتباع ومريدون اكلة بطلة(١) ، توفي سنة ثمان وثمانين وستمائة .

حـرف الغـين

الزاوية (الغسولية)

عبد الله الغسولي ٦٥٤-٧٣٧

وفي « مختصر العلموي » : الغسلولية(٢) ، كانت بسفح قاسيون ، انشاها عبدالله ابن محمد بن ابي الزهر الغسلولي او الغسولي ، وكان صوفيا محدثا ، وله مريدون ، توفي سنة سبع وثلاثين وسبعمائة .

حـرف الفـاء

الزاوية (الفرنثيـة)

اقول : هي بسفح قاسيون غربي الخاتونية ، وهناك قبة ولها شباك الى الطريق ، ومحفور بحجر في جدارها بعد البسملة :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون » آية ٤١/٣٠ . هذه تربة الفقير الى رحمة الله تعالى الشيخ علي الفرنثي ، توفي في العشر الاخر من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين وستمائة . انتهى .

علي الفرنثي ٠٠٠-٦٢١

والفرنثي بضم الفاء وسكون الراء وفتح النون وكسر المثلثة . قال في «الشذرات»:

---

(١) كذا في الاصل والاصح بطالون .

(٢) في « الدارس » : « الغسولية » .

هو الزاهد صاحب الزاوية والاصحاب بسفح قاسيون ، وكان صاحب حال وكشف وعبادة وصدق . وقال العدوي في « الزيارات » : زاويته جوار المدرسة المرشدية بصالحية دمشق من جهة الغرب ، وقال : كان رجلا صالحا كبير القدر ، ثم ذكر له اشياء اضربنا عنها لانا لسنا بصددها . قال ابن شقدة : وفي جدار القبة الشمالي فوق الباب منقوش اسمه وتاريخ وفاته ، على الطريق السلطاني بالزقاق المعروف بين المدارس . ٥
انتهى . **قلت :** والزاوية معطلة مقفلة وربما تتداولها ايدي المختلسين . وقال الذهبي : كان الفوني صاحب حال وكشف ، وعبادة وصدق ، ورياضات وسياحة . انتهى .

الزاوية (الفقاعية)

يوسف الفقاعي
٠٠٠-٦٧٩

انشأها الشيخ يوسف الفقاعي . قال في « الشذرات » : هو الزاهد ابن نجاح ابن مرعوب ، كان عبدا صالحا ، كبير القدر قانتا ، له اتباع ومريدون ، توفي في شوال سنة ١٠
تسع وسبعين وستمائة ، ودفن بزاويته بسفح قاسيون ، وقد نيف على الثمانين . قال ابن قاضي شهبة : كان الفقاعي من اهل عقربا قرية من اعمال نابلس . قال الكتبي : وله بها زاوية ، وكان يتردد اليها في كثير من الأوقات ، وله زاوية ورباط بسفح قاسيون ، بنى له ذلك الامير جمال الدين ابن يغمور ، وكان كثير العبادة والزهد ، كريم الاخلاق لطيف الحركات ، كثير التواضع لين الكلام ، من المشايخ المشهورين بالعرفان ، وللناس فيه ١٥
عقيدة صالحة . قال : ودفن بتربته الى جانب زاويته .

حرف القاف

الزاوية (القلندرية الحيدرية)

هي زاوية ثانية للطائفة المتقدم ذكرها ، كانت ظاهر دمشق بمحلة العونية ، بنيت للشيخ حيدرة ولاتباعه سنة خمس وخمسين وستمائة ، وفي هذه السنة رحلت الفقراء ٢٠
الحيدرية من الشام بعد النفي السابق . كذا قاله النعيمي والعلموي .

الزاوية (القلندرية الدنركزتية) (١)

كانت بمقبرة باب الصغير شرقي محلة مسجد الذبان ، وشرقي مئذنة البصير ،

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الدركزنية » .

وتعرف بالدركزينية ، انشاها محمود بن محمد الدركزيني[1] الطالبي . "ودركزين بدال مهملة ثم نون وراء ساكنة ثم كاف مكسورة ثم زاي معجمة بعدها ياء اسم بلدة من همذان بينهما اثنا عشر فرسخا .

الطائفة (القلندرية)

اني ذاكر هنا احوال هذه الطائفة كما رايته مسطورا في اسفار العلماء ، ولا أتعرض لتفنيد شيء من احوالهم الان ، بل اقيم نفسي مقام المؤرخ الناقل لا مقام المحقق المنتقد لان هذا له مجال في مؤلفاتنا ، واليك سيرتهم :

قال الحافظ ابن كثير : دخلت الفقراء الحيدرية الشام سنة خمس وستين وستمائة ، وكان من شعارهم لبس الفراجي والطراطير ، يقصون لحاهم ويتركون شواربهم وهو خلاف السنة ، وانما فعلوا ذلك متابعة لشيخهم حيدر حينما اسره الملاحدة فقصوا لحيته وتركوا شواربه ؛ فاقتدوا به في ذلك ، وهو معذور ماجور وليس لهم به قدوة ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وبنيت له زاوية بظاهر دمشق قريبا من العونية ؛ رايت في كتاب « حسن التنبيه » للنجم الغزي ، وقال الصلاح الصفدي في « الوافي بالوفيات » ما صورته :

محمد بن يونس الشيخ جمال الدين الساوجي الزاهد شيخ الطريقة القلندرية قدم دمشق ، وقرا القرآن والعلم ، وسكن قاسيون في زاوية الشيخ عثمان الرومي ، ثم حصل له زهد وفراغ عن الدنيا فترك الزاوية واقام بمقبرة باب الصغير بقرب موضع القبة التي بنيت لأصحابه ، وبقي مدة بقبة السيدة زينب بنت زين العابدين ، واجتمع بالجلال الدركزيني والشيخ عثمان كوهي الفارسي المدفون بالقنوات بمكان القلندرية ، ثم ان الساوجي حلق وجهه وراسه ولاق حاله بذلك ، واولئك وافقوه يعني اصحابه ، وحلقوا مثله ، ثم ان اصحاب الشيخ عثمان طلبوا الساوجي ؛ فوجدوه بالقبة ، فسبوه وقبحوا فعله فلم ينطق ، ثم انه اشتهر وتبعه جماعة ، ثم انه لبس دلق شعر ، وسافر الى دمياط فانكروا هناك حاله وزيه ، ثم آل الأمر الى أن اعتقدوا فيه ، فتوفي بدمياط ، وقبره مشهور بها .

(1) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الدركزيني » .

وحكى ابن الجوزي في « تاريخه » انه راى كراريس بخطه من تفسير له. وجلس في المشيخة بعده بباب الصغير الجلال الدركزيني وبعده الشيخ محمد البلخي ؛ فشرع لهم الجوالق الثقيلة ، واقام الزاوية وانشاها ، وكثر اصحابه ؛ وكان للملك الظاهر فيه اعتقاد ؛ فلما ان تسلطن طلبه ، فلم يمض اليه ، فبنى لهم السلطان هذه القبة من مال الجامع ؛ وكان اذا قدم الشام يعطيهم الف درهم وشقتي بسط ، ورتب لهم ثلاثين غرارة قمح في السنة ، وفي اليوم عشرة دراهم ، وكان السويداوي ، وهو منهم ، يحضر سماط السلطان الملك الظاهر ويمازحه . ولما انكر الناس على الشيخ علي الحريري في دولة الملك الاشرف موسى ، انكروا على القلندرية ونفوهم الى قصر الجنيد . وذكر نجم الدين ابن اسرائيل الشاعر ان هذه الطائفة ظهرت بدمشق سنة ست عشرة وستمائة . وكانت وفاة الساوجي المذكور في حدود الثلاثين وستمائة . وقد نكت بعض الشعراء على غلام قلندري فقال :

بدالي في حلق الشوارب فتنة	فقلت بعقل ذاهل فيه ذاهب
حبيبي بحق الله قل لي ما الذي	دعاك الى هذا فقال مجاوبي
وعدت بوصلي العاشقين تعطفا	فلم يثقوا واستوهبوا قوس حاجبي

ابن اسرائيل

هو نجم الدين بن خضر اسرائيل بن خضر بن اسرائيلي الدمشقي صاحب الحريري ، كان ظريفا ، مليح النظم ، رائق المعاني لولا انه شانه بالاتحاد تصريحا وتلويحا ، ومما كتبه الى النجم الكمال :

ياسيد الحكماء هذي سنة	مثبوتة في الطب انت تبثها
اوكلما كلت جفون سيوف من	سفكت لواحظه الدماء سننتها

توفي رابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وستمائة عن اربع وسبعين سنة ، ودفن خارج باب توما عند قبر الشيخ ارسلان .

الزاوية (القوامية البالسية)

غربي جبل قاسيون ؛ والزاوية السوقية ودار الحديث الناصرية والصالحية والعادلية ، على نهر يزيد . فانظر الى اسماء لامسميات لها الآن ، والى اماكن لاتجدها الا

في صحف التاريخ . وترجم صاحبها ابن العماد في « الشذرات » ، والعدوي في كتاب « الزيارات » ترجمة مطولة ، واليكها خالية عن المبالغة وعما لا ينطبق على عقل . قالا :

ابو بكر بن قوام ٥٨٤–٦٥٨

هو ابو بكر بن قوام بن علي بن قوام البالسي ؛ كان زاهدا عابدا قدوة ، صاحب حال ، وله زاوية واتباع ، ولد سنة اربع وثمانين وخمسمائة ، وتوفي اواخر رجب سنة ثمان وخمسين وستمائة ببلاد حلب ؛ ثم نقل الى دمشق فدفن بزاويته بسفح قاسيون بعد موته بسنتين ، وكان شافعي المذهب ، اشعري العقيدة . ولد بمشهد صفين ، ثم انتقل الى بالس وهي غربي الفرات فنشأ بها ، والف حفيده الشيخ محمد بن عمر بن ابي بكر في مناقبه مؤلفا حسنا ، وحكى له العدوي في الزيارات كرامات كثيرة ، فمن احبها فليراجعها فيه وفي « الطبقات الكبرى » للسبكي . قال ابن كثير : ولم يكن لهذه الزاوية وقف ولا مرتب . قال الصفدي : اوقف عليها بعض التجار بعض قرية .

زاوية (الموصلي)

عبد القادر الموصلي

بميدان الحصى ؛ تنسب الى الشيخ عبد القادر الموصلي ، وتربته بها . قال العلموي بعد ذكر ما تقدم : الزاوية الاولى ؛ يعني زاوية ابي بكر الموصلي ؛ نقلتها من « طبقات ابن قاضي شهبة » ؛ والثانية معزوة الى التاجي ، والتتمة قراتها من خط مولانا العلامة الشرفي ابن الجابي .

زاوية (بميدان الحصى)

أبو بكر الموصلي ٠٠٠–٧٩٧

قال العلموي : توفي الشيخ الصالح ابو بكر الموصلي سنة سبع وتسعين وسبعمائة بالقدس ، وله مصنفات في التصوف ، وزاوية كبيرة بميدان الحصى ، وكان يحضر مواعيده كبار العلماء فيسمعون منه النكت الغريبة ، وعظم قدره عند السلطان برقوق الظاهر ، وكان يكاتبه ويأمره بما فيه نفع للمسلمين ، واعطاه مالا فأبى أن يقبله . انتهى ملخصا .

حرف الواو

الزاوية (الوطية)

علاء الدين ابن وطية

شمالي جامع جراح ، ويقال لها : زاوية المغاربة ، اوقفها الرئيس علاء الدين علي

المشهور بابن وطية الموقت سنة اثنتين وثمانمائة ، وجعلها برسم المغاربة على اختلاف اجناسهم بشرط ان لايكون النازل بها مبتدعا ولا شريرا ، واوقف عليها حوانيت وطباقا حولها ، وشرط على شيخها ان لايكون بأبواب القضاة والحكام .

حـرف اليـاء

الزاوية (اليونسية) ٥

كانت بالشرف الشمالي غربي الوراقة والعزية البرانية ، بنيت للشيخ يونس الآتي ذكره .

الطائفة (اليونسية وشيخهم)

اقول : هذا الإسم يطلق على طائفتين : احداهما من الشيعة وهم اتباع يونس ابن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين ، ولهم اعتقاد غريب ، والثانية من الصوفية وهم ١٠ اتباع يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي القني نسبة الى القنية من نواحي ماردين . ولنذكر هنا الطائفة الثانية لأنها المقصودة هنا ، ثم نتبعها بالاولى استطرادا .

يونس الشيباني ٥٢٩-٦١٩

فاما يونس المخارقي ، فقال الذهبي في « العبر » عنه : هو شيخ الطائفة اليونسية اولي الشطح والدعارة وقلة العقل وكثرة الجهل ابعد الله شرهم ، وكان رحمه الله صاحب حال وكشف يحكى عنه كرامات ، وحكى له ابن خلكان حكايات يطول بنا ذكرها . ومن ١٥ شعره مواليا :

انا حميت الحمى وانا سكنت فيـه	وانا رميت الخلائق في بحار التيه
من كان يبغي العطا مني انا اعطيـه	انا فتى ما اداني من به تشبيـه

وله :

اذا صرت سندانا فصبرا على الذي	ينالك من مكروه دق الطـارق ٢٠
لعل الليـالي أن تعيـدك ضاربـا	فتضرب اعناق العدى بالبوارق

توفي ، كما ذكره في « الشذرات » ، سنة تسع عشرة وستمائة بقرية القنية وقد ناهز التسعين ، وقبره مشهور هناك . وقال ابن خلكان عن الشيخ يونس هذا : تنسب

الطريقة اليونسية اليه ، ويعرفون به ، وكان رجلا صالحا ، وسألت جماعة من اصحابه
عن شيخه ، فقالوا : لم يكن له شيخ وانما كان مجذوبا ، وهم يسمون من لاشيخ له
بالمجذوب يريدون بذلك انه جذب الى طريق الخير والصلاح ، ويذكرون له كرامات
كثيرة . انتهى . وفيه كلام طويل . **اقول** : ان نقل الكرامات اصبح امرا عسيرا لان
اصحاب الرجل يستعملون الغلو دائما ، والاخبار تحتمل الصدق والكذب . وكثيرا
ما ارى كرامة لرجل قد نسبها له المتاخرون ، لم اراها بعينها في ترجمة من قبله ومن
قبله . وتارة ينقل المترجم الكرامة ولا يتفطن لمناقضتها الشرع والعقل ، وانا اضرب لك
مثالا ليتضح به المرام ، وهو ما حكاه ابن خلكان وصاحب « شذرات الذهب » عن الشيخ
يونس ، ذلك ان ابن خلكان قال : سألت رجلا من اصحابه عنه ، فقال : كنا مسافرين
والشيخ يونس معنا ، فنزلنا في الطريق بين سنجار وعانة وهي مخوفة ، فلم يقدر
واحد منا أن ينام من شدة الخوف ونام الشيخ يونس ، فلما انتبه قلنا : كيف قدرت تنام؟
فقال : والله ما نمت حتى جاء اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وتدرك القفل ، ودخلنا
سالمين ببركة الشيخ يونس . فانظر اولا الى المتكلم ، ولو حملناه على محمل حسن وقلنا :
انه صادق ، فهل يليق به ان يجعل سيدنا اسماعيل او والده الخليل عليهما الصلاة والسلام
حارسين عنده لينام نوما هنيئا وهما ساهران كالاجير الذي يأخذ اجرته ، ويدافع عن
مال سيده ؟! وهب ان الامر صحيح ، فكيف جاز له الاتكال على غير الله سبحانه وتعالى؟!
نعم ! لو قال : اني قبل نومي دعوت الله تعالى ، وفوضت امري وامر القافلة اليه ، لكان
كلامه مقبولا ! ثم ليت شعري هل ذلك الراوي صادق فيما نقله ، او هو عدل مرضي
الشهادة أم لا ، مع أن رواة الحديث لانصدقهم حتى تتحقق لنا عدالتهم ، ونعلم صدقهم؟!
فكيف تجيز قبول خبر واحد مجهول الحال ؟! تالله ما هذا الا هذيان ، وعدم تمكن من
العلم الصحيح !

وحكى الذهبي عن الشيخ انه كان زاهدا كبير الشان ، له الأحوال والمقامات والكشف ،
وذكر ايضا انه سمع شيخ الاسلام ابن تيمية ينشد للشيخ يونس بيتا ظاهره شطح
والحاد ، قال : وبالجملة لم يكن الشيخ من اولي العلم ، بل كان من اولي الحال والكشف ،
وكان عاريا عن الفضيلة ، وكان شيخ الاسلام ابن تيمية يتوقف في امره ، ثم اطلق لسانه
فيه وفي غيره من الكبار ، والتثبت مما ينقل عن الرجل اولى .

واما اتباعه ، فقال الذهبي : هم شر طوائف الفقراء ، ولهم اعمال تدل على الاستهتار

والانحلال قولا وفعلا استحيي من الله ومن الناس التفوه بها ، قال : ولا يغتر مسلم بكشف ولا بحال؛ فقد تواتر الكشف والبرهان عن الكهان والرهبان، وذلك الهام الشيطان، اما حال اولياء الله وكراماتهم فحق ، واخبار ابن صياد بالمغيبات حال شيطاني ، وحال عمر بن الخطاب ، يعني لما قال : ياسارية الجبل الجبل ، وحال العلاء الحضرمي ، حال رحماني ملكي . وكثير من المشايخ يتوقف في امر مثل يونس والحريري وغيرهما؛ فلم يتبين لهم من اي القسمين هم . قال الشيخ شهاب الدين ابن العماد في كتابه « الانتقاد على طائفتي الشهود والعقاد » : لو جهلنا فسق الشاهد ولكن رأيناه يظهر الكرامات والمشي على الماء والطيران في الهواء ، لم ينعقد النكاح به لثلاثة اوجه :

اولها انه يجوز اظهار الكرامة على يد الكافر ؛ كما ظهرت على يد السامري في رؤيته لفرس جبريل(1) عليه السلام ، دون بني اسرائيل ، حتى قبض قبضة من اثر الرسول يعني اخذ من تراب موضع حافر فرسه .

الثاني ان الولي يجب عليه اخفاء الكرامة كما صرح به ابو محمد في اول كتابه في « اللطائف والحكم » .

الثالث لو رأيت صاحب بدعة يطير في الهواء لم اقبله حتى يتوب من بدعته . ذكره ابو نعيم في ترجمة الشافعي .

وقال الذهبي : كان ابو عمرو الدمشقي زاهد الشام يقول : فرض على الولي كتمان الكرامات لئلا يفتتن بها . وقال أبو يزيد البسطامي : لو نظرتم الى رجل اعطي من الكرامات حتى يرفع في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وآداب الشريعة . انتهى . وحكى لنا بعض اصحابنا الثقات انه دخل على رجل من اهل زمننا في دمشق ليزوره مع جماعة ، وكان الرجل قد اقام في بلاد الهند اعواما، وحمل اصحابه على جمع كتاب له في كراماته وطبعه ، قال : فلما زرناه ، واذن لنا في الذهاب قام لوداعنا ؛ فاصاب طرف جبته كاسا من البلور كان موضوعا على كرسي ؛ فسقط على السجادة ثم تدحرج على البلاط ولم يتكسر ، فقال احد احبابه : هذه كرامة للشيخ ! فاعجب الشيخ بكلامه وتبسم وقال : لنا مثل ذلك كثير ، يعني ان كراماته

(1) كثيرا ما تقدمت كلمة جبريل في الكلام واصلها جبرئيل كما في « اللسان » وكان المؤلف رحمه الله خفف الهمز وابدله بياء لسهولة اللفظ .

لاتحصى . فانظر الى هذه الخزعبلات وتدبرها بعين العقل ، واياك ان تحيد عن منهج الكتاب والسنة . وبسط هذا البحث له مجال في كتبنا .

واما الطائفة الاولى وهي من الشيعة ، فهم اتباع يونس بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين ، زعم ان الملائكة تحمل العرش ، والعرش يحمل الرب تعالى ؛ اذ قد ورد في الخبر ان الملائكة تئط[1] احيانا من عظم وطأة الباري تعالى . وهو من مشبهة الشيعة ، وقد صنف لهم كتبا في ذلك ، ومقالته مشهورة في كتب الملل والنحل فلا نطيل بها .

وقد تولى الزاوية اليونسية جماعة ، منهم سيف الدين الرجيحي بن سابق بن هلال ابن يونس شيخ اليونسية ، قال ابن كثير : وكانت له حرمة كبيرة عند الدولة وعند طائفته ، وكان ضخم الهامة جدا ، محلوق الراس ، توفي سنة ست وسبعمائة ، وتوفي ولده عيسى سنة خمس وسبعمائة ، ودفن بالزاوية .

زاوية (بحارة الجوبان)

عبد القادر الرجيحي ٨٥٢-٠٠٠

بناها القاضي عبد القادر بن محمد بن عمر بن عيسى بن يوسف ابن الرجيحي ابن سابق ابن هلال ابن الشيخ يونس اليونسي الشيباني الحنبلي ، ولد سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، واشتغل بالعلم ، وتولى زاوية جده اليونسية ، وكان بالمزة ، ثم انتقل الى الصالحية وبنى بها زاوية بحارة الجوبان ، ووقف عليها وقفا .

زاوية (ابن التتمة)

ابن التتمة

هي بميدان الحصى ، بناها ابن التتمة لسبط الموصلي ، وهو كردي شهرزوري من ذرية السلطان صلاح الدين ايوب .

---

(١) تئط : تصوت .

الباب الحادي عشر في الترب

المراد بالترب هنا هي(١) الترب الخاصة التي بناها اناس ليدفنوا بها ، وجعلوا لها جهات بر وصدقات ، وليس المراد بها الترب العمومية . واني ساذكرها من غير ان اتحص بنفسي عن محالها لان هذا لافائدة فيه بعد فناء موتاها .

حـرف الهمزة

التربة (الأجرية)

أبو بكر البغدادي ٠٠٠ــ٣٦٠

هي في العقيبة مقابل باب جامع التوبة الشرقي بينها وبين الجامع الطريق ، بها قبر أبو بكر محمد بن الحسن البغدادي المحدث الثقة الضابط صاحب التصانيف والسنة ، كان حنبليا ، وله مصنفات في مذهب احمد منها كتاب « النصيحة » . توفي سنة ستين وثلاثمائة .

التربة (الأتابكية)

تركان خاتون ٠٠٠ــ٦٤٠

بسفح قاسيون بالصالحية ، اوقفها الحجة الأتابكية امراة الأشرف موسى صاحبة المدرسة المعروفة بالتابكية(٢) توفيت سنة أربعين وستمائة .

التربة (الأخنائية)

برهان الدين الاخنائي ٠٠٠ــ٩٥٤

هي تربة القاضي برهان الدين ابراهيم بن احمد الاخنائي الشافعي الدمشقي ، كان من العلماء الرؤساء واحد قضاة العدل ، وكانت له ديانة ومهابة ووقار . انشا هذه التربة قرب جامع جراح ، توفي سنة اربع وخمسين وتسعمائة ، ودفن بها .

---

(١) وردت في الاصل ولا لزوم لها .

(٢) وهي المدرسة الاتابكية من المدارس الشافعية .

التربة (الأرسلانية)

أبو عامر المؤدب

هي تربة مشهورة بظاهر باب توما ، ويقال لها : تربة ابي عامر المؤدب ، وهو مدفون في القبر القبلي ، والشيخ ارسلان في القبر الاوسط ، وخادمه ابو المجد في القبر الثالث ، وكان ابو عامر هذا شيخ الشيخ ارسلان .

٥

الشيخ ارسلان

ارسلان بن يعقوب ٠٠٠-٥٩٩

قال الشيخ عبد الرحمن البصروي في « تحفة الانام » : هو الشيخ ارسلان بن يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله ، اصله من قلعة جعبر ، ثم اتى الشام وكان نشارا ، وصحب أبا عامر المؤدب ، ثم اشتهر بالصلاح والزهد ، قيل : انه كان ينشر الخشب ثم يقسم اجرته اثلاثا ، فيجعل ثلثا للنفقة ، وثلثا للصدقة ، وثلثا للكسوة ، وكان اولا يتعبد

١٠ في مسجد صغير داخل باب توما وهو معروف الآن بمقامه ، وحفر البئر الذي هناك بيده ، وكان بيته طبقة صغيرة ، والى جانب الطبقة دكان حياكة . ثم ان نور الدين اشترى دارا مجاورة للمسجد ووسعه ، وبنى له منارة ، ووقف عليه . ثم خرج الشيخ ارسلان الى ظاهر باب توما الى مسجد خالد بن الوليد وكان هذا مكان خيمته حين فتح دمشق رضي الله عنه ، فعمر هناك مسجدا ، واقام فيه الى ان توفي بعد الاربعين وخمسمائة .

١٥ وذكره صاحب « شذرات الذهب » في جملة من توفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وقال : توفي في حدودها . وقال المناوي : توفي قبل الستمائة . وترجمه المناوي ، ونقل عن تقي الدين السبكي انه حضر سماعا عنده فكان يطير في الهواء ، وهذا ليس بصحيح لان السبكي لم يدركه قطعا ، واظن ان والده لم يدركه ، فكيف يصح منه نقل المشاهدة ؟ والصحيح ان الشيخ ارسلان توفي بعد الأربعين وخمسمائة ، وكان زاهدا

٢٠ قدوة من اكابر مشايخ الشام ، ومن كلامه : الحسد مفتاح كل شر ، والغضب يقيمك على اقدام الذل والاعتذار ، والكريم من احتمل الاذى ولم يشك عند البلوى . وله الرسالة المشهورة التي اولها : كلك شرك خفي يا ابن آدم . وشرحها القاضي زكريا الانصاري ، والشهاب احمد ابن الطيبي ، وعلاء الدين بن صدقة ، والشيخ عبد الغني النابلسي . ومن نظمه :

يا من علا فرأى ما في الغيوب وما	تحت الثرى وظلام الليل منسدل
٢٥ انت الغياث لمن ضاقت مذاهبه	انت الدليل لمن حارت به الحيل

انـا قصدنـاك والآمـال واثقـة — والكل بدعـوك ملهـوف ومبتهـل
فان عفـوت فذو فضل وذو كرم — وان سطوت فانت الحـاكم العـدل

وترجمه البصروي بترجمة طويلة الله اعلم بصحتها ، وغاية قولنا فيه : انه كان من عباد الله الصالحين .

التربة (الأستدارية)

٥

شمس الدين ابن استاذدار
٠٠٠–٦٢٨

جوار تربة ابن سمرك[1] بقاسيون . انشاهـا الملقب شمس الدين ابن استاذدار الامير استدار[2] ، وكان كيسا متواضعا حسن العشرة ، جوادا ، من بيت مشهورا ، مات سنة ثمان وعشرين وستمائة[3] ، ودفن بتربته .

التربة (الأسدية)

١٠

علي الأسدي
٥٥٢–٦١٨

هي بالجبل ، أوقفها علي بن عبد القادر القرشي الاسدي الزبيري الدمشقي ، وكان له اعتناء بالحديث ، توفي سنة ثماني عشرة وستمائة .

التربة (الأفريدونيـة)

هي تربة ، وبها دار قرآن ، شرقي جامع حسان ، خارج باب الجابية بالشارع الأعظم ، غربي خندق سور المدينة ، قريبا منه ، ومن تربة الأمير بهادر المنصوري ، ومن تربة الأمير فرج بن منجك ، شماليهما ، اوقفها افريدون العجمي وكان تاجرا كبيرا ، واوقف ايضا المدرسة الافريدونية بباب الجابية ، وهي مليحة جدا ، توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة .

١٥

أفريدون العجمي
٠٠٠–٧٤٩

والذي ذكره النعيمي من وقفها : المزرعة المعينية جوار العديل بالمرج ، وبستان معبد بقرية زبدين ، وخمس قطع اراضي بقنية ، وحصة من بستان يعرف بدف الجوز

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « نمرك » ، استاذدار وكذلك في « القلائد الجوهرية » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « شمس الدين ابن استاذدار الامير » ، وفي « القلائد » : « استاذدار » .

(٣) لم ترد كلمة ستمائة في الاصل ، وقد سقطت سهوا من المؤلف .

بالجيم بأرض أرزة ، ونصف تربة مكالة من بصرى ، وبستانان بقرية عين ترما ، وقطع اراضي تعرف بحقول العجمي بقرية كفر بطنا ، والحصة من قاعة الحديثي بقصر حجاج، والحصة من خان الطحين بباب الجابية ، ومحاكرة ابن الصلاح الغزولي جوار مدرسة الباذرائية ، وقاعة النشا تجاه التربة من الغرب ، وربع القيسارية ، وبستان تل كفرثوثا، ٥ وبيت بزقاق الداراني ، وبيت بزقاق حمام الزين ، وقاعة واصطبل داخل باب الفراديس بزقاق الماء ، وبستان بحارة القصاصية ، وبستان بقرية كفرثوثا ، وشيء من تل الشعير .

التربة (الآكزية)

أكز الفخري ٠٠٠–٨٣٣

هي قبلي تربة بهادر ، وشرقي تربة يونس الدوادار ، خارج باب الجابية ، أوقفها أكز الفخري ، وكان مملوكا اشتراه الامير اياس وعمره سبع سنين ، ثم صار امير طبلخانة ١٠ بالشام ونائب القلعة ، وكانت مكاتباته الى مصر لاترد ، ثم عزل عن نيابة القلعة ، وعمر تربته عمارة حسنة ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، ودفن بتربته .

التربة (الأيدمرية الأولى)

أيدمر الصالحي ٠٠٠–٦٦٧

بالقرب من اليغمورية بحارة السكة بالسفح ، وهي تربة الأمير ايدمر بن عبدالله الحلي(١) الصالحي ، كان من أكابر الأمراء ، وكان الملك الظاهر يستنيبه اذا غاب ، توفي ١٥ سنة سبع وستين وستمائة ، ودفن بتربته . وقال في « الذيل الشافي » : ايدمر الحلي الصالحي كان ينوب عن الملك الظاهر بيبرس بالقاهرة في أسفاره ، وكان قليل الخبرة بالأمور ، ومع ذلك كان له ثروة ، وخلف من الأموال والأملاك مايستحيا من ذكره .

التربة (الأيدمرية الثانية)

أيدمر الظاهري ٠٠٠–٧٠٠

هي عند الجسر الابيض بالخانقاه العزية ، انشاها الأمير ايدمر عز الدين الظاهري ٢٠ المتقدمة ترجمته في الخانقاه العزية ، المتوفى سنة سبعمائة ، وسماها العلموي بالتربة العزية .

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الحلبي » .

حرف الباء

التربة (البالجية)

حسن البالجي
٠٠٠-١٠٠٢

ذكر المحبي هذه التربة في ترجمة البالجي فقال : حسن باشا المعروف بالبالجي المدفون بالجنينة الحمدانية تحت قلعة دمشق على حافة نهر بردى من جهة شرقها المدرسة الايدغمشية ، كان حسن باشا امير صفد ، سكن الشام مدة ، ثم ولي حكومة طرابلس الشام ثم القرص ، وكان من أنصف الحكام ، توفي بالقرص سنة اثنتين بعد الالف ، وحمل منها في صندوق في محفة الى دمشق ، ودفن في تربته المذكورة وكان انشأها في حياته ، وأوقف على التربة أربعة اجزاء تقرا بعد الظهر . انتهى . **قلت :** اما الجنينة فقد ذهبت ، واما التربة فهي موجودة الآن عن يسار الذاهب الى الجهة الشمالية على جانب نهر بردى .

قال المحبي في « سلك الدرر » في ترجمة عبد الله بن محمود العباسي المعروف بمحمود زاده ، المتوفى سنة اثنتين واربعين والف : تولى المذكور قضاء الشام سنة ثلاثين والف ، وجدد من ماله بها تعمير ثلاث قباب لزوجتي النبي صلى الله عليه وسلم المدفونتين بمقبرة باب الصغير وهما ام سلمة وميمونة على قول . **قلت :** وذلك قول شاذ مخالف لما اطبق عليه المؤرخون من ان زوجاته لم يمت احد منهن خارج ارض الحجاز . واما ميمونة فقد ذكر الحافظ الباجي انها ماتت بسرف وهو ماء معروف على اميال من مكة ، ودفنت ثمة بالاتفاق ، وكان صلى الله عليه وسلم بنى بها هناك ايضا بعد عمرة القضاء .

وبنى على قبر أبي بن كعب خارج الباب الشرقي قبتين وبليهما مسجد ، وصرف على ذلك من خالص ماله مائة الف دينار . قال : وكان المذكور وقورا له فصاحة منطق وحسن صوت ، وهو في العفة الغاية التي لاتدرك ، وكان كريما مفرط السخاء ، وكان يحسن الى المحتاجين من الفقراء والايتام والأرامل والمساكين ، والحاصل انه التزم أن يصرف جميع ما حصله في ايام قضائه بدمشق على جهات الخير ، وخرج منها مديونا .

التربة (البدرانية الحمزية)

حمزه ابن شيخ السلامية
٠٠٠-٧٦٩

بسفح قاسيون عند جامع الافرم ، انشأها حمزة بن موسى بن احمد بن الحسين ابن بدران الامام العلامة الحنبلي المعروف بابن شيخ السلامية ، سمع من الحجار ، وتفقه

على جماعة ، ودرس بالحنبلية وبمدرسة السلطان حسن بالقاهرة ، وافتى ، وصنف تصانيف عديدة ، وله كتاب « الاستدراكات على كتاب الاجماع » لابن حزم ، وشرح على « احكام المجد ابن تيمية » قطعة صالحة . واختار بيع الوقف للمصلحة موافقة لابن قاضي الجبل ، وكان له اطلاع جيد ونقل مفيد على مذاهب العلماء المعتبرين ، واعتناء بنصوص الامام احمد وفتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية وله فيه اعتقاد صحيح وقبول لما يقوله ، وكان ينصره ويعادي فيه ، ووقف درسا وكتبا بتربته بالصالحية ، وعين لذلك الشيخ زين الدين بن رجب ، توفي بالصالحية ليلة الأحد حادي عشرين ذي الحجة سنة تسع وستين وسبعمائة ، ودفن عند والده وجده عند جامع الأفرم . قاله ابن مفلح في « الطبقات » وابن العماد في « الشذرات » .

التربة (البدرية الأولى)

بدر الدين ابن الوزيري ٠٠٠-٧١٦

هي بميدان الحصى فوق خان النجيبي ، انشاها بدر الدين محمد ابن الوزيري ، كان من الأمراء المقدمين ، ولديه فضيلة وخبرة ومعرفة ، وكان حاجب ميسرة ، وتكلم في الأوقاف وفيما يتعلق بالقضاة والمدرسين بمصر ، ثم نقل الى دمشق فمات بها سنة ست عشرة وسبعمائة ، ودفن بتربته ، وخلف مالا كثيرا .

التربة (البدرية الثانية)

بدر الدين حسن ٠٠٠-٨٢٤

مقابل الشيخ ارسلان ، وهي تربة الأمير بدر الدين حسن ، بناها سنة اربع عشرة وثمانمائة ، وكان اولا معمما ، ثم خدم المؤيد شيخ نائب طرابس الى ان صار وزيرا بمصر ، ثم انه عادى جميع المباشرين ، فابعده السلطان ، ثم سلمه الى الأمير ارغون شاه فعاقبه بانواع العقوبات ، وآل امره الى ان غمره بالبسط حتى مات سنة اربع وعشرين وثمانمائة ، ودفن في تربته ، وكان قد بناها ايام مباشرته بدمشق ، وجعل فيها مسجدا ومكتبا للأيتام .

التربة (البرسبائية الناصرية)

هي بسويقة صاروجا غربي الشامية البرانية ، انشاها وانشا الجامع لصيقها

برصباي الناصري
٠٠٠-٨٥٢

الحاجب الكبير بدمشق برسباي الناصري ، ووقف عليها وقفا جيدا جليلا ، ثم ولي نيابة طرابلس ، ثم حلب ، ثم طلب الاقالة منها فاقيل ، وتجهز الى دمشق وهو مريض ؛ فمات في الطريق بمنزلة سراقب ، فحمل منها الى دمشق ، ودفن بتربته سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة . وقال في « الذيل الشافي » : كان المترجم مشكور السيرة ، لكنه لم يشتهر بشجاعة ولا كرم ، وقال : توفي سنة احدى وخمسين وثمانمائة . ٥

وقال السخاوي في « الضوء اللامع » : سيباي الأشرف أينال نائب غزة ، ثم حاجب دمشق ، ثم نيابة حماة ، وهو اخو قانصوه ، مات في التجريدة . انتهى .

الأمير (صاروجا)

صارم الدين
صاروجا
٠٠٠-٧٤٣

انا لنذكر على سبيل الاستطراد باني سوق صاروجا ، فأقول : ترجمه صاحب « شذرات الذهب » ، فقال ما حاصله : الأمير صارم الدين صاروجا بن عبد الله المظفري، ١٠ كان اميرا في اول دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون بالديار المصرية ، وكان صاحب أدب وحشمة ومعرفة ، ولما اعطى الملك الناصر تنكز امرة غزة ، جعل صاروجا هذا آغاة له وضمه اليه ؛ فاحسن صاروجا لتنكز ودربه ، واستمر الى ان حضر الملك الناصر الكرك؛ فاعتقله ، ثم افرج عنه بعد عشر سنين تقريبا ، وانعم عليه بامرة صفد فاقام بها نحو سنتين ، ونقل الى دمشق اميرا بها بسفارة تنكز نائب الشام ، فلما وصل الى دمشق ١٥ عرف له تنكز خدمته السابقة وحظي عنده ، وصارت له كلمة بدمشق ، وعمر بها عمائر مشهورة منها : السويقة التي خارج دمشق الى جهة الصالحية . ولما امسك تنكز سنة اربعين وسبعمائة ، امسك بسببه ، وحضر مرسوم بتكحيله ، فكحل وعمي ، ثم ورد من الغد مرسوم آخر بالعفو عنه ، ثم جهز الى بيت المقدس ، فاقام به الى ان مات في اواخر سنة ثلاث واربعين وسبعمائة . هذه ترجمة باني سوق صاروجا ، وللعوام فيه تأويلات ٢٠ كاذبة لا اصل لها .

سوق (جقمق)

حيث اننا ذكرنا ترجمة باني سوق صاروجا فلنذكر ترجمة باني سوق جقمق . قال في « الشذرات » ما حاصله :

سيف الدين جقمق
٠٠٠-٨٢٤

جقمق كان من ابناء التركمان ، فاتفق مع بعض التجار ان يبيعه ويقسم ثمنه بينهما ففعل ؛ فتنقل في الخدم حتى تقرر دويدارا ثانيا عند الملك المؤيد قبل سلطنته ثم استمر ؛ وكان يتكلم بالعربية لايشك من جالسه انه من اولاد الاحرار ؛ ثم استقر دويدارا كبيرا الى ان قرره الملك المؤيد في نيابة الشام ؛ فبنى السوق المعروف بسوق جقمق ، واوقفه على المدرسة التي بناها قرب الاموي ؛ ثم اظهر العصيان لما مات الملك المؤيد . قال المقريزي : كان سيء السيرة شديدا في دواداريته على الناس ؛ حصل اموالا كثيرة ، وكان فاجرا ظلوما غشوما لايكف عن قبيح ، قتله ططر بدمشق بعد ان صادره في امواله في اواخر شعبان سنة اربع وعشرين وثمانمائة ، ودفن بمدرسته لصيق الكلاسة . قال ابن تغري بردي في « الذيل » : واصله من مماليك ارغون شاه امير مجلس .

التربة (البزورية)

محفوظ ابن البزوري
٦٣١-٦٩٤

بسفح قاسيون . قال النعيمي : فوق سوق القطن ، انشاها محفوظ بن معتوق البغدادي المعروف بابن البزوري ، واوقف عليها كتبه ، وكان تاجرا سريا ، ومحدثا ، جمع تاريخا جعله ذيلا على « المنتظم في تاريخ الامم » للحافظ ابن الجوزي ، توفي سنة اربع وتسعين وستمائة ، ودفن بها . وفي « الشذرات » ، بعد ان ذكر نحوا مما تقدم : روى عن ابن القسطي ، وكان نبيلا سريا ، وهو ابو الواعظ نجم الدين .

التربة (البصية)

أمين الدين ابن البص
٠٠٠-٧٣١

خارج باب الجابية ، جوار مسجد الذبان ، تجاه وجه المار في الطريق الى القبلة ، والمئذنة شرقيه على جانب المقبرة ، وهذا المسجد شرقي التربة الركنية المنجكية . قال النعيمي : وعنده مصلى على الجنائز ، وهي تربة أمين الدين ابن البص ، وكان رجلا محبا للخير . وقال البرزالي : انفق في وجوه الخير مائتي الف وخمسين الفا ، وعمر خانا بالمزيريب ، ومسجد الذبان والمئذنة والتربة وغير ذلك ، ووقف عليها الاوقاف ، وقرر الوظائف . قال : ورايت تجاه المسجد المذكور في الدائر الحجر المنحوت الفوقاني بالعتبة[1] ما صورته بعد البسملة :

---

(1) كذا ورد التعبير !!

جدد عمارة هذا المسجد المبارك والمئذنة والتربة العبد الفقير الى الله تعالى الحاج عثمان بن ابي بكر بن محمد التاجر السفار غفر له . ووقف على مصالح هـذا المسجد والمئذنة والتربة ، وعمارته وفرشه وتنويره ، وعلى الامام والمؤذن والقيم به : جميع المعصرة وعلوها المسجد ، والطبقتين غربيه ، والطبقة من شرقي المئذنة ، والطبقة شرقي المسجد ، والطباق التي من شمالي المئذنة وشرقي الارض التي هي قبلي المعصرة ، والدكاكين التي غربي المعصرة ، يصرف على ما نطق به كتاب وقف ذلك الثابت المحكوم به، وكان الفراغ منه سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة . وتوفي الواقف سنة احدى وثمانين وسبعمائة .

التربة (البلبانية الأولى)

بلبان المحمودي

بطريق الصالحية غربي سويقة صاروجا : انشاها الامير بلبان المحمودي ، وكان اتابك عساكر دمشق في زمن المؤيد ، ثم سجن بقلعتها ، ونفي الى طرابلس ، ثم أعطي تقدمة عشرين ، ثم انتقل الى تقدمة خير منها وهي التي كان ، اقطاع الحجوبية ، والقصير منها ، والمعظمية ايضا ، وكان امير الشاميين في غزوة قبرص، وابتنى دارا حسنة، وعمر مصنعا في غباغب ، واشترى نصف البلد من السلطان ، ووقفه عليه . وقد اختلفت نسخ التاريخ التي بيدي في تاريخ وفاته اختلافا كبيرا فتركت ذكره . قال العلموي ما خلاصته : هذه التربة كان بقربها جنينة، ثم اخذ سيباي احجار وجه حائطها لمدرسته. انتهى . ثم في سنة سبع وتسعين وتسعمائة جددها عثمان اغا الطواشي دفتردار التيمار ، وعمر بجانبها تربة حسنة ومسجدا ومكتبا وسبيل ماء يجري على الطريق ؛ فصارت هذه التربة من احسن الأماكن بعد أن كانت خربت ودثرت ، توفي سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ، ودفن في هذه التربة . قاله العدوي في « الزيادات على مختصر العلموي » .

قلت: وقد ذهبت الآن في خبر كان ، ولم يبق منها الا اليسير .

التربة (البلبانية الثانية)

طرنا . ٧٣٤-٠٠٠

جوار مئذنة فيروز ، قرب المدرسة السمارية الحنبلية ، وهي تربة الامير طرناه بلبان ، وكان خازندارا بالديار المصرية ، ثم صار نائبا بصفد ، ثم حصلت له فتنة اعتقل

بسببها عشر سنين ، ثم فرج عنه وصار امير مائة مقدم الف ، وعمر تربته ، ووقف لها مقرئين ، وجعل عندها مسجدا بامام ومؤذن ، توفي سنة اربع وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بتربته .

التربة (البلبانية الثالثة)

٥ شرقي مدرسة الخبيصية ، وقبلي حمام الجيعان ، وغربي الزنجبيلية ودارالاطعمة. قال النعيمي : لم اقف على ترجمة واقفها . انتهى . **قلت :** وكل الاماكن التي ذكرها لم نعرف منها في يومنا هذا شيئا . قال العلموي : ولعل واقفها الامير بلبان الزردكاش ، استنابه علاء الدين طيبرس في غيبته لما توجه الى انطاكية ، وكان دينا خيرا يحب العدل والصلاح ، توفي سنة ستين وستمائة . قاله الصفدي . وقال في « الذيل الشافي »: ١٠ كان من كبراء امراء دمشق .

التربة (البهائية)

بالقرب من اليغمورية ، والناصرية البرانية بينهما بصالحية دمشق. قال النعيمي : وهي في غاية اللطافة والحسن .

ترجمة الشهاب محمود بانيها

شهاب الدين الحلبي ٠٠٠-٧٢٥

١٥ هو شهاب الدين ، ويقال له : بهاء الدين ، محمود بن سليمان بن فهد الحلبي ثم الدمشقي ابو الثناء كاتب السر . قال الذهبي : هو علامة الادب ، وكاتب السر بدمشق، وعلم البلاغتين . وقال الحافظ ابن رجب في « طبقاته » : تعلم الخط المنسوب ، ونسخ بالاجرة بخطه الانيق كثيراء واشتغل بالفقه على الشيخ شمس الدين بن ابي عمرالحنبلي المقدسي ، واخذ العربية عن الشيخ جمال الدين بن مالك ، ثم ترقت حاله ، وطلب الى ٢٠ الديار المصرية ، وصار المشار اليه في الديار الشامية والمصرية ، وكان يكتب التقاليد الكبار بلا مسودة ، وله تصانيف في الانشاء وغيره ، وحدث ، روى عنه الذهبي في « معجمه » ، وقال : وكان دينا خيرا متعبدا ، مؤثرا للانقطاع والسكون ، حسن المجاورة، كثير الفضائل ، توفي بدمشق ليلة السبت ثاني عشري[1] شعبان سنة خمس وعشرين

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « ثاني عشرين » .

وسبعمائة ؛ ودفن بتربته التي انشأها بالقرب من اليغمورية ، وولي بعده ولده شمس الدين . ومن شعره :

يامن اضاف الى الجمال جميلا لاكنت ان طاوعت فيك عذولا
عوضتني من نار هجرك جنة فسكنت ظلا من رضاك ظليلا
ومننت حين منحتني سقما به اشبهت خصرك رقة ونحولا
وسلكتني في الحب احسن مسلك لم تبق لي نحو السلو سبيلا
ولرب ليل مثل وجهك بدره ودجاه مثل مديد شعرك طولا
ارسلت لي فيه الخيال فكان لي دون الانيس مؤانسا وخليلا
ان لم اجد للوجد فيك بمهجتي لا نال قلبي من رضاك سولا

وله في حراث :

عشقت حراثا مليحا غدا في يده المساس ما اجمله
كأنه الزهرة قد امسه الثور يراعي مطلع السنبلة

وقال ابن كثير : هو الصدر الكبير الشيخ الامام العالم العلامة ، شيخ صناعة الانشاء وليس له فيها نظير ، وله خصائص ليست لغيره ، فقد مكث في ديوان الانشاء نحو خمسين سنة في مصر ودمشق ، ثم عمل كتابة السر بدمشق . وقال ابن مفلح بعد ان ذكر نحوا من عبارة ابن رجب : يقال : انه لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله[1] .

التربة (البهادرآصية)[2]

غربي مقبرة باب الصغير ، تجاه الخندق بجانب تربة اكز الفخري ، وشمالي المزار المعروف باويس ، قبلي الافريدونية ، وتجاه تربة الامير فرج بن منجك ، انشأها الامير بهادآص[3] المنصوري . قال في « الشذرات » : كان من أمراء الألوف بدمشق ، وقبته خارج باب الجابية ، ودفن بها ، وقد نيف على السبعين ، توفي سنة ثلاثين وسبعمائة . انتهى . وفي « الذيل الشافي » : بهادر المنصوري قلاوون ولي نيابة صفد . وقال العلموي : كان مشهورا بالصدقة . له بر ظاهر معروف . انتهى .

بهادر آص المنصوري ٠٠٠–٧٠٣

(1) بعد هذا يوجد في الاصل بياض قدره أربعة أسطر .
(2) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « البهادر آسية » ، نسبة الى بهادر اس .
(3) تقدم بيانه .

أقول : وقد رأيت هذه التربة ، فرأيتها مبنية بالحجارة الضخمة ، وهي محاطة بالعمران من جوانبها ، ومكتوب حفرا في الحجر على أحد جدرانها : المسجد المعمور والتربة المباركة المعبد ، وفي الجدار الثاني : الفقير الى الله تعالى الراجي عفو ربه بهادر الملكي ، وباقي الكتابة لم أتمكن من قراءته .

٥ **التربة (البهنسية)**

المحب البهنسي

بسفح قاسيون ، بناها المحب البهنسي وزير الملك الأشرف سنة ثمان وعشرين وستمائة ، ثم عزله الأشرف وصادره ، ولما توفي دفن في تربته ، وكان قد أجرى عليها أوقافا جيدة دارة ، وجعل كتبه وقفا عليها .

حرف التاء

١٠ **التربة (التغروشية أو التغري برمشية)** [١]

تغري برمش
٠٠٠-٨٤٢

قبلي جامع يلبغا ، على حافة بردى تحت القلعة ، وبجانبها الجامع المشهور هناك ، والدمشقيون يقولون : انه احدى القاعات السبع ، أنشاها دوادار نائب الشام جقمق واسمه حسين ، وسمى نفسه تغري برمش[٢] ، وكان اولا غلاما خياطا ، ثم خدم عند قراسنقر من مماليك الظاهر ، ثم صار دوادارا لنائب الشام جقمق ، ثم صار من امراء ١٥ مصر واخذ القلعة نيابة ، وصار نائب الغيبة ، ثم ولي اميراخور كبير ، ثم انه عصى جقمق لما تسلطن ، وجرت له امور الى ان قتل صبرا بقلعة حلب سنة اثنتين واربعين وثمانمائة . وقال في « الذيل الشافي » ما خلاصته : تغري برمش نائب قلعة الجبل ، ثم اميراخور ، ثم نائب حلب ، اسمه حسين بن احمد التركماني ، ولد ببهنسا ، وقتله الملك الظاهر بحلب بعد خروجه عن طاعته ، وكان عاقلا خبيرا بدنياه ، متجملا في أحواله ، ٢٠ لكنه لم يشتهر بشجاعة ولا كرم .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي « الدارس » : « التغريبرمشية » .
(٢) كذا في الأصل ، وفي « الدارس » : « تغري ورمش » .

التربة (التكريتية)

بسوق الصالحية بسفح قاسيون . ورأيت بخط محمد بن كنان ما صورته :

قلت : هذه التربة هي التي على بابها السقاية ، ويقابلها مسجد صغير لايفتح ، وباب التربة صغير ، والناس يقولون : هذه تربة الشيخ الذهبي ، ولعله دفن من جملة من دفن فيها فنسبت اليه ، ولعله يكون احد بني الذهبي ولا يعلم ، عن يمين الذاهب الى الجامع الجديد ، والجهاركسية تربة في السوق غيرها ، ولو كانت هي المقابلة للجامع الجديد لذكرها ، او التي يقابلها الخمس دكاكين الملاصقة للجامع لذكرها بهذا التحديد ، فان التي تقابل الجامع تربة ايضا وليس تربة في حيطانها دكاكين غيرها ، وما ذكر من صرف الدراهم فيما يأتي في ترجمة الباني يدل على انها هي لانها ليست بتربة حسنة ، بل هي تربة قبور لاتربة عمارة ، وبابها صغير نحو نصف قامة فوق حارة المقدم ، وغربي الجامع الجديد من شماله وفوقه . قلت : ومن جهة الفوق عند البئر مقابل زقاق المقدم النافذ من وسط السوق تربة زمرد في وسط دكان ، ولعل المسجد الذي في السوق لها ، وكان مكتبا ثم بطل . انتهى . وهو تدقيق لاطائل تحته .

أبو البقاء التكريتي ٦٢٠-٦٩٨

واما واقفها فهو ابو البقاء توبة بن علي بن مهاجر التكريتي الربعي وزير المنصور قلاوون بدمشق ، وكان ناهضا كاملا في فنه ، وافر الحشمة والغلمان ، سكن دمشق ، وشرع في الصدقات وشراء الاملاك ليوقفها ، وكان الملك الاشرف قد بعث اليه بباقة بنفسج ؛ فلما شمها مات سنة ثمان وتسعين وستمائة . ويمكن ان يكون الأشرف هذا[1] وورثه الاشرف مدعياً انه ابن عمه . وخصصوا من تركته الف درهم فاشتروا له تربة بسوق الصالحية ، وبنيت خمس دكاكين في حيطانها . قال ابو المظفر ابن الجوزي : بلغت قيمة ما خلف الصاحب كمال الدين التكريتي ثلاثمائة الف دينار ، واراني الاشرف سبحة فيها مائة حبة مثل بيض الحمام وكانت من التركة . فالتربة ليست من بناء التكريتي ولكنها بنيت له بعد موته .

التربة (التنبكميقية)

لصيق تربة ابي ذي النون ، انشاها اولا امير حاج استاذدار العثماني سنة ست

(١) كذا في الاصل ، والكلام لم يتم .

تنبك ميق
٠٠٠–٨٢٦

وعشرين وثمانمائة ؛ ثم اغتصبها منه تنبك ميق نائب السلطنة(١) ، ودفن بها لما توفي في هذه السنة . قال في « الذيل الشافي » : تنبك العلائي الظاهري برقوق الشهير بميق ، كان أميراخور ، ثم ولاه المؤيد دمشق ، ثم عزل عنها وصار من جملة أمراء القاهرة ، ثم وليها ثانيا من الظاهر ططر الى ان توفي بها . انتهى . وذكر له الأسدي ترجمة سيئة ، ٥ وقال : انه هم بقتل نجم الدين بن حجي ، فأماته الله عن قريب .

التربة (التنكزية)

سيف الدين تنكز

بجوار جامع تنكز ، وجوار الخانقاه العصمية ، انشاها الامير تنكز نائب الشام وقد مرت ترجمته عند مدرسته في دور القرآن والحديث . وقال ابن تغري بردى : تنكز الحسامي الناصري محمد بن قلاوون ، ولي نيابة دمشق ، وهو الذي عمرها بعد ان ١٠ هدمها التتار ، امسكه استاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون وحبسه بالاسكندرية الى أن قتل بها في سنة احدى واربعين وسبعمائة ، وخلف اموالا كثيرة ، وهو صاحب الجامع بدمشق ، وكان أصله من مماليك المنصور حسام الدين لاجين .

التربة (التوروزية)

غرس الدين التوروزي
٠٠٠–٨٢٥

هي والجامع بها براس الشويكة شمالي قبر عاتكة ؛ انشاها الامير غرس الدين ١٥ خليل التوروزي الدستاري حاجب الحجاب بدمشق ، وهي تربة عظيمة . قال الأسدي : فرغ من بنائها سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، وبقي فيها تتمات ؛ ثم اشير عليه بان يعمل الى جانبها جامعا ؛ فشرع في ذلك وأتمه ، واقيمت الجمعة فيه ، وانشا من شرقيها حماما كبيرا حسنا ، وآجر كل يوم باكثر من اربعين درهما ؛ توفي في السنة المذكورة .

حرف الجيم

جمال الدين الاسنائي
٥٥٧–٦٢٥

٢٠ التربة (الجمالية الأسنائية القوصية)

هي بجبل قاسيون ، انشاها عبد الرحيم بن علي بن الحسين بن شيث جمال الدين

---

(١) يظهر من كلام صاحب « الدارس » انه لم يفرق بين تنبك ميق وبين امير حاج استاذ دار العثماني المتقدم ذكره بل اعتبرهما شخصا واحدا .

الاسنائي القوصي صاحب ديوان الانشاء للملك المعظم ، ولد بأسنا سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، ونشأ بقوص ، وتفنن بها ، وبرع في الادب وفي العلم ، وكان دينا ورعا ، حسن النظم والنثر منشئا بليغا ، ولي الديوان بقوص ثم بالاسكندرية ثم بالقدس ، ثم كتابة الانشاء ، ويقال : صار وزيرا . قال الضياء المقدسي : كان يوصف بالكرم والمروءة والاحسان الى الناس ، ما قصده احد في شفاعة فرده خائبا ، وكان يمشي بنفسه مع الناس في قضاء حوائجهم ، وكان القاضي الفاضل يحتاج اليه في علم الرسائل ، وكان اماما في فنون العلم ، توفي سنة خمس وعشرين وستمائة ، ودفن بتربته . وفي « منتخب الشذرات » ان ابا المظفر كتب اليه كتابا يتشوق اليه به ؛ فاجابه بقوله :

وافى كتابك وهو الروض مبتسما	عن ثغر در طفا من بحرك الطامي
وكان عندي كالماء الزلال وقد	تناولته يمين الحائم الظامي
لله نفحة فضل منه رحت بها	نشوان اسحب اذيالي واكمامي

التربة (الجمالية المصرية)

براس درب الريحان من ناحية الجامع الأموي ، وهي شرقي دار القرآن التنكزية ، وشرقي الصدرية الحنبلية التي هي تجاه القليجية الحنفية من قبلي الخضراء ؛ ولها شباك شرقي المدرسة الصدرية ، وكانت دارا للقاضي العلامة المتفنن ابي الفرج جمال الدين يونس بن بدران القرشي الشيبي الحجازي الأصل المصري مدرس الأمينية . قال ابن الحاجب : كان يشارك في علوم كثيرة ، وولي قضاء القضاة ، واختصر كتاب « الام » للشافعي ، وصنف كتابا في الفرائض ، توفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ولما توفي دفن في قاعته التي هي التربة اليوم .

جمال الدين المصري ٠٠٠–٦٢٣

التربة (الجوكندارية)

شرقي مسجد النارنج ومصلى العيدين بباب الصغير ، انشاها الأمير صارم الدين ابراهيم بن قراسنقر الجوكندار وكان نائبا في دمشق ؛ ودفن بها لما توفي سنة ثلاث وعشرين او اربع وعشرين وسبعمائة ؛ ودفن بها ولده محمد وكان أمير عشرة مقدم خمسين ، توفي سنة اربع وثلاثين وسبعمائة .

صارم الدين الجوكندار ٠٠٠–٧٢٣

التربة (الجيعـانية)[1]

سيف الدين الجيعاني ٠٠٠-٧٥٤

شمالي تربة مختار الطواشي ، خارج باب الجابية ، يمنة الذاهب في الطريق السلطاني ، وهي الآن قبلي الجامع الصابوني ، وتجاه تربة سنبل الطواشي . قاله النعيمي . أوقفها الأمير سيف الدين الجيعاني[2] العادلي ، توفي سنة اربع وخمسين وسبعمائة ، ودفن بها .

٥

حـرف الحـاء

التربة (الحافظية)

أرغوان الحافظية ٠٠٠-٦٤٨

هي والمسجد بها قبلي جسر كحيل ، وشمالي التربة القيمرية بدرب الشبلية من الصالحية ، كانت بستانا لياقوت خادم تاج الدين الكندي ، فاشترته اراغون الحافظية عتيقة الملك العادل ، وكانت عاقلة ومدبرة ، جمعت اموالا عظيمة . قال ابن كثير : ١٠ صادرها الصالح اسماعيل فاخذ منها اربعمائة صندوق من المال ؛ وذلك لأنها كانت تبعث بالأطعمة والثياب الى الملك المغيث عمر ابن نجم الدين ايوب وهو مسجون بالقلعة . ولما توفيت دفنت بها سنة ثمان واربعين وستمائة ، وكانت أوقفت عليها أوقافا جيدة منها بستان بعشار . وقال في « مختصر شذرات الذهب » : الحافظة ارغوان[3] العادلية عتيقة الملك العادل ، وسميت بالحافظة لتربيتها للملك الحافظ صاحب قلعة جعبر ، وكانت ١٥ امراة صالحة مدبرة . ثم ذكر مصادرتها كما تقدم ، ثم قال : ووقفت دارها التي داخل باب النصر بدمشق ، وتعرف بدار الابراهيمي ، على خدامها ، وبنت بالصالحية مدرسة تحت نهر ثورا قرب عين الكرش ، وتربة كانت بستانا للنجيب غلام التاج الكندي ؛ فاشترته منه ، وبنت ذلك ، ووقفت عليه اوقافا جيدة منها بستان بعار ، وتسمى الآن بالحافظية .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي « الدارس » : الجيغانية .

(٢) كذا في الأصل ، وفي « الدارس » نقلا عن « ذيل العبر » : « الجيبغاي » .

(٣) وردت قبل بضعة اسطر تحت رسم « اراغون » ، وفي « الدارس » : « ارغوان » .

حـرف الخـاء

التربة (الخـاتونية)

عصمة الدين خاتون ٠٠٠-٥٨١

على نهر يزيد بالصالحية ، قبلي المدرسة الجهاركسية ، انشأتها عصمة الدين خاتون بنت الامير معين الدين زوجة نور الدين ثم صلاح الدين ، وهي التي اوقفت المدرسة الخاتونية بدمشق ، والخانقاه التي عند جامع تنكز ، انشأتها سنة سبع وسبعين وخمسمائة. ٥ قال النعيمي بعد ان ذكر التاريخ وانه قراه من الشباك المطل على الطريق ، قال : وقد وسع هذه التربة وجعلها جامعا سليمان بن الحسين العقيري التاجر بتولية علي ابن التدمري في سنة تسع وسبعمائة ، وسمي بالجامع الجديد . ثم انشا الخواجة ابو بكر ابن العيني تربة له شمالي هذه ليسلك اليها من بابين احدهما من الجامع المذكور ، ١٠ وتجاههما ايوان بمحراب واضافه الى الجامع المذكور ، ثم اوقف عليها ولده عبد الرحمن ابن العيني تربة له شمالي هـذه ليسلك اليها من بابين احدهما من الجامع المذكور ، ليلة جمعة ، وشرط في المدرس والفقهاء ان يكونوا حنفية ، واوقف كتبه عليها ، وشرط ان تكون التولية للمفتي الحنفي بدمشق . قال العلموي : ثم في سنة خمس وسبعين وتسعمائة الهم الله عبده الصالح محمد بن محمد المترح أن يوسع هذا الجامع ؛ فاجتهد ١٥ في توسعته من جهة الغرب ، ووسعه بقدره مرتين بعد أن كان ضيقا ، فصار جامعا واسعا تصلى فيه الصلوات وتقام فيه العبادات والتلاوات ، وازال الحائط الغربي ، وجعل في هذا الذي جدده محرابا ثانيا ، ورتب فيه اماما ، ووقف عليه وقفا ، وانفق عليه من ماله ، وساعده بعض اهل الخير . انتهى .

وترجم الذهبي الواقفة فقال : هي عصمة الدين واقفة المدرسة التي بدمشق بمحلة ٢٠ حجر الذهب والخانقاه التي بظاهر دمشق يعني التي شمالي جامع تنكز ، ولما توفيت دفنت بتربتها التي تجاه قبر جركس بالجبل . وقال العماد الكاتب : كانت من اعف النساء واعصمهن واجلهن في الصيانة واحزمهن ، متمسكة بالعروة الوثقى ؛ لها امر نافذ ، ومعروف وصدقات ورواتب للفقراء وادارات . وفي « الكواكب الدرية في السيرة النورية » انها نامت ليلة من الليالي عن وردها فاصبحت وهي غضبى ، فسالها نورالدين ٢٥ فاخبرته ، فامر بضرب الطبلخانة في القلعة وقت السحر ليوقظ النائم ، وكذا وقت قيام الليل ، ورتب للضارب جراية وجامكية .

تربة (الخرقي)

هي مقابل جامع جراح غربي زاوية المغاربة. قال في « شذرات الذهب » ماملخصه: وفي سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة توفي العلامة الثقة عمر بن الحسين البغدادي الحنبلي الخرقي صاحب « المختصر في فقه مذهب احمد » . وقال ابن حجر: الخرقي بكسر الخاء المعجمة نسبة الى قرية خرق وهي على بريد(١) من مرو . وفي « طبقات الحنابلة لأبي يعلى الصغير » : قرا الخرقي على المروذي وحرب الكرماني وصالح وعبد الله ابني الامام احمد ، له المصنفات الكثيرة في المذهب لم ينتشر منها الا « المختصر في الفقه » لأنه خرج من مدينة السلام لما اشتهر فيها سب الصحابة ، فاودع كتبه في درب سليمان ، فاحترقت الدار التي كانت فيها ولم تكن انتشرت لبعده عن البلد .

عمر الخرقي
٠٠٠–٣٣٤

٥

التربة (الخطابية)

١٠

بسفح قاسيون ، انشاها عز الدين خطاب بن محمود بن مرتعش العراقي ، وكان من اهل الثروة بنى خان خطاب الذي بين الكسوة وغباغب الى ناحية كتف المصري وهو بمرج الصفر ؛ فحصل للمسافرين راحة ، وله حمام بحكر السماق ، توفي سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، ودفن بتربته .

عز الدين خطاب
٠٠٠–٧٢٥

حرف الدال

١٥

التربة (الدهستانية)

هي بالدال المهملة ، ذكرها ابن تغري بردي في « الذيل » فقال : ابراهيم الدهستاني الجنديوشي المعتقد توفي سنة عشرين وسبعمائة ، ودفن بزاويته المعروفة به في دمشق .

ابراهيم الدهستاني
٠٠٠–٧٢٠

حرف الذال

٢٠

التربة (الذوباجية الجيلانية) (٢)

هي بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري ، وهي بديعة البناء متينة الاعمار ،

---

(١) مسافة يقطعها الرسول ، وهي اثنا عشر ميلا تقريبا .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » و « القلائد الجوهرية » : « الذوباجية الجيلانية » .

وسبب بنائها كما في « تاريخ الاسلام » و « تاريخ ابن كثير » انه في سنة اربع عشرة وسبعمائة قدم دمشق شمس الدين ذوباج بن ملك شاه صاحب جيلان بقصد الحج فمات بقباقب من ناحية تدمر ، فاتي به الى دمشق ، واشتريت له ارض بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري عند المكارية ، فبنيت له تربة مليحة وهي مشهورة . قال في « ذيل العبر » : هي عند قبة الرقي وهو الذي هزم التتار لما رمى قطوشاه بسهم فقتله . ٥

شمس الدين ذوباج ٦٦٠-٧١٤

حرف الراء

التربة (الرجبية)

هي بالمزة ، انشاها عبد الرحيم بن عبد الرحمن الرجبي ، وجعل فيها مسجدا ، ووقف عليها اوقافا كثيرة ، وجعل لها صدقات . قال البرزالي : كان رجلا جيدا امينا ، وكان من التجار المشهورين ، واوصى من ثلث تركته بخمسين الف درهم ليشتري بها ولده ١٠ عقارا ويوقفه على الصدقات ، توفي سنة خمس وثلاثين وسبعمائة .

عبد الرحمن الرجبي ٠٠٠-٧٣٥

التربة (الرفاعية)

قال في « الشذرات » : وفي سنة اربع وتسعين وتسعمائة توفي الشيخ عثمان الرفاعي وهو مدفون بمقبرة سوق ساروجا على الطريق ، مشهور ، وكان للناس فيه اعتقاد . ١٥

عثمان الرفاعي ٠٠٠-٩٩٤

التربة (الركنية)

تقدم الكلام عليها تبعا للمدرسة الركنية ، انشاها الامير ركن الدين منكورس مملوك فلك الدين اخي العادل ، وكان دينا صالحا عفيفا ملازما لجامع بني امية ، وله بقاسيون مدرسة وتربة اوقف عليها شيئا كثيرا ، واوقف عليها وعلى مدرسته قرية جرود ، وناب في الديار المصرية للملك العادل ، توفي سنة احدى وثلاثين وستمائة . ٢٠

ركن الدين منكورس ٠٠٠-٦٣١

حرف الزاي

التربة (الزاهرية)

هي بقاسيون على حافة نهر يزيد ، شرقي المدرسة العمرية ، انشاها الملك الزاهر

الملك الزاهر داود

داود بن شيركوه صاحب حمص . ورايت على هامش كتاب « تنبيه الطالب » بخط ابن كنان ما صورته : وجد في زمننا آثار العمارة وآثار مسجد عظيم بزخرفة ونقوش قريبا من النهر شرقي العمرية ولا اعلم في ذلك الخط غيره ، ولعله كان سابقا سكنا ، فلما خربت تلك البيوت خرب معها ، وعدم العلم به لكونه كالبيت لايعلم داخله فيقع النسيان والغلط لتباعد المدد والدهور والفناء ، وهذا على الظن اذ لامانع من ان يكون بقرب النهر مكان آخر فصار حديقة او بستانا ؛ لكن هذا ظاهر في هذا الخط ، وجداره باق مقلوب، وباقيه خراب . انتهى . ومنه تعلم ان هذه التربة قد انطمست آثارها من زمن بعيد ، والآن لم نر هناك الا دورا للسكنى وبيوتا مملوكة ، ودفن بهذه التربة الامير الكبير تقي الدين ابن الواقف ، وكان محدثا ذا راي وسؤدد وفضيلة وشكل ومهابة ، كما قاله الصفدي . وقال البرزالي : اختص بالافرم وولاه امر ديوانه واحيانا تدبير اموره ، توفي سنة خمس وسبعمائة . ودفن بها ايضا مظفر الدين موسى ابن الواقف سنة ثمان وسبعمائة .

التربة (الزويزانية)

خليل بن زويزان
٠٠٠-٦٢٨

بميدان الحصى عند مسجد الفلوس ، اوقفها خليل بن زويزان رئيس قصر حجاج . قال الاسدي : مات سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وخلف من العقار والعين ما يزيد عن مائتي الف دينار ، وتصدق بثلث ماله وجعله وقفا على العلماء والقراء بتربته . قال ابن كثير : وكان كيسا ذا مروءة ، له صدقات كثيرة ، وله زيادة في مقابر الصوفية من جهة القبلة ، ولما مات دفن بتربته .

حرف السين

مزار (سعد بن عبادة)

قاسم الكردي
٠٠٠-١٠٥٧

هذا المزار بالقرب من قرية يقال لها : المنيحة من قرى دمشق . قال المحبي في ترجمة قاسم بن عبد المنان الكردي الاصل نزيل دمشق : كان ناظرا على وقف سنان باشا بالشام، واحد الكبراء الصدور ، من عتقاء سنان باشا ، وكان قد نمى وقف سنان باشا ، وعمر مسقفاته ، وملك دار العدل المنسوب تعميرها الى السلطان نور الدين الشهيد بالقرب من باب السعادة ، وعمرها عمارة متقنة ، وعمر ضريح سيدي سعد بن عبادة

الصحابي رضي الله عنه بقرية المنيحة تابع وقف السنانية ، وبنى عليه قبة لطيفة ، واحدث الى جانبه مسجدا ، وبالجملة فقد صار من الطف المتنزهات ، توفي في شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسين بعد الألف .

التربة (السلامية)

لم يبين العلموي ولا النعيمي مكانها ، وقال الذهبي في « ذيل العبر » : في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة توفي بدمشق ، ناظر الجيش الصدر قطب الدين موسى ابن احمد ابن شيخ السلامية عن اثنتين وسبعين سنة ، ودفن بتربة مليحة انشاها ، وكان من رجال الدهر ، وله فضل وخبرة . انتهى . وقد كان لموسى المذكور تعلق بالشيخ براق المشهور ، ونظر في احواله . وحيث ان الشيخ براق له شهرة وطريقة مخصوصة فلا باس ببيان شيء من احواله هنا . **فنقول :**

قطب الدين ابن شيخ السلامية ٦٦٠-٧٣٢

الشيخ براق

قال في « ذيل العبر » : قدم الشيخ براق العجمي من الشرق سنة سبع وسبعمائة ، وتبعه جمع نحو المائة وفي راس كل واحد منهم قرن من اللباد يشبه قرن الجاموس ، وكل منهم متقلد بحبل كعاب بقر محناة ، وعليهم الاجراس ، وثنية كل واحد منهم مكسورة ، وهم يحلقون ذقونهم ويتركون شواربهم ، ويحملون الجواكين على اكتافهم ، ومعهم طبلخانة ، فدخلوا بهيئة غريبة يجرون بشهامة ، فنزلوا بالمنيبع .

قال الصفدي في « تاريخه » : وكان الشيخ براق على هذه الحالة ، وكان يلازم الصلاة والتعبد ، فقيل له : ما هذا الشعار ؟ فقال : اردت ان اكون به مسخرة للفقراء . قال : وعلى الجملة فقد كان هو واتباعه على اشكال عجيبة ، حتى انهم حاكوهم في الخيال يعني انزلهم اصحاب قراكوز في الاعيبهم ، ونظم فيهم الأديب السراج اشعارا ذكرها الصفدي في « تاريخه » .

قال الذهبي : ثم انهم زاروا القدس ، وكان شيخهم من ابناء الاربعين فيه اقدام وقوة نفس ، وكان يدق نوبة ، فانفذ اليه الاكابر غنما ودراهم . انتهى . قال الصفدي : كان مجيء براق الى دمشق في ايام الافرم بعد قازان ، وكان اولا مريدا لبعض الشيوخ

في البلاد الرومية ، ولما أتى دمشق تلقاه ابن شيخ السلامية الى القابون ، وعرضه مع جماعته واستسماهم ، وحلاهم ، وعدهم ، وكتب بذلك ورقة الى السلطان . فلما ارادوا الدخول على الافرم الى الميدان ، ارسلوا على الشيخ براق نعامة قد تعاظم امرها فلا يكاد يقاومها احد ، فلما عرضوه لها قصدته ، فتوجه اليها وركبها ، فطارت في الميدان قدر خمسين ذراعا ، ولما قربت قال للافرم : اطير بها الى فوق مرة ثانية ؟ قال : لا ! ثم احسن ٥
تلقيه واكرم نزله ، فطلب التوجه الى القدس ، فاعطاه الافرم من خزانته الفي درهم فاباها واخذها جماعته ، فزار وعاد ودخل البلاد ، ومات تحت السيف صحبة قطليجا نائب غازان . ولما ظهر ذلك القان غازان ، احضره وسلط عليه سبعا ضاريا ، فركب على ظهره ولم ينل منه شيئا ، فاعظم ذلك غازان ونثر عليه عشرة آلاف دينار ، فراح ولم يتعرض لشيء منها ، وكان معه محتسب على جماعته يؤدب كل من ترك سنة من السنن ١٠
عشرين عصا على رجليه . هذا ما اتصل بنا من اخبار هذا الرجل والله اعلم بحقيقةامره.
وقال ابن تغري بردي في « الذيل » : براق القرى، كان له طور عجيب ، واتباع وفقراء، وله حكايات غريبة ، توفي سنة سبع وسبعمائة .

التربة (السنبلية العثمانية)

١٥ شرقي تربة الجيعان(١) ، وشمالي تربة مختار ، انشاها الامير سنبل بن عبد الله الطواشي عتيق الطنبغا العثماني ، وكان قد ولي اللدمامة للأمير سودون ، ونظر الجامع الاموي سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

سنبل العثماني

التربة (السنقرية الصلاحية)

مبارز الدين سنقر ... - ٦٢٠

على راس زقاق شبل الدولة عند المصنع ، أنشأها شبل الدولة . قال في «منتخب الشذرات » : في سنة عشرين وستمائة توفي الأمير مبارز الدين سنقر الصلاحي . وكان ٢٠
مقيما بحلب ، ثم انتقل الى ماردين ، فخاف منه الأشرف وشكى حاله للمعظم ، فخدعه ووعده بان يوليه ما اختار ، وجهز اليه ابنه فحضر الى الشام ، فالتقاه المعظم ولم ينصفه، وتفرق عنه اصحابه، فمرض من شدة غبنه ، ونزل بدار شبل الدولة بالصالحية ، ومات غبنا ، فقام شبل الدولة بأمره احسن قيام ، واشترى له تربة على راس زقاق الخانقاه

(١) كذا في الأصل ، وفي « الدارس » : « الجيغاي » .

عند المصنع ، ودفنته بها . وكان المبارز محببا الى الناس ، ولم يكن في زمنه اكرم منه . قال النعيمي : ولا اشجع منه ، له المواقف المشهودة مع صلاح الدين وغيره ، وكانت الدنيا لاتساوي عنده قليلا ولا كثيرا ، ومات ولم يخلف شيئا .

التربة (السودونية)

فوق المعظمية بسفح قاسيون . قاله النعيمي . ورايت بخط ابن كنان ما صورته : ٥
لعلها التي يقال لها : قبة صبح ؛ فانها فوق المعظمية من جهة الغرب وليس فوق المعظمية عمارة الا هي ؛ ولو كانت هي من تلك الترب القريبة لقال : هي لصيق المعظمية ، فعلم انها المسماة بقبة صبح ، ولها بعض مدخول ، ولها قارىء يقرأ ، ومحصلها نحو العشرين قرشا في السنة ، ولا اعلم متوليها الآن . انتهى . قال النعيمي : انشاها سودون النوروزي
سودون النوروزي ٠٠٠-٨٤٨
وكان اسمه بين الأمراء سودون المغربي لبخله وسوء خلقه ، وكان حاجب الحجاب وامير ١٠
التركمان بدمشق ؛ وهو من بقية جماعة الظالم الغاشم نوروز الحافظي . انتهى . قال ابن تغري بردي في « الذيل » : سودون النوروزي حاجب حجاب دمشق اصله من مماليك الامير نوروز الحافظي ، وترقى في البلاد الشامية الى ان ولي دوادارية السلطان بحلب ثم حجوبية دمشق ، توفي بها سنة سبع واربعين وثمانمائة تقريبا ، وكان متوسط السيرة عفا الله عنه . وقال النعيمي : توفي سنة ثمان واربعين وثمانمائة . ١٥

حرف الشين

التربة (الشبلية)

تقدم الكلام عليها تبعا للمدرسة الشبلية . قال في « الشذرات » ما ملخصه : وفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة توفي شبل الدولة كافور الحسامي طواشي حسام الدين
شبل الدولة كافور ٠٠٠-٦٢٣
محمد ولد ست الشام ، له فوق جسر ثورا من صالحية دمشق المدرسة والتربة ٢٠
والخانقاه ، واوقف عليها الأوقاف ، ونقل لها الكتب الكثيرة ، ودفن بتربته الى جانب مدرسته .

التربة (الشرابيشية)

علي الشرابيشي
٠٠٠-٧٣٤

مقابل جامع جراح بباب الصغير ، انشاها علي بن المجد بن محاسن الشرابيشي التاجر السفار صاحب المدرسة الشرابيشية المتقدمة في مدارس المالكية ، وكان له همة ونهضة وتودد الى الناس ، مات سنة اربع وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بها ، ودفن بها ٥ ايضا ولده احمد .

التربة (الشهابيـة)

بالصالحية . قال العلموي : لم اقف على ترجمة صاحبها . ولم يذكره النعيمي ايضا ولكنه قال : قال ابن قاضي شهبة : ولي نظرها ابن غانم الموقع وكان مسرفا على نفسه ذميم السيرة ، توفي سنة سبع وعشرين وثمانمائة .

١٠ ## التربة (الشهيدية)

ابن الشهيد

بباب الفراديس ، وتنسب الى ابن الشهيد وهو مدفون بها ، ودفن بها بعده فرج ابن برقوق لما قتل سنة خمس عشرة وثمانمائة . قال الاسحاقي في «أخبار الأول»: تولى الملك الناصر ابو السعادات فرج بعد ابيه برقوق على مصر فاقام ست سنين وخمسة اشهر وعشرة ايام ، ثم اختفى بعد ذلك ، فكان بعده الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق ١٥ فاقام سبعة واربعين يوما ، وظهر الملك ابو السعادات وامسك اخاه ، وحبس بالاسكندرية وقتل بها ثالث عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانمائة . ثم عاد الملك الناصر ابو السعادات فرج الى السلطنة فاقام ست سنين وتسعة اشهر ، وجملة ولايته اولا وثانيا ثلاث عشرة سنة وشهران وعشرة ايام . وكان ما كان بينه وبين جنده فقتلوه شر قتلة بدمشق ، والقي على مزبلة وهو عريان من اللباس ، يمر به الناس وينظرون الى جسده وذلك من ٢٠ اعظم العبر واكبر المحن ، الى أن حن الله عليه بعض الناس بعد عدة ايام فحمله وغسله وادرجه في كفن وواراه في التراب . انتهى . وذلك سنة خمس عشرة وثمانمائة . وقال الشرقاوي في « تحفة الناظرين » : كان افرس ملوك الترك بعد الأشرف خليل ، تجهز سبع مرات للخروج للشام وتمهيدها وقهر متغلبيها كالمؤيد شيخ وغيره . وفي ايامه وصل تيمورلنك لبلاد الشام فسفك دماء المسلمين ، وسبى ذراريهم ، واسر امير ٢٥ الشام وقتله ، فخرج الناصر لقتاله ، فوجده قد ترك البلاد وتوجه للروم ، فرجع الناصر الى مصر وكثرت الفتن .

حـرف الصـاد

التربة (الصارمية البرغشية العادلية)

صارم الدين برغش ٠٠٠-٦٠٨

غربي الجامع المظفري ، بناها صارم الدين برغش العادلي نائب القلعة بدمشق ، مات سنة ثمان وستمائة . قال ابن كثير : وهو الذي نفى الحافظ عبد الغني الى مصر، وبين يديه عقد المجلس ، وكان من جملة من قام عليه ابن الزكي والخطيب الدولعي والله المجازي . قال عز الدين ابن تاج الامناء : اجتمع الشافعية والمالكية والحنفية عند المعلم عيسى والمقدم برغش سنة ستمائة وكانا يجلسان بدار العدل للمظالم ، واحضروا الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور الجماعيلي الحافظ الزاهد ، وادعوا عليه بأنه يعتقد اعتقاد الحنابلة ويعتقد الجهة والاستواء والحرف ، فاتفق الفقهاء على تكفيره وعلى انه مبتدع لايجوز ان ينزل بين المسلمين ولايحل لولي الامر ان يمكنه من المقام بينهم ، فسأل ان يمهل لثلاثة ايام لينفصل عن الشام فاجيب ، ثم ارتحل الى بعلبك ، ثم سار الى مصر وبها توفي سنة ستمائة .

التربة (الصصرية)

احمد ابن صصري ٠٠٠-٧٢٣

عند الركنية بسفح قاسيون ، دفن بها الحافظ ابو المواهب واخوه ابو الغنائم ابنا صصري .

الحافظ ابن صصري

قال في « منتخب الشذرات » : في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة توفي قاضي القضاة احمد ابن الرئيس الكبير عماد الدين محمد بن سالم بن بهاء الدين بن هبة الله ابن محفوظ بن صصري التغلبي الربعي الدمشقي الشافعي ، سمع الحديث من جماعة، وقرا بالسبع ، وجود الخط على ابن المهتار ، واتقن الاقلام السبعة ، ودرس بالامينية وغيرها ، واستمر على القضاء الى ان مات ، وكان حسن الملتقى متواضعا جدا له مشاركة في فنون شتى ، وعنده حظ من الادب والنظم ، ومن نظمه :

ومهفهف بالوصل جاد تكرما	فاعاد ليل الهجر صبحا ابلجا
ما زلت الثم ما حواه ثغره	حتى اعدت الورد فيه بنفسجا

توفي ببستانه بالسهم ، وحمل الصوفية نعشه الى الجامع المظفري ، وصلى عليه الشيخ برهان الدين الفزاري ، ودفن بتربته بالقرب من الركنية .

التربة (الصوابيـة)

بدر الدين الصوابي ٠٠٠–٦٩٨

غربي سفح قاسيون، وشمالي دار الحديث الناصرية، بناها بدر الحبشي الصوابي. قال ابن شقدة : كان اميرا على مائة فارس بدمشق فاقام في الامرة نحو اربعين سنة ، وكان خيرا دينا ، معمرا ، موصوفا بالشجاعة والعقل والراي . قال الذهبي : روى لنا ٥ عن ابن عبد الدائم، وتوفي فجاة بقرية الخيارة في جمادى الاولى يعني سنة ثمان وتسعين وستمائة . وقال ابن قاضي شهبة : فحمل بعد وفاته الى قاسيون ودفن بتربته ، وهو أول من ابطل ما كان يجبى من الحجاج في كل سنة لاجل العربان وهو على كل جمل عشرة دراهم ، اقام ذلك من ماله وابطل الجباية وذلك سنة احدى وثمانين ، فبطل ذلك الى الآن يعني الى وقته .

١٠

حـرف الطـاء

التربة (الطوغانية الناصرية)

شمالي تربة ابن المزلق ، براس الزقاق شمالي مسجد الذبان والمنارة ، غربي مقبرة الباب الصغير ، وهي تجاه تربة قصروه على نهر قليط ، انشاها الأمير طوغان الناصري وكان اميرا كبيرا بصفد ، ولما مات بها جيء به الى دمشق ، ودفن بتربته ؛ وارخ العلموي ١٥ وفاته سنة سبع واربعين وثمانمائة ٨٤٧ .

حـرف العين

التربة (العادلية البرانية)

غربي دار الحديث الناصرية البرانية بسفح قاسيون ، غربي الرباط الناصري ، وهي تربة مليحة ذات شبابيك ومنارة ، ولها اوقاف دارة على وظائف من قراءة واذان

الملك العادل كتبغا ٠٠٠–٧٠٢

٢٠ وامامة ؛ بناها الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري المغلي ، توفي سنة اثنتين وسبعمائة في حماة ، ونقل الى دمشق فدفن في تربته هذه . قال ابن شقدة : وكان في آخر الكهولة اسمر قصيرا دقيق الصوت شجاعا قصير العنق ينطوي على دين وسلامة باطن وتواضع ؛ تسلطن بمصر عامين ، وخلع في مصر سنة ست وتسعين فالتجا الى صرخد، ثم اعطي حماة فمات بها . وفاته ايضا الذهبي في « الذيل » .

التربة (العادلية الجوانية)

الملك العادل
ابن ايوب
٥٣٤-٦١٥

هي بالمدرسة العادلية الكبرى تجاه المدرسة الظاهرية ، انشاها الملك العادل ابوبكر ابن ايوب بن شاذي . قال في « منتخب الشذرات » : ولد ببعلبك حال ولاية ابيه عليها، ونشا في خدمة نور الدين مع ابيه ، وكان اخوه صلاح الدين يستشيره ويعتمد على رايه وعقله ودهائه ولم يكن احد يتقدم عليه عنده ، ثم انتقلت به الاحوال واستولى على ٥
الممالك ، وسلطن ابنه الكامل على الديار المصرية ، وابنه المعظم على الشام ، وابنه الاشرف على الجزيرة ، وابنه الأوحد على خلاط ، وابن ابنه المسعود على اليمن . وكان ملكا جليلا سعيدا ، طويل العمر ، عميق الفكر بعيد الغور ، جماعا للمال ، ذا حلم وسؤدد وبر كثير ، وكان يضرب المثل بكثرة اكله ، وله نصيب من صوم وصلاة ، ولم يكن محببا الى
الرعية لمجيئه بعد الدولتين النورية والصلاحية ، وقد حدث عن السلفي ، وخلف سبعة ١٠
عشر ابنا تسلطن منهم : الكامل والمعظم والاشرف والصالح وشهاب الدين غازي صاحب ميافارقين ، وتوفي في سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة وله بضع وسبعون سنة . انتهى . وقال سبط ابن الجوزي : كان العادل خليقا بالملك ، حسن التدبير حليما صفوحا ، مجاهدا ، عفيفا متصدقا ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر .
انتهى . وقال عبد اللطيف البغدادي بعد ان اطنب في مدحه : كان له نظر في العواقب، ١٥
وحب للمال ، وحظ في النصر على الاعداء ، كثير الاكل جدا ، كم اتخذ اعداؤه الحيلة لقتله فخابوا ، وسياتي ترجمته مفصلة في القسم السياسي .

وممن دفن في هذه التربة يعقوب ابن الملك العادل ويلقب بالملك المعز ، كان فاضلا ، وتوفي سنة اربع وخمسين وستمائة .

المرسي ٢٠

وممن درس بها القاسم بن احمد بن موفق بن جعفر المرسي اللوذقي[1] المقرىء النحوي المتكلم شيخ القراء بالشام ، ولد سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وقرا القراءات ، وسمع الحديث ، وكان عارفا بالاصلين والعربية ، اقرا واشتغل مدة ، وصنف التصانيف ، ودرس بالعزيزية نيابة ، وولي مشيخة الاقراء والنحو بالعادلية ، وشرح « الشاطبية » ، توفي في رجب سنة احدى وستين وستمائة . ٢٥

(1) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « اللورقي » ، نسبة الى لورقة بلدة في الاندلس .

ابن بدران

وممن درس بها محمد بن ابي بكر بن عيسى بن بدران . قال الذهبي في «معجمه» : هو الشيخ العلامة قاضي القضاة علم الدين ابن القاضي شمس الدين السعدي الاخنائي المصري قاضي دمشق ، ولد سنة اربع وستين وستمائة بالقاهرة ، وسمع الكثير ، واخذ عن الدمياطي وغيره ، وولي القضاء بالاسكندرية ثم بدمشق ، وكان من العلماء النبلاء وقضاة السداد ، وقد شرع في تفسير القرآن ، وشرح جملة من « صحيح البخاري » ، وكان احد الأذكياء ، وكان يبالغ في الاحتجاب عن الحاجات فتتعطل أمور كثيرة . وقال ابن كثير : كان عفيفا نزها ، كثير العبادة ، محبا للفضائل ومعظما لاهلها ، كثير الاسماع للحديث بالمدرسة العادلية ، خيرا جيدا ، توفي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بسفح قاسيون بتربة العادل كتبغا .

التربة (العديمية)

عند زاوية الحريري غربي الزيتون على الشرف القبلي . كذا قاله العليمي[1] . وزاوية الحريري اذهبها الزمان كما أذهب الحريري وشيعته ، انشأها مجد الدين عبد الرحمن بن عمر المعروف بابن العديم الحلبي ، وكان عالما بمذهب ابي حنيفة ، عارفا بالادب ، وهو اول حنفي درس بالظاهرية من حينما بناها الظاهر بيبرس بالقاهرة ، وولي قضاء الشام ، وانتهت اليه رئاسة الحنفية بمصر والشام ، ولد سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ومات في ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة . قاله السيوطي في « حسن المحاضرة » . وقال ابن كثير : كان رئيسا وابن رئيس ، له كرم اخلاق . انتهى . واما والده عمر فهو صاحب « التاريخ » ، وهو كما قال السيوطي وصاحب « الشذرات » : في ثلاثين مجلدا ، توفي سنة ستين وستمائة .

ابن العديم الحلبي ٦١٣-٦٧٧

التربة (العزلية)[2]

قال في « الشذرات » ما ملخصه : وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة توفي سيف الدين عزلو الأمير الكبير العادلي الذي استنابه استاذه العادل كتبغا على دمشق في آخر

(١) كذا في الاصل ، وقد ذكر هذا النعيمي في « الدارس » .
(٢) سيأتي بيان هذه التربة تحت اسم « العزلية » .

سنة خمس وتسعين وستمائة ، وكان احد الشجعان العقلاء ، وله تربة مليحة بقاسيون، توفي بدمشق ودفن بها .

(العزية) ومسجد الحلبي

ابن وداعة الحلبي ٠٠٠—٦٦٦

هما بسفح قاسيون ، انشاهما عبد العزيز بن منصور الشهير بابن وداعة الحلبي . قال الصلاح الصفدي في « تاريخه » : كان يظهر النسك والدين ، ويقتصد في ملبسه وأموره ، ولاه الناصر مشد الدواوين في دمشق وكان يعتمد عليه ، فلما تسلطن الظاهر ولاه وزارة الشام، فلما ولي النجيبي نيابة السلطنة حصل بينه وبين المترجم وحشة لان النجيبي كان سيئا ؛ فكتب ابن وداعة الى السلطان يطلب منه مشدا تركيا لظنه انه يكون في حكمه ويتخلص من النجيبي ، فوقعت امور آل امرها الى مصادرة ابن وداعة ، فصودر وبيعت املاكه ، وعصر وجرم بقاعة المشد ، وباع موجوده وأملاكه التي كان وقفها وحل عنها ، ثم طلب الى مصر فذهب اليها متقلا ، ومات بها سنة ست وستين وستمائة .

التربة (العزية الأيبكية الحموية)

عز الدين أيبك ٠٠٠—٧٠٣

بالسفح غربي زاوية ابن قوام ، انشاها الأمير عز الدين ايبك الحموي نائب دمشق ثم صرخد ثم حمص ، توفي سنة ثلاث وسبعمائة ، ودفن بتربته هذه ، واليه ينسب حمام الحموي بمسجد القصب .

التربة (العقيبيبة)[1]

زين الدين العقيبي ٠٠٠ — ٩٥١

قال في « الشذرات » : وفي سنة احدى وخمسين وتسعمائة توفي الشيخ زين الدين عمر العقيبي العارف المسلك الحموي الأصل الدمشقي ، كان في بدايته اسكافا يصنع النعال الحمر ، ثم صحب الشيخ علوان وبقي على حرفته ، غير انه كان ملازما للذكر والصمت ، ثم غلبت عليه الأحوال فترك الحرفة ، وأقبل على المجاهدات ، ولزم خدمة استاذه الشيخ علوان حتى امره ان يذهب الى دمشق ويرشد الناس ، فذهب اليها ، ولزمه الشيخ محمد الرغبي المجذوب ، وكان عيسى باشا كافل دمشق من جملة

(١) كذا في الاصل ، والاصح ان يقال (العقيبية) نسبة الى العقيبي .

المعتقدين به واخذ عنه الطريق ، توفي المترجم في السنة المذكورة ، ودفن بزاويته بمحلة العقيبة .

التربة (العلائية الأميرية)

الأمير علي ٠٠٠–٨٣١

هي بمقبرة الصوفية ، وقد درست هذه المقبرة باجمعها ، بناها الامير علي نائب الشام ليدفن بها ، فلم يتهيا له ذلك لانه مات بمصر سنة احدى وثلاثين وثمانمائة ، ودفن بها سيف الدين اركماس المؤيدي . ٥

التربة (العمادية)

العماد الكاتب

شمالي تربة جركس بقاسيون ، انشاها العماد الكاتب المشهور وتقدمت ترجمته ، وهي أول تربة بنيت بالجبل ، واسمه مكتوب على بابها .

حـرف الغين

١٠

التربة (الغزليـة)

سيف الدين غزلو ٠٠٠–٧١٩

هي بقاسيون ، اوقفها سيف الدين غزلو[1] الامير الكبير العادلي ، استنابه استاذه العادل كتبغا على دمشق في آخر سنة خمس وتسعين وستمائة ، وكان احدالشجعان العقلاء . قاله ابن شقدة ، قال : وله تربة مليحة بقاسيون ، توفي بدمشق سنة تسع عشرة وسبعمائة ، ودفن بتربته . ١٥

حـرف القـاف

التربة (القانبائية)[2]

قبلي تربة يونس الدوادار ولصيقتها ؛ عمرها قان باي البهلوان نائب صفد ثم حماة ثم حلب ، توفي سنة احدى وخمسين وثمانمائة ، ودفن بها .

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « غزلية » ، نسبة الى غزلو .

(٢) اضاف النعيمي الى ذلك : « البهلوانية » .

تربة (بمسجد القدم)

ابن عساكر
٠٠٠—٦١٠

دفن فيها تاج الامناء أبو الفضل احمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر من بيت الحديث والرواية ، توفي سنة عشر وستمائة ، ودفن قبلي محراب مسجد القدم . وفي سنة عشرين وستمائة دفن بها ابو البركات ابن المرار مجدد مسجد القدم .

٥

التربة (القراجية الصلاحية الأولى)

قراجا الصلاحي
٠٠٠—٦٠٤

هي على جادة الطريق عند تربة ابن ميرك بالسفح . ولها قبة . وهي الآن في حارة الاكراد على الجادة شرقي مدرسة الصاحبة يفصل بينهما الطريق . بناها الأمير قراجا الصلاحي صاحب صرخد ، توفي سنة اربع وستمائة .

التربة (القراجية الثانية)

١٠

الأمير قراجا
٠٠٠—٧٠٣

بميدان الحصى عند النهر ، بناها الامير قراجا استاذدار الأفرم ، توفي سنة ثلاث وسبعمائة ، ودفن بها .

التربة (القطلوبكية)

قطلوبك الشنكير

شمالي باب الفراديس ، وهي تربة الأمير قطلوبك الشنكير الرومي ، كان من اكابر الأمراء ، ولي الحجوبة في بعض الأوقات ، وعمر القناة بالقدس .

١٥

التربة (القطينية)

احمد ابن القطينة
٠٠٠—٧٢٣

كانت بطريق القابون . قال ابن كثير : هي بباب البستان المسمى بالموقع عند جسر ثورا ، وهي تربة هائلة بناها كبير المتمولين بدمشق أحمد بن محمد ابن القطينة الزرعي وكان تاجرا ، توفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ، ودفن بها . وفي « شذرات الذهب » انه بنى مدرسة بزرع .

٢٠

التربة (القمارية)

قاري خاتون
٠٠٠—٦٩٤

بسفح قاسيون ، وهي تربة قماري خاتون بنت حسام الدين بن ضياء الدين أبي الفوارس القيمري ، ووقفت عليها الخان الذي كان لها بمسجد القصب ، توفيت سنة اربع وتسعين وستمائة .

التربة (القيمرية)

يوسف القيمري ٠٠٠–٦٥٤

بسفح قاسيون بحارة البيمارستان القيمري ، وهي تجاهه ، ولها قبة ، انشاها هي والبيمارستان يوسف بن موسك القيمري الكردي ، وكان من اكبر امراء القيامرة بحيث كانوا يقفون بين يديه ويعاملونه معاملة الملوك ، وكان من الابطال ، ذا مال كثير وثروة ، ٥ توفي سنة ثلاث أو اربع وخمسين وستمائة .

حـرف الكاف

التربة (الكاملية البرانية)

هي بالجبـل تحت الكهف المسمى بكهف جبريـل بالقرب من المدرسة المعظميـة ، لم يعلم امرها سوى انه ولي مشيختها محمد بن ابراهيم بن غنائم بن واقد المهندس[1] ١٠ الصالحي الحنفي ، اعتنى بالحديث ، ونسخ « تهذيب الكمـال » مرتين ، مـع الدين والتواضع ومعرفة الشروط ، وتوفي في شوال سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، ودفن بتربة والده بالقرب من المعظمية .

التربة (الكاملية الجوانيـة)

شرقي الخانقاه السميساطية ، وهي الآن موجودة ، ولها باب الى جامع بني امية . ١٥ قال عز الدين الانصاري الحلبي : ان الكامل لما ملك دمشق ، عمدت بشانه الثلاث الى اماكن في جوار باب الناطفانيين فاشترتها وعمرتها تربة مفتوحة الشبابيك الى الجامع ، وبها قراء .

الملك الكامل

هو الملك ناصر الدين محمد ابن العادل ابي بكر محمد بن ايوب ، ولـد سنة ست ٢٠ وسبعين وخمسمائة ، وتملك الديار المصرية ، تحت جناح والده عشرين سنة وبعده عشرين سنة ، وتملك دمشق قبل موته بشهرين ، وتملك حران وآمد وتلك الديار ، وله مواقف مشهودة ، وكان معظما للسنة واهلها ، محبا لمجالسة العلماء ، فيه عدل وكرم

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » ٢ : ٤٠ « واقد بن المهندس » .

وحياء ، وله هيبة شديدة ؛ ومن عدله انه شنق جماعة من اجناده في أكيال شعير اغتصبوه . قاله في « العبر » . وترجمه ابن خلكان بترجمة مطولة ، فقال بعد الثناء عليه : بنى بالقاهرة دار حديث ، ورتب لها وقفا جيدا ، وبنى قبة عظيمة على قبر الامام الشافعي ؛ وملك دمشق سنة ست وعشرين وستمائة ، ثم اعطاها لاخيه الأشرف واخذ بدلها حران والرها وسروج والرقة ورأس عين ؛ توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ودفن بقلعة دمشق . ٥

قال ابن الاهدب : وللكامل هفوة جرت منه وذلك انه سلم مرة بيت المقدس الى الفرنجة اختيارا . واورد له صاحب « تحفة الالباب » من الشعر قوله :

اذا تحققتم ما عند عبدكمو	من الغرام فذاك القدر يكفيه
انتم سلكتم بقلبي وهو منزلكم	وصاحب البيت ادرى بالذي فيه ١٠

التربة (الكركية الاياسية الفخرية)

فخر الدين الكركي ٠٠٠-٨٢٤

بطريق الصالحية عند حمام الورد ؛ انشاها فخر الدين اياس الكركي الحاجب ، وكان رجلا لطيفا ياخذ اموره كلها بالاضحوكة ، وكانت وطأته على الناس خفيفة ، ويداري العرب في طريق الحجاز ؛ تولى امرة الحج مرارا فارضى الناس ، توفي سنة اربع وثلاثين وثمانمائة . ١٥

قال النعيمي : وفرغ من انشائها سنة ثمان وعشرين وثمانمائة كما هو مرسوم عقب ذكر وقفها بالواجهة الحجر فوق الشباكين ، وابوابها تفتح الى جهة الغرب ، وقد احكم بناءها فجعلها قبوا مكينا ، وله فيها فسقيتان ، وعلى هذا البناء الروح . انتهى .

التربة (الكروسية)

جمال الدين ابن كروس ٠٠٠-٦٤١

٢٠ داخل دمشق ، اوقفها محمد بن عقيل بن كروس محتسب دمشق ؛ وكان كيسا متواضعا صدرا رئيسا ، ودفن بها سنة احدى واربعين وستمائة .

التربة (الكندية)

بسفح قاسيون تحت كهف جبريل ؛ وهي تربة العلامة ابي اليمن الكندي ؛ ترجمه

تاج الدين الكندي
٥٢٠-٦١٣

الصفدي في « تاريخه » ، وتقدم ذكره في مدرسة الناجية الحنفية . وفي « منتخب الشذرات » : هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن البغدادي المقرىء النحوي اللغوي شيخ الحنفية والقراء والنحاة بالشام ومسند العصر ، ولد سنة عشرين وخمسمائة ، واكمل القراءات العشر وله عشرة اعوام ، اعتنى به سبط الخياط فاقراه وحرص عليه ،
٥ وقرأ بالروايات على جماعة ، واتقن العربية ، وقال الشعر الجيد ، ونال الجاه الوافر فان الملك المعظم كان مديما للاشتغال عليه وكان ينزل اليه من القلعة ، توفي سنة ثلاث‌عشرة وستمائة . قاله في « العبر » بتلخيص . ومن شعره :

تمنيت في عصر الشبيبة انني	اعمر والأعمار لاشك ارزاق
فلما اتاني ما تمنيت ساءني	من العمر قد كنت اهوى واشتاق
١٠ وما انا في احدى وتسعين حجة	لها في ارعاد مخوف وابراق
يقولون : ترياق لمثلك نافع	ومالي الا رحمة الله ترياق

التربة (الكوكبائية)

ستيتة بنت كوكباي
٠٠٠-٧٣٠

امام محكمة الباب قبلي المدرسة النورية ، وهي تربة عظيمة ، والناس يسمونها زاوية التحلاوي وهو خطا ، بل هي تربة الست ستيتة بنت الامير كوكباي زوجة نائب الشام
١٥ الامير تنكز . وقرات كتابة بالحجر فوق باب تلك التربة الهائل مالفظه بعد البسملة :

امر بانشاء هذه التربة المباركة المقر الأشرفي العالي المولوي الأميري الكبيري الغازي المجاهدي الملكي المخدومي السيفي سيف الدنيا والدين تنكز بدر السلطنة المعظم بالشام المحروسة عز نصره ، وكان الفراغ في شهر ذي الحجة سنة ثلاثين وسبعمائة . ا.هـ

وعرفها النعيمي بانها عند باب الخواصين ، وغربي الطيبة ، وقبلي النورية الكبرى ،
٢٠ وبها مسجد ، ورباط النساء المسمى بالغمري الى جانبها ، وبها مكتب للأيتام وبروصلات وقراء كل ذلك امرت به الواقفة . قاله ابن كثير . **قلت** : اما الباب والقبة والرباط الى جانبها فباقية ، والباقي انتحله المنتحلون فجعلوه بيوتا للسكنى اسوة بباقي المساجد والمدارس . وكانت وفاة الست ستيتة سنة ثلاثين وسبعمائة .

حـرف الميم

التربة (المؤيدية الشيخية)

كانت على الشرف الشمالي فوق المدرسة العزية ، دفنت بها مستولدة السلطان المؤيد شيخ سنة عشرين وثمانمائة ، ووقف عليها ابراهيم ابن الملك المؤيد وقفا ، ورتب لها اربعة من القراء . ٥

التربة (المؤيدية الصوفية)

مؤيد الدولة ابن الصوفي ٠٠٠-٥٤٩

لم نعلم من شانها الا ان النعيمي وغيره قالا : دفن بها مؤيد الدولة ابن الصوفي وزير آبق صاحب دمشق . قال الذهبي : وكان ظالما غشوما فسر الناس بموته ، توفي سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، ودفن بتربته هذه .

التربة (المحمدية) ١٠

محمد ابن أبي العيش ٠٠٠-٦٣٤

هي التربة المحمدية الامينية الانصارية العيشية ، شمالي الجامع المظفري بسفح قاسيون ، انشاها الشيخ الامين محمد بن احمد بن ابراهيم بن ابي العيش الانصاري الدمشقي ، توفي سنة أربع وثلاثين وستمائة ، ودفن بها ؛ وكان تاجرا فيه خير ودين ، واسمع « صحيح البخاري » ، وعمر تحت الربوة مسجدا وبيوتا للطهارة وانتفع الناس بذلك ، وتكلم على جامع التربة ، ووقف فيه ميعادا لاسماع الحديث . ١٥

التربة (المختارية الطواشية)

ظهير الدين مختار

انشاها الطواشي ظهير الدين مختار الخاندار احد الأمراء الكبار ، كان خيرا دينا يحفظ القرآن ويؤديه بصوت حسن ، وعليه وقار ، حسن الشكل والهيبة ، أوقف هذه التربة وهي خارج باب الجابية قبلي الصابونية الآن ، وقد آلت الآن الى الخراب ، وهو اول من عمر من الترب بذلك الخط ، ووقف عليها القريتين ، وبنى بها مسجدا حسنا ، ٢٠ ورتب له اماما ، ووقف مكتبا للأيتام على باب قلعة دمشق ، ورتب لهم الكسوة والنفقة، وكان يمتحنهم بنفسه ويفرح بهم ، ولما مات دفن بتربته ، ولم يؤرخ النعيمي وفاته ولا العلموي .

التربة (المراغية)

بهاء الدين المراغي ٠٠٠—٧٦٤

داخل دمشق بالساغة العتيقة في داخل زاوية الشيخ سراج الدين ، دفن بها الشيخ بهاء الدين بن عبد الرحمن بن عبد الولي الاخميمي المراغي المصري ثم الدمشقي، وكان بارعا في المعقولات ، واخذ عن القونوي ، والف كتاب « المنقذ من الزلل في القول والعمل » ، توفي سنة أربع وستين وسبعمائة .

٥

التربة (المزلقية)

محمد ابن المزلق ٧٥٤—٨٤٨

بطرف مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية عند باب مسجد القبان ، أنشأهاراس الخواجكية محمد بن علي بن ابي بكر المعروف بابن المزلق ، وكان من اهل الثروة انشأ بطريق مصر الى الشام خانات عظيمة بالقنيطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون التجار، وانفق على عمارتها ما يزيد عن مائة الف دينار ، وبهذه الخانات مياه وهي في غاية الحسن ، ولم يسبقه احد من الملوك الذين قبله والخلفاء الى مثل هذا العمل ، وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجار ، ووقف على سكان الحرمين الشريفين الأوقاف الكثيرة الحسنة ، وعين للحجرة الشريفة النبوية الشمع والزيت في كل عام ، وكان يكاتب الملوك فيقضون له حوائجه ، وكلمته نافذة عندهم ، وكانت الاعراب تراعيه وتحفظ متاجره ، توفي سنة ثمان واربعين وثمانمائة ، ودفن بتربته هذه ، وكان قد وقف جميع املاكه . قال العلموي : وكان ابوه لبانا ، ملبنته عند جامع يلبغا ، والى الآن ، يعني الى زمنه ، ذريته يطالبون بحكر بقعتها بجنينة كانت هناك . ثم ان ابن المترجم سافر الى الهند مرارا فربح في مرة منها مائة الف دينار وثمانمائة الف درهم . والمزلق بضم الميم وفتح الزاي وتشديد اللام مكسورة .

١٠

١٥

٢٠

تربة (المسجف)

عبد الرحمن ابن المسجف ٠٠٠—٦٣٥

هي بالمزة . قال الذهبي : هو عبد الرحمن بن أبي القاسم بن غنائم بن يوسف الأديب الكناني العسقلاني ابن المسجف الشاعر ، توفي في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ودفن عند والده بالمزة ، وكان اديبا شاعرا ظريفا خليعا ؛ وكانت له رسوم على الملوك ، واكثر شعره في الهجو سلك به طريقة ابن عنين .

التربة (المعظمية)

الملك المعظم عيسى ٥٧٦–٦٢٤

هي بالصالحية ، دفن بها الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن العادل المتوفى سنة اربع وعشرين وستمائة ، وبها قبور جماعة من اخوته واهل بيته .

التربة (الملكية الأشرفية)

الملك الأشرف موسى ٥٧٦–٦٣٥

هي شمالي الكلاسة ، لها شبابيك الى الطريق والى الكلاسة ، ولم يبق منها الآن الا قبتها ، عمرت للملك الاشرف موسى ابن الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن أيوب ؛ وكان له مآثر وهفوات ، وفي أيامه نادى ان لايشتغل الفقهاء بغير الحديث والتفسير والفقه ومن اشتغل بالمنطق وعلم الاوائل نفي ، والظاهر ان هذا هو الذي حمل ابن الصلاح على القول بتحريم المنطق ولم نعلم له مستندا في ذلك الا انه لم يعلمه . وكتب الاصول في زمنه كانت مشحونة بالمنطق ، بل كتب ابن الصلاح نفسه لاتخلو من التطبيق على قواعده وان كان ذلك أتى منه بطريق المصادفة . ومن مآثر الملك الاشرف مدرسة دار الحديث التي بالعصرونية ، ومدرسته التي بالصالحية ، وعمارة جامع التوبة ، ومسجد القصب ، ومسجد دار السعادة المسمى الآن جامع السرايا ، وجامع جراح ، وسبيل المقبرة غربي خانقاه عمر شاه بالقنوات ؛ وجدد مسجد ابي الدرداء الذي بالقلعة ؛ توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة .

التربة (المنكبائيــة)

سيف الدين منكباي ٠٠٠–٨٢٣

تجاه باب المصلى ، انشاها الامير سيف الدين منكباي الازدمري ، وكان خيرا قوي النفس حسن الشكل ، وينسب الى شجاعة ، صار امير طبلخانة ، ثم حاجب الحجاب ، وجرت له امور فتنقلت به الاحوال ، توفي سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة بحماة لانه كان نائبا بها ، ثم نقل الى تربته .

حــرف النــون

التربة (الناصرية)

الملك الناصر صلاح الدين ٦٢٧–٦٥٩

بجبل الصالحية ، أوقفها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العزيز محمد ابن الظاهر غازي بن صلاح الدين ، تسلطن سنة اربع وثلاثين وستمائة وعمره سبع سنين ،

ودبر مملكته الوزير لولو ، ولما بلغ رشده استقل بالأمر ، ومن آثاره المدرسة الناصرية المتقدمة ، وبنى بالصالحية رباطا وتربة ومدرسة وكانت عمارة عظيمة احضر لها من الرخام والاحجار شيئاكثيرا ، ونهر يزيد يمر بها ، توفي سنة تسع وخمسين وستمائة .

التربة (النجمية)

٥ جوار الحمامية البرانية والشامية ، بها قبر شاهنشاه والد فروخ شاه ، وتقي الدين عمر ، والست عذراء ، والملك منصور حسن ابن السلطان صلاح الدين ، وفتح الدين ابن اسد الدين شيركوه توفي سنة احدى وستين وخمسمائة ، ودفن بها الملك المنصور حسن ابن السلطان صلاح الدين سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

التربة (النشابية)

عماد الدين ابن النشابي ٠٠٠-٦٩٥

١٠ غربي الروضة بسفح قاسيون ، انشاها عماد الدين حسن بن علي ابن النشابي ، وكان امير طبلخانة ، توفي سنة خمس وتسعين وستمائة[1] ، ودفن بها .

حرف الهاء

التربة (الهولية)

هولو ابن العابد

هي قبلي دمشق خارج الميدان الفوقاني ، مزخرفة البناء واسعة ، انشئت لهولو ١٥ باشا الشهير بابن العابد ، كان والده من العرب الموالي ، ثم دخل دمشق وانخرط في الجندية ، ثم تلاه ولده هولو فتولى مناصب تمول منها ، وكان ذا سيرة استبدادية ، ولما مات سنة[2] عمرت له هذه التربة ودفن بها .

وقد وقف بنا عنان القلم هنا عن تراجم الترب التي لافائدة منها سوى ذكر اصحابها ، وربما توجد ترب كثيرة لم نذر تراجم اصحابها ، والمطالع يعذرنا في تركها[3] .

---

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : تسع وتسعين وستمائة .

(٢) لم يذكر المؤلف سنة وفاة هولو باشا بل ترك مكانها بياضا .

(٣) كان هذا بحسب ترتيب المؤلف ، فلما رتبنا الترب بحسب التسلسل الابجدي اصبح هذا الكلام غير وارد .

حـرف اليـاء

التربة (اليونسية)

بباب الصغير غربي المزار المعروف باوس بن اوس الصحابي الخزرجي لا القرلي كما يزعم بعض الناس ، انشأها الأمير يونس خازندار ملك الامراء سودون .

التربة (اليونسية الدوادارية) ٥

وتعرف ايضا بتربة مقبل ، قبلي تربة فرج بن منجك التي غربي تربة بهادر ، وشمالي تربة تابتباي ، وغربي تربة أكز ، دفن بها جماعة ، منهم : الامير سيف الدين حكم امير طبلخانة توفي سنة ٨٣٦ ست وثلاثين وثمانمائة ، وابو يزيد الناصري راس نوبة توفي سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة، وزين الدين مقبل .

١٠ قال العلموي : وفي دمشق والصالحية ترب كثيرة لم يذكرها في الأصل يعني في «تنبيه الطالب وارشاد الدارس»، ولم يذكرها «المختصر» تبعا له، ولم يعلم السبب الداعي الى ذلك مع شهرتها ولعله مجرد اختصار ، ولو ذيل عليه بقلت لكان اتم فائدة . انتهى .

واقول : انا لطول الزمن وبعد العهد بها وانطماس آثارها لم تقدر على سبرها وضبطها ثم ذكرها ؛ فلذلك اكتفينا بما تقدم ؛ على ان اكثر ما ذكره لم يبق له اثر ، وقد ذكر ١٥ النعيمي تربة واحدة بعد ذلك ، فقال(١) .

---

(١) هي تربة مسجد القدم التي ادرجناها بحسب التسلسل الابجدي تحت حرف القاف .

الباب الثاني عشر فيما اشتهر من الجوامع

اقول : لايوجد في بلاد الاسلام مدينة اكثر جوامع ومساجد من دمشق حتى أنها افردت بالتآليف ، فذكر الحافظ ابن عساكر في أوائل « تاريخه » عددا عظيما منها ، ثم تلاه ابن شداد فزاد عليه عددا وافرا ، ثم تلاهما النعيمي فذكر في آخر كتابه « تنبيه الطالب وارشاد الدارس » جميع ما أورداه وزاد عليهما ، ثم جاء بعدهم يوسف بن عبد الهادي الشهير بابن المبرد فجمع كتابا سماه « ثمار المقاصد في ذكر المساجد » فزاد عليهم واربى ، ثم قال : ان المتروك الذي لم نذكره نحن ولا ابن شداد اكثر من خمسمائة مسجد في البلد وما حولها وفي القرى ، فناهيك ببلدة تحتوي على الف وخمسمائة مسجد فلله درها ! وانما ذكرنا ما هو بواديها فقط ، واما ما هو محيط بمعاملتها مما وراء جبالها فشيء كثير جدا . انتهى .

وقال ابن شداد : وكثرة تلك المساجد تدل على اهتمام اهلها بالدين ، وكثرة المصلين فيها والمتعبدين . انتهى .

وقد اوردت جميع ماذكروه في كتابنا « منتخب النفائس من كتاب تحفة الطالب وارشاد الدارس » وفي كتابنا « تهذيب تاريخ دمشق » الذي الفه الحافظ ابو القاسم علي بن عساكر الدمشقي . وقد كنت اردت ان اوردها هنا ، فتاخرت لاني رأيت انه لاطائل في ذكرها لأن غالبها قد اندرس ، ولأن المترجمين لها لم يذكروا بناتها ، وعرفوها بامكنة تغيرت اسماؤها فتراهم يقولون : مسجد في زقاق صفوان سفل لطيف ، مسجد عند حمام ابن ابي المطر بناه ابن ابي فيروز ، مسجد الازرعي مقابل دار ابن البري وهكذا، وهذا كان في زمن ابن شداد في عصر السبعمائة ، ونحن الآن من اين لنا معرفة بزقاق صفوان وبدار ابن البري بعد مضي سبعمائة سنة ؟ فمن ثم اقتصرنا على ذكر ما اشتهر منها وعرف بانيه ، واضربنا عن الباقي ، واخرنا الكلام على الجامع الأموي لطول الكلام عليه **فقلنا :** (١)

(١) على الرغم من ان المؤلف قد اخر الجامع الاموي الا اننا قدمناه مراعاة للتسلسل الابجدي الذي التزمناه في عامة الكتاب .

حــرف الهمزة

الجــامع (الأموي)

هو اعظم جوامع دمشـق ، وللناس فيه قصائد وأقوال يضيق عنها الحصر ، ولهـم في بانيه الأول مذاهب لايعلم المحقق ما الثابت منها وما المختلق لطول الزمان وبنائها على الظن والتخمين ، وانا ذاكرون هنا مانراه اقرب الى العقل والى طبع الزمان تاركين الباقي لأصحابه ، ومما نراه ما بين بين ما قاله عز الدين بن شداد ، قال : اخبرني احمــد ابن عبد الكريم المعروف بابن الخلال الحمصي انه وقف على كتاب الف لبعض الوزراء وفيه ان الوزير قال وهو بحضرة ابي العلاء المعري : ان الوليد لما هدم الحائط الشرقي حائط الجامع امر ان يعمق اساسه ، وبينما هم يحفرون اذا بهم انتهوا الى حائط ، فأمرهـم الوليد ان يحفروا امامه ، فوجدوا فيه بابا ففتحوه ، فوجدوا خلفه صخرة عليها كتابة ، فحملت اليه فأحضر من قراها ، فاذا بها ما صورته :

لما كان العالم محدثا لبت أن له محدثا احدثه وصانعا صنعه، فبني هذا الهيكل لمضي ثلاثة آلاف وسبعمائة سنة لأهل الاسطوان ، فان رأى الداخل اليه ان يذكر بانيه بخير فعل والسلام .

فقيل لأبي العلاء : من اهل الاسطوان ؟ فقال : لا اعرف ، ثم انشد :

سيسأل قوم ما الحجيج وما منى	كما قال قوم من جديس وما طسم؟

يعني ان بعد العهد بالأوائل ينسي آثارهم ، ويطمس المنار دون اخبارهم . ويقال : انه رئي حجر في المئذنة الشرقية عليه كتابة باليونانية ، فترجمت الى العربية فاذا هي ما تعريبه :

لما كان العالم محدثا ، والحدوث داخل عليه ، وكانت الضرورة تقود الى عبـادة محدثه لا كما يقول ذو اللحيين وذو السانين واشباههما ، فلما دعت الضرورة الى عبادة الخالق المحدث بالحقيقة، تجرد لانشاء هذا البيت والنفقة عليـه محب الخير تقربا الى منشيء العالم ومبديه وايثارا لما عنده ، وذلك سنة ثلاثمائة والفين لأهل الاسطوان .

فعلى صحة هاتين الحكايتين ، وسبق الاولى الثانية ، يكون بناء هذا الهيكل ايام كانت اليونان مالكة لسوريا . وأيا ما كان فان المؤرخ لايطمع في ان يعرف الزمن الذي انشئت فيه دمشق وأسس جامعها ، وكل ما يقال فيه فانه تخرصات وأوهام لايقف صاحبها على حقيقة . وغاية امرنا هنا ان نذكر تاريخ جعله جامعا ، على ان ذلك التاريخ ايضا يحار فيه الناظر فلا يقدر ان يفرق بين الصحيح وغيره لما تغشاه من المبالغات ، كما هو شأن كتب التاريخ عندنا حتى انهم أوصلوا امر هذا الجامع الى ما وراء العقول، وذلك لأنهم ينقلون كل خبر يسمعونه ، ثم لايحكمون عقولهم في التفرقة بين جيده ورديئه ، ولو اخذت اذكر جميع ما قاله المؤرخون عنه لكان موضوعنا هزءا عند اهل زماننا ، لان التاريخ عندهم لبس ثوبا غير ثوبه الاول ، فأسس على التحقيق والتدقيق لا على التسليم بقول القائل أيا ما كان ؛ فلذلك اضربت عن كثير مما ذكره ابن عساكر وغيره من اضرابه ، واكتفيت بما تراه ، وسامهد لعذري شذرة مما قيل ليعلم المطالع ما كان عليه بعض القوم ؛ فقد قال ياقوت في « معجم البلدان » : لو عاش الانسان الف سنة ، وجعل يتردد كل يوم من ايامها الى الجامع لكان يرى في اليوم ما يراه بامسه . فتامل هذه المبالغة التي دونها قول المتنبي :

واخفت اهل الشرك حتى انه	لتخافك النطف التي لم تخلق !

ومثل هذا كثير فاعلم ذلك ، واليك مانرويه منسوبا لقائله :

قال الحافظ الذهبي في « مختصر تاريخ الاسلام » : ان الوليد بن عبد الملك هو الذي بنى جامع دمشق ايام سلطنته وزخرفه ، وكان نصفه الغربي كنيسة للنصارى ، والنصف الآخر مسجدا للمسلمين ، فارضى الوليد النصارى بعدة كنائس صالحهم عليها، ثم هدمه الا حيطانه الاربعة ، وانشا قبة النسر والقناطر ، وحلاه بالذهب والجواهر وستور الحرير ، وبقي العمل فيه تسع سنين ، وانفق عليه الاموال العظيمة حتى جعله نزهة للناظرين . انتهى . وكان الابتداء به سنة سبع وثمانين . وفي كتاب « فتوح البلدان» للبلاذري ان الوليد لما اراد هدم الكنيسة قال بعض النصارى : ان لها شانا عظيما، فمن هدمها جن أو اصابته عاهة ، فحنق من قولهم ؛ ودعا بمعول فاخذه بيده واخذ يهدم الحيطان ، فاقتدى به الفعلة ولم يصب احد منهم بسوء . وقال الاكفاني بعد ان روى هذه الحكاية : ان الوليد لما سمع مقالتهم أتى بسلم فنصبه على محراب المذبح ، وصعد وضرب بيده المذبح حتى اثر فيه اثرا كبيرا ؛ وقال ايضا : ان الوليد اغتم يوما ،

فدخل عليه المغيرة بن الوليد فقال : ما غمك ؟ فلم يخبره ، فالح عليه ، فذكر له ان النصارى ابوا عن بذل الكنيسة ، فقال له المغيرة : لاتهتم ، ان خالد بن الوليد قد دخل من الباب الشرقي بالسيف ، ودخل ابو عبيدة من باب الجابية بالأمان ، فنحن نماسحهم الى الموضع الذي وصل اليه السيف ، فما كان لنا به حق اخذناه ، والا دارنيناهم فاخذنا الكنيسة بالرضا . فقال له : فرجت عني ، فتول هذا الأمر . قال : فتولاه ، فبلغت المساحة الى سوق الريحان حتى حاذى القنطرة الكبيرة اربعة اذرع بالذراع الهاشمي ، واذا بباقي الكنيسة قد دخل بالمسجد ، فبعث اليهم وقال : هذا حق قد جعله الله لنا . فقالوا : قد اقطعتنا كنائس ، وبذلت لنا من المال كذا وكذا ، فان رايت ان تتفضل علينا فعلت ، فامتنع عليهم اولا ، ثم اعطاهم اربع كنائس . وقال النعيمي : وقد بنى الوليد جميع ما كان داخل حيطان المسجد وزاد في سمكها ، ثم انه توفي سنة ست وتسعين ، ولم يتم البناء ، فاتمه من بعد اخوه سليمان ، وتوفي سنة تسع وتسعين ، وعملت له المقصورة حين استخلف . وبنى الفضل بن صالح العباسي القبة الغربية وكانت تسمى قبة المال .

وروى ابن عساكر بسنده الى زيد بن واقد ، قال : وكلني الوليد على العمال في بناء جامع دمشق ، فبينما نحن في العمل اذ وجدنا مغارة ، فعرفنا الوليد ذلك ، فلما كان الليل وافى وبين يديه الشموع ، فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة اذرع في ثلاثة اذرع ، واذا فيها صندوق ففتح ، فاذا فيه سفط ، وفي السفط راس يحيى بن زكريا عليهما السلام ، قال : فرد الى مكانه بامر الوليد ، وقال : اجعلوا العمود الذي فوقه مغيرا عن بقية الاعمدة ، فجعل عليه عمود مسفط الراس . قال زيد : قد رايت الراس الشريف حين ارادوا بناء الجامع ، وقد اخرج من تحت ركن من اركان القبة وشعره وبشرته لم يتغيرا ، ويقال : ان الراس الشريف نقل من دمشق الى بعلبك ، ومنها الى حمص فحلب . فجعل في قلعتها في جرن من الرخام ، ثم نقل منها الى الجامع لما استولى التتار عليها ، كذا قيل والله أعلم بحقيقة الأمر . وقد اطال ابن عساكر ، وأورد أقوالا متناقضة تارة تثبت شيئا وتارة تنفيه كما هي عادته في نقل كل ما يسمعه ويتصل به من غير تمحيص . ولما بنى الوليد هذا الجامع جعله اعجوبة في النقش والزينة ، وصفح جدرانه بالرخام العجيب والفسيفساء وصور الأشجار حتى اندهش به الناظر ، وبناه بالقناطر المعقودة اقواسها بعضها الى بعض ، واقام الرصاص فوقه مكان الطين ، وللناس تفنن في الارصاد

التي كانت به أقيم مقام الفكاهات. ولقد رايت في كتاب « الاقاليم » ما نصه : وبدمشق مسجد ليس في الاسلام اعمر ولا اكبر منه بقعة ، واما الجدار والقمة التي فوق المحراب عند المقصورة فمن بناء الصائبيين ومصلاهم ، ثم صار في ايدي اليونان وكانوا يعظمون فيه دينهم ، ثم صار الى اليهود وملوك عبدة الاوثان، فقتل في ذلك الزمن يحي بن زكرياء

٥ ونصب راسه على باب جيرون من هذا المسجد ، ثم بعد ذلك نصب فيه راس الحسين رضي الله عنه ، فلما كان زمن الوليد بن عبد الملك عمره ؛ فجعل ارضه رخاما مفروشا ، وجعل وجه جدرانه مجزعا، واساطينها رخاما مذهبا، ومحرابه مذهبا مرصعا بالجوهر، وجعل السقف كله مذهبا مكتبا ، كما يطوف بتربيع جدار المسجد ، يقال : انه انفق في بنائه خراج الشام خمس سنين ، وجعل سطحه رصاصا ، وسقفه خشبا مذهبا ، وجعل

١٠ الماء يدور على رقعة المسجد حتى اذا انفجر فيه انبسط على جميع اركانه بالسواء . انتهى .

ولبعض الفقهاء فيه أقوال نزلت منزلة الترغيب في الصلاة فيه ارضاء لبانيه وللعوام كما هو شان كثير من الناس : منها ما روي عن سفيان الثوري انه قال : الصلاة بمسجد دمشق بثلاثين الف صلاة . هكذا اتصل بنا منقطع الاسناد ، ويمكن ان يكون مفترى على

١٥ سفيان لان كثيرا من الرواة افتروا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف لايفترون على سفيان !! وعلى تقدير صحة الاسناد اليه فان له معارضا وهو ان ترتيب الثواب لايكون الا من صاحب الشرع ولم يرد عنه خبر بهذا ، والاجتهاد والقياس لايتاتيان في امثاله . ومثله تفسير البعض التين بجامع دمشق ، والزيتون بالمسجد الاقصى ، لكن هذا محتمل لانه لايترتب عليه ثواب ولا عقاب ، واما الاول فليس منشؤه الا ما كان

٢٠ من جهته صلى الله عليه وسلم . وفي « تحفة الانام » للبصروي ان الذين عمروا هذا المعبد كانوا من عباد الكواكب السبعة ، وكانوا يجعلون على كل من ابوابه عيدا ، وكانوا يصلون الى القطب الشمالي ، وبابه الى جهة القبلة خلف المحراب ، وهو باب حسن من الحجارة المنحوتة ، عن يمينه وعن يساره بابان صغيران بالنسبة اليه ، وكان غربي المعبد قصر تحمله هذه الاعمدة التي بباب البريد ؛ وشرقيه قصر جيرون وكان دارا لمن يملك

٢٥ دمشق في القديم . انتهى .

وقد شاهدنا عند باب البريد قبة شاهقة تحملها عمد اربع ، وقد هدمت ، وازيل العمودان الغربيان ، وبقي اثنان عن يمين الدرج وعن شماله .

قال ابن كثير : وفي سنة اثنتين وستمائة هدمت القنطرة التي عند الباب الشرقي من الجامع ، ونشرت احجارها لتبليطه .

قال البرزالي : وفي سنة ست وثلاثين وسبعمائة احترق سوق النحاسين بدمشق وكان قريبا من الجامع ، فوجدوا حائط دار الخطابة متعتعا فخرب ، فوجدوا فيه حجارة كبارا ، وظهر باب كبير مليح له اسكفة وجوانب مخرمة خلف محراب المقصورة ، فنقلت حجارته لبناء باب الفرج ، وكان زقاق هناك يسمى بزقاق القباب ، وهناك دار مسلمة ابن عبد الملك .

قال ابن كثير : وفي سنة احدى وثلاثين وسبعمائة كملت عمارة القاسارية التي بباب الزيادة ، وجددت قاساريتان ايضا ؛ وسكن بهما الصواغ وتجار الذهب والجوهر ، وهما حسنتان ؛ والكل وقف الجامع .

وروى ابن عساكر بسنده الى محمد بن احمد بن زبر القاضي انه قال : انما سمي باب الساعات هناك لساعات يعلم بها كل ساعة تمضي من النهار ، عليها عصافير من نحاس وحية منه وغراب ، فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب فسقطت حصاة . انتهى . وهو اختراع غريب ان صح السند .

قال الذهبي في « العبر » : وفي سنة احدى وستين واربعمائة في نصف شعبان احترق الجامع كله من حرب وقع هناك ، فضربوا دارا مجاورة للجامع فقضي الامر واشتد الخطب ، واتى الحريق على سائره فدثرت محاسنه وانقضت ملاحته ؛ ويقال : ان القبة التي فيها فوارة الماء اقيمت سنة ست وتسعين وثلاثمائة ، وقد وصفها قمر الدولة جعفر بن دواس الكتاني بقوله :

رايت بالجامع المعمور منشية	في جلق كنت احدى من لها سمعا
فوارة كلما فارت فرت كبدي	وماؤها فاض بالانفاس فاندفعا
كانها الكعبة العظمى فكل فتى	من حيث قابل انبوبا لها ركعا

وقيل : انشئت سنة ست عشرة واربعمائة انشاها الشريف ابو يعلى ، وعمل حولها قناطر ، وعقد عليها قبة مزخرفة ، وبنى فوقها شاذروانا ، وعمله كان سنة اربع عشرة وخمسمائة ، ثم تهدم الكل وبقيت الفوارة . واما القبة الشرقية التي في الجامع فقد بنيت سنة ستين ومائة في ايام المهدي .

وفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائةجددتابواب الجامع من ناحية باب البريد بالنحاس الاصفر .

وفي سنة سبع عشرة وستمائة نصب محراب الحنابلة بالرواق الثالث بعد ممانعات كثيرة ، وصلى فيه الشيخ موفق الدين المقدسي ، ثم اخذ منهم سنة ثلاثين وسبعمائة، ٥ وعوضوا عنه بالمحراب الغربي عند باب الزيادة .

وفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة نقض الحائط القبلي مما يلي باب الزيادة ؛ ثم بني ، وكان في كل ركن من الجامع صومعة فهدمت ولم يبق منها الا الموجود الآن .
وفي سنة اربعين وسبعمائة وقع حريق عظيم بدمشق احترقت فيه المنارة الشرقية من الجامع .

١٠ وفي ايام الناصر ابن الملك العزيز فرض في ماء القنوات زيادة للجامع على ماء باتياس ، وهي مقدار سبع عشرة اصبعا من اصابع الماء للكلاسة ، وللبركة المجددة بباب البريد ، وللقسطل المساق للبيمارستان الدقاقي ، ولمشهد عروة .

وفي سنة ثمان وستين وستمائة كان الجامع كانه خان ينام فيه الناس ، وكان لكل مقيم به موضع قد افرده واقتطعه وعمل فيه صندوقا واحاطه بمقصورة ، حتى كان ١٥ فيه ما يقرب من ثلاثمائة خزانة ومقصورة ، فازال الملك الظاهر ركن الدين جميع ذلك ، ونظف الجامع ، وفرشه بالحصر والبسط ، وغسل رخامه وحسنه، وكان بصحن الجامع ايضا حواصل للمنجنيقات ، وحواصل للامراء وغيرهم من خيم وشبهها فازالها ايضا ، ورتب اوقافه للمستحقين ، وفتش على كتب الوقف التي كانت له ، فجمعها من المختلسين ، ورتبها وجلدها واتقنها ، ولولا ذلك لجعله الناس بيوتا واسواقا كما جعلوا ٢٠ غيره من الجوامع والمدارس . ورايت في بعض التواريخ ان المنارة الشمالية المسماة بمئذنة العروس بناها الوليد ، والمنارتان الموجودتان الآن قديمتان . ثم ان الجامع احترق ايام فتنة تيمورلنك سنة ثلاث وثمانمائة ، واحترقت ابنية البلد كلها ؛ ثم عمر . وفي سنة اربع وثمانين وثمانمائة احترق الجامع وما حوله من الأسواق فاتى الحريق على جميعها . ذكره ابن طولون في « تاريخه » .

٢٥ وفي سنة احدى عشرة وثلاثمائة والف احترق الجامع ايضا فاسف الناس عليه اسفا عظيما ، ثم جمع له اهل الخير اموالا ، وانفقت الدولة عليه جانبا حتى تم بناؤه في

سنة خمس عشرة وثلاثمائة والف . وبالجملة فان بناء الجامع الاول لم يبق منه الا مالا يذكر .

وكان في هذا الجامع من المدارس : الغزالية ، والاسدية ، والمنجائية ، والقوصية ، والسيفية ، والمقصورة الكبيرة ، والزوراوية ، والشيخية . وكان له تسعة ائمة ، واربعة وعشرون سبعا(١) ، واحدى عشرة حلقة للتدريس في الفنون ولها مقررات من مال المصالح ، وكان به ثلاث حلقات للاشتغال بالحديث . وقد حكى المحبي الدمشقي في « تاريخه » المشهور انه بعد الخمسين والف احدثت وظيفة تدريس في الجامع الأموي تحت قبة النسر ، رتبها بهرام اغا كتخدا والد السلطان ابراهيم ، وبنى السوق الجديد والخان قرب باب الجابية لاجلها ، وعين للمدرس ستين قرشا ، وللمعيد ثلاثين ، ولقارىء العشر عشرة قروش ، ودرس بهذه الوظيفة الشيخ سعودي ، ثم بعده تاج الدين بن احمد المحاسني الدمشقي .

وفي الجامع ايضا بيت الخطابة ، وكان به خزانة كتب . حكى المحبي في « تاريخه » في ترجمة علي الدفتري انه وقف كتبه ، واستودعها بيت الخطابة بالقرب من المقصورة بالجامع الأموي ، الى ان ادعى النظارة عليها بعض المفتين بالشام واحتوى عليها . وفيها نفائس الكتب . قال : وكان لعلي الدفتري مشاركة في الفنون ، وتوفي سنة ثماني عشرة بعد الالف . وكان بهذا الجامع جماعة من افاضل الموقتين ، واليك تراجم بعضهم :

ابن القيسراني

محمد ابن القيسراني ٤٧٨—٥٤٨

هو محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيسراني حامل لواء الشعر في زمنه ، تولى ادارة الساعات في جامع بني امية مدة ، ثم سكن حلب ، وكان عارفا بفنون الهيئة والنجوم والهندسة والحساب ، مدح الملوك والكبار ، وعاش سبعين سنة ، ومات بدمشق . قال ابن خلكان : وكان ابن منير ينسب الى التحامل على الصحابة رضي الله عنهم ، ويميل الى التشيع ، فكتب اليه ابن القيسراني وقد بلغه انه هجاه :

يا ابن منير هجوت مني	حبرا افاد الورى صوابه
ولم تضيق بذاك صدري	فان لي اسوة بالصحابه

---

(١) مخرج الماء يوضع على البركة ، وغالبا يكون بشكل رأس الاسد ؛ ولذلك سمي سبعا .

ومن محاسن شعره قوله :

كم ليلة بت من كاسي وريقته ... نشوان امزج سلسالا بسلسال
وبات لاتحتمي عني مراشفه ... كانما ثغره ثغر بلا والي

وله في خطيب :

شرح المنبر صدرا ... لتلقيك رحيبا
اترى ضم خطيبا ... منك ام شمخ طيبا

وله في غزال :

بالسفح من لبنان لي ... قمر منازله القلوب
حملت تحيته الشمال ... فردها عني الجنوب
فرد الصفات غريبها ... والحسن في الدنيا غريب
لم انس ليلة قال لي ... لما راى جسمي يذوب
بالله قل لي يافتى ... من علك ؟ قال : الطبيب

توفي بدمشق سنة ثمان واربعين وخمسمائة ، ودفن بباب الفراديس . وترجمه الصفدي وقال : نشا بقيسارية الساحل فنسب اليها ؛ وسكن دمشق في دولة تاج الملوك ، ثم سكن حلب مدة ، وولي بها خزانة الكتب ، وتردد الى دمشق وبها مات ، واتقن الهندسة والحساب والنجوم ؛ ثم اطال الكلام بسرد ماله من النظم والنثر .

ابن الشاطر رئيس المؤذنين

اقول : مرت علي سنون وانا متشوق لرؤية شيء من تاريخ حياة هذا الرجل ؛ فلم اظفر به لان اكثر المؤرخين من الفقهاء هم اعداء لاولي العلوم الفلسفية والهندسية ؛ وتمادى بي الحال الى ان رايت النعيمي نقل شيئا من ترجمته عن « تاريخ الصلاح الصفدي » ولكنه لم يرو لي غليلا ، وانا هنا انقل ما ظفرت به ، ولعل الزمان يطلعني على مطول اخباره . قال الصفدي : هو علي بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن حسان ابن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصاري الأوسي رضي الله عنه ، فريد الزمان ، المحقق المتقن البارع الرضي ؛ اعجوبة الدهر ، رئيس المؤذنين بالجامع الاموي ، قرا على علي بن ابراهيم بن يوسف ، وكان يعرف بابن الشاطر ، تسمى هو بذلك ، فسالته عن

علي ابن الشاطر ٧١٥-٧٧٧

مولده فقال : في خامس عشر شعبان سنة خمس وسبعمائة بدمشق ، رايته غير مرة، ودخلت منزله في شهر رمضان سنة ثلاث واربعين وسبعمائة لرؤية الاسطرلاب الذي ابدع وضعه ، فوجدته قد وضعه في قائم حائط في منزله داخل باب الفراديس في درب الطيار ، ورايت هـذا الاسطرلاب فانشا لي طربا ، وجـدد لي في المعارف رايا ، وقلت : ان من تقدمه من الافاضل عند جبل علمه الراسخ هباء ، ولو رآه اقليدس لما كان عنده الا نقطة من خطه، او ارشميدس لرای شكله قطاعا في تحريره وضبطه ، فسبحان من يفيض على بعض النفوس ما يشاء من المواهب ، ويجدد في كل عصر من يحيي رسوم الفضل الذي عدم في الليالي الذواهب . وصورة الاسطرلاب المذكور : قنطرة مقدار نصف او ثلث ذراع تقريبا يدور ابدا على الدوام في اليوم والليلة من غير ماء على حركات الفلك ؛ لكنه قد رتبها على اوضاع مخصوصة تعلم منها الساعات المستوية والساعات الزمانية . هذا كلام الصفدي رحمه الله . قال النعيمي : والى هذا الفاضل ينسب عمل المنحرفتين في مئذنة العروس . انتهى .

قلت : الذي يلوح لي ان الذي دعاه الصفدي بالاسطرلاب ليس هو الاسطرلاب المشهور ؛ لان هذا ميزان الشمس ، واختراعه كان قبل زمنه بالوف من السنين ، ولكنه الآلة المسماة في زمننا بالساعة، ويكون ابن الشاطر هو المخترع لهذا النوع العظيم الفائدة؛ ثم ان اهل بلادنا اهملوه هو واختراعه حينا من الدهر ، حتى ظفر بنخب افكاره الافرنج؛ فهذبوه واتقنوه فنسب اليهم . على ان اختراعه يزيد على ما تفننوا به بمعرفة الزمانية التي تقسم كلا من النهار والليل الى اثنى عشر قسما في جميع الفصول ؛ فلله في خلقه شؤون . واما المنحرفتان فقد بقيتا الى حدود تسعين ومائتين والف في مئذنة العروس، وفي اثنائها كان شيخنا الشيخ محمد الشهير بالطنطاوي اماما في فن الهيئة والميقات في دمشق ، فنظر في هاتين المنحرفتين فرای وضعهما قد اختل لمرور السنين واختلاف الرياح والامطار عليهما، وبينما هو يحرر وضعهما اذ بالبلاطة قد انكسرت ، فشرع بانشاء منحرفتين على نمطهما حتى اتمهما ، غير انه رسمهما على الافق الحقيقي فاختل العمل بهما ، ولم ينتفع بهما كالاولتين ، وقد حصل له اثناء العمل معاكسات من اهل دمشق، وهجاه بعض ذوي الخلاعة والعقل المنحرف ، ثم انه رسم منحرفتين على الافق المرئي ، ووضعهما في جامع الدقاق ، وكانت وفاته سنة [1]

(1) لم يذكر المؤلف سنة الوفاة .

قلت : وله رسالة سماها « النجوم الزاهرة في العمل بالربع المجيب بلا مري ولا دائرة » ، وله « الزيج المشهور » ذكره صاحب « كشف الظنون » ، ورايتـه انا ايضا وطالعت فيه ، واختصره شمس الدين الحلبي وسماه « الدر الفاخر » ، وصححه الشيخ شهاب الدين احمد بن غلام الله بن احمد كاسب الكومي الريشي بجامع الملك الجديد ، وسماه « نزهة الناظر في تصحيح زيج ابن الشاطر » ، ثم اختصره وسماه « اللمعة في حل الكواكب السبعة » ، ولخصه ايضا محمد بن علي بن ابراهيم الشهير بابن زريق الخيري الشافعي الموقت ، وسماه « الروض العاطر في تلخيص زيج ابن الشاطر » وقرات في رسالة « العمل بالربع المجيب بلا موري » تصنيف الشيخ جلال الدين محمد بن علي الجويني مالفظه : اعلم اني لما وجدت غالب ما يحدث من الخلل في الربع المجيب الموري ، وذلك لان الخيط اذا شد تحول الموري عن مركزه ، وكذلك اذا ارخي ، فتختلف الاعمال ولاتكون غالبا الا تقريبية ، ولم اجد ما يفي باصلاح ذلك ، مع أن العلامة الشيخ علاء الدين ابن الشاطر رحمه الله تعالى وضع رسالة في العمل بالربع المجيب بلا موري ، لكنه قيده في غالب الأعمال بعرض دمشق ، ومع ذلك زاد في أوضاع الربع المدارات الثلاث وخطي الطول والعرض والمدارات اليومية ، ثم جاء بعده تلميذه شمس الدين الخليلي واصلح من ذلك شيئا يسيرا ، لكن سلك في ذلك طرقا يعسر فهمها على المبتدىء ، ولا يفتقر اليها المنتهي ، ونقل عنه من ذلك شيئا يسيرا العلامة الشيخ بدر الدين سبط المارديني في « ستينيته » ؛ ولو اهتدى الى هذه الطريقة التي سلكتها في هذه الرسالة لما صدر رسالته بأعمال الموري ، وقد يسر الله ، وله الحمد والمنة ، ما صعب على أولئك الافاضل ، وعسر على كل لبيب كامل ، مع أني سلكت في أعمال هذه الرسالة من الطرق أسهلها ، ومن الأعمال أصحها ، ومن الوجوه أقربها . هذا كلامه ، ومنه يعلم أن ابن الشاطر هو المخترع لهذا العمل ، وإن لمن بعده التهذيب والتقريب ، وكفاه بذلك افتخارا . انتهى .

أقول : ثم اني اطلعت له على رسالة مطولة سماها « تسهيل المواقيت في العمل بصندوق اليواقيت » وهي آلة اخترعها ، وجعل هذه الرسالة لبيان العمل بها ، فعلمت منها أن له اختراعات كثيرة في هذا الفن ، ورايت له رسالة تحتوي على خمس وخمسين ومائة مسألة من الأعمال الفلكية بناها على طريقة فن الجبر . وفي « كشف الظنون » انه توفي سنة سبع وسبعين وسبعمائة .

وقال في « شذرات الذهب » في حوادث سنة خمس وسبعين وسبعمائة : علي بن ابراهيم

ابن محمد الدمشقي ابن الشاطر ، ويعرف أيضا بالمطعم الفلكي ، كان أوحد زمانه في ذلك ، مات ابوه وله ست سنين فكفله جده ، واسلمه لزوج خالته وابن عم ابيه علي بن ابراهيم فعلمه تطعيم العاج ، وتعلم علم الهيئة والهندسة والحساب ، ورحل بسبب ذلك الى مصر والاسكندرية ، وكانت فضائله لاتنكر ، وكان لايفخر بعلومه ، وله ثروة ومباشرات ودار من احسن الدور وضعا واغربها ، وله الزيج المشهور ، والأوضاع الغريبة المشهورة التي منها البسيط(١) الموضوع في منارة العروس بجامع دمشق ، يقال : ان دمشق زينت عند وضعه فيها . انتهى .

ابن رستم

رضوان بن محمد بن علي بن رستم الخراساني فخر الدين الشهير بابن الساعاتي .

قال ابن ابي اصيبعة : كان مولده ومنشؤه بدمشق ، وكان ابوه من خراسان ، وانتقل الى الشام واقام بدمشق الى ان توفي ، وكان أوحد عصره في معرفة الساعات وعلم النجوم ، وهو الذي عمل الساعات التي عند باب الجامع الأموي في دمشق ، وضعها ايام الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، وكان له منه الانعام الكثير والجامكية والجراية لملازمته للساعات ، وبقي على ذلك ايام حياته . ولم يؤرخ وفاته في « طبقات الاطباء » . وترجمه الصفدي بقريب مما تقدم ، ولم يؤرخ وفاته ايضا . وخلف ولدين : احدهما الشاعر المشهور بابن الساعاتي ، والثاني رضوان وكان طبيبا مشهورا بفنه ، وله مؤلفات عديدة .

الحارثي المهندس

مؤيد الدين الحارثي ٥٢٩—٥٩٩

هو مؤيد الدين ابو الفضل احمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي ، كان مولده ومنشؤه بدمشق ، وكان يعرف بالمهندس لجودة معرفته بالهندسة وشهرته بها قبل ان يتحلى بمعرفة صناعة الطب ، وكان في اول امره حجارا وينحت الحجارة ايضا ، وكان تكسبه بصنعة النجارة ، وله اليد الطولى بها ، والناس كثيرا ما يرغبون في اعماله ، واكثر ابواب البيمارستان الكبير الذي انشاه نور الدين من نجارته وصنعته ، ثم انه حبب اليه العلم ، فاقبل على كتاب أوقليدس ، وكان يومئذ يشتغل في مسجد خاتون تحت المنيبع فكان في كل غداة لايصل الى محل شغله الا وقد حفظ منه شيئا وحله في

(١) واهل دمشق اليوم يسمونه البسيط .

طريقه ، واذا فرغ من العمل مساء فعل ذلك حتى حله كله وفهمه فهما جيداً وقوي فيه ، ثم اقبل على كتاب المجسطي وشرع في قراءته وحله ، واشتغل ايضا بصناعة النجوم والزيجات ، ولما أتى الشرف الطوسي الى دمشق وكان فاضلا في الهندسة والعلوم الرياضية ، قرا عليه واخذ عنه شيئا من معارفه ، ثم اقبل على صناعة الطب ، ٥ وهو الذي اصلح الساعات التي بجامع دمشق الأموي ، وكان له على مراعاتها وتفقدها جامكية يأخذها ، وكان له جامكية ايضا من البيمارستان النوري لكونه كان طبيبا فيه ، واشتغل بالحديث والأدب والنحو ، وكان له نظم ذو درجة وسطى ، توفي سنة تسع وتسعين وخمسمائة عن نحو سبعين سنة . ومن مؤلفاته : رسالة في « معرفة رمز التقويم » ، مقالة في «رؤية الهلال» ، «اختصار كتاب الاغاني الكبير» لأبي الفرج الاصبهاني ١٠ في عشر مجلدات ، ووقفه في الجامع مضافا الى الكتب الموقوفة في مقصورة ابن عروة ، كتاب في « الحروب والسياسة » ، كتاب في « الادوية المفردة على ترتيب حروف ابجد » . قاله في « طبقات الاطباء » ملخصا . وقال الصفدي : كان ذكيا ، استاذا في نجارة الدف ونقش الرخام وضرب الخيط .

وله من قصيدة مدح بها القاضي محي الدين ابن الزكي :

١٥ خصصت بالآب لما ان رايتهم	دعوا بنعتك اشخاصا من البشر
ضد النعوت تراهم ان بلوتهم	وقد تسمي بصيرا غير ذي بصر
والنعت مالم تك الأفعال تعضده	اسم على صورة خطت من الصور
وبالحقيق بـه لفظ يطابقـه الـ	ـمعنى كنجل القضاة الصيد من مضر
فالدين والملك والاسلام قاطبة	برايه في امان من يد الغير
٢٠ كم سن سنة خير في ولايته	وقام لله فيها غير معتذر

هذا وكان بالجامع عدد وافر من الموقتين الا انهم لم يشتهروا اشتهار هؤلاء ، فلذلك أضربنا عن ذكرهم ، وربما ترجمنا بعضهم اثناء تراجم المشاهير من الدمشقيين .

التكية المسماة (بالأحمدية)

احمد شمسي

حكى المحبي في « تاريخه » أن احمد باشا المعروف بشمسي نائب الشام هو الذي بنى التكية بالقرب من سوق الاروام[1] .

حرف الباء

جامع (برسباي)

برسباي الناصري
٠٠٠–٨٥٢

بمحلة سوق صاروجا ، مشهور ، والناس يسمونه جامع الورد ، انشاه برسباي ؛ وفرغ من انشائه سنة ثلاثين وثمانمائة ، وتقدمت ترجمة الباني عند الكلام على التربة البرسبائية .

جامع (پرويز)

پرويز بن عبد الله
٠٠٠–١٠١٥

ذكره المحبي في « تاريخه » فقال : الامير پرويز بن عبد الله الامير الكبير احد اعيان كبراء دمشق واصحاب الراي والتدبير ، وكان اميرا جليل القدر عالي الهمة ، نافذ القول محترما ، يتردد اليه نواب الشام وقضاتها ، ويصدرون عن رأيه ، وهو في الاصل من ارقاء علي چلبي دفتري الشام سابقا الذي كان يسكن بمحلة القيمرية ، فتنقل في مراتب الاخيار حتى صار امير الامراء ، وتقاعد وعمر مسجدا بالقرب من داره بمحلة القيمرية ، ويعرف الآن به ، ورتب له اماما ومؤذنا واجزاء . وبالجملة فقد كان من اصحاب المروءات والوجاهة والمآثر الفائقة ، ولم يسمع عنه زلة ، وبلغ من العمر نحو تسعين سنة او قارب المائة ، وقتل في محاربة علي بن جانبولاذ سنة خمس عشرة والف .

حرف التاء

جامع (تنكز)

تقدم الكلام عند شرح حال المدرسة التنكزية ، وهو جامع بديع الهندسة والاتقان ؛

(1) بعد هذا في الاصل بياض قدره صحيفتان واربعة اسطر . وقد قدمنا الجامع الاموي على هذه التكية لاهميته .

سيف الدين تنكز

في اول الشرف القبلي ، وهو الآن مدرسة لتلامذة الجند العسكري[1] وفي وصفه قال ابن صدقة :

وافيت جامع تنكز فوجدته	متفردا بين الرياض وحيدا
لم صرت وحدك ههنا فاجابني	لما جمعت الحسن صرت فريدا

جامع (التوبة)

الملك الأشرف موسى

هو بمحلة العقيبة ، مشهور ، بناه الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وكان محله يعرف بخان الزنجاري ، وكان به كل مكروه من القيان وغيرهن ، فعمره الأشرف جامعا . قال ابن شداد : ثم ولي خطابته الشيخ يحيى ابن عبد العزيز بن عبد السلام الملقب والده بسلطان العلماء ، فجدد قبلته ومحرابه ، وذهبه، وبيض اساطينه البرانية واروقته الشمالية ، وصانه اتم صيانة ، وجدد له ربعا ووقفه عليه . ومن النوادر المتعلقة بهذا الجامع ما حكاه في « شذرات الذهب » قال : كان بمدرسة الشامية امام يعرف بالجمال السبتي ، وكان شيخا حسنا صالحا ، وكان في صباه يلعب بملهاة تسمى بالجفانة ، ثم حسنت طريقته وصار معدودا من الاخيار ، فولاه الأشرف خطيبا ، فلما تولى مكانه العماد الواسطي الواعظ ، وكان متهما بشرب الشراب ، وكان ملك دمشق في ذلك الوقت الملك الصالح ابا الجيش ، فكتب اليه الجمال عبد الرحيم ابن الزويتية :

يامليكا اوضح الحـ	ـق لدينا وابانه
جامع التوبة قد	قلدني منه الأمانه
قال : قل للملك الصالح	اعلى الله شانه
يا عماد الدين يامن	حمد الناس زمانه
قد الي فاتا	في ضر بؤس واهانه
لي خطيب واسطي	يعشق الشرب ديانه
والذي قد كان من قبل	يغني بالجفانه
فكما كنت كذا صر	ت فلا ابرح حانه

(١) كان هذا في زمن تأليف الكتاب اما اليوم ففيه الثانوية الشرعية التي تديرها وزارة الاوقاف .

ردني للنمط الأو   ل واستبق ضمانه (١)

حرف الجيم

الجامع (الجديد)

بالعمارة مقابل خان كان يقال له : خان السيد ، ويسمى الآن بالمعلق ، ومحله يقال له: بين الحواصل ، وهو جامع حسن نزه ، يصعد اليه بسلم حجر ، وهو مبني بالحجر الابلق ، وله منارة شاهقة تطل على بابه ، وشبابيكه تطل على نهر بردى ، وله صحن وبركة وايوان دائرة ، وله باب ثان . وفي سابع عشر ربيع الثاني سنة ثمان وخمسين والف نزلت صاعقة فاصابت راس المنارة ، فهدمت شيئا من بنائه ، فتكفل نائب الشام يومئذ بعمارة ما خرب ولكنه لم يعده كما كان .

جامع (جراح)

خارج باب الصغير وهو معروف ، وكان من قبل مسجدا للجنائز كبيرا ، وفيه بئر ،

---

(١) كذا في الاصل ، وقال النعيمي في « الدارس » : « ولم يزل بها — أي العماد الواسطي — الى ان اخرج عن دمشق لامور انكرت عليه ، وقد نظم في ذلك أبياتا شرف الدين بن نبي فقال :

يامليكا ملا الرحمن بالعدل زمانه
جامع التوبة قد   حملني عنه امانه
قال : قل للملك الاشرف أعلا الله شانه
لي امام واسطي   يعشق الخمر ديانه
والذي قد كان من   قبل يغني بالجفانه
فكما كنت وما زلت ولا أبرح حانه
فاعدني النمط الاو   ل واستبق ضمانه

انتهى . واخبر المولى البهاء محمد بن النحاس ان الصدر المرحوم جمال الدين ابن زوبية انشده هذه الأبيات لنفسه (والبيت الأول) :

يا مليكا قد اتام   العدل فينا وابانه

وبعده :

قال قل للملك الاشرف أعلا الله شانه
كم الى كم انا في   ذل وبؤس واهانه
والذي قد كان من   قبل يغني بجفانه
فكما نحن وما زلنا وما نبرح حانه

جراح المقحي

فلما خرب جدده جراح المقحي ، ثم انشاء الملك الأشرف موسى جامعا سنة احدى وثلاثين وستمائة ، وجدد معه مسجدا بدار السعادة داخل باب النصر ، واوقف عليهما قرية الرعيفتية من اعمال مرج دمشق، ثم احترق ايام الملك الصالح عماد الدين اسماعيل سنة اثنتين واربعين وستمائة ، فجدد بناءه مجاهد الدين محمد ابن الامير غرس الدين قليج النوري سنة اثنتين وخمسين وستمائة ، ثم دثر سنة اربع وسبعين وتسعمائة من حريق اتصل به ، ووقع الخلف بين من يعمره : اهو مصطفى باشا والي باشا ، أو سنان بك اغا اليكجرية ، او من مال السلطنة ؟ ثم اعرض كل منهما عن بنائه وتركاه ، فانتدب الكمال الحمراوي وحث همة اصحاب الخير ، فجمع له مبلغا وافرا ، وضمن انه يكمل مانقص من ماله ، فعمره على صورته التي هو عليها الآن .

جامع (الجوزة)

القاضي بدر الدين

هو معروف عند المحكمة المسماة بالعونية نسبة الى قناة هناك كانت تسمى قناة العوني ، وكان من قبل صغيرا ، وفي سنة ثلاثين وثمانمائة وسعه القاضي بدر الدين ناظر الجيش وجعله جامعا . قاله الأسدي في « تاريخه » .

حرف الحاء

جامع (الحاجب)

بسويقة صاروجا ، فرغ من بنائه سنة ثمانين وثمانمائة .

مسجد (الحسودية)

هو بمحلة الحسودية خارج دمشق بالقرب من جامع يلبغا ، بناه فضل الله بن عيسى البوسنوي الحنفي نزيل دمشق . قال المحبي في ترجمته : هو الاستاذ الشهير والامام المتقن ، كان احد اعيان العلماء معرفة واتقانا وحفظا وضبطا للفقه وتفننا في علله ، مميزا لصحيح الاقوال من سقيمها ، مستحضرا لكثير من الفروع على تشعبها ، وكان عارفا بالاصلين والحديث وفنون الأدب حق المعرفة ، نظارا كثير الاشتغال ، تولى الافتاء في بلغراد ، ثم حج سنة عشرين والف ، ولما رجع توطن دمشق واشترى دارا داخل باب الجابية بمحلة الشيخ عمود ، ودرس بالمدرسة الأمينية ثم بالتقوية وفي الجامع الأموي،

وقرا عليه غالب اعيان الفضلاء في العلوم العقلية والنقلية ، وافتى مدة طويلة بدمشق ، وبنى المسجد المذكور ، ورتب فيه مبرات ، ووقف عليه حوانيت بسوق الرصيف قرب المدرسة الامينية احتكرها من وقف المدرسة المذكورة ، وكانت ولادته ببوسنه سراي في صفر سنة تسع وستين وتسعمائة وتوفي في صفر أيضا سنة تسع وثلاثين والف ، ودفن بمقبرة الباب الصغير بالقرب من حضرة بلال الحبشي رضي الله عنه . ٥

جامع (الحشر)

أرغون شاه

تحت القلعة من الجانب الغربي ، وكان يسمى بالحدر ، شمالي دار السعادة ، بناه ارغون شاه ، وهو جامع قديم جدده سنان جاويش الينكجرية في سنة ثمان بعد الالف فجاء على احسن ترتيب ، قتله الينكجرية سنة عشر بعد الالف .

جامع (الحنابلة) ١٠

أبو عمر المقدسي

ويقال له : جامع الجبل ، والجامع المظفري ، وهو بسفح قاسيون معروف ومشهور ، شرع في بنائه الشيخ ابو عمر محمد بن احمد بن قدامة المقدسي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، فانفق عليه رجل يقال له : الشيخ ابو داود محاسن التامي ؛ الى ان بلغ البناء قامة فنفد ما كان معه . ثم ان الملك المظفر كوكبوري صاحب اربل بلغه ان الحنابلة بدمشق شرعوا في بناء جامع بسفح قاسيون فعجزوا عن العمل ، فارسل اليهم ثلاثة ١٥ الاف دينار اتابكية ، وامر بأن ينفق عليه حتى يتم ، وما بقي يشترى به وقف ويوقف عليه ؛ فاتم ابو عمر بناءه ، وجعل منبره ذا ثلاث درج كدرج منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ان المظفر ارسل الف دينار ليساق اليه الماء من قرية برزة ؛ فمنعهم الملك المعظم صاحب دمشق ؛ واعتذر بان في طريقه قبورا كثيرة للمسلمين ؛ فصنع له بئرا عليه مدار ، ووقف عليه اوقافا تقوم به ؛ وهو باق الى الآن . ٢٠

الملك المظفر كوكبوري

هو ابو سعيد كوكبوري ابن الأمير زين الدين علي كوجك التركماني ؛ ومعنى كوجك اللطيف القدر . ولي مظفر الدين مملكة اربل بعد موت ابيه وله اربع عشرة سنة ،

فتعصب عليه اتابك مجاهد الدين قيماز ، وكتب محضرا بأنه لايصلح للملك لصغره ، واقام مكانه اخاه يوسف ، فسكن حران مدة ، ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين وتمكن منه ، وتزوج بأخته ربيعة واقفة مدرسة الصاحبة بشرقي الصالحية ، وشهد معه عدة مواقف ظهرت فيها شجاعته واقدامه وكان حينئذ على امرة حران والرها ،
٥ فقدم اخوه يوسف منجدا لصلاح الدين فاتفق موته على عكا ، فاعطى السلطان صلاح الدين لمظفر الدين اربل وشهر زور ، واخذ منه حران والرها ، ودامت ايامه الى ان توفي سنة ثلاثين وستمائة ، وكان من ادين الملوك واجودهم واكثرهم برا ومعروفا على صغر مملكته . قاله ابن شقدة في « منتخب الشذرات » .

وقال ابن خلكان : واما سيرته ، فله في فعل الخيرات عجائب ، ولم نسمع ان احدا
١٠ فعل في ذلك مثل ما فعله ، لم يكن شيء في الدنيا احب اليه من الصدقة ، وكان له في كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز يفرقها على المحاويج في عدة مواضع من البلد ، واذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع جمع كثير عند الدار ، فيدخلهم اليه ، ويدفع لكل واحد كسوة على قدر الفصل من الصيف والشتاء وغير ذلك ومع الكسوة شيء من الذهب ، وكان قد بنى اربع خانقات للزمنى والعميان وملأها من هذين الصنفين ، وقرر لهم
١٥ مايحتاجون اليه كل يوم ، وكان يأتيهم بنفسه كل يوم اثنين وخميس بعد العصر ، ويدخل الى كل واحد في بيته ويسأله عن حاله ويتفقده بشيء من النفقة ، وينتقل الى الآخر حتى يدور عليهم جميعهم وهو يباسطهم ويمزح معهم ويجبر قلوبهم ، وبنى دارا للنساء الارامل ، ودارا للضعفاء ، ودارا للأيتام ، ودارا للقطاء ، ورتب بها جماعة من المراضع ، وكل مولود يلتقط يحمل اليهن فيرضعنه ، واجرى على اهل كل دار ما يحتاجون اليه
٢٠ في كل يوم ، وكان يدخل اليهم في كل يوم ويتفقد احوالهم ويعطيهم النفقات زيادة على المقرر لهم ، وكان يدخل على البيمارستان ويقف على مريض مريض ويسأله عن مبيته وكيفية حاله وما يشتهيه ، وكانت له دار مضيف يدخل اليها كل قادم على البلد من فقيه وفقير وغيرهما ، واذا عزم الانسان على السفر اعطاه نفقة تليق بمثله ، ولم تكن له لذة بسوى السماع ؛ فانه كان لايتعاطى المنكر ولا يمكن من ادخاله البلد ، وكان اذا طرب في
٢٥ السماع خلع شيئا من ثيابه واعطاه للناشد ونحوه ، وكان يسير في كل سنة دفعتين من اصحابه وامنائه الى بلاد الساحل ومعهم جملة مستكثرة من المال يفك به اسرى المسلمين من ايدي الكفار ، فاذا وصلوا اليه اعطى كل واحد شيئا ، وان لم يصلوا فالأمناء

يعطونهم بوصية منه ، وكان يقيم في كل سنة سبيلا للحاج ، ويسيّر معهم جميع ما تدعوا اليه حاجة المسافر في الطريق ، ويسير أميرا معه خمسة آلاف دينار ينفقها في الحرمين على المحتاجين وارباب الرواتب ، وله بمكة حرسها الله آثار جميلة ، وهو اول من اجرى الماء الى جبل عرفات وغرم عليه جملة كثيرة ، وعمل بالجبل مصانع للماء ، واما احتفاله بمولد النبي صلى الله عليه وسلم فان الوصف يقصر عن الاحاطة به، ٥
كان يعمله سنة في الثامن من شهر ربيع الاول وسنة في الثاني عشر لأجل الاختلاف الذي فيه ، فاذا كان قبل المولد بيومين اخرج من الابل والبقر والغنم شيئا كثيرا يزيد على الوصف ، وزفها بجميع ما عنده من الطبول والمغاني والملاهي حتى يأتي بها الميدان ، ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة ، فاذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد ان يصلي المغرب في القلعة ، ثم ينزل وبين يديه من الشموع ١٠
الموكبية التي تحمل كل واحدة على بغل ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل ، فاذا كان صبيحة يوم المولد انزل الخلع والبقج وخلع على كل واحد من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ، ودفع لكل واحد نفقة وهدية وما يوصله الى وطنه . انتهى ما اورده ابن خلكان ملخصا . وقال ابن قاضي شهبة في « تاريخ الاسلام » بعد كلام طويل وثناء جميل : قال جماعة من اهل اربل : كانت نفقته على المولد في كل سنة ١٥
ثلاثمائة الف دينار ، وعلى الأسرى مائتي الف دينار ، وعلى دار المضيف مائة الف دينار ، وعلى الخانقاه مائة الف ، وعلى الحرمين والسبيل وعرفات ثلاثين الف دينار غير صدقة السر . انتهى كلام ابن قاضي شهبة .

أقول : ان للناظر في كتابنا هذا ان يقول : هذه الأموال التي كان ينفقها هل كانت من مال له خاص ، أو من مال الرعية فاستبد بها وبذرها ؟ ولمَ لم ينفقها في مصالح ٢٠
المسلمين وتقوية شوكتهم مع احتياج وقته الى ذلك ؟! فرحمه الله ورحم أمثاله ، ما كان ابعدهم عن مرامي السياسة ! توفي في السنة المذكورة سابقا وهي سنة ثلاثين وستمائة بقلعة اربل ، وحمل الى مكة ليدفن في الحرم ، فلما وصلوا به الى الكوفة لم يتيسر لهم الوصول ، ولم يتفق وصول الحاج اليها لقطع التتار الطريق عليهم ، فدفن عند امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه . ٢٥

وأنت تعلم ان البلاد في زمنه كانت في ضيق وخوف شديد من الاعداء التي تكتنفها ، ومثله مغموس في الملاهي ومحبة العظمة والأبهة ، وكان ذلك قدرا مقدورا !

جـامع (الحيوطية)

علي بن حيوط

قبلي محلة قبر عاتكة . قال ابن طولون في تاريخه المسمى « بفاكهة الخلان في نوارل الزمان » : انشا هذا الجامع الأمير علي بن حيوط قبلي محلة قبر عاتكة ، شرقي الشويكة ، على الجانب الغربي والشمالي من بستان الصاحب ، وهو جامع حسن نزه ، اخذه من بيته وجعله جامعا ، ووقف عليه جهات عديدة ، واقيمت به الجمعة سنة ٥ خمس وثمانين وثمانمائة .

حـرف الخـاء

جـامع (خيلخان)[١]

نجم الدين ابن خيلخان

خارج باب كيسان من الجانب القبلي ، وقد ادخل اليوم في بستان له يقال له : ١٠ بستان الأمير ، ولم يبق من آثاره اليوم الا بعض منارته وقبر الى جانبها ، وقد شاهدته انا ومحمد افندي شعيب الجندي احد تلامذة المدرسة السلطانية بدمشق سنة ١٣٣٣ . انشاه نجم الدين ابن خيلخان سنة ست وثلاثين وسبعمائة ، واول من خطب به الامام ابن القيم .

حـرف الدال

١٥ جـامع (داريا)

نور الدين ابن زنكي

كان هذا المسجد أولا عند قبر ابي سليمان الداراني ، فاحرقته الفرنجة لما اخذت داريا ايام مجير الدين ابق ، فأمر السلطان نور الدين بعمارة هذا الجامع سنة خمس وستين وخمسمائة ، وجعله وسط البلد ، وفي هذه السنة عمر مشهد ابي سليمان الداراني . قاله الأسدي .

٢٠ جـامع (الدرويشية)

درويش باشا ٠٠٠—٩٨٧

بناه درويش باشا بالمحلة المنسوبة اليه وكانت قبلا تسمى بالاخصاصية ، قبلي دار السعادة ، وكان محله مسجدا صغيرا ، فعمره جامعا نزها ، ورتب فيه الوظائف لما كان حاكما بدمشق ، وتم بناؤه سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة . قال في « منتخب الشذرات » : وفي هذه السنة يعني المذكورة عمر درويش باشا الوزير جامعا بدمشق ، فجعل له مامية ٢٥ تاريخا ، فقال :

(١) كذا في الاصل ، وفي « الدارس » : « الخليخاني » .

في دولة السلطان بالعدل مراد	من قام بالغرض واحيا السنه
درويش باشا قد اقام معبدا	وكم له اجر به ومنه
بناه خير جامع تاريخه	لله فاسجد واقترب بجنه

انتهى . ووقف عليه اوقافا دارة ، وجعل به مدرسين حنفيا وشافعيا ، فدرس به من الشافعية الشيخ اسماعيل النابلسي ، ثم الحسن البوريني ، ثم الشيخ عبد الغني ابن الشيخ اسماعيل النابلسي ، ثم ولده الشيخ اسماعيل ، وذلك بموجب شرط الواقف . وعمر درويش باشا مقابل هذا الجامع من الجهة القبلية مكتبا وتربة حسنة ودفن بها . ورايت مكتوبا في القيشاني المبني به محرابه الذي في صحن الجامع هذين البيتين :

ياحسنه من جامع ما مثله	باشر فيه رجب بهمته
ومن رب العرش في تاريخه	جزاؤه قصر زهى في جنته

وفي حائطه الشمالي بركة ماء مكتوب في صدرها :

هذا سبيل بل سلسبيل	يحيي عليلا يشفي غليلا
وزمزم الماء فيه يجري	عند مقام حوى جليلا
اجراه اجرا فادخره	درويش باشا بنى سبيلا

أي في سنة سبع وثمانين وتسعمائة . وقال في « شذرات الذهب » ما حاصله : وفي سنة سبع وثمانين وتسعمائة توفي درويش باشا ابن رستم باشا الرومي ، تولى ايالة دمشق ، وعمر بها الجامع خارج باب الجابية لصيق المغربية ، وعمر الحمام داخل المدينة بالقرب من الأموي ويعرف الآن بحمام القيشاني ، وعمر القيسارية والسوق والقهوة ، ووقف ذلك فيما وقفه على جامعه ، وشرط تدريسه للشيخ اسماعيل النابلسي وكان خصيصا به ، وعمر الجسر على نهر بردى عند عين القصارين بالمرجة ، ومات ببلاد قرمان ، ونقل تابوته الى دمشق فدفن بها . انتهى .

اقول : جميع عماراته باقية ، ولكن الحمام صار سوقا فزاد نفعه عما كان عليه . قال العدوي : وكانت ولايته بدمشق ثلاث سنين وستة اشهر رحمه الله تعالى .

جامع (دك الباب)

هو بطريق الصالحية للذاهب الى الجسر الأبيض [1] .

(1) بعد هذا في الاصل بياض قدره سبعة اسطر .

حـرف السين

جـامع (السقيفة)

هو خارج باب توما معروف ومشهور ، بناه سنة اربع عشرة وثمانمائة رجل يقال له : خليل الطوغاني ، كان راس نوبة في دار السعادة . قال ابن قاضي شهبة : كان محله يعرف بالسبعة ، فبناه الطوغاني ، وجعل له شبابيك على النهر فجاء حسنا ، ورتب فيه خطيبا ومؤذنين وقارئا للحديث ، وتوفي سنة خمس عشرة وثمانمائة . قال : ودفن بدمشق ، وكان شيخا ان لم يكن من الظلمة فهو من اعوانهم .

خليل الطوغاني ٠٠٠–٨١٥

التكية (السليمانية)

في سنة اثنتين وستين وتسعمائة بنى السلطان سليمان خان جامعا وتكية بالميدان الأخضر المسمى اليوم بالمرجة مكان قصر الملك الظاهر بيبرس ؛ فاخذت آلات القصر وجعلت فيه ، واضيف اليها ما يحتاج البناء اليه ، فجمع من الالات والاحجار والرخام الصافي والملون والقباب والصنائع والترصيص ما يحير فيه الناظر ويشرح الخاطر ، ويشتمل على حجرات وخلاوي ، كل خلوة بقبة واوجاق وشبابيك الى الجامع ، ومطبخ ، ومطعم ، ومئذنتين شرقية وغربية كانهما ميلان ، واما القبة والمنبر والمحراب ففي غاية الاتقان ، وفي الجانب القبلي من الجامع جنينة بديعة المنظر . قاله الشيخ محمود العدوي ، وقال : ثم تجددت مدرسة الى جانب التكية السليمانية برسم التدريس سنة اربع وسبعين وتسعمائة من زوائد التكية المذكورة ، فجاءت محكمة البناء حلوة الشمائل . انتهى . وهذا كله من آثار السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان الحادي عشر من ملوك بني عثمان ، المتوفى سنة اربع وسبعين وتسعمائة ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة .

السلطان سليمان ٠٠٠–٩٧٤

مسجد (سنان آغا)

على حافة نهر بردى خارج باب الفرج ، في المحلة التي تسمى بالمناخلية من الجانب الغربي ؛ كان في أيامه مسجدا قديما ضيقا ، وبجانبه اماكن مشعثة ومسلخ ومخازن ، فجعل سنان آغا الينكجرية هذا المكان كله جامعا ، وضمه الى الأول وزاد فيه ، وجعل له منبرا ومئذنة لطيفين . قاله العدوي ، ولم يؤرخ ايام بنائه .

سنان آغا

جامع (السنانية)

هو مشهور معروف عند باب الجابية ، وكان موضعه أولا مسجدا يقال له : مسجد البصل ، فجدده سنان باشا ، وجعله جامعا عظيما ، وتمت عمارته سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، فجاء جامعا لجميع المحاسن جامع ، واوقف عليه اوقافا عظيمة ، والذي بناه هو يوسف بن عبد الله سنان باشا الوزير الأعظم . قاله نجم الدين الغزي في تاريخه « لطف السحر » ، وقال : هو صاحب الخيرات الكثيرة والمبرات الغزيرة حتى قيل : انه انشا اربعين مسجدا جامعا يخطب على منابرها في اقطار المملكة العثمانية غير الجسور والخانات ، وكان كل ما مات مملوك له أو مولى حفظ ما يرثه منه أو يتناوله من بعده فيعمر به مسجدا او غيره، وعمر بدمشق جامع السنانية خارج باب الجابيــة ، وعمر خارج دمشق جامعا بسعسع ، وجامعا وخانا بالقطيفة ، وجامعا بعيون التجار ، وعند كل جامع تكية مضمومة اليه ، ولي الوزارة للسلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان ، ثم عزل عنها ، ثم اعيد وهو وزير أعظم ، وولي دمشق في اثناء ذلك في اوائل سنة خمس وتسعين وتسعمائة ، وفيها ابتدا خارج باب الجابية بعمارة السنانية ، وحضر تاسيسها ، واحضر جمعا من العلماء والمؤذنين ، وولى على عمارتها وعمارة السوق الامير محمد بن منجك ، وضم اليه اثنين ، ثم خرج من دمشق معزولا ، وولى بعده خسروباشا الطواشي ، ثم اعيد سنان باشا الى الوزارة ، وبقي بها حتى مات سنة اربع بعد الالف.

سنان باشا ٠٠٠–١٠٠٤

مسجد (السويقة المحروقة)

قال في « سلك الدرر » في ترجمة محمد بن ابي بكر المعروف باليتيم الدمشقي العاتكي الصوفي المتوفى سنة خمس بعد الألف : كان في اول امره يتكسب ببيع القهوة بالسويقة المحروقة ، وكانت قهوته مجمع الصالحين ، وكان الى جانبه حوش يجمع بنات الخطا ، فاستاجره ، واخرجهن منه ، واتخذ فيه مسجدا ، قال : وهذا هو المكان الذي يثبت فيه المرادية ، ويقال : ان داخل حرمها بناه مراد باشا نائب الشام في سنة ست وسبعين وسبعمائة .

محمد اليتيم الدمشقي ٠٠٠–١٠٠٥

ترجمة مراد باشا

هو مراد باشا ، كان وزيرا ايام السلطان احمد ، ترجمه المحبي بترجمة طويلة اقتصرنا

مراد باشا ٠٠٠–١٠٢٠

منها على ذكر ما انشاه وبناه لمناسبته لموضوع كتابنا ، **فنقول** : تولى المترجم الحكم باليمن، وله بها آثار منها جامع في قصر صنعاء ، واجرى له غيلا(١) من جبل نقيم وانقطع في زمن حسن باشا الوزير ، وبنى ايضا قبة عظيمة على قبور السادة بني الاهدل بزبيد ، ورفع عن الرعية جملة من المظالم والبدع ، ونشر عدله في الجبال ، وكان مع ذلك سفاكا للدماء ، كان يحب العلماء ويميل الى الصلحاء ، ثم عزل عن اليمن واعطي حكومة قرمان ، وامر بالسفر مع الوزير الاعظم الموجه الى تبريز ، فاسرته العجم في الواقعة ، ولما تخلص من الاسر ولاه السلطان مراد نيابة دمشق ، فعمر بها السوق الذي عند باب البريد وكان يعرف بسوق الطواقية ، شرع في تعميره في اواخر اثنتين بعد الالف ، فهدم الحوانيت القديمة وجدد بناءها ، ووسع الطريق ، ورفع السقف ، وبنى على مربعة باب البريد قبة عظيمة عالية ملاصقة للعمودين العظيمين الباقيين عن يمين باب البريد وشماله ، فجاءت قبة حسنة وجاء البناء محكما حسنا ، واخذ البيوت التي وراءه وعمرها وكالة حسنة ، وامر ان يسكن فيه تجار سوق السباهية ، فنقلوا اليه برهة حتى مات ، ثم اعيدوا الى سوقهم ، ثم عمر الى جانبه سوقا آخر ونقل اليه تجار سوق الذراع ، وكان تمام العمارة سنة خمس بعد الالف . وقال ابو الطيب الغزي في تاريخ الوكالة :

هاك تاريخا سماله	بدر هالات الغزاله
جملة الملك بهاء	وسخاء وبساله
صح في آخر شطر	ضمن الدر مقاله
ولي الشام مراد	فبنى خير وكاله

والوكالة اسم للخان كما هو معروف في عرف المصريين ، والدمشقيون يسمونه قيساريه . **قلت** : هذه الابنية بعضها تبدلت اوضاعها وبعضها عرضة للتبديل . واما القبة فقد هدمت سنة(٢) لما بني السوق وتبدلت اوضاعها ، ولم يبق سوى الأعمدة العظيمة التي عن يسار ويمين الداخل الى الجامع من جهة باب البريد ، وسيكون لها شان وترتيب بحفظها لتكون اثرا قديما معماريا يدل على سعة افكار القدماء في الفن المعماري والهندسة .

ثم ان مراد باشا وقف الجميع على الحرمين الشريفين ، ثم انفصل عن دمشق وولي حلب وديار بكر ، ثم اعطي ولاية روم ايلي مرتين ، ثم صار وزيرا وامر بمحافظة بغداد ،

(١) كذا في الاصل ، ولعله اراد بذلك الغيل وهو الماء الذي يجري بين الاشجار .

(٢) لم يذكر المؤلف سنة هدمها .

ثم تولى الوزارة العظمى ، وتقلبت به الأحوال السياسية الى أن خرج لقتال العجم ، فلما وصل الى ديار بكر ابتدا به المرض واسترسل معه الى ان توفي سنة عشرين والف ، وحمل مصبرا الى قسطنطينية فدفن بتربته التي احدثها لنفسه بمدرسته المعروفة به .

جامع (السياغوشية)

بحارة كانت تسمى بالقصاعين داخل باب الجابية . حكى المحبي في «تاريخه»، في ترجمة حسن باشا بن عبد الله الامير الكبير المعروف بشوربزه حسن أحد صدوردمشق واعيانها ، ان المترجم كان منتميا الى الوزير الاعظم سياغوش باشا ، فدفع اليه مالاوامره أن يبني له مسجدا بدمشق ، ويرتب فيه من يقوم بشعائره ، فبنى المسجد المعروف بالسياغوشية بالقرب من داره بحارة القصاعين داخل باب الجابية ، واحسن بناءه ؛ وكذا فعل معه الوزير الاعظم مراد باشا فعمر له سوق المرادية بباب البريد والخان وسوق الذراع، وجعلهوقفا على الحرمين. وقال : انحسنا المذكور ولي وقفالبيمارستان النوري ؛ فاقام شعائره بعد أن كانت اضمحلت ، وعمر اوقافه ، واتى فيه من حسن التنمية بما لا مزيد عليه . وكذلك عمر وقف البيمارستان القيمري وانماه ، وولي تولية الجامع الاموي بعد أن كاد وقفه يذهب ، فبذل جهده في ضبطه وتنميته ، وعمر حمام البزورية وقف دار الحديث النورية بامر الوزير احمد باشا الحافظ ، وصرف من ماله مبلغا واستوفاه من اجوره ، ثم سلمه لمتوليه بعد الاستيفاء ، وتوفي سنة سبع وعشرين والف . وكذلك عمر المذكور الخان المعروف بسوق جقمق ، ووقفه مع جملة عقاراته على ذريته[1] .

سياغوش باشا

حرف الصاد

الزاوية (الصمادية) والمسجد بها

بمحلة الشاغور بالقرب من الباب الصغير المسمى الآن بباب الشاغور . والذي يلوح من كتاب « الكواكب السائرة » للنجم الغزي أن الذي بناها محمد بن خليل الصمادي ؛ فانه قال : هو محمد بن خليل بن علي بن عيسى بن احمد بن صالح بن عيسى بن داود

محمد بن خليل الصمادي

(١) بعد هذا في الاصل بياض بمقدار اربعة اسطر .

ابن مسلم بفتح اللام مشددة الصمادي ثم الدمشقي الشافعي القادري شيخ الطريقة الصمادية بالشام ، كانت عمامته وشده من صوف احمر كما ذكره ابن طولون . والمعروف من حال الصمادية وضع الشدود الحمر والتعمم بالصوف الابيض ، ثم هم الآن يتعممون بالعمائم الخضر لثبوت نسبهم . وكان المترجم له مجالس حسنة ، وكان للناس فيه اعتقاد

٥ وخصوصا الاروام ، واجتمع بالسلطان سليم خان اثناء سفره الى بلاد الروم، واعطاه قرية كتيبة وراس الماء ، ثم استقر الأمر على أن عين له قرية كناكر التابعة لبلاد العجم ، وغلالها الى الآن تستوفيها الصمادية : بعضه لزاوية الشيخ محمد المذكور ، وبعضه لذريته ، واشتهر امره وامر آبائه من قبله بدق الطبول عند هيجان الذاكرين واشتداد الذكر ، فانكر عليهم جماعة ، واستفتي فيه محمد بن حامد الصفدي وابن قاضي عجلون فأفتيا

١٠ بالاباحة قياسا على طبل الحجيج وطبل الجهاد ، ثم استفتي فيه البدر الغزي فأفتى بالاباحة للعلة نفسها ، وكتب على السؤال مؤلفا بسط فيه القول. توفي المترجم سنة ثمان واربعين وتسعمائة ، ولم يدفن في نفس الزاوية لانه كان قد وقفها قديما ولكنه دفن بايوانها ، وخلف ثمانية عشر ولدا ودنيا واسعة . هذا كلام الغزي باختصار . ويظهر منه ان المترجم هو الذي بنى الزاوية ، وانه اول من استوطن دمشق من هذه العائلة . هذا

١٥ واني لأعجب من هؤلاء المفتين ومن قياسهم دق الطبل في الاذكار على طبل الجهاد وعلى طبل الحجيج ، ومن شرط القياس ان يكون الاصل المقيس عليه ثابتا بكتاب او بسنة او باجماع ، ثم هو من خصائص المجتهد ، ونحن نرى مثل هؤلاء يشددون النكير على من يقول بعدم انقطاع الاجتهاد وينسبونه الى البدعة ، ثم هم يجتهدون فيما لايسوغ فيه الاجتهاد ! ثم أي داع لجعل الضرب بالطبل عبادة ؟! وهل هو الا تشريع بما لم

٢٠ يأذن الله به ؟! وان كنت في ريب من احوال مثل هؤلاء فتأمل ما كتبه النجم الغزي في « الكواكب » في ترجمة هذا الرجل ، ثم حكم العقل فيه ، تعرف مبلغه من العلم والعقل وبلوغه رتبة الذكاء والتنبه وفقه النفس ! فانه قال : ان جماعة الصمادية كانوا يضربون الطبول قديما بين يدي شيخهم في حلقتهم يوم الجمعة بالجامع الأموي بعد الصلاة ، فامر احد الحكام بمنعهم من ذلك ، فاخرج الطبل الى خارج الجامع ، فدخل الطبل بنفسه

٢٥ يضرب عليه ولايرون له حاملا ولا ضاربا ، واستمر في هواء الجامع من باب البريد حتى اصطدم ببعض عواميد الجامع مما يلي جيرون . انتهى . ويمكن ان تكون هذه الحكاية هي التي اتخذها هؤلاء أصلا وقاسوا عليه ما ارادوا ، فمثلهم من ينبغي لنا ان نجعلهم قدوة

وتكتب مؤلفاتهم املا بالاستفادة منها ، فانا لله وانا اليه راجعون !

هذا ، وقال في « الكواكب » في ترجمة محمد بن محمد بن خليل الصمادي : ورتب السلطان سليمان على الصمادية مرتبا على قرية كناكر قدره في كل سنة ثمانون غرارة من الحنطة ، منها : اربعون لزاويتهم وفقرائها وروادها ، ومنها اربعون للذرية الشيخ محمد وهي باقية بايديهم الى الآن . توفي سنة اربع وتسعين وتسعمائة ، ودفن بزاويتهم داخل باب الشاغور . وحكى الغزي في « لطف السمر » في ترجمة مسلم ابن محمد بن خليل الصمادي انه حصلت بينه وبين عبد الرحيم الحلبي خليفة الشيخ محمد سعد الدين منازعة عظيمة بسبب ذلك الطبل حيث ان الحلبي كان معه طبل فقال له الصمادي : ان الطبل ليس من طريقة بني سعد الدين وانما هو مخصوص بنا وبمن اخذ عنا ، ثم حميت الفتنة بينهما حتى اسكتها الحكام بدمشق . وياليت قائلا قال للغزي وامثاله : هب انكم افتيتم بجواز الطبل للصمادية دون غيرهم ؟ فلله دركم ما اعلمكم بالحلال والحرام ! توفي مسلم المذكور سنة خمس عشرة والف .

مدفن (ابن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي)

السلطان سليم ٨٧٢-٩٢٦

لما دخل دمشق السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان ابن السلطان محمد خان تاسع ملوك بني عثمان ، كان على قبر ابن عربي تابوت من الخشب ، وكان بقربه مزبلة وحمام قديم منافعه معطلة ، وكان السلطان يحبه لاشتهار مصنفاته ببلاد الروم ، فأخذ مكاني المزبلة والحمام وعمرهما جامعا بمنبر ومحراب ، وصرف عليه اموالا عظيمة ، ورتب له وظائف وقراء وانواعا من الخيرات ، وجعل له اربعة مؤذنين وثلاثين قارئا يقرؤون القرآن عند طلوع شمس كل يوم فيختمون ختمة ، واوقف على ذلك أوقافا دارة منها : قرية التل ومنين ، وحرستا ، وعذرا ، وقيسارية الحرير بدمشق ، وطاحون بباب الفرج ، وغير ذلك من الطواحين والدكاكين ، والجص المسمى بالجبصين ، والثلج ، وبنى مقابل الجامع تكية يطبخ بها الطعام صباح ومساء كل يوم ، وفي كل يوم خميس يطبخ الارز المفلفل والارز بالعسل ، ثم انها احترقت سنة اثنتين وستين وتسعمائة ، ثم عمرت فصارت احسن ما كانت اولا ، وارخ القاضي محي الدين العدوي البناء السليمي بقوله :

سليم بنى لله خيرا ومسجدا ... وقد تم في تاريخه خير جامع

وستاتي ترجمة هذا السلطان في القسم السياسي من هذا الكتاب ، ونقول هنا :

انه ولد باماسية سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ، وجلس على تخت السلطنة وله من العمر ست واربعون سنة ، وكان ملكا قهارا وسلطانا جبارا ، قوي البطش كثير السفك للدماء ، شديد التوجه الى اهل النجدة والباس ، عظيم التجسس على اخبار الناس وربما غير لباسه وتجسس ليلا ونهارا ، وكان شديد اليقظة والتحفظ ، يحب مطالعة التواريخ
٥ واخبار الملوك ، وله نظم بالفارسية والرومية والعربية ، ومما ينسب اليه من النظم قوله :

الملك لله من يظفر بنيل منى ... يردده قهرا ويضمن بعده الدركا
لو كان لي او لغيري قدر انملة ... فوق التراب لكان الكل مشتركا

حمل حملة عظيمة على الشاه اسماعيل ، فالتقاه بقرب تبريز فهزمه وشتت شمله، ثم رجع في طريقه الى جهة حلب ، فوقع المصاف بينه وبين الغوري ملك مصر والشام
١٠ بمرج دابق شمالي حلب ، فانكسر عسكر الغوري وهلك هو تحت سنابك الخيل ، فملك السلطان سليم حلب ودمشق، ثم توجه الى مصر، وقاتل طومان باي احد ملوك الجراكسة فقتله ، واستولى على مصر؛ فهو اول ملوك بني عثمان الذين ملكوا البلاد العربية ، وجعل في مصر القضاة الاربعة ، ثم استولى على الارض الحجازية وغيرها، ورتب الرواتب، وابقى الاوقاف على حالها ، ورتب لأهل الحرمين سبعة آلاف اردب حنطة في كل سنة ، ثم
١٥ عاد الى القسطنطينية ، فابتلي بداء الجمرة فكانت سبب موته سنة ست وعشرين وتسعمائة .

حرف العين

جامع (العسالي)

احمد باشا كوجك ٠٠٠-١٠٤٦

هذا الجامع عمره أحمد باشا كوجك المتوفى سنة ست واربعين والف بالقرب من
٢٠ قرية القدم خارج دمشق سنة خمس واربعين والف ، وجعل فيه تكية ، ووقف عليهما قرى من ضواحي صيدا وبعلبك ، والحق بذلك ستين جزءا بالجامع الاموي ، وتعيينات لأهل الحرمين ، وبنى سبيلا بالقرب من تلك العمارة عظيم النفع ، وارخه بعض الادباء بقوله :

انشا الوزير للوفود منهلا ... لوجه مولاه اذا وافى غدا
٢٥ وانشد الوارد في تاريخه ... هذا السبيل الاحمدي قد بدا

قاله المحبي في « خلاصة الأثر » . وكانت عمارته لأجل الشيخ احمد بن علي الحريري العسالي شيخ الخلوتية بالشام . قال المحبي : وكان العسالي عابدا زاهدا متفقا على صلاحه ، وكان والده كردي الاصل قدم من بلاد حرير ونزل بقرية عسال من ضواحي دمشق ، فولد له بها احمد هذا ، فدخل دمشق في صباه واخذ بها عن بعض صوفيتها، ثم ارتحل الى حلب ، ثم الى عينتاب فلقي بها الشيخ شاه ولي الخلوتي ، فأخذ عنه الطريقة الخلوتية ، ورجع الى دمشق وسكن بصالحيتها مدة مديدة ، وكان نواب الشام وقضاتها واعيانها يسعون اليه ، وربما أخذ بعضهم الطريق عنه ، واخذ عنه من اهالي دمشق وغيرها خلائق لايحصون ، ولما عمر له احمد باشا كوجك تكيته المشهورة نقله اليها سنة ست واربعين ، فازداد اشتهارا الى أن توفي ثامن عشر ذي الحجة سنة ثمان واربعين والف ، ودفن بها .

وترجمه المحبي بترجمة مطولة ، ووصفه بالعابد الزاهد ، وارتقى في مدحه الى انه وصل الى مقام القطبية ، ثم قال : والعسالي ، بضم العين المهملة وبعدها سين مهملة والف ولام ، نسبة الى قرية من قرى الجبة من نواحي دمشق ، وكانت طريقته خلوتية ، قال : والخلوتية معروفون ، ونسبوا الى الخلوة لأنها من لوازم طريقتهم ، ثم افاض في ذكر القطب والغوث ، ونقل كلام الاستاذ ايوب في رسالته « الاسمائية » في كيفية الخلوة ، ولسنا الآن بصدد ذكر ذلك فليراجعه من احب زيادة الاطلاع .

ترجمة واقفها

قال المحبي في تاريخه « خلاصة الأثر » ما ملخصه : احمد باشا الوزير الكبير المعروف بكوجك احمد الارنؤودي ، احد الوزراء المشهورين بالشجاعة وشدة البأس وحسن التدبير ، وكان عارفا بأحوال الحروب ، كان أولا خامل الذكر ، ثم نهض به الحظ حتى صار بكلربكيا وتولى حكومة سيواس ، ثم ورد دمشق حاكما بها أولا سنة تسع وثلاثين والف ، وبعد ماعزل عنها ولي حكومة كوتاهية ، فنجم في بلاد الروم الياس باشا، واظهر العقوق للدولة العثمانية وذلك أيام السلطان مراد ، فعينه السلطان لمحاربته ، فسار اليه وقابله وفتك به واسره وغنم منه غنائم كثيرة ، وعاد به الى الأبواب السلطانية ، فأكرمه السلطان لذلك وفوض اليه ثانيا كفالة دمشق ، وكان ذلك سنة اثنتين واربعين والف ، وخلع عليه خلعة الوزارة ، وعينه لمقاتلة الأمير فخر الدين بن معن وقد كان خرج

عن طاعة السلطنة ، وملك كثيراً من القلاع التي في ضواحي دمشق ، وتصرف في ثلاثين حصنا ، وانضم اليه من طائفة السكبان خلق عظيم . ولما وصل المترجم الى الشام جمع اعيان العلماء وكبراء العسكر فقرا عليهم الفرمان ، فاذعنوا لطاعته ، وانضم اليه امراء الأطراف ونائب حلب ، فخرج بمن معه ثاني صفر سنة ثلاث واربعين فخيم بمعسكره
٥ بالقرب من قرية الكسوة ، ولما تكامل الجمع رحل الى قرحخان ، وكان بنو الشهاب يسكنون وادي تيم الله بن ثعلبة ، فارسل شرذمة من العسكر لمنازلتهم لانهم منبع الشقاوة ، فساروا الى جانب حاصبيا وريشيا(١) فالتقى العسكران ، وكان الامير علي بن فخر الدين امير صفد مع الشهابية ، وبعد حرب طويل ظفر العسكر بالشهابيين ، وقتل الأمير علي وجيء براسه الى الوزير احمد فسر بذلك ، وكانت الغنيمة عظيمة ، والقتلى والأسرى
١٠ كثيرة ، ولم ينج الا شرذمة يسيرة . ثم سار احمد باشا بعساكره الى البقاع العزيزي ، وافتتح قلعة قبر الياس ، وكان فخر الدين في قلعة جزين ، فحاصرها الباشا ، فلما راى فخر الدين انه ماخوذ خرج من القلعة واتى احمد باشا طائعا فقبض عليه ، واتى به الى دمشق ، ودخلها بموكب حافل وفخر الدين خلفه مقيد على فرس ، فكثر دعاء الناس للباشا ، ومدحه شعراء دمشق بالقصائد واكثروا من التواريخ ، ثم ارسل ابن معن الى
١٥ مقر السلطنة فقتل هناك ، واحاط احمد باشا بماله من الاملاك والعقار واواني الذهب والفضة والات الحرب ، ووقف قراه واملاكه على التكية العسالية . ثم طلبه السلطان الى محاربة العجم في قلعة روان ، وعزل عن حكومة دمشق ، ثم اعيد اليها قريبا ، وامر بمحافظة الموصل ، وعين معه عسكر الشام فحافظوا مدة ، ثم مرض في أثناء المحافظة ، واراد المقاومة لشاه العجم عباس شاه فما ساعده القدر ، فقتل ، واسر غالب من معه من
٢٠ العساكر ، وارسل راسه الى دمشق فدفن في تكيته المذكورة ، وكان قتله في ربيع الثاني سنة ست واربعين والف رحمه الله .

حرف القاف

جامع (مسجد القصب)

ناصر الدين ابن منجك

هو خارج دمشق بمحلة مسجد الاقصاب ، ويقال له : مسجد ابن منجك . كان
٢٥ اولا صغيرا فهدمه الامير ناصر الدين محمد بن منجك ، ووقع بسبب ذلك بين القاضي

(١) تعرف الآن براشيا .

المالكي وابن الحسباني قاضي الشافعية بسبب ابن منجك لأنه قصد توسعته من جهة القبلة باخذ خان كان يقال له : خان فارس، فحكم المالكي باخذ ذلك بالقيمة قهرا ، فمانعه الشافعي ، ووقع بينهما امور ، ثم ظهر أن الحق بيد الشافعي ، ولكن اخذ ابن منجك الأرض بغير طريق شرعي سنة احدى عشرة وثمانمائة .

جـامع (القلعة)

٥

بناه السلطان نور الدين محمود بن زنكي ، ورممه الملك الناصر ابن قلاوون سنة خمس وثلاثين وسبعمائة .

حـرف الكـاف

١٠

الجـامع (الكريمي)

هو جامع القبيبات . قال في « شذرات الذهب » ما خلاصته : وفي سنة اربع وعشرين وسبعمائة توفي الصاحب الكبير كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله ابن السديد المصري ، اسلم كهلا في ايام الجاشنكير وكان كاتبه ، وتمكن من السلطان غاية التمكن بحيث صار الكل اليه وبيده العقد والحل ، وبلغ من الرتبة مالا مزيد عليه ، وجمع اموالا عظيمة عاد اكثرها للسلطان ، وكان حسن الخلق ، عاقلا خيرا سمحا وقورا ، مرض مرة فزينت مصر لعافيته ، وكان يعظم اهل الدين ، وله بر وآثار ، عمر البيارات ، واصلح الطرق ، وعمر جامع القبيبات وجامع القابون ، واوقف عليهما الاوقاف ، ثم انحرف عليه السلطان ونكبه ، فنفي الى الشوبكة ، ثم الى القدس ، ثم الى أسوان فأصبح مشنوقا بعمامته ، ولما احس بالقتل صلى ركعتين ، وقال : هاتوا ما عندكم ! عشنا سعداء ومتنا شهداء ، اعطاني السلطان الدنيا والآخرة . وشنق وقد قارب التسعين . ا.هـ. وقال النعيمي : اجرى الماء في جدول الى ذلك الجامع فعاش به الناس يومئذ ، وعمل حوضا كبيرا تجاه الجامع من الغرب لشرب الناس والدواب .

(هامش: كريم الدين المصري ٠٠٠–٧٢٤)

١٥

٢٠

خـرف الميم

جـامع (المرجـاني)

محمد المرجاني

كان بضواحي المزة ، بناه محمد بن احمد المرجاني سنة تسع وستين وستمائة ، وكان ذا مآثر حسنة واشتغال بالحديث .

جـامع (المزاز)

٥

تقي الدين الزيشي ٧٤٩-٨٣٣

برايين معجمتين ، هو بالشاغور ، انشاه عزران شاه السيد تقي الدين الزيشي(١) الجوني ، ثم خرب ايام فتنة تيمورلنك ، فجدده الطواشي مرجان خازندار الامير شيخ، ووقف عليه ، ورتب به وظائف ، وذلك سنة ثلاث عشرة وثمانمائة .

جـامع (المزة)

١٠

عبد الله ابن شكر ٠٠٠-٦٢٢

انشاه الوزير ابن شكر سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وهو عبد الله بن علي ابن الحسين المصري الدميري المالكي ، اصله من الدميرة بلدة بين الاسكندرية ومصر ، ولما نشا اشتغل بالفقه والحديث ، واخذ عنه الحافظ المنذري ، واستوزر للعادل وتمكن منه، ثم غضب عليه ونفاه الى آمد ، ثم بعد موت العادل رجع الى دمشق ، وامتدحه السخاوي بمقامة .

١٥

قال المنذري : وكان موثرا للعلماء والصالحين ، كثير البر بهم والتفقد لهم لايشغله ما هو فيه من كثرة الأشغال عن مجالستهم ومباحثتهم ، وانشا مدرسة قبالة داره بالقاهرة .

قال ابو شامة : وكان خليقا بالوزارة لم يتولها بعده مثله ، الف كتابا سماه «البصائر» . وترجمه الموفق عبد اللطيف وبالغ في ثلبه ، وتوفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

٢٠

ورايت بخط العلموي : ان ابن شكر له آثار حسنة بدمشق منها بناء المصلى بميدان الحصى وتبليط جامع دمشق وعمارة جامع الفوارة وتجديد جامع حرستا وغير ذلك . ورايت في هامش « تنبيه الطالب » نقلا عن النعيمي ما حاصله ان هذا الجامع قد خرب وبطلت الصلوات فيه مدة سنين ، الى ان امر السلطان سليمان بعمارة جامعه والتكية

(١) كذا في الاصل وفي « الدارس » : « الزيشي » .

مكان قصر الملك الظاهر سنة خمس وستين وتسعمائة ، فاخذت آلات هذا الجامع الى عمارته ، واخذت ايضا آلات جامع التيرب ، ولم يبق بالمزة جامع غير جامع المرجاني فقط .

جامع الأفرم

ومثله جامع الافرم وقد كان غربي الصالحية ، بناه الأفرم نائب السلطنة سنة ست وسبعمائة ، ورتب له خطيبا يخطب فيه ، وقد اصبح اليوم لا اثر له ، وكان تجاه الرباط الناصري . وكل منهما يسلم على الاخر سلام الوداع . ٥

جـامع (المصلى)

الملك العادل سيف الدين

قبلي البلد من خارج بمحلة الميدان ، انشاه الملك العادل سيف الدين ابو بكر ابن ايوب سنة ست وستمائة ، وجعله لصلاة العيدين ، ولم يتهيأ له وقف . قال ابو شامة : وقد بنى له اربعة جدر مشرفة ، وجعل له ابوابا صونا لمكانه من نزول القوافل ، وجعل له محرابا من حجارة ومنبرا منها ، وعقدت فوقه قبة ، ثم عمل بعد ذلك في قبلته رواقان ومنبر من خشب . ١٠

جـامع (الملاح)

الصاحب تميربال

خارج الباب الشرقي جوار المزار المنسوب لسيدنا ضرار بن الازور رضي الله عنه ، بالقرب من محلة الملاح وهي القماطلة ، انشاه الصاحب تميربال سنة احدى وسبعمائة ، وكان غير مسلم اولا ، ثم اسلم وتولى نظر الدواوين . وكان الأليق بي ان لا اذكر هذا الجامع هنا لانه قد تهدم ، ولم يبق منه الا بعض جدران واقفة وبعض الأعمدة ، ولكني ذكرته هنا للاستبصار . ١٥

جـامع (ابن منجك)

الأمير ابراهيم ابن منجك

بآخر ميدان الحصى ، بناه الأمير ابراهيم ابن سيف الدين منجك ، وقال فيه بعض الادباء حينما امر بحمل حجارة البناء على العجل من ارض العمارة : ٢٠

لنا مليك على البنيان مقتدر … قلوب صم الحصى من خوفه وجله

ذو همة لو نأى في امره جبل … اتى به مسرعا في الحال بالعجلة

والظاهر ان بناءه كان قبل الثمانمائة والله اعلم .

المنارة البيضاء

هي المنارة المبنية عند كنيسة النصارى داخل دمشق بمحلة الخراب . حكى المحبي في « تاريخه » في ترجمة احمد بن يونس العيثاوي ان الذي بناها علاء الدين ابن الحجيج وكان تاجرا كبيرا ، ولما اراد بناءها في ذلك المحل اختلف علماء وقته في جوازه ؛ فافتى الشيخ اسماعيل النابلسي الشافعي بعدم جواز بنائها حذرا من ان يكون اشهار الاذان بها سببا لسب النصارى دين الاسلام ، وافتى العيثاوي الشافعي بجواز البناء ، فمال القاضي مصطفى بن بستان الى قوله ، ومال نائب الشام حسن باشا الى فتوى النابلسي ، ثم بنيت بأمر القاضي بعد أن بذل النصارى للوزير مالا جما لمنع بنائها ، والف العيثاوي رسالة استند بها على ما قاله ، وكان ذلك قبل التسعين وستمائة .

علاء الدين ابن الحجيج

حرف النون

جامع (النحاس)

كان شرقي الركنية بالصالحية ، وقد صار الآن بستانا يقال له : بستان النحاس ! والذي بناه عماد الدين عبد الله بن الحسين بن النحاس ، كان أولا له خدمة في دولة زمانه ، ثم اقبل على الزهد والعبادة والانقطاع الى مسجده الجامع ، توفي سنة اربع وخمسين وستمائة ، ودفن بسفح قاسيون في تربة كانت تنسب اليه .

عماد الدين ابن النحاس ٠٠٠ — ٦٥٤

جامع (النيرب)

لم نذكر هذا الجامع الا للتذكار ، والا فما الفائدة في ذكر جامع صار بستانا ؟! ولقد كان بالقرب من الربوة على حافة نهر بردى ، وكان هناك سوق . والنيرب من محاسن دمشق تابع بيت لهيا . ويقال : ان شرقي هذا الجامع قبر حنة ام مريم ، والذي بناه محمد بن احمد الشهير بابن ابي العيش الأنصاري الدمشقي سنة اربع وثلاثين وسبعمائة ، وقد اذهبته الأيام والليالي ، فسبحان من تفرد بالبقاء !

محمد الانصاري

وكان بالربوة ايضا جامع فاندرست آثاره ايضا .

وكان بدرب الصالحية الآخذ الى الجسر فوق جامع برسباي جامع يقال له : جامع العنبري ، فهدم سنة ثمانين وتسعمائة فلم يبق له أثر !

حرف الواو

مسجد (واثلة بن الأسقع)

هو ، في سويقة باب الصغير ، مسجد كبير ، وله اوقاف .

حرف الياء

جامع (يلبغا) ٥

على شاطىء نهر بردى معروف مشهور ، وهو الآن مكتب للعسكرية[1] . وكان محله تلا يشنق عليه المجرمون كما حكاه ابن ناصر في كتابه « توضيح المشتبه » ، فاخذه سيف الدين يلبغا ، وانشا فيه هذا الجامع سنة سبع واربعين وثمانمائة .

سيف الدين يلبغا ٠٠٠-٧٤٨

ويلبغا هذا ، كما قاله الحسيني في « ذيل العبر » ، كان نائبا بدمشق يعني واليا ، وفي السنة المذكورة جاء امر السلطنة اليه بالقبض على جماعة من امراء مصر كانوا بدمشق ، ١٠ فجمع يلبغا الأمراء واستشارهم في ذلك ، فاختلفوا عليه ، فكاتب ارغون شاه نائب حلب فاجابه بالطاعة وهم بالعصيان ، وتحول بخزائنه واهله الى القصر الظاهري فاقام به اياما ، ثم جاء الأمر السلطاني بتولية ارغون على دمشق ، فغضب لذلك ورد الرسول بلا جواب ، وخرج من البلد ، فاقام ثلاثة ايام بالقبيبات ، ثم نودي بالبلد بانه من تاخر عن مقاومة يلبغا يشنق على باب داره ، فتأهب الناس للخروج وساروا لامساكه ، فلما علم بذلك ١٥ جهز ثقله وزاده وما خف عليه من امواله وركب بمن اطاعه ، فوافاه الجيش عند ركوبه ، فنهب الناس امتعته وخيامه وما قدروا عليه ، وتبعه العسكر من خلفه ففر بين ايديهم ، فاحاطت به العرب في الطريق والجؤوه الى واد بين حمص وحماة ، فلم يسعه الا الاستجارة بنائب حماه فاجاره واكرم نزله ، وكتب الى الملك المظفر يعلمه بذلك ، فجاءه الجواب بالقبض عليه ، فقيده وارسله محفوظا . فلما وصل الى قاقون خنق هناك ، واخذ راسه ٢٠ الى القاهرة ، واحتيط على جميع امواله واموال من معه من الأمراء . فتأمل الاستبداد والسيئات التي كانت في ذلك الزمن ما افظعها ! وقال البدري في كتابه « نزهة الانام في محاسن الشام » : جامع يلبغا من أحسن الجوامع ترتيبا ومنتزها ، بصحنه بركة ماء مربعة ، داخلها فسقية مستديرة بها نوفرة يصعد منها الماء قامة ، ومن فوقها مكعب عليه عريشة عنب ملون يصل الماء الى قطوفها الدانية ، وبجانبها حوضان فيهما من ٢٥

---

[1] كان هذا في زمن تأليف الكتاب ، واما الآن فنصفه مسجد ونصفه الآخر مدرسة ثانوية .

انواع الفواكه واجناس الريحان ، وله شبابيك تطل على جهاته الثلاث . انتهى . وهذا كان وصفه الاول ، واما الآن فقد تحول وتبدل ، وقد ولع الشعراء قديما بوصفه ، فقال القاضي كريم الدين الطارائي :

عرج لساحة يلبغا — تنظر به ما يبتغي
٥ من قال في الدنيا له — مثل يكون فقد لغا

وقال ابو الفتح المالكي :

كم نزهة في يلبغا تبتغى — ومدرج لم يخل من دارج
فياله من جامع جامع — فاق على الزوراء في عالج
يموج في بركته ماؤه — تحت منار ليس بالمائج
١٠ مئذنة قامت على بابه — تشهد للداخل والخارج

ولابن حبيب وهو اول من مدح هذا الجامع :

يمم دمشق ومل الى غربيّها — والمح محاسن حسن جامع يلبغا
من قال من حسد رايت نظيره — بين الجوامع في البلاد فقد لغا

وقال درويش الطالوي :

١٥ الم اذا هم سراك يلبغا — واعطف لمقصفه تنل ما يبتغى
فوحق كوثر مائه من قال في — جنات عدن مثله فقد لغا

جامع بالقرب من مسجد الأقصاب

عبد الله ابن الأنيملي

لم ادر من تاريخه سوى أني رايت مكتوبا على اسكفة بابه : انشاهذا المسجد المبارك الفقير الى الله تعالى عبد الله بن الايملي ، اوقفه على مذهب الامام احمد بن حنبل رضي ٢٠ الله تعالى عنه ، واوقف عليه جميع الدار والحوانيت التي تجاورها ، وشرقية ، وبصرى ، وريعها الى امام فقيه وايتام ومؤذن وخادم حسب كتاب الوقف سنة اربع وسبعين وسبعمائة . انتهى .
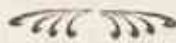
خاتمة بما كان في دمشق من المتنزهات المشهورة

(دير مران)

كان قديما من المتنزهات الدمشقية . قال الشيخ عبد الرحمن بن شاشو في كتابه الذي ضاهى به « نفحة الريحانية » : هو دير بدمشق بسفح قاسيون بالقرب من الربوة، وهو احد الديارات(١) المذكورة في الشعر : ٥

اولها هذا الدير ، وفيه يقول الشهاب ابن عبد الرحمن العمادي الدمشقي :

ابا دير مران سقاك غمام ... تروح وتغدو غيثهن سلام

وحياك من دير وحيا معاهدا ... لمغناك ما ناح الزمان حمام

وقفت على رسم به راح دارسا ... وقد فاح من عرف الرياض خزام

فقلت ولي فيه رسيس صبابة ... وفي القلب مني لوعة وغرام ١٠

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم تهرق هناك مدام

وهذا يدل على انه اصبح خرابا قبل زمن العمادي .

والثاني دير القائم الاقصى على شاطىء الفرات ، وفيه يقول هاشم بن محمد الخزامي :

بدير القائم الأقصى ... غزال شادن احوى ١٥

برى جسمي له حبي ... ولا يدري بما القى

واخفي حبه جهدي ... ولا والله لا يخفى

والثالث دير عبدون ، وهو بظاهر المطيرة ببغداد ، وفيه يقول ابن المعتز :

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر ... ودير عبدون هطال من المطر

والرابع دير مارت يعني مريم ، وهو بالشام ، وفيه يقول ابن هرمز : ٢٠

نعم المحل لمن يسعى للذته ... دير لمريم فوق الظهر معمور

ظل ظليل وماء غير ذي اسف ... وقاصرات كأمثال الدمى حور

---

(١) كذا في الاصل ، وصوابها « اديار ، واديرة ، وديورة » .

والخامس دير العذارى ، وهو بسرمن راى ، وفيه يقول جحظة :

الا هل الى دير العذارى ونظـرة ... الى من به قبل الممات سبيل ؟

وقد تفنن الشعراء في وصف هذه الديارات ، كما تفننوا في وصف الجامع الأموي ؛ فقد رايت كثيرا منهم اطنبوا في مدحه ، فاحببت ان اضم بعضا منها لما هنا لأن الكلام عليه سابقا كان تاريخيا بحتا ، وهذه الخاتمة ادبية ، والشيء انما ينتظم مع مايماثله.

فمن ذلك قول بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي :

معبد الشام يجمع الناس طـرا ... واليـه شوقا تميـل النفـوس

كيف لايجمع الورى وهـو بيت ... فيه تجلى على الدوام العروس(١)

وله ايضا :

يا راغبا في غير جـامع جلـق ... هـل يستوي الممنوع والممنوح

اقصر عنائك وفي غـلوك لاتزد ... ان الزيـادة(٢) بـابهـا مفتـوح

وقد اخذ هذا المعنى من كلام جمال الدين ابن نباته وهو :

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق ... وفي صدره معنى الملاحة مشروح

فان يتغالى في الجـوامع معشر ... فقل لهم باب الزيادة(٢) مفتـوح

وقال صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي :

تقول دمشـق اذ تفاخر غيرهـا ... بمعبدها الزاهي البديع المشيـد

جرى ليباهي حسنه كل معبـد ... وما قصبـات السبق الا لمعبد(٣)

والأصل في ذلك قول برهان الدين القيراطي :

سقى بدمشق الغيث جامع نسكها ... وروضا به غنى الحمـام المفرد

اذا ما زهى للعين من ذاك معبد ... لذكر حلا في السمع من ذاك معبد(٣)

ومن معانيه اللطيفة قوله :

دمشق لها في الحسن منصب(٤) ... عـال وذكر في الملا شـائـع

فخل مـن قاس بهـا غـيرها ... وقـل لـه ذا الجـامـع المـانع

---

(١) فيه تورية باسم منارة العروس بالجامع الاموي .

(٢) فيه تورية باسم باب الزيادة وهو من أبواب الجامع الاموي .

(٣) فيه تورية بمعبد المغني .

(٤) كذا في الاصل ، « وفي نزهة الانام » : « دمشق في الحسن لها منصب » .

وله ايضا :

في الجامع الاموي الحسن مجتمع ... وبابه فيه الاحداق لذات

دقائق الحسن يحويها له درج ... فحبذا منه بالساعات(١) ساعات

وحبذا معبدكم اطربت اذننا ... فيه من الذكر نغمات واصوات

جلا العروس على الرائين قطعتها(٢) ... تزفها من بدور التم طارات

ومن لطائفه ايضا :

يقول لنا نسر بجامع جلق ... انا الطائر المحكي والآخر الصدى

وقد اطرب الاسماع مطرب جنكها ... وغنى به من لايغني مفردا

وقال القاضي شمس الدين البارزي الحموي :

دمشق لها منظر رائق ... فكل الى وصلها يائق

فاني يقاس بها بلدة ... ابى الله والجامع الفارق

وللشاب الظريف في غلام يتمشى بصحن الجامع الأموي :

تمشى بصحن الجامع الشادن الذي ... على قده اغصان بان النقى تثني

فقلت وقد لاحت عليه حلاوة ... الا فانظروا هذي الحلاوة في الصحن

انهار دمشق المحتفرة للشرب وسقي الزرع والأشجار

روى الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » بسنده الى زفر قال : سألت مكحولا عن نهر يزيد ، وكيف كانت قصته ؟ قال : سألت مني خبيرا ، اخبرني الثقة انه كان نهر صغير بناطيا يجري شيئا ، يسقي ضيعتين في الغوطة (لقوم) يقال لهم : بنو قرقا ، ولم يكن فيه لأحد شيء غيرهم ، فماتوا في خلافة معاوية ولم يبق لهم وارث ، فاخذ معاوية ضياعهم واموالهم ، فلم يزل كذلك حتى مات معاوية في رجب سنة ستين وولي ابنه يزيد ، فنظر الى ارض واسعة ليس لها ماء وكان مهندسا ، فنظر الى النهر فاذا هو صغير ، فامر بحفره ، فمنعه من ذلك أهل الغوطة ودافعوه ، فلطف بهم الى ان ضمن لهم خراج سنتهم من ماله ، فاجابوه الى ذلك ، فاحتفر نهرا في سعة ستة اشبار ، وعرضه

(١) فيه تورية باسم باب الساعات من ابواب الجامع الاموي .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « جلا العروس على الرائي لطلعتها » .

وعمقه ستة أشبار ، وله ملء جنبتيه ، وكان على ذلك كما شرط لهم ، فهذه قصة نهر يزيد . ومات في رجب سنة اربع وستين ، حتى ولي هشام بن عبد الملك ، فساله اهل قرية حرستا شرب شفاههم وماء لمسجدهم ، فكلم فاطمة بنت عاتكة بنت يزيد في ذلك فاجابه ، على انه احتفر نهرا صغيرا يجري الى مسجدهم للشرب لا لغيره ، وفتح الحجر الذي يمر منه الماءلقرية حرستا فترا في فتر مستديرا ، ويجري لهم من الارض على مقدار شبر من ارتفاع بطن النهر . وساله عبد العزيز مولى هشام ان يجري له شيئا يسقي ضيعته ، فاجابه بعد ان سال في امره ، فصيرت له ماصية فتحها شبر في اقل من شبر . ثم ساله خالد ان يسقي ضيعته ، فاجابه لما طلب ، وفتحت له ماصية كحكاية هذه الماصية . واقام رجل من اهل دمشق ، يقال له : جرجة بن قعرا ، عند سليمان بن عبد الملك شاهدين يشهدان ان له في النهر قناة تجري الى حمام له بريده، وزعم انها كانت من قبل ، فسجل له عبد الملك سجلا بذلك وهو رطل من الماء يجري في سيلون في ديره .

وقل الماء في ولاية سليمان بن عبد الملك حتى لم يبق في بردى الا شيء يسير ، فشكوا ذلك الى سليمان ، فارسل عبيد بن أسلم مولاه ومعه جماعة لكرابتها ، فلما باشروا العمل اذا هم بباب من حديد مشبك يخرج الماء من كوى موجودة فيه ، يسمعون داخلها صوت ماء كثير ، ويسمعون صوت اضطراب السمك فيها ، فكتبوا الى سليمان بذلك ، فأمرهم أن لايحركوا شيئا وأن يكروا قدامه ، ففعلوا ما امرهم ، ولم يزل كذلك الى ولاية هشام بن عبد الملك ، فلم يكن فيه اكثر من ذلك ، فشكى اليه اهل بردى قلة الماء ، فامر القاسم بن زياد ان يميز لهم الماء فماره لهم ، فاعطى اهل نهر يزيد ست عشرة مسكبة ، والفرق الكبير خمس مساكب ، والفرق الصغير اربع مساكب ، ونهر داريا ست عشرة مسكبة ، ونهر لورا اثنتين واربعين مسكبة، ونهر بانياس ثلاثين مسكبة، ومسكبة حملت فيه تصب ليزيد بن ابي مريم مولى سهل بن الحنظلية ، وثلاث مساكب للفضل ابن صالح الهاشمي حملت فيه من بعده ، ونهر مجدول اثنتي عشرة مسكبة ، ونهر داعية ثلاث عشرة مسكبة ، ونهر حيوة وهو نهر الزلف اثنتي عشرة مسكبة ، ونهر التومةالعليا خمس مساكب ، ونهر التومة السفلى اربع مساكب ، ونهر الزابون اربع مساكب ، ونهر الملك اربع مساكب ، والقناة لم تمز يومئذ بل تركت تاخذ ملء جنبيها ، وكان الوليد ابن عبد الملك لما بنى المسجد اشترى ماء من نهر السكون يقال له : الوقية ، فجعله في

القناة الى المسجد ، والحجر شبر ونصف في شبر ونصف ، وثقب الثقب شبر في أقل من شبر ، على انه اذا انقطعت القناة او اعتلت ليس لاحد ان يأخذ من ماء الوقية شيئاً، ولا لاصحاب القساطل فيها حق ، فاذا جرت يأخذ كل ذي حق حقه ، ويفتح القساطل على الولاء ، وقال يزيد : انا أدركت القناة يدخل فيها الرجل ، يسير فيها وهي مسقوفة ، يمد يديه ولا ينال سقفها ، وليس فيها شيء مثلوم . هذه قصة نهر يزيد . ٥

قال ابن عساكر بعد ان روى ما تقدم عن طريقين : فهذه الانهار التي ينتفع بها الداني والقاصي ، ويتقسم منها الماء الى الارضين في الجداول من المواصي ، ويدخل من بعدها الى البلد في القني فينتفع به الناس الانتفاع العام على الوجه الهني ، ويتفرق الى البرك والحمامات ، ويجري في الشوارع والسقايات، وذلك من المرافق الهنية، والمواهب الجزيلة السنية ، والفضيلة العظيمة التي عدت من فضائل هذه المدينة اذ الماء في اكثر البلاد لاينال الا بالثمن وهو الذي تحصل به حياة النفوس وازالة الدرن . ورأيت في كتاب « صور الاقاليم » ما نصه : مخرج مياه دمشق من تحت كنيسة يقال لها : الفيجة . وأول ما يخرج يكون ارتفاعه مقدار ذراع في عرض باع ، ثم يمشي في شعب تنفجر منه العيون ، فيأخذ منه نهر عظيم اجراه يزيد بعرض الدجلة ، ثم يستنبط منه نهر المزة ونهر القناة ، ويظهر عند الخروج من الشعب بموضع يقال له : الشريب ، ثم يبقى من هذا الماء عمود النهر فيسمى بردى ، وعليه قنطرة في وسط مدينة دمشق لايعبرها الراكب غزارة وكثرة ، فيفضي الى قرى الغوطة ، ويجري الماء في عامة دور دمشق وسككهم وحماماتهم . انتهى . ١٠ ١٥

القلعة

بناؤها قديم جدا ، وربما يذكر في القسم السياسي ، ونذكر الآن ما اتصل بنا من وصفها ملخصا من كتاب « نزهة الانام في محاسن الشام » لتقي الدين البدري المصري قال : ان هذه القلعة قدر مدينة ، وبها ضريح الصحابي الجليل أبي الدرداء ، وبها جامع وخطبة وحمام وطاحون وبعض حوانيت لبيع البضائع ، وبها دار الضرب التي تضرب بها النقود ، وبها الدور والحواصل ، ولها طارمة كانها أفرغت بقالب من شمع تسامت رؤوس الجبال يقال : ان تيمورلنك لما حاصرها وعجز عنها ، امر ان تنقب وتقطع ٢٠ ٢٥

الأشجار وتعلق بها ، حتى اذا تم تعليقها أشعلها باطلاق الناس فيما تحتها من الخشب ظنا منه انها تنفسخ بذلك وتسقط شذر مذر فيملك القلعة ، فلما علقت النار فيما تحتها بركت كما يبرك الاسد ولها صوت مزعج فسموها بالاسد البارك ، وهي الآن على الثلثين من علوها ، وبالقلعة آبار ومجار للماء ومصارف بحيث اذا وقع الحصار وقطع الماء كان لها من الماء ما يكفيها ، وبها يمر نهر بانياس فينقسم قسمين : احدهما يبقى ظاهرا على حاله ، والآخر تنسحب عليه الأوساخ والأقذار وهو المسمى بقليط يمر تحت الارض بنحو قامتين ، والماء الظاهر يتشعب فوقه يمينا وشمالا ، ولايزال قليط سائرا الى ان يخرج من الباب الصغير ويتصل بمحلة المزاز ، وهناك يصد لسقي الاراضي الزراعية . هذا نعتها كان ايام البدري ، واما الآن فقد تغيرت بعض أوصافها ؛ فهدم بابها الغربي وجعل مكانه دكاكين ، وذهب خندقها وابتني اسواقا ، وربما يأتي زمان لايبقى لها فيه اثر لعدم نفعها وتبدل الاسلحة التي كانت قديما بغيرها ، وتغيرت ايضا الدور والحواصل ودار الضرب ، وانما نذكر امثال ذلك تنبيها على ما كانت عليه دمشق في سالف عهدها ومجدها .

ومما كان قديما ملعبا ومرتعا تحت القلعة فانه كان منهلا للغريب ، وكان ساحة تحفها الدور وتعلوها القصور ، وبها كل ما تطلبه الشفة واللسان فسكانها لايحتاجون لشيء من المدينة ، وبها دار البطيخ التي تباع بها جميع الفواكه ، وهناك العين المشهورة المجمع على برودة مائها وعذوبته وخفته ، وكان هنا سوق للاقمشة وللفراء وللعبي وللنحاس وللسكاكين ولجميع الاصناف التي كانت مشهورة في ذلك الزمن ، وكان هناك سوق الرقيق ، هذه هي الابنية التي كانت هناك واما الساحة فانك لاتستطيع ان ترى ارضها لكثرة ما بها من المتعيشين والوظائفية ، ويتخلل بينهم اصحاب الحلق والمغالبة والمضحكون واصحاب الملاعيب والحكوية والسامرون ، وبها كلما يلذ للسمع وتشتهيه النفس ، وهم على هذه الحال لايفترون صباحا ولا مساء ، لكنهم في المساء اكثر منهم اجتماعا ، ويستمرون الى طلوع الثلثين : وهو عبارة عن ثلاثة طبول متفرقة على القلعة ، يضربون في الثلث الأول كل واحد منهم ضربة ، وفي الثلث الثاني من الليل يضربون كل واحد ضربتين ، وفي الثلث الآخر من الليل يطلع المؤذن على مئذنة العروس بالجامع الأموي ويعلق لهم قنديل الاشارة ، فيضرب كل طبل من الطبول الثلاثة ثلاث ضربات ، ويشتغل في المنارات بالتسبيح والأذان . وكان بهذه الساحة خطبتان : احداهما يصدرها في

جامع يلبغا ، وناليتهما بآخرها بالمدرسة المؤيدية . قال البدري : وبتلك الساحة شجرة حور يحتاط بها أربعة رجال فلا ينظر احدهم لمن يقابله لعظم ساقها . ا.هـ . وتلك آثار اندرست فلم يبق منها الا جامع يلبغا وتلك الشجرة والعين ، وأما الساحة فقد صارت اسواقا ودورا ، وانقطع اثر الطبول لعدم الاحتياج اليها ؛ وبقي القنديل الذي يعلق في مئذنة العروس ، وليته انقطع لانه لا فائدة فيه مع وجود الساعات ؛ ولكل زمان عوائد ورجال .

بين النهرين

هو مبتدأ الوادي ؛ كان مشتملا على فرجة سماوية بها دور وقصور ؛ وسويقة بها حانوت طباخ وساجاتي وقطفاني وفقاعي وحواضري وفاكهاني وامثالها ، وعدة مقاعد للجلبية ، وحمام يشرح الصدر ، وقنطرة يتوصل منها الى جزيرة لطيفة من راسها ينقسم نهر بردى فيصير نهرين ؛ والمقسوم منه هو نهر الشيخ أرسلان ، وبها مقصفان للبطالين فيما بين المقسمين ، وكان في قبالتهما زاوية يقال لها : زاوية الشاب التائب ، يقام بها يومي السبت والثلاثاء اوقات للوعظ ، ويتوصل منها الى زقاق الفرايين المشتمل على قاعات واطباق ، وكم غرفة بها وكم رواق يطلون بها على ما بين النهرين ، ولكل من هؤلاء ناعورة يستلذ صاحبها بانينها ؛ وبها يقول ابن تميم :

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها ... واضلعها كادت تعد من السقم
ادور على قلبي لاني فقدته ... واما دموعي فهي تجري على جسمي

ولبعضهم :

لقد كنت غصنا في الرياض منعما ... اميس ونصبي في امان من الخفض
فصيرني صرف الزمان كما ترى ... فبعضي لما لاقيت يبكي على بعضي

وللعلاء ابن القضامي :

وذات شجو اسالت ... مدامعا لم تصنها
تبكي بفرط دموع ... ويضحك الروض منها

أن الاقدمين شبهوا دمشق في حسن وضعها بالباز ؛ فجعلوا الهامة هامته، واختاروا موضعا سموه صدر الباز ، وشبهوا سفح قاسيون بالجناح الايسر ، وخصوا قطعة منه باسم الشرف الأعلى ، وهي من سوق ساروجا حتى صدر الباز ، وشبهوا القسم الثاني، وهو من سراي العسكرية فما فوقه الى الغرب ، بالجناح الأيمن وخصوه باسم الشرف الشمالي ، وشبهوا البلد ببطنه ، ومما يليها الى الشرق بالذنب ، وبذلك علم موقع كل واحد من الشرفين . وكان بكل من هذين الشرفين عدة من المدارس والمساجد ، ولكل منها ما يكفيه من الاوقاف التي استولت عليها أيدي المتشبهين بالفقهاء فاظهروا فيها انواع المفاسد ، ثم تصرفوا فيها بمقتضى اهوائهم ، وكل من الشرفين يطل على الشقراء ، والقصر الأبلق الذي كان في الماضي من الزمن وبنيت التكية السليمانية والسليمية موضعه ، وعلى المرجة ذات العيون والغدران . وقد أكثر الشعراء في وصف هاتيك الرياض ، فقال النواجي :

الا ان وادي الشام اصبح جنة(1) … محاسنه ما بين أهل النهى تتلى
وان شرفت بالنيل مصر فلم تزل … دمشق لها بالغوطة الشرف الأعلى

وقال علي بن شرف الدين الماردني في غلام اسمه علي من الشرف الاعلى :

حبي(2) عليٌّ ولكن وجهه حسن … وفعله المرتضى يحلو به الشغف
بدر من الشرف الأعلى له نسب … وهل لغير علي ينسب الشرف ؟

وقال ابن الشهيد :

لم يحك جلق في المحاسن بلدة … قول صحيح ما به بهتان
ولئن غدوت مسابقا في غيرها … ها بيننا الشقراء والميدان

ومن تجريز القيراطي :

سر بي الى الشقراء من جلق … وأثن الى الخضراء منك العنان
فيها جنان لو رأى حسنها … ابو نواس للها عن جنان
وانزل بواديها الذي نشره(3) … مسك وحصبا النهر منه جمان

---

(1) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » للبدري : « آية » .
(2) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « جنى » .
(3) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « تربه » .

المرجة

قال البدري : ومن جملة محاسن دمشق طاحون الشقراء ظاهر قصر الملك الظاهر بيبرس بالقرب من زاوية الاعجام ، ويليها قصبة سوق فيه احدى وعشرون حانوتا ، وبأعلاها طباق تطل على المرجة ؛ وبآخر السوق المسجد المطل على نهر بردى . قال البدري : وقد ادركتها غير دائرة ، ثم هدمت في اوائل حكم الملك الاشرف قايتباي . انتهى . فعلى هذا فان المرجة كانت عامرة آهلة ، وهي من المحاسن التي لاتدرك ، وبها يقول التقي محمد الحموي :

ذكرت أحبتي بالمرج يوما	فقوت ادمعي نيران وهجي
فصرت اكابد الاحزان وحدي	وكل الناس في هرج ومرج

وللقاضي مجير الدين بن عبد الظاهر :

ومرجة واد بروقك حسنها(١)	ولا سيما ان جاد غيث مبكر
بها فاض نهر من لجين كانه	صفائح اضحت بالنجوم تسمر
تلاحظها عين تفيض بادمع	برقرها منه هنالك محجر
وكم غازلت فيها الغزالة(٢) مقلة	تسارق اوراق الغصون فتنظر
اذا فاخرته الريح ولت عليلة	باذيال كثبان الربى تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا	به الروض يحيا وهو لاشك جعفر

المنيبع

هي متنزه كان به سويقة وحمام وافران ؛ وكان به المدرسة الخاتونية وهي من اعاجيب الدهر ، يمر بصحنها نهر بانياس ، ونهر القنوات على بابها ؛ ولها شبابيك تطل على المرجة بها الواح رخام لم يسمح الزمان بنظيرها ، وعدة خلاوى للطلبة . وللنواجي في هذا المتنزه البديع :

أيا سادة اهدوا محاسن جلق	لطرفي ففاضت بالبكا عبرات
منيبيع جفني فوق ربوة جبهتي	يزيد ودمعي بعدكم قنوات(٣)

(١) في « نزهة الانام » : « ومرجة في واد بروقك روضها » .

(٢) في « نزهة الانام » : « وكم غازلته للغزالة مقلة » .

(٣) فيه تورية بمحلة « المنيبع » ومتنزهي « الربوة والجبهة » ، ونهري « يزيد والقنوات » .

البهجة

ويقال لها : الجبهة

هي متنزه ايضا ، وهي أرض مربعة قدر فدانين ، كانت لها سقائف تظلها من غير طين بين شجر الصفصاف والجوز والحور ، وكل مفرش حصير تحتاط به جداول الماء من اربع جهاته ، مع البرك والبحيرات بالنوافر ، وهي بجانب نهر بردى ، وكان بها حوانيت الشرائحية والجزارين والطباخين والحرامضية والاقسماوية والفاكهانية وغير ذلك ، وكان بها مسجد ومدرستان ومربط للدواب ، ومقاصفية واقفين في خدمة الناس وعندهم اللحف والانطاع والعبي لمن يبيت عندهم او ينام . وفي البهجة قال ابن حجة الحموي ولكنه سماها الجبهة :

لما ملأ الجبهة بالأنوار	لنا على ذلك خوف العار
قال اصرفوا الي الاسم من بلدتكم (١)	فجبهتي منازل الأقمار

وبها يقول علي بن سعيد :

ان الجبهة في قلبي هوى	ساكن(٢) عندي للوجه الجميل
يرقص الماء بها من طرب	ويميل الغصن للظل(٣) الظليل
وتود الشمس لو باتت بها	فلذا تصفر في وقت الأصيل

ويعلوها نهر القنوات وبانياس وينحدر الماء منهما اليها ، ومن فوق النهر حمام النزهة ، والى جانبه مقصف بحوانيت فيها البضائع ، ويمر وسطه نهر قنوات ، ويتوصل منه الى زاوية الحريري ، وقد كانت مشهورة ، ولم يك في وقتها أبدع منها ، وينحدر الماء الى متنزه كان اسمه قطية ، وهو مقصف كان بجانب نهر بردى ، وعليه نواعير ، متشعبة اراضيه بجداول الماء والبرك والبحيرات ، وبه قصبة حوانيت يعلوها اربع طباق ومربط للدواب ، وعند المقاصفي العبي واللحف والانطاع حتى الأطباق والملاعق لمن يأكل . قال البدري : وهذا مما لايوجد في بلد من البلدان . انتهى . وذلك بحسب زمانه فان المطاعم كانت لاتوجد الا في دمشق ، ثم عمت البلدان والأقطار . وفي

(١) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « قال انصرفوا سميت من بلدتكم » .
(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « لم يكن » .
(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « في الظل » .

ذلك المتنزه يقول القاضي أحمد الكناني :

ابا حسن سلسال على مرج(١) قطية	اذا ما جرى فيه نخوض ونلعب
تهددنا(٢) اغصانها برؤوسها	فينظر من طرف خفي ويرهب(٣)

اليهنسية

هي روض بين أشجار وفواكه وثمرات مع عيون من الماء ، وتظهر منه الى مرجة جسر بناه رجل يقال له : حسن بن شواش ، وكان هناك مقاصفي وبيع وشراء ، ويتوصل منه الى اراضي حميص ما بين رياض وغياض ، ويعلوها محلة النيربين وهي من اعظم المحلات واخضرها وانضرها ، حسنة الثمرات ، كثيرة الأزهار ، وكان بها سويقة ، وحمام يقال له : حمام الزمرد ، وجامع بخطبة ، وكانت فيما سلف سكن الرؤساء والأعيان ، ومنها يتوصل الى ارض الربوة ، وكان الخارج من باب يلبغا يمشي بين اشجار وانمار ومياه وظل الى الربوة فلا يرى الشمس الا اذا قصد رؤيتها ، وبذلك يقول البدر بن لؤلؤ الذهبي :

رعى الله وادي النيربين فانه(٤)	قطفت به يوما لذيذا من العمر
درى انني قد جئته متنزها	فمد لتلقائي بساطا من الزهر(٥)
واوحى الى الاغصان قربي فارسلت	هدايا مع الارواح طيبة النشر

واخذ مني الماء القراح وحيثما اتجهت رأيت الماء في خدمتي يجري

وقال الوداعي :

وصبا صبت من قاسيون فسكنت	بهبوبها وصب الفؤاد البالي
جاءت مياه النيربين عشية	فاتتك وهي بليلة الأذيال

الربوة

سميت بذلك لانها مرتفعة مشرفة على غوطتها ومباهجها ، وكل راب مرتفع على ما

(١) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « نهر » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « تهدده » .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « ويرهب » .

(٤) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « فانني » .

(٥) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : «درى انني قد جئته متنزها   فمد لاقدامي ثيابا من الزهر» .

حوله يقال له : ربوة ، وبها مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربي ، وبها صفة محراب ، وكان بها جامع وخطبة ومحل للدرس وعدة مساجد ، وكان بها قاعات واطباق وسويقتان يشقهما نهر بردى ، وكان بها صيادون للسمك يصطادون والقلايون على جنب النهر يقلون ، ويذبح بها كل يوم خمسة عشر راسا من الغنم ، وذلك غير ما كان يجلب اليها
٥ من اللحم من المدينة ، وبها عشرة شرايحية ليس لهم شغل غير الطبخ والغرف في الزبادي والصحون وكل ما تشتهيه الأنفس ، وكان بها فرنان وثلاثة حوانيت برسم عمل الخبز التنوري ، واما الفواكه فلا قيمة لها بها . قال البدري : ولقد اشتريت رطل التوت منها بربع درهم ، ومثله الرطل الدمشقي من المشمش والتفاح . قال : وبها حمام ليس له نظير على وجه الارض لكثرة مائه ونظافته ، وله شبابيك تطل على الأنهر من فوقه ومن
١٠ تحته ، وبها طارمة المسجد الديلمي الذي جدده نور الدين الشهيد ؛ وله أوقاف على قارىء قرآن ومدرس بخاري ومؤذن وبواب وقيم ووقاد وغير ذلك .

وللتاج الكندي في وصفها :

ان نور الدين لما أن راى	في البساتين قصور الأغنياء
عمر الربوة قصرا شاهقا	نزهة مطلقة للفقراء

١٥ وقال مجير الدين ابن تميم :

ياحسن طارمة في الجو شاهقة	ما أن تمل بها العينان من نظر
نزه لحاظك في طاقاتها لترى	اصناف ما خلق الرحمن للبشر
ترى محاسن واد يحتوي نزها	لذاذة السمع والابصار والفكر
وربوة قد سمت حتى تخال لها	سرا تحدثه للأنجم الزهر
٢٠ ما بين روض وانهار مسلسلة	تجري وتحمل انواعا من الثمر
كم بت فيها وخدني شادن غنج	حلو التثني كغصن البانة النضر
اشكو اليه الذي القى ومقلته	تشكو الي الذي تلقى(١) من السهر
حتى رايت نجوم الليل قد غربت	عنا وهبت علينا نسمة السحر
بتنا(٢) نجرر اذيال العفاف بها	والله يعلم منا (٣) صحة الخبر
٢٥ لاخير في لذة تمضي ويعقبها	خطيئة تسلك الانسان في سقر

(١) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « يلقى » .
(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « قمنا » .
(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « منها » .

وقال السيد محمد ابن السيد كمال الدين بن حمزة :

رعى الله اوقات الربيع بجلق — وحيا الحيا ارجاء ربوتها الغنا
اذا حركت ادواحها شجو عاشق — تحاكيه باللحن العنادل اذ غنا
ويذكو بها نشر النسيم اذا سرى — فتذكو بتاريخ الغرام الذي جنا
وتطرد الأنهار فيها كانها — سوابق افراس اعنتها تثنى ٥
فكيف يلام الحازم الراي ان صبا — الى ظلها الاملى وقد اشبهت عدنا

وتلك القاعة التي بناها نور الدين هي على شعب جبل منحوتة بالواح من خشب ، سقفها نهر يزيد ، واساسها من تحتها نهر ثورا ، ومنظرها من الغابات التي لاتدرك ، ومقابلها في الجبل الغربي بذيله دف الزعفران والجبل الشرقي في راسه مثل الجنك[1] وقد اطنب الشعراء في وصفها ، فقال ابن نباتة : ١٠

في الجنك[2] من مغنى دمشق حمائم — في ورق اغصان تشوف بلطفها [3]
فاذا اشار لها الشجي بكاسه — غنت عليه بجنكها وبدفها

وقال الصلاح الصفدي :

انهض الى الربوة مستمتعا — تجد من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده — في الروض بين الجنك والدف ١٥

وقال ابن الوردي :

دمشق قل ما شئت في وصفها — واحك عن الربوة ما تحكي
فالطير قد غنى على عوده — في الروض بين الدف والجنك

ومن لطائفه قوله :

يا ربوة اطربتني — وحسنت لي هتكي ٢٠
اذ لست ابرح فيها — ما بين دف وجنك

ولابن حبيب :

كم تحت جنك الربوة الفيحاء من — دف زهت أشجاره بشنوفها
سقيا لها من ربوة من حل فيها طربته بجنكها ودفوفها [4]

---

(١) آلة من آلات الطرب .
(٢) الجنك اسم متنزه في رأس الجبل الشرقي .
(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « في دف اشجار تشوق بلطفها » .
(٤) نسب البدري في « نزهة الانام » هذين البيتين الى شعبان الآثاري .

ولشعبان الآثاري :

بربوة الشام ربت مثيتي … وقر قلبي وهي دار القرار

وطيرها المطرب في جنكه … غنى على ناي وعود وطار(١)

وللشريف القواس :

اود باني لو راى الجنك ساعة … وانفق فيها كل ما انا مملك

فليس لنفسي سوى الجنك مطلب … ودعهم يقولوا فيه للصب مهلك

وقال ايضا :

سر بي الى الوادي وقف متنزها … فالجنك غنت فوقه الاطيار

لو لم تكن هي(٢) جنة المأوى لنا … ماكان تجري تحتها الانهار

وللقيراطي :

سقى الجنك منهل الرباب فشوقنا … لطيب المغاني منه لم يأتها حصر(٣)

وحيا بقطر الشام أنهارها التي … على شهدها بالدمع من مقلتي قطر

وجادت سماء الغيث أرض سمائها(٤) … غصون رياض الزهر آفاقها زهر

فكم جاءني منها نسيم ممسك … وعرفها للقادمين بها العطر

وحكى ان الشيخ شمس الدين الخياط الشهير بضفدع خرج مع القاضي ابن خلكان الى الربوة ، فرأيا غلمانا يعومون ويلعبون في نهر نور الدين(٥) تحت التخوت المعروفة بالمنيقبة ، فانشد ضفدع قوله :

لربوتنا واد حوى كل بهجة … فعيش الورى يحلو لديه ويعذب

تزف لنا الانهار من تحت جنكها(٦) … فلا عجب أنا نخوض ونلعب

---

(١) نسب هذين البيتين البدري الى الشريف القواس .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « لو لم يكن هو » .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « لطيب مغاني أرضه ماله حصر » .

(٤) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « ارضنا سماؤها » .

(٥) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « نهر نورا الذي » .

(٦) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « ترق لنا الانهار من تحت جنكه » .

وانشد ابن خلكان :

وسرب ظباء في غدير تخالهم ... بدورا بافق الماء تغدو(١) وتغرب

يقول خليلي والغرام مصاحبي ... امالك عن هذى(٢) الصبابة مذهب

ففي دمك المطلول خاضوا كماترى ... فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا

المقسم

هو المحل الذي يتقسم فيه النهر الى سبعة انهار ، وحواصله من ينابيع عين التوت . والنهر المذكور معروف مشهور ، يمر بالقرب من قرية الزبداني الى ان يلتقي بعين القيجة ، فيسيران معا الى المحل الذي يقال له : المقسم ، ومنه يتشعب الى السبعة انهار .

ولبرهان الدين القيراطي :

عندي بارض الشام فرط صبابة ... فسقى حماها الرحب صوب غيوث

وعيوننا لفراق مشمشها حكت ... جريان ادمعها عيون التوث

وللقيراطي :

دمشق وافى يطيب ... نسيمها المتداني

وصح قول البرايا ... من عاشر الزبداني

وهذه الأنهار السبعة منها : يزيد ، وثورا ببطن الجبل الشرقي ، ويشق نهر بردى بطن الوادي ، ونهر بانياس ، ونهر القنوات ، ونهر المغنية(٣) ، ونهر الداراني بذيل الجبل الغربي ، وينزل الى المقاسم بنحو عشرين درجة كالشاذروان ؛ فرؤيته تذهب الهم والحزن . وما الطف قول صدر الدين الآدمي :

قالوا فؤادك بردا(٤) عن محبتهم ... فقلت نار الجوى لاتنطفي ابدا

بردت قلبي عن الأحباب مذ رحلوا ... بما يزيد وما ثورا وما بردا

وللشيخ شعبان الآثاري :

شوقي يزيد وقلب الصب ما بردا ... وبان باسي من المشوق حين غدا

(١) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « تبدو » .

(٢) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « عهد » .

(٣) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « القناية » .

(٤) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « برد » .

وادمعي قنوات والعــذول حكــى	ثورا يلوم الفتى في عنفــه ابــدا[1]
على مغنيــة بالجنــك جاوبهــا	شبابة كـم بها مـن عاشق شـهـدا
فالبدر جبهتها والدف[2] ربوتهــا	وخالهــا مات من خلخالهــا كمــدا

هذا ما كان في القديم من متنزهاتها ، وهي موجودة الى الآن ، الا ان ابنيتهاتغيرت، وأوضاعها تبدلت ، وقال البدري : انه كان من ظاهر باب السلامة الى ظاهر باب توما ثلاثمائة وستون عينا تجري الى القبلة ، قال : ورايت غالبها ، وارتويت من اعذبها . انتهى. ونحن لم نر منها شيئا ، والأرض لله يقلبها كيف يشاء !

الحواكير

هي كالحدائق في سفح قاسيون ، والفاصل بينها وبين جبل الربوة عقبة دمر التي بجانبها قبة السيار ، وقد تضاربت الآراء في هذه القبة ؛ فحكى البدري في « نزهـة الأنام » في شانها حكاية ملتقطة من افواه العوام مدعيا صحتها وهي لااصل لها ، قال : ان نصرا وسيارا كانا اخوين في الله ، وابتنى كل واحد منهما قبة يتعبد فيها ، وكانا اذا اشتاق احدهما لصاحبه مشى اليه في الهواء ، وهذه كما ترى موضوعـة ملفقة . وزعم كتاب الجرائد في عصرنا ان قبة السيار مرصد للفلك وليس بصحيح ، والاقرب للصحة ما رواه ابن عساكر في « تاريخه » بسنده الى احمد بن الخير الوارق الدمشقي، قال : لم تزل ملوك بني العباس تخف الى دمشق طلبا للصحة وحسن المنظر ، منهم المأمون فانه اقام بها ، واجرى اليها قناة من نهر منين في سفح جبلها الى معسكره بدير مران ، وبنى القبة التي في اعلى جبل دير مرأن ، وصيرها موقدا توقد النار في أعلاها لكي ينظر الى ما في عسكره اذا جن عليه الليل ، وكان ضوؤها وضياؤها يبلغان الى ثنية العقـاب والى جبل الثلج . انتهى . وهاتان القبتان : احداهما في الجبل الغربي عن الصالحيـة وهي الآن باقية ، والثانية على قمة جبل قاسيون في الجانب الشمالي وقـد تهدمت ولم يبق منها الا بعض آثار .

وهنا انتهى ما اردنا ايراده في هذا السفر المبـارك بعد تجشم مشاق في التنقيب

---

(1) كذا في الاصل ، وفي « نزهة الانام » : « في عشقه حسدا » .
(2) كذافي الاصل، وفي « نزهة الانام » : « والردف » .

على تلك الآثار ، وكثرة عناء في مشاهدتها عيانا لانطماسها ، وتبدل اوضاعها كما يعلم مما تقدم ، وتعب في استحصال بعض الكتب التاريخية لان بعضها في ديارنا اصبح معدوما وهو القسم المعول عليه ، والبعض يتعسر الوصول اليه ، والبعض الآخر لايوجد لدينا الا ناقصا . ولنذكر هنا الكتب التي استحضرناها لهذا المقصد الجليل ، وهي :

٥ « تنبيه الطالب وارشاد الدارس » لاحوال مواضع الفائدة بدمشق كدور القرآن والحديث والمدارس للشيخ عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ، و « مختصره » للشيخ عبد الباسط العلموي ، و « ذيله » لمحمود العدوي ، و « مختصره » ايضا للبقاعي ، و « ثمار المقاصد في الجوامع والمساجد » ليوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد ، و « تحفة الأنام في فضل الشام » للبصروي ، و « نزهة الأنام في محاسن الشام » ١٠ للبدري ، و « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » للسخاوي ، و « بهجة الناظرين الى تراجم المتاخرين » لرضي الدين محمد الغزي العامري ، و « تاريخ دمشق » للحافظ علي ابن عساكر ، و « منتخب شذرات الذهب » لعبد الرحيم بن شقده ، والنصف الأول من « الذيل الوافي على المنهل الصافي » ليوسف بن تغري بردي ، وكتاب « مورد اللطافة » له وكتاب « صور الأقاليم » و « المقصد الارشد في طبقات اصحاب الامام احمد » ١٥ لابراهيم بن مفلح ، و « طبقات الحنابلة » للحافظ عبد الرحمن بن رجب ، و « الطبقات » للكمال بن حمزة ، و « الكواكب السائرة » للنجم الغزي ، وذيلها « لطف السحر » له ايضا ، و « طبقات الشافعية » لابن السبكي ، و « طبقات الحنفية والشقائق النعمانية » لطاش كبري ، و « تاريخ عبد الرحمن بن شاشو » الذي ضاهى به « نفحة الريحانة » ، و « تاريخ ابن الاثير » ، وكتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان ، و « فوات الوفيات » للصلاح ٢٠ الصفدي . فهذه الكتب التي كنت اعتني بمراجعتها اثناء التاليف ، وكنت اراجع غيرها احيانا من الكتب المطبوعة « كتاريخ مصر » للاسحاقي ، و « تحفة الناظرين » للشرقاوي ، و « تاريخ المحبي » ، و « تاريخ المرادي » ، وغير هؤلاء من بعض قطع من تاريخ ابن كثير والصفدي والذهبي وغيرهم ، والله تعالى أسأل ان يجعل به النفع عاما ، وان يحيي آثارنا كما عنينا باحياء آثار من قبلنا ، وان يغفر لنا زلاتنا ، ويستر عوراتنا ، ويسهل ٢٥ امورنا ، ويشرح صدورنا ، وان يعيننا على اتمام ما قصدناه بمنه تعالى وكرمه ، وقد كان الفراغ من تبييضه في اوائل شهر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة والف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة واكمل التحية ، على يد ناظم عقده وناسج برده الفقير اليه تعالى عبد القادر بن احمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد الشهير كاسلافه بابن بدران الدمشقي عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه وعن جميع المسلمين آمين .

ملحق شعري

هـذا ملحق شعري اضافه المؤلف الى آخر كتابه وضمنه اشعـاراً في وصف بعض متنزهـات دمشق ، اثبتناه كما أورده .

بعد كتابة ما تقدم ظفرت بخمس واربعين ورقة من أول كتاب « البرق المتالق في محاسن جلق » للشيخ محمد كمال الدين الغزي العامري الدمشقي (١) فالتقطت منه ما يتعلق بمتنزهات دمشق التي طمس الدهر آثار اكثرها ، وقد صدر ذلك الفاضل كتابه بأرجوزة مطولة من نظمه واليك هي بتمامها ، قال :

٥	الحمد لله مفيض النعم	مول لمن شاء صنوف الكرم
	مكون الاكوان بالاتقان	صنع حكيم مبدع متقان
	بلا مثال سابق قد صورا	هذا الوجود فكن بذا معتبرا
	ففيه اكبر شاهد التوحيد	ولقوة الايمان كالتشييد
	فكم بقاع خصها بالشرف	واختها قضى لها بالسخف
١٠	وبلدة حوت رياضا وزَهَرْ	وورودا يانعات ونهر
	وبلدة من عاصفات الحر	ظماى وسقيا ارضها من بئر
	وقرية ربت من الأمطار	تسقى بماء الديمة المدرار
	مشيئة قد شاءها الرحمن	بكفه الاعطاء والحرمان
	هذي دمشق الشام دار اللهو	فاسند حديثي عن رباها وارو
١٥	حاكت جنان الخلد عند العرض	بل قيل عنها جنة في الأرض
	بل شامة الدنيا وعين الملك	ويعرف الدينار عند السبك
	انهارها عد النجوم الزهر	وليس الا في رياض تجري
	وكل روض في مثال الجنة	واق لاخوان الصفا كالجنة
	فان ترم تفصيل ذا قم واستمع	سهل القريض اخا الذكاء الممتنع
٢٠	بعد التحيات الغزار الجمة	تهدى لخير الخلق مهدى الأمة
	وآله الأنجاد ثم الصحب	وكلهم في فضله كالسحب
	هاك استمع مني حديث الشام	دار التصابي والنعيم السامي
	قد خصها الرحمن بالأنهار	وطيب الأرواح والأزهار
	وخصها المولى بذاك الجبل	وقل أن يخلو مكان من ولي

(١) توفي سنة ١٢١٤ للهجرة .

فكم نبي ضمه قاسون   وكم ولي عنده مدفون
وكم صحابي بها استشهدا   وفي خبايا ارضها قد الحدا
ودير مران على قاسون   كانه في ملك افريدون
وتحته تلك الرياض الغضه   وبينها الأمواه مثل الفضه
غنت بها الاطيار في الافنان   فمالت الأغصان كالنشوان   ٥
كذا الحواكير(١) التي ينساب   فيها يزيد السلسل المطياب
كم انّ دولاب عليه وشكى   وشاقه عهد الرياض فبكى
وقطر الدموع في الحياض   وباح بالاسرار للرياض
وقرية النخل(٢) مكان الصلحا   فكم بها قصد نزيل نجحا
بالصالحية سميت يا صاح   بل منتدى اللذات والافراح   ١٠
تحفها القصور والجواسق   كانها بين الربى سرادق
تظلها الادواح كالأعلام   تزورها الارواح للسلام
وكل طير آخذ في مغنى   وكل حزب منهم في معنى
وموكب الازهار في المكافحة   ونافحات الطيب منها نافحة
فلو ترى الريحان بين الآس   واصفر الخيريّ كالنبراس   ١٥
كذلك المنثور والسوسان   وعنده خشخاشة الوان
وحلقه المحبوب بين الزهر   حاكت سنا الياقوت فوق النحر
وفاق عرف الطيب عرف الديك   له مقام السبق كالتمليك
للياسمين الغض عطر ذاكي   يحكي ضياء الزهر في الافلاك
وعنده النسرين ثم الفاغية   قد اشبها في الطيب نفح الغالية   ٢٠
كذاك زهر الارغوان الباهي   وثم عنبر بوي زهر زاهي
شقائق النعمان في الازهار   كجلنار(٣) فاح في الأسحار
وسنبل في اللون كالفيروزج   وزنبق يزهو بوجه ابلج
ونرجس بالطل عين شكرى   باتت تناجينا بعين شهرا

---

(١) جمع حاكورة وهي في عرف اهل الشام بستان فيه اشجار التين الشوكي «الصبار» أو البرشومي» وقد انقرضت هذه الحواكير من على جوانب نهر يزيد بعد أن غزاها العمران ولا تزال في بعض سهول المزة .
(٢) لاتعرف الان الا بالصالحية كما ذكرت في البيت التالي .
(٣) زهر الرمان .

وغـايةُ الآمـال زهر المضعف ... وفعله في الروض فعل القرقف
واطيـب الأزهـار بعد الـورد ... زهـر القرنفل عطـره كالنـد
زهر الاقاحي حقـة مـن تبـر ... كـذا البهـار قطعـة من صفر
وعند زهر البـان لـد القصف ... وطاب لي فيه الثنـا والوصف
٥ وكم منادي الشوق فينا لعلع ... لـدى زهور سميت باللعلـع
كذلك البلسـان زاكي العطـر ... بالليلك انعـم ياله مـن زهـر
ان البنفسـج فضـله لاينكـر ... وعرقـه الذاكي كذا الليتوفر(١)
وزهـر أزريـون في الأزهـار ... يحكي عبير المسك في الأسحار
وعند مرزنجوش طاب النشـر ... فلا تقـل ذريـن لا والشحـر
١٠ ومبهـم الأسما زهـور شتى ... ولم اقل في وصف شيء حتى

ذكر متنزهاتهـا

وانظر الى السهمين والمبطـور ... تراهـا جنـات بـلا محظـور
والنيرب الاعـلى محـل الأنس ... كـذلك الادنـى حيـاة النفـس
ونزهـة الدنيـا اراني سطرا ... لـم تلـق الا روضـة او نهـرا
١٥ وان تصيب جحفـل الأطيـار ... ومجمـع الازهـار والأنـهـار
تمشي بها الامواه مشي الصل(٢) ... وحليهـا الزهـر ونقش الطل
وفرشهـا الياقوت والزمـرد ... وفوقهـا شحرورهـا يغـرد
فكم بهـا روض وكم من مغنى ... طـير التصابي في رباها غنى
وفي رياض السفـح واللـوان ... هبت رياح الشيح والجوذان
٢٠ والجبهـة الغرا محـل البسط ... وشـرحة الوادي مكـان الشط
واذكر رياض القعـر والخلخال ... والفيحة الخضراء والسلسـال
مسـارح الآرام والغـزلان ... معـاهـد للحـور والـولـدان
محاسن الدنيـا رياض الغوطة ... لمـا غدت في حسنها مغبوطـة

---

(١) كذا في الاصل ، وصوابها « النيلوفر » ويقال : « النينوفر » ، وهو ضرب من النبات ينبت في المياه الراكدة له اصل كالجزر وساق املس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى سطح الماء اورق وازهر .

(٢) الصل : الحية الخبيثة جدا .

تشقها الأنهار والخلجان ‏ ‏ وكل نهر منهم سيحان

وابن منها الشعب بابوان(١) ‏ ‏ وما حوى الخابور والميدان

ومجمع الامواه جسر الفيضة ‏ ‏ وحيث ما يممت تلق روضه

ملتفة الاغصان بالأغصان ‏ ‏ ومرتع الاطيار والغزلان

ومنتدى الأفراح وادي الربوه ‏ ‏ واد حباه ربه بالحظوه

تجري به الانهار كالكواكب ‏ ‏ لكنها تمشي على المراتب

قد ساقها حكيمها المهندس ‏ ‏ وخطها فوق الرئيس الاكيس

وكلهم قد جاوز الرياضا ‏ ‏ وبره عليهما قد فاضا

تقسموا من بعضها اقساما ‏ ‏ وخصصوها للقرى سهاما

تفصيل انهارهـا

اولها اصل النهور بردى ‏ ‏ كم شوق محرور لديه بردا

وعند ثوراها يثور الوجد ‏ ‏ غذاؤه القيصوم ثم الرند

كذا يزيد اطيب الأنهار ‏ ‏ اذ جريه في داخل الأحجار

يا طيب ماء القنوات العذب ‏ ‏ اذ خصصوه أهلها للشرب

وصنوه في فعله بالناس ‏ ‏ نهر زها في حسنه يا ناس

يتلوه نهر اسمه الداراني ‏ ‏ يمشي كمشي الواله الحيران

وجدول يسمى قناة المزه ‏ ‏ مقامه فيهم مقام العزه

هذي النهور السبعة الأصول ‏ ‏ اسمع فدتك النفس ما اقول

اما ابو الانهار زاهي البهجة ‏ ‏ يشق جوف الارض تحت المرجه

المرجة الخضراء(٢) ذات الشرف ‏ ‏ وقد زهت اكنافها بالغرف

هو مثل السهم كالمجتاز ‏ ‏ حتى يرى قد شق صدر الباز

وقد جرى في ذلك الميدان ‏ ‏ كأنه سابور في الايوان

تضمه قناطر من جلمد ‏ ‏ ترنو كالحاظ الغزال الاغيد

هناك يلقى جدولا قد عذبا ‏ ‏ سماه أهل الشام نهر عقربا

---

(١) شعب بوان : احد متنزهات الدنيا في بلاد العجم وقد خلده المتنبي بنونيته المشهورة .

(٢) هي الملعب البلدي الآن وأرض معرض دمشق الدولي ، وقد كانت وقفا على الحيوانات .

وبعده من للتصابي داعيه ... سموه من انهارها بداعية
ثم المنيحي جدول كبير ... كأنه من بينهم أمير
كذاك نهر اسمه الزيديني ... يسير بين الورد والنسرين
وثم نهر اسمه الوسطاني ... ومقسم الغربي نهر ثاني
٥ يا مجمع الاحباب يا درمينا ... كم ذا باشراك الهوى ترمينا
ويا حياة النفس نهر الماصية ... والحاجبي نهر سما في السامية
ولست أنسى الجدول البالاني ... يسير سير الأبق الولهاني
يمشي رويدا صنوه الزابون ... كذاك نهر الملك المصون
كذا خليج اسمه الشيداني ... ونهر تل الذهب الساماني
١٠ وبيت نائم نهرها قد عظما ... وجدول يسقي اراضي حزرما
وجدول يسعى الى القرّيقه ... يمشي كخود شبق مهفهفه
واخر يسقي رياض المتبن ... يمشي اليها كالحكيم المتقن
وللبلايثة خصوا جدولا ... يمشي الى صحرائها مهرولا
وما بقي يجري الى العباده ... يسعى كسعي الحية المرتاده

١٥ الذي ينقسم من نهري المنيحي والداعباني

الجامعي نهر بها قد عرفا ... وراق حسنا ماؤه فوق الصفا
وجدول يسمى بنهر البيره ... يا حسن روضات به معموره
وجدول المزار ثم الشق ... غنت عليهم صادحات الورق
وراق ماء الجدول السلطاني ... كم سار من روض الى بستان
٢٠ وفاته في الحسن نهر الزلف ... قد اتحفت ادواحه بالطرف
وجدول يسعى الى الخياره ... وجريه في رونق الاماره
ولاتدع يا صاح نهر الشبْعا ... كذا البلاطي جدول كالأفعى
كذا كليبا جدول معروف ... وعين ترما نهرها موصوف
الى كفر بطنا خليج يجري ... ونهر جسرين كذوب القطر
٢٥ وجدول يجري الى حموريا ... سقيا لأوقات مضت فيه ليا

ونهر سقبا في صفا اللجين كأنه الاسفنط[1] في الدنين
والافتريس القرية المصطاف يجري اليها جدول خطاف
الزهر والارواح في بيت سوا لها خليج كالحباب اذا التوى
هذا الذي قد قسموا من بردى فاسمع وكن في قولنا معتمدا
اما الذي قسمته يادارا يا من تخيرت الغيافي دارا ٥
نهر العرا والديب والشراك كذاك نهر الميلقون الذاكي
والحجر الدائر شعب خاصه وجدول قد خص بالكفارسه
فقسموه عندهم يا صاح يا من سناه في ضيا المصباح
نهر الكريمي ثم نهر الغربي ابو عباد جدول كالقضب
وقسمت تنوات يا مسرور نهر القصير حظه النصفير ١٠
وجدول الاشعاب نهر طامي يخد وجه الأرض كالصمصام
ونهر ثورا قسموه فاستمع نظما حلا في الذهن ثم المسمع
أولها الانصار نهر طافح يجري ونشر الزهر منه فائح
ونهر بشر جدول سلسال والماء فيه قرقف جريال
وغالب نهر سليم القلب وماؤه عذب لذيذ الشرب ١٥
كذاك نهر بالمحلات اشتهر وصنوه السرداب نهر معتبر
كذلك الشباك نهر زاخر كذا الفراديس الذكي العاطر
ونهر قلبين ونهر الزينبي ونهر باب الثلث عذب المشرب
كذاك عليتا خليج منه حديث عطر الروض يروى عنه
ومن يزيد جدول الشجريه ونهر مهدي فرقة فضيه ٢٠
فهذه الاصول بالاقسام وكلها تجري على الدوام
مواهب الله العلي الاعلى نالتها جلقنا فكانت اهلا

ذكر اوديتها

ولنشرع الآن بذكر الأوديه اللاتي لأمراض القلوب أدوية
اذ كلهم في دوحه العطار بالطيب يحكي جونة العطار ٢٥

(١) الاسفنط : المطيب من عصير العنب خاصة .

تخاله يختال كالعرائس   في حلل الديباج والأطالس
وكلهم في حسنه تياه   تحفه الأزهار والأمواه
اولهم يا صاح وادي بردى   واد ترى للأنس فيه مددا
تجري عليه بالدموع الأعين   اذ قصرت عما حواه الألسن
٥ ثانيهم وادي حياة النفس   الربوة الغنا محل الأنس
وادي المكرم عنده كيوان   كلاهما في حسنه غمدان
بالقرب منهم وادي الجنادله   دع عنك في أوصافه المجادله
وادي السفرجل منظر فتان   انهاره في وسطه غدران
وادي الحمصي صديق الروح   كم ذا يغني طيره للدوح
١٠ واذكرمحل الشطح وادي الشقرا   فأين وادي آش ابن الزهرا
يظله الشرفان من طرفيه   يفاخر المريخ في شرفيه
وادي الصفيرا موسم اللذات   اوقاته من اطيب الأوقات
واشرف الوديان وادي برزه   فيه بقاع الفضل حتى أرزه
لحرنة وادي ووادي معربا   كلاهما عن حسنه قد اعربا
١٥ ووادي التل الرفيع القدر   يضوع نشرا من عبير الزهر
وادي منين انضر الوديان   اطياره تشدو على العيدان
وادي الدريج الطيب الأرواح   قد غص بالأمواه والأدواح
ووادي حلبون سقاه القطر   على غنا الطير فاح العطر
ونزهة الدنيا بديع السيما   وادي التصابي والهنا بسيما
٢٠ ووادي الخضرا محط الرحل   كم ذا شددنا نحوه من رحل
يا صاحباي نار شوقي هيجا   وعرجا بي نحو وادي الفيجا
واطربا سمعي بذكر الوادي   واد سمي يا صاح بالمراد
ونهره الطامي البهي المنظر   وليس مرأى العين مثل المخبر
ووادي الشرق عروس الدنيا   اذ بينهم بالحسن نال العليا

٢٥ **ذكر الأعين**

ونتبع الذكرى بذكر الأعين   وقاها رب الشام شر الأعين

أشهرها في الحسن عين الصاحب   تفوق بالمنثور نثر الصاحب
وفي صفا الراووق عين الخضرا   ماء كذوب الدر حاز الفخرا
كذاك عين اسمها سياقه   وماؤها في غاية اللطافه
واجل صدا قلبي بعين منين   بين الربى والتين والزيتون
يا عين ذاك الروض يا قتانه   يا من سميتي عندهم مرجانه   ٥
ولا تسل عن لطف عين الكرش   ماء قراح لؤلؤي الفرش
وكم جمعنا الشمل في الوراقه   عين تراها بالصفا براقه
ياعين يا من بالزينبية عرفت   من لي بأوقات لديك سلفت
وعند عين الشرش روض زاهي   تاوي اليه زمر الملاهي
وانعم بعين اللذة الفضية   قد سميت يا صاح بالرقيه   ١٠
وعين قرقوز سقى عهدي بها   كم للتصابي بعث غايات النهى
وعين اقلايا حكت بالرصف   ضياء مرآة بروض القصف
عين حروش كالزلال الصافي   قد احرزت محاسن الأوصاف
فهذه العيون ذات القدر   اذ سقيها الرياض سقي النهر
فالبعض منها قارب المدينه   والبعض منها للقرى معونه   ١٥
وما سواها صاح لست بحصي   ولاتروم العد والاستقصا
فانهض وشمر للتصابي باعا   قد خص بالحرمان من أضاعا
فهذه الدنيا وهذا العيش   وغير ذكر الشام عندي طيش
الا مناط العز والتمكين   ومهبط القرآن والتبيين
واذ حباه الله بالتشريف   وخصه بالسعي والتعريف   ٢٠
وعنده الأوزار حقا تطرح   وفيه للغفران نعم المطمح
وبلدة المختار عين الملك   حامي حمى الاسلام ماحي الشرك
قد صحت الأقوال عند السنه   في ان فيها من رياض الجنه
ونالت العليا بخير الخلق   وخيركم بعدي خدين الصدق
وصنوه الفاروق محي الدين   ونالت الخلفاء ذو النورين   ٢٥
هواطل الرضوان فيها تهمي   وبالرضا والعفو أرجو ختمي

أنهارها

نهر يخرج من قرب الزبداني ؛ وآخر يخرج من صدع جبل الفيجة من نهاية اسفله ، وقد عقد على مخرج الماء منه عقد قديم يظهر انه روماني ، ثم ترفده منافع في مجرى النهر ، ويسمى هذا الماء بنهر بردى . ثم يقسم ذلك النهر على اربعة انهر غربية وهي : نهر داريا ، ونهر المزة ، ونهر القنوات ، ونهر بانياس ؛ واثنان شرقيان وهما : نهر يزيد ، ونهر ثورا ؛ ونهر بردى ممتد بينهم . فاما بانياس والقنوات فهما نهرا المدينة مسلطان على دورها : يدخل نهر بانياس القلعة ، ثم ينقسم قسمين: قسم للجامع الأموي ، وقسم للقلعة ، كل قسم منهما على اقسام كثيرة ، ويتفرق في المدينة بأصابع معدودة معلومة . وكذلك ينقسم نهر القنوات في المدينة ولا مدخل له في الجامع ولا في القلعة ، ويمشي الماء في قني مدفونة تحت الأرض الى ان يصل الى مستحقيها بالدور والأماكن على حسب التقسيم .

من متنزهاتها ماذكره الشيخ عبد الغني النابلسي من قصيدة :

لم انس بالنوروز محفلها الذي	بسروره قلب الحزين تعلقا
جمع الأنام اكابرا واصاغرا	وحوى الملاح مقرطقا وممنطقا
ايام قطع النهر وحل شملنا	باحبة القوا الخلاعة مطلقا

ومن المحال الممدوحة فيها الجنك ، وبه يقول القيراطي :

سقى الجنك(١) منهل الرباب فشوقنا	لطيب مغاني ارضه ماله حصر
وحيا بقطر الشام انهارها التي	على شهدها بالدمع من مقلتي قطر

وقال الشيخ شمس الدين الأسدي من قصيدة :

وسقاك يا سطرا(٢) ومقرى(٢) صيب	لرعوده في الزجر هطل شيق
وحباك يا اطلال جوسق واصلا	اطراف جديا مستهل مشفق

---

(١) كتب المؤلف على الحاشية بحبر بنفسجي ما يلي : الجنك باراضي كفرسوسة وكذا : الدبلنات ، السلسال ، اللوان ؛ وهي من وادي البنفسج غربي دمشق .

(٢) كتب المؤلف فوقها الكلمتين التاليتين : قرية غربي الربانية ، ماسية .

(٣) كتب المؤلف فوقها كلمة : طاحون .

جوسق وجديا هما من متنزهات الشام .

لله سرحة ذلك الوادي الذي قلبي يهيم به وذاك الجوسق

ومنها :

والقصر والشرفان والميدان والشقراء عشق للذي لايعشق

وقال الاديب محمد بن سعيد السمان من قصيدة : ٥

ورشفت بالخلخال حيث مقاسم الانهار يجري ماؤها الرقراق

ولثمت جبهتها وفي أطرافها لك لذ من تلك الشذا استنشاق

. . .

تم الكتاب

فهرس أقسام الكتاب الرئيسية

الفهرس العـــام

لكتاب منادمة الأطلال ومسامرة الخيال

القسم السابع في مدارس الطب:

القسم الثامن في الخوانق :

القسم التاسع في الربط التي كانت بدمشق :

القسم العاشر في الزوايا :

القسم الحادي عشر في الترب:

فهرست الاماكن حسب الحروف الابجدية

الموضوع	رقم الصفحة

فهرست باسماء مدارس القرآن الكريم :

فهرست باسماء مدارس الحديث الشريف

فهرست باسماء مدارس القرآن والحديث

فهرست باسماء المدارس الشافعية

فهرست باسماء المدارس الحنفية :

فهرست بأسماء المدارس المالكية

فهرست بأسماء المدارس الحنبلية

فهرست بأسماء مدارس الطب

فهرست بأسماء البيمارستانات

مدارس عامة

فهرست بأسماء الخوانق

فهرست باسماء الرباطات

فهرست باسماء الزوايا

فهرست باسماء الترب

فهرست بأسماء الجوامع

فهرست بما كان في دمشق من المتنزهات المشهورة

فهرست باسماء الاعلام البناة او الواقفين والمدرسين(١)

(١) عمدنا في هذا الفهرست الى اهمال كلمة (ابو او ابن) والاعتماد على الاسم بعدها ، الا اذا لم تكن كنية فاننا اثبتناها في حرف الهمزة ، كما اننا اعتمدنا على اللقب المشهور أكثر من اعتمادنا على الاسم فالملك العادل كتبغا ابرجاه تحت حرف العين ، والملك الاشرف موسى تحت حرف الهمزة .

فهرست باسماء ابواب دمشق المشهورة

جدول بالخطأ والصواب

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١	١٥	الدمن	الدمن
٢	٧	احبالك	احباءك
٣	١٤	نبا	نبأ
٦	الهامش	محمد الخضرى	محمد الخضري
١٣	٩	غايات النهايات	غاية النهاية (١)
١٣	١٢	مختصرة	مختصره
١٣	١٣	افه	الفه
٢٣	١٥	وواحد	وواحدة
٣٧	٨	ربعة	ربعة
٤٠	١٢	والقبو	والقبر
٤٢	١٢	بقى عى	بقي على
٤٣	٢٠	ورديون	وردتون
٤٤	٨	دار	داراً
٥٣	١٣	الانر	الأثر
٦٦	الهامش	سيف دين	سيف الدين
٦٩	١٨	وتصفحت	وتصحفت
٧٤	٣	وهيشم	وجودة
٧٨	٢من الحاشية	اربعين	أربعين
٨٧	٣من الحاشية	منشاها	منشئها
٩٧	٢	بكثمو	بكثمر
١٠٦	١٧	احدى	أحد
١٠٨	١٥	شغده	شغده
١١٢	٢٠	دارا لبطرك	دار البطرك
١١٧	٢،١	(تقدم السطر الثاني على الأول خطأ)	
١٢٥	٢٤	عليهما	عليها

(١) أورد المؤلف اسم الكتاب « غايات النهايات » والاسم الذي طبع به الكتاب هو « غاية النهاية مختصر نهاية الدرايات » .

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١٥١	٦	(سقط سطر من المطبعة) ونصه : قال الصفدي : كان اقوش هذا شافعي المذهب ، كثير الصدقة ، حسن الاعتقاد . وذلك بدل السطر السادس فهو مكرر .	
٢١٤	٧	مسعود	مسعودا
٢١٥	١١	قامية	قامية
٢١٧	٣	اسرة	اسره
٢١٩	١٦	رعا	دعا
٢١٩	٢٤	بيمارستان	بيمارستانا
٢٢٠	١	بغير	بغير
٢٢١	٧	فعبيها	قتيبيها
٢٢٣	٥	٥٦٩	٥٩٩
٢٢٥	٢٤	خارب	خارج
٢٣٦	١١	٧١٦ — ٧٦٩	٧٠٦ — ٧٩٥
٢٦١	٢٠	لذي	لذوي
٢٦٣	٧	لكنه خاصا	لكنه كان خاصا
٢٦٧	١٩	نهو	نهر
٢٦٩	١٧	يشتري بهار	يشتري بها بهار
٣٠٢	٣	باب	الباب
٣٠٦	٦	اسراج	السراج
٣٠٩	٢	« الزبارات »	« الزبادات »
٣١٢	٢	« الزبارات »	« الزبادات »
٣١٢	٨	«	«
٣٢٠	٩	أباس	اياس
٣٣٢	٩	عشيقة	عتيقة
٣٥٤	٥	قير	قبر
٣٥٨	١٣	مايراه	مالايراه
٣٦٠	٣	الصائبين	الصابئين
٣٧٥	٢	تدعوا	تدعو
٣٧٦	٢٢	٦٨٧	٩٨٧

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٣٧٦	٢٦	الحليخاني	الخليخاني
٣٨٢	٣	الا	الان
٣٩٦	١	جنبتبه	جنيتيه
٣٩٨	٢١	كلما	كل ما
٤٠٠	١٦	علىّ	علىّ
٤٠١	١٣	يرقرها	يرقرقها
٤٠٣	٢٤	« ويرهب »	« ويهرب »
٤٠٥	٢٤	طربته	اطربته
٤٠٨	١٥	الوارق	الوراق